يَسألونَك

في الدِّينِ وَالحيَاةِ

تأليف

الدكتور أحمد الشرباصي

الأستاذ بجامعة الأزهر

المجلّد الثّاني

دار الجيل

بيروت

يسألونك

في الدين والحياة

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد الله تبارك وتعالى ، وأصلي وأسلم على أنبيائه ورسله ، وعلى خاتمهم سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه واتباعه واحبابه ومن دعا بدعوته باحسان الى يوم الدين .

وأستفتح بالذي هو خير : « رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا ، وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا ، وَإِلَيْكَ المَصِيرُ » .

شعاع من كتاب الله

بسم الله الرحمن الرحيم

« يُسَبِّحُ لِلّهِ مَا فِى السَّمٰوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ، هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِى الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِى ضَلَالٍ مُبِينٍ ، وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ، ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ »

« سُورَة الجُمُعَة »

المقدّمة

هذا هو المجلد الثاني من كتابي : « يسألونك في الدين والحياة » ، أقدمه — بعون الله وتوفيقه — إلى كل مسلم يؤمن بكلمة التوحيد ، وتشريع الإسلام المجيد ، وإلى كل راغب في طلب العلم ومعرفة الحق ، فالحق أحق أن يُتَبَّع ، وماذا بعد الحق إلا الضلال ؟!

وهذا المجلد يضم — مثلَ سابقه — مجموعة أخرى جديدة ، من الأسئلة والأجوبة المختلفة ، التي تعرض عدداً ضخماً من أمور الدين وشؤون الحياة . ومنها ما يتصل بالعقائد والعبادات والمعاملات والسلوك ؛ ومنها ما يتصل بتفسير القرآن الكريم وعلومه ، ومنها ما يتصل بشخصية الرسول عليه الصلاة والسلام ، وسنته الشريفة المطهرة ؛ ومنها ما يتصل بشؤون الأسرة والمجتمع ؛ ومنها ما يتصل بأمور كثيرة متفرقة ، لها صلتها بالدين أو بالحياة .

* * *

ولقد لاقى المجلد الأول من هذا الكتاب الإسلامي الفقهي الاجتماعي رضاً وقبولاً واسعين ، هما من فضل الله العظيم ، ونعمته الواسعة السابغة ، فله — سبحانه الحمد ، وله الشكر ، على ما هدى وأعطى ، وأنعم وأولى ، وإليه وحده تتجه الاستعانة اليوم وغدا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

ولقد كان الإقبال الكريم على المجلد الأول من هذا الكتاب أحدَ الدوافع إلى تقديم هذا المجلد الثاني منه ، مقروناً بحسن الرجاء في الله — جلَّ علاه —

أن يكتب له ما كتب لشقيقه الأول من رضى وقبول . فإن أزكى الحديث من البشر ما كان دائراً حول هدى الله وشريعته .

وإن أوجب الواجبات على كل مسلم أن يتفقه في عقيدته وملته ، حتى يكون أهلاً لتوفيق الله وهدايته ، وحتى يفوز بالسعادة في دنياه ، وبالنعيم الخالد في آخرته ، مصداقاً لقول رسول الله الأعظم : محمد صلى الله عليه وسلم : « من يردِ اللهُ به خيراً يفقّهْه في الدينِ » .

* * *

وإذا كانت مجموعة الفتاوى الضخمة التي ضمها المجلد الأول من هذا الكتاب ، قد حملتها قبل جمعها ونشرها أمواج الأثير إلى آذان طالبيها وغيرهم ، في مشارق الأرض ومغاربها ، فإن المجموعة الضخمة التي يضمها هذا المجلد الثاني ، قد حملتها متناثرة — كذلك — مئات الأعداد المتفرقة من المجلات والصحف المتعددة أكثر من عشرين عاما ؛ حملتها إلى أنظار قرائها في مشارق الأرض ومغاربها ، ثم أقبل هذا المجلد الذي بين يديك ، فجمع ما تفرق من شتاتها ، ونظم سمطها في الأبواب المتوالية بين دفتيه .

* * *

وفي سعي هذه المجموعة الثانية من الفتاوى في مختلف الموضوعات الدينية والشؤون الحيوية ، يتحقق رجاء تمنيتُه ، وأمل توقعتُ أن يكون ، فقد قلتُ في ختام تقديمي للمجموعة الأولى :

« مَنْ يدري ؟ ... لعل القدر المسعد يعود متفضلا ، فيهيء لصاحب هذا القلم المجال ، كي يقدِّم من ورائها مجموعة أخرى أومجموعات، وما ذلك بعزيز ولا بكثير على الله صاحب العون والتيسير » .

والظن الجميل في فضل الله الواسع لا يقف عند حد ، ولذلك أعاود الأملَ

والرجاء ، داعيا قرائي إلى انتظار لقاء ، والله ـ جل جلاله ـ هو المسؤول في كل وقت وحين ، أن يجعل خطواتنا دائماً على طريقه ، وفي سبيله ، ولوجهه الكريم ، في ضوء توجيهه القويم : « قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ ، أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ، وَسُبْحَانَ اللهِ ، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ».

وليكن دعاؤنا لخالقنا ورازقنا :

« رَبَّنا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ، وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً ، إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ » !

أبو حازم

أحمد الشرباصي



الطهارة والنظافة



الوضوءُ وسيلان الدم

السؤال : **غسلت فمي بالفرشاة ، وكنت متوضئا للصلاة ، ولكني وجدت الفرشاة قد اختلط المعجون فيها بدم من أسناني ، فهل هذا ينقض الوضوء ؟**

الجواب :

ينبغي أن نتذكر أولا أن استعمال السواك أو الفرشاة لتنظيف الفم والأسنان يكون في العادة قبل الوضوء ، لأن هذا هو المألوف في العرف الإسلامي .

وقد جاء في المذهب الحنفي أن الدم الخارج من الجسد ينقض الوضوء إذا سال إلى ظاهر الجسم ، وفي المذهبين الشافعي والمالكي أنهذا الدم الخارج من الجسد لا ينقض الوضوء ، واستدلوا على ذلك بما رواه أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم احتجم وصلى ولم يتوضأ ، ولم يزد على غسل محاجمه (أي آلات الحجامة أو أماكن الحجم) .

وكذلك رُوي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه كان يصيبه « الرعاف » ، فيغسل الدم ، ولا يعيد وضوءه ، ويصلي . ويُروى أيضاً أن أحد الصحابة كان يصلي ، وأُصيب ببعض السهام ، ونزل منه الدم بطبيعة الحال ، ومع ذلك استمر في صلاته ، وعلم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ، ولم ينكر عليه ، ولم يقل ببطلان صلاته أو انتقاض وضوئه .

ونستطيع أن نفهم أن اختلاط معجون الأسنان بالدم عند تنظيفها لا ينقض الوضوء في المذهب الحنفي ، لأن هذا المذهب يقول إن الدم الذي ينقض الوضوء هو الذي يسيل إلى ظاهر الجسم ، والمفهوم من السؤال أنه ليس هناك دم قد سال ، وإنما هو دم اختلط بالمعجون من أثر إمرار الفرشاة على الأسنان بضغط أو قوة .

وكذلك لا ينتقض الوضوء في الحالة المذكورة على غير المذهب الحنفي — وهما المذهب الشافعي والمذهب المالكي — لأن هذين المذهبين لا يريان انتقاض الوضوء بخروج الدم من الجسد ، على الوجه السابق بيانه .

والله تبارك وتعالى أعلم

* * *

الوضوءُ والنظر بشهوة

السؤال : ما حكم الشرع في رجل توضأ ثم نظر إلى امرأة بشهوة ؟ هل ينتقض وضوؤه ؟

الجواب :

المعروف أن الشخص الذي يتوضأ يتوضأ لأداء عبادة . كالصلاة او القراءة في المصحف او نحو ذلك وهذا المتوضى ممن شأنه ان يكون منصرف الهمة الى العبادة التي يريدها ، فيشغله ذلك عن النظر إلى المحرمات أو المثيرات ، وهو يعلم — أو يجب أن يعلم — أن النظرة إلى المحرمات سهم مسموم من سهام إبليس ، وانها بريد إلى الإثم والفاحشة ، وقد جاء في الحديث النهي عن حدة النظر أو تكراره إلى ما يحرم النظر إليه ، فقال : « لك الأولى وعليك الثانية » . فاللائق بالشخص المتوضىء أن يصرف نظره عما لا يليق به النظر إليه ، وأن يتباعد عن مزالق الفتنة والإثارة ، فلا يكون كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه .

والكثير من الفقهاء يرون أن لمس المتوضىء المرأة الأجنبية عنه بشهوة ينقض الوضوء ، إذا كانت المرأة الملموسة مشتهاة ، وقد قصد اللامس بلمسها الشهوة أو وجدها ، ولذلك يقولون بين نواقض الوضوء : « ولمس رجل يشتهي امرأة أجنبية تشتهى بلاحائل » .

وإذا نظر الرجل المتوضىء إلى امرأة تشتهى ، أو فكر فيها،ثم نزل منه حينئذ ماء – وهو ما يسمى ماء المذي – فإن ذلك ينقض وضوءه ، فقد جاء في الحديث الذي رواه الترمذي وابن ماجه وأحمد أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قد قال : « من المذي الوضوء ومن المني الغسل » . وكذلك ورد عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه أوجب هنا غسل عضو التناسل ثم الوضوء .

وليتذكر ذلك الرجل المتوضىء قول الله تبارك وتعالى في سورة النور : «قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ، ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ ، إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ » . يقول ابن كثير في تفسير الآية : « هذا أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين أن يغضوا من أبصارهم عما حرم عليهم ، فلا ينظروا إلا إلى ما أباح لهم النظر إليه ، وأن يغضوا أبصارهم عن المحارم ، فإن اتفق أن وقع بصر على محرم من غير قصد فليصرف بصره عنه سريعاً » . وروي أن جرير بن عبد الله قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظرة الفجأة فأمرني أن أصرف بصري . وروى الإمام أحمد أن النبي قال : « ما من مسلم ينظر إلى محاسن امرأة ثم يغض بصره إلا أخلف الله له عبادة يجد حلاوتها » .

والله الهادي إلى سواء السبيل

* * *

الاستنجاء بالورق

السؤال : **يرى بعضُ الأطباء أن الاستنجاء بالماء عن طريق اليد بعد التبرز يعرِّض المستنجي لمرض « الدوسنتاريا » ويُعْدي الآخرين به ، وينصح باستعمال أوراق النظافة الخاصة بالمراحيض في الاستنجاء ، فهل يرضى الإسلام عن ذلك؟ وهل يمكن الجمع بين استعمال ورق المراحيض المنظف وما جاء في الشريعة الغراء من أحكام الاستنجاء ؟**

الجواب :

الدين الإسلامي دينُ أهداف ومقاصد ، لا دين نصوص ومظاهر فقط ، ونستطيع أن نفهم من روحه العامة أنه لا يمتنع الاستنجاء بورق النظافة الخاص بالمراحيض ، إذا كان هذا الورق يؤدي إلى اقتلاع النجاسة وإزالتها ، لأن المقصود من الاستنجاء هو تطهير مَخْرج النجاسة وقطعُ الأذى عنه بالممكن الصالح من وسائل التطهير ، وكلمةُ « الاستنجاء » نفسُها مأخوذة في اللغة من قولهم : نجوت الشيء أي قطعته ، فكأن المستنجي يقطع بالاستنجاء الأذى عن نفسه ويمحوه .

والاستنجاء شرعـــا سنة مؤكّدة مطلقا يُكره تركُها ، ويجب في بعض الأحيان ، كما هو مفصل في كتب الفقه الإسلامي ، والأصل فيه كما ورد هو استعمال الماء أو الأحجار ، واستعمال الأحجار هو المعروف في الفقه بالاستجمار ، وفي ذلك ورد الحديث الشريف : « من استجمر فليوتر ، فمَنْ فعل فحسن ، ومن لا فلا حرج » . وقد قال الفقهاء إن مثل الحجر كل شيء ما في معناه ، من كل عين طاهرة قالعة لا قيمة لها ، مثل التراب والخِرَق والمَدَر والقطن والصوف ، بشرط أن يكون منقّيا ؛ ومن نصوصهم البليغة في هذا : « التنقية في الاستنجاء هي المقصود منه ، ولذلك يُختار لها الأبلغ والأسلم عن التلويث » .

وإنك لترى الفقهَ الإسلامي هنا يُعنى بدقائق الأدوات التي نستعملها في الاستنجاء ، ليفرق لنا بين ما يجوز وما لا يجوز ، فالفقهاء ينصون على كراهية الاستنجاء بعَظْم أو طعام أو رَوْث يابس أو قذارة يابسة أو ورق مكتوب ذي قيمة ، أو حَجَر استنجى به غيره ، (لأنه غير مطهَّر حينئذ ، وخوفاً من العدوى أيضاً كما نقول بلغة العصر) وآجر وخزف وزجاج ، وكل ما له قيمة فينتفع به ، ولو فعل بشيء من ذلك نقيٌّ أجزأه وكفاه ، مع أن الأوْلَى غيره ؛ وتلك كما نشاهد عنايةٌ من الفقه الإسلامي بأمر الاستنجاء ، وتحذير مما يؤدي إلى العدوى أو التلوث أو عدم التنقية أو إضاعة المال في غير مجال ،

ولعلك حينما تقرأ أن الفقهاء يشترطون في الاستنجاء تطهيرَ اليد وإزالة الرائحة تزداد إيماناً بأنهم يدركون وثيق الصلة بين الدين والطب .

وما لنا نذهب بعيداً ، والسلف رضوان الله عليهم قد أفتوا في المسألة بما هو أصرح من هذا ، فقد قالوا إن معنى الحجر الصالح للاستنجاء هو كل جامد طاهر قالع غير محترم ، وذكروا لهذا الجامد أصنافاً كثيرة : منها الورق الذي يقترحه البعضُ اليوم ، واشترطوا أن يكون هذا الورق رخيصا لا قيمة له ، ولا يؤدي إتلافه إلى خسارة ، وذلك منحظ اقتصادي منهم ، وأن لا يكون في الورق كتابة ، لأن الإسلام يكرم العلم ، ولأن المسلمين يعظّمون شأنَ الكتابة ، اللهم إلا أن تكون كتابة تستحق الإهانة عند البعض ، ومن نصوص فقهاء الحنفية في هذه المسألة قولهم :

« وكُره تحريما الاستجمارُ بما هو محترم شرعا ، لما ثبت في الصحيحين من النهي عن إضاعة المال ؛ويدخل فيما له احترام شرعا جزءُ الآدمي ولو كافرا أو ميتا ، والورقُ المكتوب ولو كانت الكتابة حروفا مقطعة لأن للحروف احتراما ، والورقُ غير المكتوب إذا كان صالحا للكتابة ، أما الورق الذي لا يصلح للكتابة فإنه يجوز الاستجمار به بدون كراهة ، وإنما يُكره الاستجمارُ بما له قيمة مالية إذا أدى ذلك إلى إتلافه أو إنقاص قيمته ، فإذا كان غسلُه بعد الاستجمار أو تجفيفه يُعيده إلى حالته الأولى فإنه لا كراهة فيه » .

ومن نصوص فقهاء الشافعية في هذا أيضاً قولهم : « يشترط أن يكون ما يستجمر به غير محترم شرعا ، فلا يصح بمحترم كالخبز والعَظْم ، ومن المحترم شرعا ما كُتبَ فيه علم شرعي كفقه وحديث ، أو وسائله كنحو وصرف وحساب وطب وعروض ، وأما ما كُتب فيه غير ذلك فليس من المحترم إذا لم يوجد فيه قرآن ونحوه من كل محترم » .

ويمكننا بعد هذا الإيضاح أن نفهم أن الإسلام لا يمنع استعمالَ الورق الرخيص الخاص في الاستنجاء عند وجود المرض أو خوفه أو خشية العدوى ،

إذا كان هذا الورق صالحاً مطهّرا مزيلا ؛ وعندي أنه يحسن لكي نجمع بين الحسنيين ، أن نستعمل الورق أولاً لإزالة جرم النجاسة بجراثيمها ، وأن نثنّي بتأكيد تطهير محل النجاسة من لونها أو فضلاتها الدقيقة بالغسل بالماء ، لا عن طريق استعمال اليد ، بل عن طريق الخرطوش أو النفاثة المائية الخاصة ، وبذلك نكون قد أرضينا الطب وأرضينا الطهارة .

لعل بعضهم لن يرضى عن هذا التيسير ، لأن الأمة لا تخلو من متشددين أو متزمتين ، ولكن الحياة أقوى من التشدد والتزمت ، وركبها العجلان لا يتلبث ، والتخلف عن الاستجابة لضروراتها ولوازمها العامة لا يليق ، والدين دين الحياة ، يجعل للعرف والعادة والمصالح العامة والضرورات العارضة سلطتها وحكمها ، والمسألة معنا بعد هذا كله جزئية فرعية لا يتعلق بها اعتقاد .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

حكمة التيمم

السؤال : **يأمرنا الإسلام إذا فقدنا الماء ، أو تعذر علينا استعماله ، أن نستعمل التراب الطهور ونتيمم به ، ليقوم ذلك مقامَ الوضوء ، فكيف يكون التطهير بالغبار مع أنه مأوى الجراثيم ؟ ما الحكمة في ذلك ؟**

الجواب :

يجب أن نفهم أولا أن التيمم شرعه الحكيم العليم بقوله: « وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ، إِنَّ اللهَ كَانَ عَفُوّاً غَفُوراً » .

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « جُعلت الأرض كلُّها لي ولأمّتي مسجدا وطهورا ، فأينما أدركت رجُلا من أمّتي الصلاةُ فعنده طهوره » .

وليس التيمم تلويثاً لأعضاء الوضوء بالتراب المؤذي كما يظن الكثيرون ، بل كيفيته لا تخرج عن أنها ضربة واحدة باليدين في التراب النقي الطاهر ، ثم يمسح بهما بعد نفضهما وجهه ويديه إلى الرسغين ، وفي حديث عمار علـّمه الرسولُ كيف يتيمم بقوله : « إنما كان يكفيك أن تضرب بكفيك في التراب ، ثم تنفخ فيهما ، ثم تمسح بهما وجهـَك وكفيك إلى الرسغين » . ويقول ابن القيـِّم في كتابه زاد المعاد: « كان صلى الله عليه وسلـّم يتيمم بضربة واحدة للوجه والكفين ، ولم يصحَّ عنه أنه تيمم بضربتين ، ولا إلى المرفقين . قال الإمام أحمد : من قال إن التيمم إلى المرفقين فإنما هو شيء زاده من عنده » . ثم يقول ابن القيم أيضا : « وأما ما ذُكر في صفة التيمم من وضع بطون أصابع يده اليسرى على ظهور اليمنى ، ثم إمرارها إلى المرفق ، ثم إدارة بطن كفه على بطن الذراع ، وإقامة إبهامه اليسرى كالمؤذن ، إلى أن يصل إلى إبهامه اليمنى فيطبقها عليها ، فهذا مما يُعْلَم قطعا أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يفعله ، ولا علـّمه أحداً من أصحابه ، ولا أمر به ولا استحسنه ، وهذا هديُه إليه التحاكم » .

فإذا لاحظنا بعد هذا التمهيد أن التيمم ضربة واحدة باليدين ، في تراب طهورٍ نقيٍّ ، وهو الصعيد الطيب ، وأن الإنسان ينفخ الترابَ عن يديه كما نص الحديث السابق ، وأنه يمسح بيديه وجهـَه وكفيه إلى الرسغين فحسب ، تبين لنا أنه ليس هناك تلويث ، وليس هناك تراب يسيء الجسم ، وإنما هو أمر تعبدي أجراه الله على من يريد أن يقوم بقربة من القربات ، فاختار له التراب ، لأنه فرع عن أصله وهو الماء ،لأن التراب هو في الأصل زبد الماء ، وهذه حكمة ذكرها الأولون ...

ومن الممكن أن يقال إن التيمم بصورته الرمزية السابقة نوع من استصحاب الأصل ، وهو التطهر بالماء ويأتي ذلك الاستصحاب عن طريق التذكر الذي يثور في نفس الشخص حينما يحال بينه وبين الماء ، فيلجأ إلى التراب ، وهذا التذكر نفسه يدعو إلى المقارنة بين الحالتين ، فيدرك الإنسان فضلَ الله عليه ،

ونعمه الكثيرةَ إليه . لقد كان يتطهر بالماء لأنه يجده أو لأنه قادر عليه ، وأما الآن فهو عاجز عن استعمال الماء لفقده ، أو لمانع يمنعه من استعماله ، فإذا يسّر الله له الأسبابَ يوماً فهيأ له الماء ، وأعطاه القدرة عليه ، فليذكر فضلَ الله فيه ...

وهناك من المعاصرين من يثبت للتراب فوائدَ طبية ووقائية ، فهذا صاحب كتاب « شواهد العلم في هدى القرآن » يذكر آية التيمم ، ويشرع في التعليق عليها ، ثم يقول ما نصه : « معروف أن الجراثيم منتشرة في كل مكان وعالقة بكل شيء تقريبا ، وهي لا تُرى بالعين المجردة لصغرها ، والبكتّريا مختلفةُ الأنواع والأشكال ، فمنها الكروي والعصوي والحلزوني ، وبعضها مفيد وبعضها ضار ، والمفيد منها هو الذي يسبب تخمرَ الخمائر والمواد السكرية عند صنع الكحول ، وهو الذي يكوِّن عُقَداً تعلق بجذور بعض النباتات فتسبب خصبَ التربة ، مثل بكتّريا التأزت التي تتجمع في شكل عقد بكتّرية معلقة بجذور نبات البرسيم ، وهي تغذي الأرض بعنصر الآزوت الذي يزيد خصوبتَها ، لذلك يحتل البرسيم مكانةً هامة في الدورة الزراعية وغيرها ؛ أما الضار منها فهو الذي يسبب الأمراض كالتيفود والدوسنطاريا والكوليرا وما إليها ، وهناك بعضُ أنواع البكتّريا تبيد بعضاً ، أو كما يقول شوقي :

وبعضُ السم تريـــاقٌ لبعــض ... وقد يشفى العضالُ من العضال

ها هو ذا الطب والعلوم التي كانت تسخر من القرآن بالأمس تتراجع بسرعة ، تتراجع بلا خجل ، تتراجع في دهشة ؛ ويعلم ذلك الراسخون في العلم ؛ لقد تبين لهم أن الميكروبات يستحيل عليها أن تعيش في التّراب ، فهو مبيد لها وعدو فتاك ، والقليل النادر منها يسرع في تحصين نفسه بحوصلة من من جدار سميك إذا شعر بعدوه التّراب يقترب منه ، هربا من فتكه به ، وذلك مثل ميكروب « التيتاتوس » . من هنا بدأ الحق يرسل شعاعَه ، وبدأ العلم يعترف ويؤيد اليوم ما نادى به القرآن منذ ١٤٠٠سنة » .

ثم يتحدث الكاتب بعد ذلك عن العقاقير التي استخلصها علماء الطب من

التراب ، فيذكر أسماءها ويوضح فوائدها وطرق استعمالها ، ويبين أنها أنجع علاج لأمراض الالتهاب الرئوي، والتيفود والكوليرا والسعال الديكي والحمى المالطية والتيفوس والأميبا ، وينتهي بتقرير أن التراب هو المطهر الواقي من الأمراض التي عجزنا عن مقاومتها ، وهو يفوق البنسلين وجميع العلاجات التي اكتُشفت حتى الآن ...

وهناك أيضاً حكمة صوفية للتيمم ، أشار إليها الشعراني في كتابه « الميزان » وهي : قرب التراب من الماء في الروحانية ، لأن التراب هو ما يحصل من عكارة الماء الذي جعل الله تعالى منه كل شيء حي ، فهو أقرب شيء إلى الماء .

ونخلص بأن التيمم ليس تلويثاً ، وإنما هو ضربة واحدة في تراب طهور طيِّب ، نمسُ بها الوجهَ واليدين استبقاءً لأصل الطهارة ، واستصحابا لمظهرها ، وإثارة للذكرى والمقارنة بين حال القدرة على الشيء مقام الماء عند العجز عنه ، ورمزاً للخضوع لأوامر الله ، وإقامة لأقرب الأشياء إلى الماء وهو التراب مقام الماء عند فقده ، أو العجز عن استعماله مع وجوده ، وفوق كل ذي علم عليم .

والله تبارك وتعالى أعلم

* * *

تربية الشوارب

السؤال : **ما رأي فضيلتكم في أن الشبان اليوم قد اعتادوا تربيةَ شواربهم وهندمتها بأشكال مختلفة وأوضاع كثيرة ، قاصدين بذلك الوسامةَ والتظاهر بالرجولة ؟ ألا يعتبر ذلك تغييراً لخلق الله ، ومخالفة للدين ؟**

الجواب :

لقد اختلف الأئمة في مسألة الشارب ، فمنهم من اعتمد على أخبار وآثار

يدعو إلى إحفاء الشارب ، وإحفاؤه هو المبالغة في قصّه وعدم ترك شيء منه ، وبعضهم يعتمد على آثار أخرى فيرى تقصيرَه وقصّه من إطاره وهو نهايته وأسفلُه دون إحفائه ، وقد أطال الإمام ابن القيم الحديث في كتابه « زاد المعاد » عن هذا الموضوع ، فنقل الحديث الصحيح : « من لم يأخذ من شاربه فليس منا » والحديث الصحيح : « قصوا الشوارب وأرخوا اللّحَى ، خالفوا المجوس » . وهذان الحديثان يؤيدان أو يميلان إلى تأييد الرأي الثاني المذكور ، ثم قال ابن القيم هذه العبارة :

« وفي صحيح مسلم عن أنس قال: وقّتَ لنا النبي صلى الله عليه وسلم في قص الشارب وتقليم الاظافرِ أنْ لا نترك أكثر من أربعين يوما وليلة ، واختلف السلف في قص الشارب وحلقه أيهما أفضل ، فقال مالك في موطئه : يؤخذ من الشارب حتى تبدو أطرافُ الشّفَة ، وهو الإطار ، ولا يجزه فيمثّل بنفسه ، وذكر ابن عبد الحكم عن مالك قال : يُحْفَى الشاربُ ويُعْفَى اللحى ، وليس إحفاء الشارب حلقَه ، ورأى أن يؤدَّب من حلقَ شاربَه ، وقال ابن القاسم عنه : إحفاء الشارب وحلقه عندي مُثْلَة .

قال مالك : وتفسير حديث النبي صلى الله عليه وسلم في إحفاء الشارب إنما هو الإطار . وكان يكره أن يأخذ من أعلاه ، وقال : أشهد في حلق الشارب أنه بدعة ، وأرى أن يُوجَعَ ضربا من فعله ؛ قال مالك : وكان عمر بن الخطاب إذا كَرَبَه أمر نفخ فجعل رجله بردائه وهو يفتل شاربه . وقال عمر بن عبد العزيز : السنة في الشارب الإطار .

ثم ذكر ابن القيم بعض آراء للطرف الأول ، ثم عاد فقال ما نصه : « وقال حنبل : قيل لأبي عبد الله : ترى الرجل يأخذ شاربه أو يحفيه ، أم كيف يأخذه ؟ قال : إن احفاه فلا بأس ، وإن أخذه قصا فلا بأس . وقال أبو محمد في المغني : وهو مخيّر بين أن يحفيه وبين أن يقصه من غير إحفاء . قال الطحاوي : وروى المغيرة بن شعبة أن رسول الله صلى الله غليه وسلم أخذ من شاربه على سواك ، وهذا لا يكون معه إحفاء » .

من هذه النصوص ترى أن الذين يهندمون شواربهم فيقصون منها ، ويتركون ، دون أن يزيلوا جميعَ شعرها ، لا يعدمون حجةً أو تسويغاً في الدين ، وهذه الأمور ليست من الأصول في شيء ، بل هي فروع هيّنة ، ترجع إلى العادة والعرف والبيئة أكثر من عودتها إلى أصول العقيدة والدين .
والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

حكم حلق اللحية

السؤال : **كنا جلوساً في مسجد نستمع إلى إمامه وهو يدرّس، وكان حليقَ اللحية ، فسأله أحدُ الحاضرين وكان ملتحياً : هل تصح الصلاة خلف إمام حليق اللحية ؟ فأجابه الإمام : نعم تصح . فقال السائل محتداً : لا ، بل تبطل . وقام عقب ذلك جدال عنيف ، فما الحكم في الموضوع ؟**

الجواب :

الغلوُّ داء وبيل نراه فاشيا بين المسلمين ، ومن الواجب أن نأخذ الأمور بالاعتدال والحكمة ، وأن نتجنب الشططَ والإسراف ، وأن نُحسن الدعوة إلى الله ، بعد الفهم للأمور والفقه في الدين ، وأن نتأدب بآداب الحوار والسؤال والمناقشة ، وأن نتذكر جيدا أن هذه الفروع والجزئيات في الأحكام يجب ألا تمزق وحدتنا ، أو تقطع صلاتنا أو تلفتنا عن واجباتنا الكبرى ، وإلا كنا كالذين لطخوا أيديهم بدم الحسين رضي الله عنه ، ثم جاءوا يسألون عن دم البراغيث .

لقد أساء ذلك المتطاول على الإمام ، لعدة أمور : لأنه سأل وهو لا يريد العلم ، بل يريد إحراجَ المسؤول ، ولأنه راجعَ إمامه في عنجهية ، وقد كان المنتظر منه أن يثق بقول مفتيه ما دام قد لجأ إليه ، ولأنه أخطأ خطأ بيّنا حين ذكر أن الصلاة خلف حليقِ اللحية باطلة ، ومعنى هذا أن صلاة الحليق نفسه

باطلة ، وأن صلاة الملايين ممن يحلقون لحاهم باطلة ، فيجب أن تجرى عليهم أحكامُ مَنْ لا يصلونَ لأن الباطل كالمعدوم .

لقد اختلف الفقهاء في إطلاق اللحية ، فبعضهم أكّد الحرص عليها ، وبعضهم ندب إليها ، ولم يصل حلقُها إلى أن يكون كبيرةً من الكبائر على أسوأ الفروض ، وللإمامة صفات يحسن أن تتوافر ، كالحرية والرشد والعدل والفضل والصلاح والتقوى والعلم ، ولم يستفض ذكرُ اللحية في هذه الصفات ، ونجد الرسول صلوات الله وسلامه عليه في حديثه الذي روي عن ابن مسعود عند الخمسة إلا البخاري يقول : يؤُمُّ القومَ أقرؤهم لكتاب الله ، فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمُهم بالسنة ، فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرةً (أي تحولاً من دار الكفر الى دار الإسلام) فإن كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم سناً ، ولا يَؤُمنَّ الرجلُ الرجلَ في سلطانه (أي محل ولايته) ولا يقعد في بيته على تكرمته (شيء كالأريكة) إلا بإذنه » ... فذكر الرسول هنا صفات ولم يذكر بينها « أطولهم لحية » .

وقد روى أبو داود والدارقطني عن الرسول : « الصلاةُ المكتوبة واجبة خلف كل مسلم ، بر ا كان أو فاجرا وإن عمل الكبائر » . ومن هنا قال العلماء إن الصلاة خلف كل مسلم صحيحة ، وإن كان فاسقا ، ويؤيده إجماع السلف من الصحابة والتابعين على صحة الصلاة خلف الجائرين من الحاكمين والولاة ، فإنهم كانوا يؤمون الناسَ في الصلاة ؛ وعند البخاري أن ابن عمر صلى خلفَ الحجاج بن يوسف الثقفي ، وعند أصحاب السنن ومسلم : أن أبا سعيد صلىّ خلف مروان حين قدّم الخطبةَ على الصلاة ، واعترضه أبو سعيد بحديث : « من رأى منكم منكراً » ، ومن هنا ترى أن القول ببطلان الصلاة خلف حليق اللحية — وخاصة إذا كان عالما صالحا صاحبَ ولاية — ضلالٌ من القول وزور .

ولعلّ من حقّ المقام أن أذكر هنا فتوى في الموضوع نشرتها مجلة نور الإسلام في عدد جمادى الآخرة سنة ١٣٧٠هـ وهي المجلة الرسمية لقسم الوعظ والإرشاد بالأزهر الشريف ، وهذا نصها :

« المعتمد عند الأئمة الأربعة حرمةُ حلق الرجل لحيتَه إلا لعذر كالتداوي ، ولبعض المالكية والمتأخرين من الشافعية قول بالكراهة التنزيهية ، والمكروه تنزيهاً إلى الحِلٍّ أقرب ، فلا يعاقَب صاحبُه ، ولكن يستحق ثوابا مَن تركه امتثالا . وفي الجزء الأول من حواشي (فتح المنعم ببيان ما احتيج لبيانه من زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم) اشيخنا المحدِّث الكبير محمد حبيب الله الشنقيطي رحمه الله تعالى عند الكلام على حديث : (خالفوا المشركين أحفوا الشوارب وأوفروا اللحى) وفي رواية (وأعفوا اللحى) قال ما نصه : « ولما عمت البلوى بحلقها – أي اللحية – في البلاد الشرقية حتى إن كثيرا من أهل الديانة قلّد فيه غيره خوفا من ضحك العامة منه ، لاعتيادهم حلقَها في عرفهم ، بحثت غايةَ البحث عن أصل أخرِّج عليه جوازَ حلقها ، حتى يكون لبعض الأفاضل مندوحة عن ارتكاب المحرم باتفاق ، فأجريته على القاعدة الأصولية ، وهي أن صيغة (افعلْ) في قول الأكثرين للوجوب وقيل للندب .. ثم قال : وقيل بالتفصيل ، فإن كانت من الله تعالى في القرآن فهي للوجوب ، وإن كانت من النبي عليه الصلاة والسلام كما في الحديث هنا على الروايتين ، وهما رواية : أوفروا ، ورواية : أعفوا ، فهي للندب ، وقد أشار إلى هذه الأقوال في صيغة (افعل) صاحب مراقي الصعود في علم الأصول بقوله :

وافعل لدى الأكثر للوجوبِ	وقيل للندب أو المطلوب
وقيل للوجوب أمرُ الـــربِّ	وأمرُ مَنْ أرسله للندب

وهذا القول الذي ينبغي حملُ العامة عليه » . اه .

وبهذا القول يكون إعفاء اللحية وعدم حلقها مندوبا يثاب على فعله ولا يعاقب على تركه » . ثم أقول بعد هذا : اللهم ارزقنا الرشادَ في القول ، والسداد في العمل ، والصواب في الفكرة ، إنك أكرم مسؤول وأفضل مأمول .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

نجاسة الكلب

السؤال : **إذا لمس الكلب جسم الإنسان – مثل قدمه – فهل يجب تطهير الجسم كله ، أو يكتفى بتطهير الجزء الذي لمسه الكلب ؟**

الجواب :

خلاصة الكلام الفقهي في نجاسة الكلب أن الفقهاء انقسموا فيها إلى ثلاثة أقسام : قسم تشددوا ، فحكموا بنجاسة جسم الكلب ولعابه ، وهم الحنابلة والشافعية ، وقسم تساهلوا فحكموا بطهارة جسم الكلب ولعابه ، وهم المالكية ، وقسم توسطوا فقالوا بطهارة جسم الكلب ونجاسة لعابه ، وهم الحنفية .

وقد جاء في المذهب الحنفي أن عرق الكلب ولعابه نجس كذلك ، فإذا شرب الكلب من ماء وبقي منه شيء . وهو ما يسمونه « السُّؤْر » فإن هذا الباقي يكون نجساً . والحديث النبوي الشريف يقول : « إذا وَلَغَ الكلب في إناء أحدكم فلْيرِقهُ ، ثم ليغسله سبع مرار » . وولغ الكلب في الإناء : أي شرب منه بأطراف لسانه ، أو أدخل لسانه فيه . ومعنى « فليرقه » هو أن يصبه بعيدا ويرميه ولا يستعمله لأنه تنجس .

وجاء في حديث آخر : « طهور إناء أحدكم إذا ولغ فيه الكلب أن يغسله سبع مرات أولاهن بالتراب » . وقيل إن معنى الغسل بالتراب هو أن يخلط التراب بالماء حتى يتكدر . وقد ذكر بعض العلماء المعاصرين أن الطب الحديث قد أثبت أن الجراثيم التي تنتقل عن طريق لعاب الكلب يقضى عليها بالتراب.

والمذهب المالكي يرى أن إراقة الماء هنا أمر تعبدي ، ننفذه ولا نسأل عن علته طاعةً لله تعالى ، وإن هذا الماء المراق الذي ولغ فيه الكلب لا يكون نجسا ، وإذا لمس الكلب شيئا آخر غير الماء فانه لا ينجس في مذهب الإمام مالك أيضا ، واستدل على ذلك بقول القرآن الكريم في سورة المائدة : « يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ

الجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الحِسَابِ » . وقد جاءت هذه الآية الكريمة في شأن كلاب الصيد ، ولذلك قال المذهب المالكي : لو كان الكلب نجساً لتنجس الصيد بمماسته حين يحمله الكلب الى الصائد .

ويقول بعض الفقهاء إنه اذا ولغ الكلب في إناء فيه طعام جامد ، فمن الجائز إلقاء ما أصابه فم الكلب وما حوله ، والانتفاع بباقي الطعام ما دام الكلب لم يمسه ، لأنه يكون باقيا على طهارته . كما يذكر بعض الفقهاء أن شعر الكلب طاهر ، وبعضهم يرى أنه إذا كان مبتلا فإنه يكون نجسا .

وبناءً على هذا يفهم السائل أنه إذا لمس الكلب -- بفمه أو عرقه أو لعابه -- جزءاً من جسم الإنسان كقدمه مثلاً ، فإن هذا الجزء يتنجس على مذهب الحنفية . ويجب على هذا المذهب تطهير هذا الجزء ، ولا يشترط تطهير جميع الجسم ما دام هناك تأكد بأن كل الجزء الملموس من الكلب قد تطهر ، وأما إذا لمس الكلب بفمه أو عرقه أو لعابه أجزاء متعددة من الجسم غير محددة ، ولا يستطيع الإنسان أن يحدد هذه الأجزاء كان عليه أن يطهر جسمه كله حتى يتأكد من طهارة كل الأجزاء . وأما على مذهب الإمام مالك فالتطهير في هذه الحالة غير لازم .

والله تبارك وتعالى أعلم

* * *

الدين والنظافة

السؤال : **رآني بعض الأشخاص وأنا أجفف أعضائي بعد الوضوء بفوطة ، فنهاني عن ذلك ، مع تعودي له وحاجتي إليه صحيا ، وقال لي إن هذه بدعة ، وإن ترك الماء أحسن حتى يجف وحده . فما قولكم ؟**

الجواب :

ما أكثر ما يضاف إلى الدين والدين منه بريء ، وما أكثر ظلمنا في أحكامنا على الدين ، وتشويهنا لجماله .. الدين لا يمنعك من استعمال الفوطة في تجفيف ماء الوضوء ، ولو كان ذلك بدعة ، لأنه ليس كل بدعة بممنوعة ، بل من البدع ما هو واجب وما هو حسن .

وفوق ذلك فاستعمال ثوب لتجفيف الماء ليس بدعة ، بل قد ورد فعلا في بعض الأحاديث أن زينب بنت الرسول صلى الله عليه وسلم جاءته تحمل قدحا (ومنديلا) فغسل وجهه ويديه ، ومسح بالمنديل وجهه ، ثم قال : يا بنية ، جمّري عليكِ صدرَك (أي اجمعيه واطمئني) ولا تخافي على أبيك غلبة ولا ذلا » .

وبمناسبة هذا أيضا أذكر أن كثيرين يضحكون من شباب العلماء الذين يلبسون ملابسهم الرسمية المعروفة بأكمام ضيقة في هذه الأيام ، ويقولون إن هذا يتنافى مع الرزانة والوقار ، فماذا يفعلون فيما يرويه عروة بن المغيرة بن شعبة عن أبيه قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته ، فاتبعتُه بإداوة فصببت عليه فتوضأ ، وكانت عليه جبة ضيقة الكمين ، فأخرج يده من تحتها فتوضأ ومسح على الخفين.ماذا يقولون بعدهذاالنص الصحيح الصريح ؟

لقد يسّر رحمنُ الدنيا والآخرة دينَه ، فلا تعسِّروه أيها الناس .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

تطويل الثياب

السؤال : **هل يحرم على المسلم أن يلبس ثيابا طويلة تنال الأرضَ وهو يمشي ؟**

الجواب :

الدين الإسلامي دين نظافة ونظام ، يطالب أتباعَه بأن تكون أبدانهم طاهرة ، وثيابهم نظيفة ، وأمورهم مرتّبة ، ولا يمنع أبداً أن يكون الشخص

نظيفا في ملابسه ، أنيقا في مظهره ؛ وحسبك دلالة على ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا ثائرَ الشعر ، فلامه على ذلك ، وعرَّض به حينما قال : « ما بال أحدكم يبدو وكأنه شيطان » ؟ ثم نصحهم بأن يكرموا شعورهم ، وذلك بغسلها وتطييبها وترجيلها ، لأن غسلها يزيل عنها الأوساخَ وفضلات العرق والإفرازات ، وترجيلها ينقيها مما يكون قد علق بها أو تولد فيها ، وتطييبها يؤدي إلى جمالها وحسن رائحتها ، ومما حُبِّب إلى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، ويجب أن يكون محبوبا لنا أيضا الطِّيب والرائحةُ الحسنة .

ولكن الإسلام بجوار هذا دينُ اعتدال وتوسط ، يكره الإفراطَ والإسراف والترف ، كما يكره العُجْب والخُيلاء ويحارب البغي في الفخار والزهو ، ولذلك حرم الإسلام على أتباعه الخروجَ عن الاعتدال والتوسط في الطعام والشراب والثياب والنوم والعمل والطاعة .

وقد وردت طائفة من الأحاديث النبوية الكريمة في النعي على الذين يُطيلون ثيابَهم ، ويجرُّونها وراءهم ، ويسبلونها طلبا للشهرة واستجابة لداعي الخيلاء ، ونورد بعض هذه الأحاديث الشريفة لترى كيف نهى الرسول الكريم عن هذا الإسراف ، وعلّله في أغلب المرات بأنه يُشعر بالخيلاء والطغيان ، وهذا لا يليق أن يحدث من أبناء الإسلام وجنود الإيمان .

عن ابن عمرَ فيما أخرج النسائي ـ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من لبس ثوبَ شهرة في الدنيا ألبسه الله ثوبَ مذلة يوم القيامة » . وخلاصة المعنى أن من لبس ثوبا مخالفا لثياب للناس ، يريد به الاشتهارَ ولفت أنظار الناس ، حتى يرفع الناس أبصارهم إليه ، مترفعا بذلك عنهم متكبرا عليهم ألبسه الله يوم القيامة ثوبا يوجب مذلتَه وإهانته ، كما لبس في الدنيا ثوبا يتعزز به على الناس ؛ ويجوز أن يكون ثوب المذلة هذا ثوبا حقيقيا معدًّا للمتكبر عند ربه ، ولا مانع أن يكون الكلام كناية عن إهانة الله له ووضعه في موضع الذلة والصغار .

وفي الحديث أن الرسول قال : « من جر ثوبَه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة » . فقال أبو بكر : إن أحد شقّيْ إزاري يسترخي إلا أني أتعاهد ذلك منه . (أي أصلحه وأعيده إلى مكانه كلما استرخى) فقال له الرسول : إنك لست ممن يفعلون ذلك خيلاء ... وهذا يوضح أن الإسبال إذا كان لحاجة كثوب المرأة الطويل تريد أن تستر به قدميها لا يضر ، بل هو مندوب إليه في مثل تلك الحال .

وفي حديث آخر رواه أبو داود : « من جر شيئا خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة » ... وقوله « شيئا » يشمل الثوبَ والقميص والعمامة والإزار والطيلسان والشملة والرداء وكلّ ملبوس آخر ، وروى البخاري « ما أسفل من الكعبين من الإزار في النار » . وفي الحديث المتفق عليه : « لا ينظر الله إلى من جرّ إزاره بطراً » والبطر هو الخيلاء والطغيان .

من هذا يتبين لنا أن الإسلام يحرم على الإنسان أن يطيل ثيابَه حتى تنال الأرض وهو يمشي . لأن هذا إسراف أولا ، ولأنه مدعاة للتكبر والخيلاء ثانيا ؛ والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

طهارة الكحول (السبيرتو)

السؤال : **سمعتُ من بعض الناس أن السبرتو نجس ، فهل هذا صحيح ؟ وهل الخمر نجسة العَيْن ؟**

الجواب :

كانت لجنة الفتوى بالأزهر قد سئلت مثل هذا السؤال فأجابت بأن الكحول « السبرتو » – على ما قاله غير واحد من العلماء – ليس بنجس ، وعلى ذلك فالأشياء التي يضاف إليها الكحول لا تنجس به ، وهذا هو ما نختاره لقوة دليله ، ولدفع الحرج اللازم للقول بنجاسته .

وأما الخمر فهي نجسة العين في مذهب أبي حنيفة ، لأن القرآن وصفها بأنها رجس ، والرجس هو الحرام لعينه ، ولأن الحديث يقول : « حرمت الخمر لعينها » ، ولذلك يحرم الانتفاع بها لنجاستها ما دامت خمرا .

وتطهر الخمر ويطهر إناؤها تبعاً لها إذا استحالت عينُها ، بأن صارت خلاً ، حيث يزول عنها وصف كونها خمرا ، وهو المرارة والإسكار ، ويجوز تخليلها (أي جعلها خلاً) ولو بإلقاء شيء فيها كالملح أو الماء ، وإذا اختلطت الخمر بالخل وصار حامضا طهر وإن غلب الخمر .

والله تبارك وتعالى أعلم

* * *

الختان

السؤال : **هل الختان فرض على المسلم والمسلمة ؟**

الجواب :

أفتى العلماء أكثر من مرة في موضوع الختان ، فذكروا المذاهب الفقهية المختلفة فيه ، وخلاصة ما قالوا هو أن مذهب الشافعية يقرر أن الختان واجب في حق الذكر والانثى ، ومذهب الحنابلة يقرر أنه واجب في حق الذكر ، وليس واجبا في حق الاناث ، بل هو سنة ومكرمة ، ومذهب الحنفية والمالكية أنه سنة في حق الذكور والإناث .

وقد ذكر الفقهاء أن الختان أمر من أمور الفطرة الموروثة منذ أقدم العصور ، والبعض يقول إن الختان من بين خصال الفطرة التي كان يعملها أبو الأنبياء إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ، وقد جاء ذكر الختان في بعض الأحاديث النبوية التي تكلمت عن سنن الفطرة .

وهناك من يرى أن خير ما يقال في الختان أنه طريقة وعادة إسلامية ، وهذه العادة قد تحقق مصلحة ، وخاصة في الذكور ، لأن عدم ختان الذكور يعرضهم لتجمع إفرازات ضارة قد تؤدي إلى خبيث الأمراض .

وختان الأنثى يكون بقطع الجلدة التي تكون في أعلى عضو التناسل منها ، وهي تكون كالنواة ، أو كعرف الديك ، والذي ينبغي إذا حدث الختان للأنثى هو قطع الطرف الأعلى دون استئصال الزائدة كلها ، ويروى أن امرأة كانت تختن النساء في المدينة ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تنهكي (أي لا تستأصلي) فإن ذلك أحظى للمرأة » .

ولكن إذا ثبت — في بعض الحالات — أن ختان الأنثى ليس في مصلحتها ، فلا إثم في ذلك لما قرر ذلك بعض الفقهاء .

والله تبارك وتعالى أعلم

* * *

الصَّلاة وَمَا يتعلق بهَا



صلاة الاستخارة

السؤال : **شخص تعود إذا همّ بالقيام بعمل من الأعمال التي تهمه أن يفتح المصحف ، فإذا صادفته آية رحمة أقبل على العمل ، وإذا وجد آية عذاب أعرض عنه ، فما حكم الإسلام في هذا ؟**

الجواب :

هذه مسألة اختلف فيها العلماء ، والكثير منهم ينهى عنها ، لأنها تفتح على الإنسان أبوابا من البلبلة والاضطراب . وأفضل من هذه الطريقة أنَّ يتعود هذا الشخص الاستخارة ، وهي صلاة مشروعة موجودة في كتب الفقه والحديث ، ويسمونها « صلاة الاستخارة » أي صلاةُ طلبِ خير الأمرين ، وقالوا إنها مستحبة عند كل أمر مهم من الأمور المباحة ، كالزواج والتجارة والسفر ، وأما الأمور الواجبة فلا استخارة فيها لوجوبها ، وكذلك الأمور المحرمة لا استخارة فيها ؛ لأنها ممنوعة بحكم الشريعة .

ويُروى في هذه الصلاة حديث عن جابر رضي الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلّمنا الاستخارةَ في الأمور كلها ، كما يعلمنا السورةَ من القرآن ؛ يقول : إذا همّ أحدكم بالأمر (أي الذي يريده) فليركع ركعتين من غير الفريضة (أي يصلي ركعتين بنية الاستخارة) ثم ليقل : « اللهم إني أستخيرك بعلمك ، وأستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم (أي أن تشرح صدري للخير) فانك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب . اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر (ويسميه هنا ويذكره) خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري — أو قال عاجل أمري وآجله — فأقدره لي ويسرّه لي ، ثم بارك لي فيه ، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شرٌ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري — أو قال في عاجل أمري وآجله — فاصرفه عني واصرفني عنه ، واقدر لي الخيرَ حيث كان ، وأرضني به » . قال : ويسمي حاجته .

وهذا الحديث رواه البخاري والترمذي وأبو داود والنسائي .

والله تبارك وتعالى أعلم

* * *

الصلاة عند قراءة القرآن

السؤال : لو صلى إنسان حينما يُقرأ في الراديو قرآن هل تقبل صلاته ؟ وكذلك إذا كان هناك قارىء يقرأ فهل تجوز الصلاة وهو يقرأ ؟

الجواب :

لا شك أن تعمد الإعراض عن سماع القرآن الكريم منكر كبير ، لا يكاد يفعله مؤمن بالله والقرآن، والله تعالى يقول: « وَإِذَا قُرِئَ القُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ » وهذه الآية تدل على وجوب الاستماع والإنصات للقرآن الكريم إذا قُرِيء ، وإن كان فريق من العلماء قد خص ذلك بقراءة القرآن في الصلاة أو خطبة الجمعة ، وقال بعضهم إن الآية للندب وليست للوجوب .

وجاء في تفسير المنار قولُه : « وحكى ابن المنذر الإجماعَ على عدم وجوب الاستماع في غير الصلاة والخطبة ، وذلك أن إيجابه على كل من يسمع أحداً يقرأ فيه حرج عظيم ، لأنه يقتضي أن يترك له المشتغلُ بالعلم علمَه ، والمشتغلُ بالحكم حكمَه ، والمبتاعان مساومتَهما وتعاقدهما ، وكلُّ ذي شغل شغلَه » .

وقد قرر العلماء أن قارىء القرآن الكريم لا يُطلب منه أن يترك قراءتَه ليستمع إلى قارىء آخر ، إذ أن كلاًّ منهما يختار لنفسه ما هو بحاجة إليه وما يراه خيراً له ، فقد يخشع بعض الناس بقراءة نفسه ويخشع بعضهم من الاستماع لغيره .

وكذلك يحرم رفعُ المتكلم الصوتَ على صوت القارىء عمدا ، وفي السؤال

الذي معنا نجد المصلي يصلي والقرآن يذاع من الراديو ، فإن كانت الصلاة فرضا كانت أوجب ، ولكن عليه أن يغلق الراديو حتى لا يظهر بصورة المعرض عن سماع القرآن ، وحتى لا يضطرب بين التفرغ للصلاة والاستماع لصوت الراديو ، وكذلك الأمر إذا كان الإنسان يصلي الفرضَ وهناك قارىء يقرأ ، وإن كان الأحسن أن يختار مكانا نائيا يصلي فيه ، ثم يعود إلى السماع إن تيسر ذلك .

وإذا كانت هذه الصلاة سنةً ونفلا ، فله أن يتركها ويستمع ، ولو ترك الاستماع لأنه حافظ يقرأ . أو يسمع ما يكفيه في وقته كان لا بأس في صلاته ، وإن كان الأحسن ألا يصلي بقرب التالي حتى لا يظهر بمظهر المُعْرض عن التلاوة .

والله تبارك وتعالى أعلم

* * *

الصلاة حين التلاوة

السؤال : **إذا صلى الإنسان حين تلاوة القرآن فهل تفسد صلاته ؟**

الجواب :

القرآن هو كتاب الله عز وجل ، فيه الهداية والرشاد ، وفيه الآيات البيِّنات التي تشتمل على أسباب الخير والفلاح في الدنيا والآخرة ، وهو كلام الله المجيد وتنزيله الحميد ، ولذلك ينبغي للمسلم أن يُجل شأنَه ويحترم مكانته ، ويُقبل عليه قارئا أو مستمعا ، والرسول صلوات الله وسلامه عليه يقول : « إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب » . والله تعالى يقول في سورة الأعراف : « وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ » . ولذلك يسن للمسلم أن يسكن لسماع القرآن ويصغي إليه .

ولكن المسلم إذا كانت عليه صلاة وأداها أثناء قراءة غيره للقرآن لا يكون

آثما في ذلك ، وتصح صلاته ، لأنه سيكون مشغولا بعبادة ، ولا يعد في هذه الحالة معرضا عن الاستماع والإنصات للقرآن الكريم .

والله تبارك وتعالى أعلم

* * *

صلاة السفر الآن

السؤال : **بسبب تقدم وسائل المواصلات أصبح الإنسان يقطع المسافة المقررة لصلاة السفر في أقل من المدة المعينة قديما ، فالمسافة التي تقطع في عشرين ساعة تقطع الآن في ثلاث ساعات ، فكيف يجري حكم السفر في الصلاة ؟**

الجواب :

جاء في كتب المذهب الحنفي أن المسافة التي تُقصر فيها الصلاة هي مسافة ثلاثة أيام أو ليال من أقصر أيام السنة بالسير الوسط ، وهو سير الإبل ، ومشي الأقدام في السهل ، ولا يشترط سفر كل يوم إلى الليل ، بل إلى الزوال وقت الظهر ، لأنه أكثر النهار الشرعي الذي هو من الضحى إلى الغروب ؛ والمدة من الفجر إلى الزوال في أقصر أيام السنة في بلادنا نحو سبع ساعات إلا ثلثا ، فزمن السير في ثلاثة أيام نحو عشرين ساعة ، وقدروها بنحو ثلاثة وثمانين كيلو متراً ونصف كيلو . والمعتبر هنا هو السير المعتاد مع الاستراحة المعتادة ، حتى لو ركب قطاراً أو طائرة فقطع مسيرة الثلاثة الأيام في زمن يسير قَصَرَ الصلاة ، وقد أشير إلى ذلك في كتاب « البحر الرائق » وكتاب « النهاية » .

وقَصْرُ الصلاة مشروع بالكتاب والسنة وإجماع الأمة ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم في قصر الصلاة : « صدقة تصدَّقَ الله بها عليكم فاقبلوا صدقتَه » .

ويرى الحنفيون أن قصر الصلاة في السفر واجب ، وقالوا : يجب القصر في كل سفر ، للحديث الذي رواه البخاري ومسلم وغيرهما عن عائشة

رضي الله عنها قالت : « فُرضت الصلاة ركعتين ركعتين في الحَضَر [1] والسفر ، فأُقرت صلاةُ السفر وزِيدَ في صلاة الحضر » . وعلى ذلك يكون القصر في السفر عزيمةً لا رخصة ، ولو أن الإنسان صلى الصلاةَ الرباعية أربعَ ركعات في السفر صحت الصلاة مع الكراهة التحريمية لتأخيره السلام عن نهاية الركعتين ، والزيادة على الركعتين تعد نفلا .

والله تبارك وتعالى أعلم

* * *

القراءة بين السر والجهر

السؤال : **لماذا نقرأ في صلاة الفجر والمغرب والعشاء قراءةً جهرية ، ونقرأ في الظهر والعصر قراءةً سرية ؟**

الجواب :

يجب على الإمام حين صلاة الجماعة أن يجهر بالقراءة في ركعتي الفجر ، وفي الركعتين الأوليين من صلاة المغرب وصلاة العشاء . وكذلك في صلاة الجمعة ، وصلاة العيدين ، وفي صلاة التراويح في ليالي رمضان . وفي صلاة الوتر بعد التراويح إذا كان الوتر في رمضان ، ولا يجهر بالقراءة في صلاتي الظهر والعصر ؛ ولقد رُوي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجهر في الصلوات كلها ، في الركعتين الأوليين منها ، فهو يجهر في صدرها ويُسر في آخرها ، وكأن هذا حسنٌ جمع بين الجهر والإسرار ، ثم عاد الرسول فلم يجهر في صلاتي الظهر والعصر لدفع أذى الكفار . لأن الكفار كانوا يسمعون المسلمين وهم يصلون بالنهار فيعتدون عليهم ، فأسرَّ المسلمون في صلاتهم النهارية لكيلا يسمعهم المشركون ، وأما في الليل فالكفار نائمون أو مشغولون بلهوهم : فهم لا يتبعون المسلمين حينئذ لإيذائهم .

والله تبارك وتعالى أعلم

---

١ – الحضر : المدينة أو القرية ، والحاضر هو المقيم في المدن والقرى .

متي صُليت أول جمعة؟

السؤال : متى صُليت أول جمعة في الإسلام ؟ و ين كانت ؟ ومن الذي كان إماما فيها ؟ وما حكمة صلاة الجمعة ؟

الجواب :

جاء في كتاب « الدين الخالص » أن الجمعة فُرضت في ربيع الأول من السنة الأولى من الهجرة ، وقيل إنها فُرضت بمكة قبل الهجرة ، ولكن النبي لم يستطع إقامتها بمكة بسبب إيذاء قريش حينئذ للمسلمين وتضييقها عليهم [1] .

وكان أول من صلى الجمعة بالناس مصعب بن عمير الذي سبق فهاجر إلى المدينة ، وقيل إن النبي صلى الله عليه وسلم كتب إليه يقول : « أما بعد ، فانظر إلى اليوم الذي تجهر فيه اليهود بالزبور لسبْتهم ، فاجمعوا نساءكم وأبناءكم ، فإذا مال النهار عن شطره عند الزوال من يوم الجمعة فتقربوا إلى الله بركعتين » . ويظهر من هذا أن صلاة الجمعة حينئذ كانت على سبيل النفل والتقرب ، ثم فُرضت بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم .

قال أبو مسعود الأنصاري : «أول من قدم من المهاجرين إلى المدينة مصعب ابن عمير ، وهو أول من جمع بها يوم الجمعة ، جمعهم قبل أن يقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فصلى بهم وهم اثنا عشر رجلا .

وهذه رواية ضعيفة ، وأقوى منها الرواية التي تقول إن أول صلاة للجمعة صُليت في الاسلام كانت ـ كما ذكر الإمام ابن القيم في كتابه « زاد المعاد » ـ في المدينة قبيل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم مهاجراً إليها من مكة إلى المدينة ، وكان أبو أمامة سعد بن زرارة هو الذي جمع المسلمين في المدينة على صلاة الجمعة ، وصلى بهم وكان عددهم ـ كما ذكر كعب بن مالك لابنه عبد الرحمن ـ أربعين رجلا ، وكان مكان الصلاة في موضع يقال له « نقيع الخضمات » وهو موضع بناحية المدينة ، وكان المكان منخفضا كالمستنقع .

---

(١) هناك خلاف حول هذا الموضوع ، وانظر كتابي « يسألونك في الدين والحياة » المجلد الأول صفحة ٦٨ .

وكان هذا مبدأ صلاة الجمعة ، ثم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فأقام بقباء عند بني عمرو بن عوف أيام الاثنين والثلاثاء والأربعاء ، وفي يوم الخميس أسس مسجدَهم المعروف بمسجد قباء . ثم خرج النبي يوم الجمعة فأدركته الجمعة في بني سالم بن عوف ، فصلاها في المسجد الذي في بطن الوادي ، وكانت هذه أول جمعة صلاها بالمدينة ، وكان هذا قبل تأسيس مسجده بالمدينة ، وكانت هذه الصلاة التي صلاها النبي في السادس عشر من ربيع الأول من السنة الأولى للهجرة . وأما حكمة مشروعية الجمعة فهي أنه يترتب على الاجتماع فيها جمعُ كلمة المسلمين ، وإشاعة الحب والتعاطف والتآلف بينهم ، وإذاعةُ التعليم فيهم عن طريق خطبة الجمعة المتكررة كل أسبوع ، وبث روح النظام والامتثال ، فالمسلمون يسعون اليها في وقت واحد . ويسمعون خطبتها في صمت وخشوع ، ويقفون مصلين خلفَ الإمام في صفوف مستقيمة متتابعة ، والإسلام قد شرع اجتماعَ الناس لهذا في صلاة الجماعة كل يوم خمس مرات ، وفضّل صلاةَ الجماعة على صلاة المنفرد بدرجات كثيرة ، وشرع صلاةَ الجمعة كل أسبوع : وشرع صلاتي العيدين في كل عام ، وشرع مؤتمر الحج الأكبر في موسم الحج ، ليوجد بين المسلمين الأنس والأخوة والتعاون ، فيتباحثوا في شؤونهم ، ويتدارسوا أمورهم ، فتتحد كلمتهم ويعلو شأنهم، ويعز جانبهم ، ويحمدون الله على فضله ونعمته .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

سُنة الجمعة

السؤال : ما عدد الركعات التي ينبغي للمسلم أن يصليها قبل فريضة الجمعة وبعدها في مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان ؟

الجواب :

يُسن في مذهب الإمام أبي حنيفة أن يصلي الإنسان أربعَ ركعات قبل

الجمعة . لأنه روي أن عبد الله بن عمر كان يطيل الصلاة قبل الجمعة ، وكان ابن عمر يخبر بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك .

وروى عبد الله بن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي قبل الجمعة أربعَ ركعات ، لا يفصل في شيء منهن ، وقد قاسوا صلاة الجمعة في هذه الركعات على صلاة الظهر ، وهذه الركعات الأربع سنة .

ويسن له أن يصلي بعد صلاة الجمعة أربع ركعات ، لحديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا صلى أحدكم الجمعة فليصل بعدها أربع ركعات » وهو حديث صحيح . وكذلك روى علقمة بن قيس أن عبد الله بن مسعود صلى يوم الجمعة بعدما سلم الإمام أربعَ ركعات . وعن ابن عباس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركع قبل الجمعة أربعا وبعدها أربعا لا يفصل بينهن ، وهذه الركعات سنة .

وينبغي أن نلاحظ أن الوارد هنا هو مذهب الحنفية فقط .

والله تبارك وتعالى أعلم

* * *

صلاة الجمعة والمسجون

السؤال : **هل تجب صلاة الجمعة على من حُكم عليه بالحبس ؟**

الجواب :

الجمعة تجب على الحر الصحيح البالغ الذكر المقيم في المِصْر ، والمراد بالمصر البلد الذي لا يسع أكبرُ مساجده أهلَه . والمسجون لا يكون عادةً مقيما بالمصر ، بل يكون في سجن منفرد بعيد ، وكذلك هو لا يتمتع بكامل حريته ، فلا تتوافر فيه صفة القدرة على السعي إلى الجمعة لإجابة ندائها .

وقد جاء في كتاب « الدر المختار » في فقه الحنفية أن من شروط وجوب الجمعة عدم الحبس ، وقال ابن عابدين في حاشيته: ينبغي أن يقال إن الذي لا

تجب عليه الجمعة هو المحبوس المظلوم ، كالمديون المعسر ، فلو كان موسرا قادرا على أداء الدَّيْن حالاً وجبت عليه ؛ ولو تمكن المحبوس من صلاة الجمعة وصلاها صحت ووقعت فرضا له عن الوقت .

وجاء في كتاب « الكنز » أن المسجون يُكره له كراهةَ تحريم أن يصلي ظهر يوم الجمعة في جماعة قبل أداء صلاة الجمعة أو بعدها حتى لا تكون ذلك كصورة المعارضة لصلاة الجمعة ، وهذا يفيد أنه لا تجب عليه الجمعة .

والله تبارك وتعالى أعلم

* * *

ساعات النحس

السؤال : **هل يوم الجمعة يوم نحس حقيقة ؟ وهل قال الرسول : « آخر أربعاء في الشهر يوم نحس مستمر » ؟**

الجواب :

يوم الجمعة يومٌ له بركته ومكانته في الإسلام ، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة » .

ويقول : « إن في يوم الجمعة ساعة لا يسأل العبد فيها شيئا إلا آتاه الله إياه . قالوا : يا رسول الله أية ساعة هي ؟ قال : حين تقام الصلاة إلى الانصراف منها » .

ومن أعجب العجب أن نجعل أفضلَ الأيام في الإسلام يومَ نحسٍ وسوءٍ ، ألا ساء ما يحكمون .

وأما الحديث المذكور فإنه لم تصح نسبتُه للنبي صلوات الله وسلامه عليه، وقال عنه الإمام ابن رجب : « حديث لا يصح ، ورفعه غير متفق عليه » . وقال عنه الإمام السخاوي : « طُرقُه كلها واهية » . وقال الإمام المناوي : « والحاصل أن توقي الأربعاء على جهة الطيرة وظن اعتقاد المنجمين — حرام

شديد التحريم ، إذ الأيام كلها لله تعالى لا تنفع ولا تضر بذاتها ، وبدون ذلك لا ضرر ولا محذور فيه ، ومن تطير حاقت به نحوستُه ، ومن أيقن بأنه لا يضر ولا ينفع إلا الله عز وجلّ لم يؤثر فيه شيء من ذلك » .

وقال الإمام الآلوسي : « كل الأيام سواء ، ولا اختصاص لذلك بيوم الأربعاء ، وما من ساعة من الساعات إلا وهي سعد على شخص نحس على آخر باعتبار ما يُحْدث الله تعالى فيها من المُلائم والمنافر ، والخير والشر ، فكل يوم من الأيام يتصف بالأمرين لاختلاف الاعتبار » . وأظن أن في هذه النصوص الكفاية ، في رد تلك المزاعم التي لا أصل لها .

والله تبارك وتعالى أعلم

* * *

خلط السور في القراءة

السؤال : **هل يجوز للقارىء أن يخلط أثناء التلاوة بين سورة وسورة ؟**

الجواب :

الأحسن عدمُ الخلط بين سورة وسورة أثناء القراءة ، لأن ترتيب القرآن الكريم على هذا الوضع مأخوذ عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فالأوْلى بالقارىء أن يقرأه على التأليف المنقول المجمع عليه كما ذكر ذلك الإمام الزركشي في كتابه « البرهان في علوم القرآن » . وقال ابن سيرين : تأليف الله خير من تأليفكم . ونقل القاضي أبو بكر الاجماعَ على عدم جواز قراءة آية آية من كل سورة . وقد جاء في بعض الأحاديث : « إذا قرأت آية فأنفذها » أي استمر في السورة حتى تنتهي .

* * *

إمام يكرهه الناس

السؤال : **ما حكم الشريعة الإسلامية في الصلاة خلف إمام يكرهه الناس ولا يحبونه ؟**

الجواب :

ذكر الفقهاء تفصيلا في إمامة من يكرهه أهلُ بلده ، فإن كانت الكراهية لأمر ديني لا يتصل بمسائل شخصية ، فإمامته مكروهة إذا كان الذين يكرهونه نفرا يسيرا قليلا ، وليسوا من أهل الفضل والعلم ، وإن كرهه أهلُ البلد كلهم أو أكثرهم ، أو كرهه أهلُ الفضل والعلم ممن يُقتدى بهم ويهتدى ، حرمت إمامتُه ، والرسول صلوات الله وسلامه عليه يقول : « لعن الله من أمَّ قوما وهم له كارهون » . فعلى الشخص الذي يكره الناسُ إمامتَه أن يجنب نفسَه هذا الموقف قدرَ استطاعته ، اللهم إلا إذا كانت الكراهية آثمة قائمة على باطل .

والله تبارك وتعالى أعلم

* * *

الامامة وكتابة الأحجبة

السؤال : هل تجوز إمامة الشخص الذي يتخذ كتابةَ الأحجبة كوسيلة لتضليل الناس ، كقوله مثلا للمريض : أكتب لك الرقية فتشفى ، وللعقيم : أنا أفك العقم منك بالكتابة ، وللعاشق إنه يستطيع أن يوصله إلى من يريد من الفتيات ، وما إلى ذلك ؟

الجواب :

الإمام في الصلاة ينبغي أن يكون قدوة للمأمومين ، ولذلك قال الفقهاء إن الأحقَّ بالإمامة هو أعلم القوم بالأحكام ، ثم أحسنهم قراءةً لكتاب الله عز وجل ، ثم أورعهم أي أكثرهم اجتنابا للشبهات ، ثم أكبرهم سنا ، ثم أحسنهم أخلاقاً .

وينبغي أن يكون الإمام من أهل الصلاح والاستقامة ، والفضل والهداية ، متخليا عن السفاسف ، متحليا بالمكارم . ويقول النبي صلى الله عليه وسلم : « إن سركم أن تُقبل صلاتكم فليؤمكم خياركم ، فإنهم وفدكم بينكم وبين ربكم » .

وفي حديث آخر : « اجعلوا أئمتكم خياركم ، فإنهم وفدكم فيما بينكم وبين ربكم » .

وتُكره إمامة الفاسق تحريما ، وهو الذي خرج عن حدود الاستقامة ، لإنه لا يهتم لأمر دينه ، وفي تقديمه للامامة تعظيم له ، وهو ليس من أهل التعظيم، وجاء في كتاب « بدائع الصنائع » لمؤلفه الإمام الكاساني الحنفي ان الإمام مالك قال : لا تجوز الصلاة خلف فاسق .

ولا شك أن تضليل الناس والتغرير بهم عن طريق الأحجبة والتمائم عمل لا تبيحه الشريعة ، ومن يتعوده يكن آثما عاصيا ، والذي يهب الذرية والأولاد إنما هو الله سبحانه وتعالى ، وهو وحده الذي يسبب العقم ويزيله بقدرته ، ولذلك يقول القرآن : « للهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ، يَهبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً ، وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ، أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيماً إِنَّهُ عليمٌ قَدِيرٌ » .

والله سبحانه هو الذي يوجد الألفة والمحبة بين القلوب ، ولا يستطيع أن يؤثر في هذه القلوب غير الله ، ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « اللهم يا مقلب القلوب ، ثبِّت قلبي على دينك » . والله سبحانه وتعالى يقول لنبيه : « هُوَ الَّذي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ » .

فالشخص الذي يعمل هذه الأعمال لتضليل الناس والتغرير بهم وأكل أموالهم بالباطل لا يصلح للامامة ، ولا يليق بمكانها ، ما دام يرتكب هذه الآثام .

وأما الرقية فقد جاء في شأنها حديث نبوي يفيد أنها مشروعة ، وأن أخذ الأجر عليها مباح ، وإن كان الشيخ شلتوت الحنفي يقول : « أما الرقية

بالأدعية فانها تفسر على أنها نوع من الدعاء ، ولكنها لا تقبل على أنها دواء للمريض من الداء ، فللأدواء علاجها مما خلق الله من العقاقير .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

النوافل بعد الفجر والعصر

السؤال : **لماذا لم تجز صلاة النوافل عقب صلاة الفجر وصلاة العصر ؟**

الجواب :

ذهب الإمام أبو حنيفة النعمان إلى أن صلاة السّنة « وهي صلاة النافلة » تُكره بعد صلاة الفجر وصلاة العصر ، وكذلك ذهب جمهور الفقهاء إلى كراهية ذلك ، واستدلوا على هذا بقول النبي صلى الله عليه وسلم : « لا صلاةَ بعد صلاة العصر حتّى تغرب الشمس ، ولا صلاة بعد صلاة الفجر حتّى تطلع الشمس » . وهذا الحديث متفق عليه ، كما ذكر ذلك الإمام الشوكاني في كتابه « نيل الأوطار » . ولعل الحكمة في ذلك هي النهي عن الصلاة في وقت قريب من طلوع الشمس في وقت الصبح ، أو في وقت قريب من غروبها كما في وقت العصر ، وذلك لكيلا يتشبه المسلمون في الشكل والظاهر بالذين يعبدون الشمسَ ويسجدون لها ، والقرآن الكريم يقول في سورة فصلت : « وَمِنْ آيَاتِهِ اللّيلُ والنّهَارُ وَالشّمْسُ والْقَمَرُ ، لاَ تَسْجُدُوا لِلشّمْسِ وَلاَ لِلقَمَرِ، وَاسْجُدُوا لِلّهِ الّذِي خَلَقَهُنّ إنْ كُنْتُمْ إيّاهُ تَعْبُدُونَ » .

ونستدل على ذلك بالحديث الذي روته السيدة عائشة رضي الله عنها ، وذكرت فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن أن يتحرى المصلي طلوعَ الشمس وغروبَها ، أي نهى عن أن يقصد المصلي الصلاةَ في هذين الوقتين ، ويقول ابن عمر : « أصلي كما رأيت أصحابي يصلون ، ولا أنهى أحدا يصلي

بليل أو نهار ما شاء ، غير أن لا تحروا طلوعَ الشمس ولا غروبها » .

هذا تعليل النهي عن الصلاة في هذين الوقتين .

والله تبارك وتعالى أعلم

* * *

لماذا لانقضي السنن

السؤال : **لماذا لا تعاد سُنتا صلاتي العصر والعشاء عندما نتركها لضرورة إدراك صلاة الفرض بالجماعة ؟ وما السر في عدم إعادتها ؟ نرجو تبيين ذلك ؟**

الجواب :

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « إذا أُقيمت الصلاة ، فلا صلاة إلا المكتوبة » أي المفروضة . فإذا بدأت جماعةٌ الصلاة المفروضة ، اشترك فيها المصلي ، ولا يتركها إلى أداء السنة التي تكون قبلها . فإذا لم يتيسر للانسان أن يصلي السنةَ قبل الدخول في الفرض ، فإن وقت السنة القَبْلية يكون قد انتهى ، لأن وقت هذه السنة يبدأ من دخول وقت الصلاة المفروضة إلى وقت الشروع فيها ، فإذا فاته أداؤها في وقتها فإنه لا يقضيها بعد الصلاة المفروضة ، اللهم إلا ركعتي السنة قبل صلاة الصبح فإنه يقضيهما بعد صلاة الصبح إذا فاته أداؤهما لعذر أو لغير عذر ، فقد قال قيس بن عمرو : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقيمت الصلاة ، فصليتُ معه الصبح ، ثم انصرف النبي صلى الله عليه وسلم فوجدني أصلي ، فقال : مهلا يا قيس ، أصلاتان معا ؟ قلت : يا رسول الله ، إني لم أكن ركعت ركعتي الفجر .

قال : فلا إذَنْ ، (أي فلا حرج عليك إذن حيث إنهما ركعتا الفجر) .

وكذلك روى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من لم يصل ركعتي الفجر فليصلهما بعدما تطلع الشمس » .

وهو يقصد بالركعتين هنا ركعتي السنة قبل فريضة الصبح .

وفي مذهب الحنفية أن سنة الصبح لا تُقضى إلا إذا فاتت مع الصبح ، فتُقْضَى قبله إلى الزوال فقط ، ولا تُقْضَى إذا فاتت وحدها ، لا قبل الشمس ولا بعدها ، لأن الأصل في السنن ألاّ تقضى ، لقول الإمام أحمد : لم يبلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قضى شيئا من التطوع إلا ركعتي الفجر والركعتين بعد الظهر ، وهما سنة الظهر البَعْدية .

وقضاء سنة الظهر البعدية أمر خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم لحديث السيدة أم سلمة قالت : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العصر ، ثم دخل بيتي فصلى ركعتين ، فقلت : يا رسول الله ، صليتَ صلاة لم تكن تصليها ؟ فقال : قَدِمَ عليّ مال (يظهر أنه من مال الغنائم لتوزيعه على مستحقيه) فشغلني عن الركعتين كنت أركعهما بعد الظهر فصليتهما الآن ، فقلت : يا رسول الله أفنقضيهما إذا فاتتا ؟ قال : لا .

قال الطحاوي : « فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث أحداً أن يصلي بعد العصر قضاء عما كان يصليه بعد الظهر ، فدلّ على أن حكم غيره فيهما (إذا فاتتا خلاف حكمه ، فليس لأحد أن يصليهما بعد العصر ، ولا أن يتطوع بعد العصر أصلا) .

ويظهر أن الحكمة في عدم قضاء السنن القبلية – إذا أدى الانسان فروضها – أن هذه السنن كانت كتمهيد للصلاة المفروضة ، فلما أُديت الصلاة المفروضة لم يبق محل لهذا التمهيد .

والله تبارك وتعالى أعلم

* * *

المساجد وأعمال الحياة

السؤال : **هل يجوز الأكل والشرب وعقد الزواج في المساجد ؟**

الجواب :

الأصل في المساجد أن تكون للعبادة وذكر الله تعالى ، ولذلك تجب صيانتُها

وتطهيرها من كل ما يتعارض مع ذلك ، ولكن قد توجد حاجة إلى إتيان بعض الأعمال في المسجد مما لا يخرجه عن رسالته ومهمته ، وقد جاء في كتاب « منتقى الأخبار » حديث عن عبد الله بن الحارث قال : « كنا على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم نأكل الخبز واللحم في المسجد » ؛ وهذا الحديث يدل على جواز الأكل في المسجد .

وهناك أحاديث أخرى تدل على جواز ذلك ، فقد روى البخاري أن أهل « الصُّفّة » كانوا يسكنون في مسجد الرسول . ولم يكن لهم مسكن سواه ، وهذا يستلزم أكلهم للطعام فيه . وفي الحديث المتفق عليه أن رجلا أسيرا ربطوه في المسجد ثلاثة أيام ، وهذا يستلزم أنه كان يأكل في المسجد ، كما جاء في الحديث أنهم ضربوا خيمة لسعد بن معاذ في المسجد ، وهذا يستلزم أنه كان يأكل فيه ، وكذلك جاء في الحديث أن وفد ثقيف نزل في المسجد ويستلزم هذا أكلَهم فيه ، والأكل يستتبع الشرب . وقد قال الإمام الشوكاني في كتاب « نيل الأوطار » ما نصه : « والأحاديث الدالة على أكل الطعام في المسجد متكاثرة »

وكذلك ثبت في صحيح البخاري وغيره أن مالاً أتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم من البحرين ، فقال : انثروه في المسجد » ثم قسَّم النبي هذا المالَ في المسجد .

ولكن هذا كله مشروط بالمحافظة على طهارة المسجد ونظافته ، حتى يظل صالحا للصلاة والذكر .

وما دام الأكل والشرب في المسجد جائزيْن عند وجود الداعي إلى ذلك ، فإنه يجوز عقد الزواج في المسجد من باب أولى ، لأن عقد العقد أخف شأناً من الأكل والشرب في هذا الباب ، ويشترط أيضا في عقد العقد بالمسجد ألا يصحبه أي شيء يخالف الدين أو يتعارض مع حرمة المسجد .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الوقت بين المغرب والعشاء

السؤال : **ما مقدار الوقت الموجود بين دخول صلاة المغرب ودخول صلاة العشاء ؟**

الجواب :

يقدَّر الوقت بين المغرب والعشاء في بلادنا (مصر) بنحو ساعة وثلث ساعة ، وقد يزيد هذا الوقت دقائق ، أو ينقص دقائق ، وذلك بسبب اختلاف الفصول الأربعة في السنة ، وبحسب موقع البلد من خطوط الطول والعرض .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

بين الصلاة والصوم

السؤال : **يوجد رجل يصوم ولا يؤدي فروضَ الصلاة ، فهل يصح صومه في هذه الحالة ؟**

الجواب :

إن الدين يطالب المسلمَ بأداء جميع الفروض التي أوجبها عليه ، حتى ينجو من عقابه ويفوز بثوابه ، ولا شك أن المسلم الصادق الكامل هو الذي يُلزم نفسَه القيامَ بكل الواجبات المفروضة عليه ، ولكن لكل فريضة حسابها وثوابها إذا قام بها ، ولها عقابها إذ تركها ، فإذا صام الإنسان مثلا ولم يصل ، فإنه يسقط عنه حساب الصوم ، ويبقى عليه وزر تركه للصلاة ، فهو يعاقَب على تركها ، ولا شك أن ثواب الصائم المصلي الملتزم لأوامر الله المبتعد عن نواهيه يكون أكمل وأتم من الذي يؤدي واجبا ويترك الآخر . ومتى استقام

المسلم على طريق ربه خجل أن يضيع فرضا من فروضه ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

والله تبارك وتعالى أعلم .

• • •

تكبيرة الوتر

السؤال : لماذا نكبّر تكبيرةً زائدة في الركعة الثالثة من الوتر ؟ وما نص صيغة القنوت في الوتر ؟

الجواب :

التكبير كهيئة فاصلة بين جزء من الصلاة وجزء آخر منها ، وفي الركعة الثالثة من الوتر يكون القنوت بعد قراءة الفاتحة ، والقنوت هو كلمات الدعاء التي يقولها المصلي للوتر . وهذا القنوت واجب عند الإمام أبي حنيفة، فيجيء التكبير فاصلا بين قراءة الفاتحة وبين هذا الدعاء ، وقد ثبت عن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه كبّر في القنوت حين فرغ من القراءة وحين ركع ، وعن ابن مسعود أنه كان يكبر في الوتر إذا فرغ من قراءته حين يقنت ، واذا فرغ من القنوت ، وكان يرفع يديه في القنوت إلى صدره ؛ وعن البراء ابن عازب أنه إذا فرغ من السورة كبر ثم قنت ، وعن الإمام أحمد أنه إذا كان المصلي يقنت قبل الركوع افتتح القنوت بتكبيرة ؛ روى هذه الروايات محمد بن نصر .

وصيغة القنوت في مذهب الحنفية هي : « اللهم إنا نستعينك ونستهديك ونستغفرك ، ونتوب إليك ، ونؤمن بك ونتوكل عليك ، ونثني عليك الخيرَ كله . نشكرك ولا نكفرك ، ونخلع ونترك من يفجرك (أي يعصيك ويتمرد عليك) اللهم إياك نعبد ، وإليك نسعى ونحفد (نسرع في العمل والخدمة) نرجو رحمتك ، ونخشى عذابك ، إن عذابك الجِدَّ (أي الحق) بالكافرين

مُلْحِق (أي لاحق) اللهم إنا نعوذ برضاك من سخطك ، وبعفوك من عقوبتك ، وبك منك ، نحن لا نحصي ثناءً عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك » . ثم يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم .

وصيغة القنوت في مذهب الشافعية هي : « اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، وتولنا فيمن توليت ، وبارك لنا فيما أعطيت ، وقنا شر ما قضيت ، فإنك تقضي ولا يُقْضَى عليك ، وإنه لا يذل من واليت ، ولا يعز من عاديت ، تباركت ربنا وتعاليت ، فلك الحمد على ما قضيت ، ولك الشكر على ما نعمت به وأوليت ، نستغفرك ونتوب إليك . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وإذا كان المصلي لا يحفظ شيئا من هذه الصيغ الواردة فله أن يدعو بما يشاء أو بما يستطيع من الدعوات .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

النبي وصلاة الوتر

السؤال : **سمعت قائلا يقول : إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يصل صلاة الوتر ، فهل هذا صحيح ؟ وهل ثبت أن النبي صلى هذه الصلاة ؟**

الجواب :

نعم صح وثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى صلاةَ الوتر ، فقد روى أبو داود والحاكم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الوتر حق ، فمن لم يُوتِرْ فليس مني » . قال ذلك ثلاثا . وروى مسلم أن النبي قال : « أوتروا قبل أن تصبحوا » . وجاء حديث ثالث فيه : « يا أهل القرآن أوتروا فإن الله وتر (أي واحد) يحب الوتر » . ولا يُعقل أن يأمر النبي بشيء ولم يفعله .

وأقل درجات الحكم على الوتر في مذهب الحنفية أنه سنة – وإن كان

المعتمد في مذهبهم أنه واجب – والسنة هي ما فعلها النبي صلى الله عليه وسلم ، وحبب فيها أتباعه ، وإن كان لم يفرضها عليهم .

وقد صح أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتنقل على الدابة في الليل بلا عذر ، فإذا أراد أن يصلي الوتر ، نزل من فوق الدابة وصلى الوتر على الأرض وهذا يدل على أن النبي صلى الوتر من جهة ، وعلى أنه كان يهتم به أكثر من السنن والنوافل الباقية من جهة أخرى .

وهناك حديث صحيح رواه البخاري ومسلم وغيرهما ، وفيه أن مسروقا (وهو من كبار التابعين) قال لعائشة : متى كان يوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : كل ذلك قد فعل : أوتر أول الليل ، ووسطه ، وآخره . ولكن انتهى وتره حين مال إلى السحر (أي قبل الفجر) .

وكذلك روي أن سائلا سأل عائشة فقال : بأي شيء كان يوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ (أي ما الذي كان يقرأه من السور في صلاة الوتر ؟) فقالت : كان يقرأ في الركعة الأولى بسورة سبح باسم ربك الأعلى ، وفي الثانية بسورة قل يا أيها الكافرون ، وفي الثالثة بسورة قل هو الله أحد وسورتي قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس .

وهذه كلها نصوص تثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم صلّى الوتر .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الصلاة بغير العربية

السؤال : **هل تجوز الصلاة بترجمة القرآن إذا تُرجم إلى لغات أخرى كالتركية أو الفارسية ؟**

الجواب :

لقد أنزل الله تعالى كتابه الكريم باللسان العربي المبين ، وقد قال الله تبارك

وتعالى : « إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ » . كما قال أيضا : « كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ » .

والواجب على المسلم أن يتلو القرآن في الصلاة باللغة التي أُنزل القرآن بها ، وهي اللغة العربية ، واذا كان لا يعرفها فإن الإسلام يطالبه بتعلمها ما دام ذلك ممكنا له ، حتى يحفظ من القرآن ما يؤدي به الصلاة كالفاتحة وبعض السور القصيرة ، وإذا كان لا يعرف اللغة العربية ، ولا يستطيع تعلمها ، فإنه يجوز له أن يصلي بغير العربية ، يقتصر ذلك على قدر الضرورة ، فإذا استطاع في أي وقت أن يصلي بالعربية لم يجز له أن يصلي بغيرها .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

سجدة التلاوة

السؤال : **إذا تُليت الآية التي فيها سجدة التلاوة في المذياع « الراديو » فهل يجب على سامعها أن يسجد لهذه الآية التي تُليت ؟**

الجواب :

سجدة التلاوة للآية التي فيها سجدة حكمها أنها واجبة في مذهب الإمام أبي حنيفة ، وهي واجبة على القارىء والسامع ، فإذا سمع الإنسان آيةَ السجدة وجب عليه السجود لها ، والسماع متحقق عند إنصات السامع للتلاوة من المذياع أو من الاسطوانات المسجلة ونحوها ، ولذلك رجح فقهاء المذهب الحنفي أن السماع من المذياع والمِسرة يعد سماعا للقراءة من القارىء ، وتجب به السجدة ، ولا فرق بينه وبين سماع القرآن من وراء حاجز من خشب أو زجاج أو غيره ، أو من مكبر صوت أو نحوه ، فإنه في كل ذلك يجب السجود في حالة السماع .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الصلاة خلف المذياع

السؤال : هل يجوز لي أن أصلي الجمعة خلف الإمام الذي أسمعه يصلي الجمعة في المذياع وأنا بالمنزل ؟

الجواب :

لا يجوز ذلك لأن مذهب الحنفية يشترط ألا يكون هناك بين الإمام والمأموم فاصل ، كطريق نافذ تجري فيه العَجَلة ، وهي الآلة التي يجرها الثور أو مثلها ، أو كنهر تجري فيه السفن ولو كان زورقاً ، وألاّ يكون هناك فضاء كبير بين الإمام والمأموم ، وقدروه بنحو أربعين ذراعا أو ستين ذراعا ، وجاء في مذهب الحنفية أن اقتداء المأموم بالإمام لا يصح عند اختلاف المكان ، ومن هذا نفهم أنه لا يجوز أن نقتدي بالإمام الذي نسمع صلاته عن طريق الإذاعة ، لأن هناك أكثر من فاصل بين الإمام والمأموم ، ولأن الإمامة أساسها الاجتماع ، ولو أن الناس اقتدوا بالإمام الذي يسمعون صلاته من الإذاعة لأدّى ذلك إلى تعطيل شعيرة الاجتماع والجماعة التي يراد منها في الأصل التقاءُ الناس عند الصلوات الجامعة ، ليتآلفوا ويتشاوروا ، كما أن الاتصال بالإمام والمأموم في هذه الحالة لا يكون مأمونا ولا مضمونا ، فقد يتعطل الجهاز ، وقد ينقطع التيار الكهربائي ، وقد يحدث غير ذلك مما يؤدي إلى الانقطاع بين الإمام والمأموم . لكل هذا لا يجوز للانسان أن يأتمّ بالإمام الذي يسمع صلاته من المذياع .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

صلاة مكذوبة

السؤال : قرأت في بعض الكتب عن صلاة تسمى صلاة رجب ، وهي كما جاء في الكتاب تكون مساء أول خميس من رجب ، فهل هذه الصلاة مشروعة وصحيحة ؟

الجواب :

هذه الصلاة مكذوبة ، ولم يثبت أنها من السنن أو النوافل التي شرعها الدين في الصلاة ، وبعض الكتب تذكر في شأنها الحديثَ الآتي الذي ينسبونه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وهو :

« ما من أحد يصوم أول خميس من رجب ، ثم يصلي ما بين العشاء والعتمة اثنتي عشرة ركعة ، يفصل بين كل ركعتين بتسليمة ، يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب مرة ، وإنا أنزلناه في ليلة القدر ثلاث مرات ، وقل هو الله أحد اثنتي عشرة مرة ، فإذا فرغ من صلاته صلى عليَّ سبعين مرة ، يقول : اللهم صلِّ على محمد النبي الأمي وعلى آله . ثم يسجد ويقول في سجوده سبعين مرة : سبوح قدوس رب الملائكة والروح . ثم يرفع رأسه ويقول سبعين مرة : رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم ، إنك أنت الأعز الأكرم ؛ ثم يسجد سجدة أخرى ويقول فيها مثل ما قال في السجدة الأولى ، ثم يسأل حاجته في سجوده فإنها تُقْضَى . لا يصلي أحد هذه الصلاة إلا غفر الله تعالى له جميع ذنوبه ولو كانت مثل زَبَد البحر وعدد الرمال ووزن الجبال وورق الأشجار ، ويُشَفَّع يوم القيامة في سبعمائة من أهل بيته ممن استوجب النار » .

هذه هي عبارة الحديث الذي يتجرأون فينسبونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لكي يثبتوا به شرعية هذه الصلاة ، وقد نص الإمام الحافظ زين الدين العراقي على أن هذا الحديث موضوع ، أي مختلق ومكذوب ، وذلك في تخريجه لأحاديث كتاب « الإحياء » للغزالي ، ومن هذا يُفهم أن هذه الصلاة لا أصل لها في الدين .

والله تبارك وتعالى أعلم .

ختام الصلاة

السؤال : **نحن في ختم الصلاة نسبح الله ثلاثا وثلاثين ، ونحمده ثلاثا وثلاثين ، ونكبره ثلاثا وثلاثين ، فما دليل ذلك ؟**

الجواب :

يُسَن للمسلم عقب كل صلاة مفروضة عليه أن يسبح الله ثلاثا وثلاثين مرة ويحمد الله كذلك ، ويكبره مثلَ ذلك . والدليل على ذلك هو أن البخاري ومسلم وأبا داود وأحمد قد رووا عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من سبح دُبُرَ (أي عقب) كلِّ صلاة ثلاثا وثلاثين ، وحمد الله ثلاثا وثلاثين ، وكبّر الله ثلاثا وثلاثين ، فتلك تسع وتسعون ، ثم قال تمام المائة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، غُفرت له خطاياه ولو كانت مثل زَبَدِ البحر » أي الرغوة التي تعلو الماء عند تلاطم الأمواج .

وكذلك روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة أن فقراء المهاجرين أتوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : ذهب أهل الدُّثُور (الأموال الكثيرة) بالدرجات العُلاَ والنعيم المقيم . قال : وما ذاك ؟ قالوا : يصلون كما نصلي ، ويصومون كما نصوم ، ويتصدقون ولا نتصدق ، ويعتقون ولا نعتق . فقال رسول الله : أفلا أعلمكم شيئا تدركون به مَنْ سبقكم ، وتسبقون به مَنْ بعدكم ، ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم ؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال : تسبحون الله وتكبرون وتحمدون دُبُرَ كل صلاة ثلاثا وثلاثين مرة . فرجع فقراء المهاجرين إلى الرسول ، فقالوا : سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا ففعلوا مثلَه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

وقد ورد في بعض الأحاديث ذكر التسبيح لمرات غير الثلاث والثلاثين . ولكن الأحاديث التي ورد فيها العدد ثلاثةً وثلاثين أكثرُ وأقوى ، فالعمل بها أولىَ ، واللائق بالمسلم أن يلتزم بالعدد المذكور في هذا الحديث عند تسبيحه وتحميده وتكبيره حتى لا يُحرم الثوابَ المذكور .

والله تبارك وتعالى أعلم .

• • •

تطويل الصلاة وتقصيرها

السؤال : **هناك من يطيل الصلاة بالناس إطالةً تسئمهم وتضجرهم ، فما هو هدى الإسلام الحنيف في ذلك ؟**

الجواب :

هناك كثير من مسائل الدين يَرِدُ بشأنها أكثر من نص واحد ، وقد يكون بين منطوقات هذه النصوص بعضُ الاختلاف في الظاهر ، فيختلف الناس بسبب ذلك ؛ لأن بعضهم يأخذ هذا النص وحده ويتمسك به ، والبعض الآخر يأخذ نصا آخر ويتمسك به ، ولو أحسن الناس التلقِّيَ عن دينهم ورسولهم لجمعوا النصوصَ كلها وقارنوا بينها ، واستخلصوا منها الحكم العام المفصل الذي يشملها ، فقد يكون كل نص خاصا بحالة من أحوال المسألة أو وقت من أوقاتها ، وهكذا .

ومن بين هذا المسائل تطويل الصلاة وتخفيفها .. إن الخشوع والسكينة وإتمام الأركان وصدق الإقبال من شروط الصلاة ولوازمها حتى تكون صلاة ، ولقد وردت آثار السنة تدل على أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه كان يطيل صلاتَه منفردا وإماماً مع صحابته وكان يقرأ بالسور الطوال بعد الفاتحة كالبقرة وآل عمران والنساء والأعراف ؛ وإن كان بعضهم يفسر ذلك بأنه قرأ جانبا منها لا كلها ، وخاصة في الأوقات التي لا تتسع لها كالصبح والمغرب .

كما وردت أحاديث تدل على أن الرسول كان يقرأ بغير السور الطوال في الصلوات ، فقد رُوي أنه كان يقرأ في الظهر والعصر بالسماء والطارق ، والسماء ذات البروج ، ونحوهما من السور ، وأنه كان يقرأ في المغرب بسورة المرسلات ، وفي العشاء بالتين والزيتون ، وروي أن ابن مسعود قرأ في المغرب بسورة قل هو الله أحد ، قالوا : ولا بد أن يكون هذا بتوقيف ونقلٍ عن الرسول صلوات الله وسلامه عليه .

وبجوار هذا أيضا جاء الحديث الصحيح : « أيكم أمَّ الناسَ فليخفف » .
وعن أنس رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بالتخفيف ويؤمنا بالصافات ؛ وذكر الإمام ابن القيم في « زاد المعاد » أن ركوع النبي المعتاد مقداره عشر تسبيحات وسجوده كذلك ، وأن هَدْيه الغالب هو تعديل الصلاة وتناسبُها . وذكر الغزالي في « الإحياء » أولَ وظائف الأركان في الصلاة فقال : « أولها أن يخفف الركوعَ والسجود فلا يزيد في التسبيحات على ثلاث » . فقد رُوي عن أنس أنه قال : ما رأيت أخفَّ صلاة من رسول الله صلى الله عليه وسلم في تمام . نعم رُوي أيضا عن أنس بن مالك لما صلى خلفَ عمر بن عبد العزيز وكان أمير المدينة قال : ما صليتُ وراءَ أحد أشبه صلاةً بصلاة رسول الله من هذا الشاب . قال : وكنا نسبِّح وراءه عشرا عشرا ؛ وذلك حسن ، ولكن الثلاث إذا كثُر الجمع أحسن ، فإذا لم يحضر إلا المتجردون للدين فلا بأس بالعشْر ؛ هذا وجه الجمع بين الروايات » اه.

كيف يمكن التوفيق بين هذه النصوص كلها ؟ وكيف نجمع بين الآثار المحرضة على التطويل ، والآثار المحرضة على الاعتدال ، والآثار المحرضة على التخفيف ؟ نجمع بينها كما يلي :

يطيل المرءُ إذا انفرد في صلاته ما شاء ، نفلاً كانت الصلاة أو فرضا ، لأن ذلك سيكون بحسب طاقته وقدرته ، ولعل الرسول صلوات الله وسلامه عليه كان يطيل أكثر ما يطيل إذا انفرد متهجدا أو متعبدا ، ولذلك رُوي عن عوف بن مالك وعن حذيفة أن النبي تهجد ذات ليلة فاستفتح فقرأ في نافلته البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، في أربع ركعات ، والله يهب من عباده ما يشاء من توفيقه .

وإذا كان المرء يصلي بالناس نظر ... فإن رأى الذين خلفه صفوةً من العباد ، يرغبون في التطويل ويرضون به ويقدرون عليه وتتفتح قلوبهم له ، أطال بهم ، وإن رآهم متوسطين مستورين في حالهم لا يرى عليهم أمارات العجلة والضيق ، ولم يطالبوه بالتطويل اعتدل وتوسط ، فلم يسرف في

الإطالة ولم يسرف في العجلة ، وإن رآهم كثيراً أو ضِعافا أو علم أن وراءهم ما يشغلهم ، كسفر أو عمل واجب ، أو ضاق بهم الوقت ، أو كان الظرف غير مناسب للتطويل ، أوجز وخفف حتى لا يسأم ولا يُضجر ، وقد روى الخمسة عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رجلا قال : والله يا رسول الله إني لأتأخر عن صلاة الغداة من أجل فلان مما يطيل بنا ؛ فما رأيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم في موعظة أشد غضبا منه يومئذ ، ثم قال : إن منكم منفِّرين ، فأيكم صلى بالناس فليتجوز ، فإن فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة ، وإذا صلى لنفسه فليطول ما شاء .

وما أجمل ما ذكره الغزالي في « الإحياء » حيث قال : « وبالجملة التخفيفُ أولى ، لا سيما إذا كثر الجمع ، قال صلى الله عليه وسلم في هذه الرخصة : « إذا صلى أحدكم بالناس فليخفف ، فإن فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة » وإذا صلى لنفسه فليطوِّل ما يشاء ، وقد كان معاذ بن جبل يصلي بقوم العشاء ، فقرأ البقرة ، فخرج رجل من الصلاة وأتم لنفسه فقالوا : نافقَ الرجل ، فتشاكيا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فزجر رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذا فقال : أفتّانٌ يا معاذ ؟ اقرأ بسورة سبِّح ، والسماء والطارق ، والشمسِ وضُحاها » .

هذا هو هدى الإسلام الحنيف ، فليتق الله الذين يطيلون بلا استعداد وبلا تمهيد ، وليخش العجلون ربهم ، وليلتزموا السكينة والوقار في صلاتهم ، حتى لا تكون نقراً كنقر الديكة ، وخير الأمور الوسط ، والله تعالى الهادي الى سواء الصراط .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الصلاة بالأحذية

السؤال : **هل تجوز الصلاة في الأحذية شرعا ؟ وما الدليل على ذلك ؟**

الجواب :

نعم تجوز الصلاةُ في الحذاء ، وهو المسمّى قديما بالنعل ، فقد وردت بذلك جملةٌ كبيرة من الأحاديث ، بلغ بها بعضُ الحفاظ المتأخرين مرتبةَ التواتر ، لكثرتها مع حسنها وصحتها ، ويكفينا في التدليل على الجواز أن نسوق من هذه الأحاديث الكثيرة الطائفةَ التالية :

روى الترمذي في سننه عن أبي مسلمة قال : قلتُ لأنس بن مالك رضي الله عنه : أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي في نعليه ؟ قال : نعم . وروى أبو داود في سننه عن شداد بن أوس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خالفوا اليهودَ فإنهم لا يصلون في نعالهم ولا في خفافهم . وأخرج أبو داود من حديث أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا جاء أحدُكم إلى المسجد فلينظر فإن رأى في نعليه قذراً أو أذى فليمسحه وليصل فيهما . وفي رواية عن ابن حبان والحاكم وجماعة أن النبي قال : إذا جاء أَحدُكُمُ المسجدَ فليقلب نعليه ولينظر فيهما ، فإن رأى خَبَثاً فليمسحه بالأرض ، ثم ليصل فيهما .

وروى الطحاوي في « معاني الآثار » والطبراني عن أوس بن أوس قال : أقمتُ عند النبي صلى الله عليه وسلم نصفَ شهر ، فرأيته يصلي وعليه نعلان مقابلتان . وروى الطحاوي أيضا أن عبد الله ابن مسعود ، أتى أبا موسى الأشعري ، فحضرت الصلاة ، فقال أبو موسى الأشعري لابن مسعود : تقدم يا أبا عبد الرحمن فإنك أقدم سناً وأعلم . فقال ابن مسعود : تقدم أنت فإنما أتيناك في منزلك ومسجدك ، وأنت أحق . فتقدم أبو موسى فخلع نعليه ، فلما سلم قال له ابن مسعود : ما أردت إلى خلعهما ؟ أبالوادي المقدس أنت ؟ لقد رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي في الخفين والنعلين . وروى

البيهقي عن عائشة رضي الله عنها قالت : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي حافيا ومتنعلا . ويشرب قائما وقاعدا ، وينصرف عن يمينه وشماله ولا يبالي أي ذلك كان .

ولم يكتفِ بعضهم بالجواز ، بل ذهب إلى أنها سنة مستحبة لكثرة الآثار الواردة ، ولتكرار صلاة الرسول في نعليه أو في خفيه ، ولأن فيها فوائد ، منها التوقي من الهوامّ ، وحفظهما من الضياع والسرقة ، وعدم الانشغال بهما والخوف عليهما أثناء الصلاة ، والتوقي من البرد عند وجوده ، والتوقي من خشونة الأرض ، ونحو ذلك .

ولمّا ذهب بعضهم إلى أن الخلع أفضل لقوله تعالى مخاطبا موسى « فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى » أجاب المجيزون بأن نعليْ موسى — كما في بعض الروايات — كانتا من جلد حمار ميت ، فأراد الله أن يمسه القدس ، وأن يصون الوادي المقدس عن جلد الميتة ، أو أن الله أمره بذلك ليباشر الأرض المقدسة بقدميه فينال بركتَها ، وهذا أوجهُ وأليق .

نعم يلزم إذا كان في الحذاء نجاسة أن يطهرها صاحبه ، وطريقة التطهير كما سبق هي الدلك في الأرض أو المسح بالتراب وما شاكله ، كما أنه مما تحسن ملاحظته أن إباحة الصلاة في النعال نوع من التيسير والتسهيل يستعمل في مواطنه ، فيستعمله المرء ضد العجلة وضيق الوقت ، وفي الأرض الخشنة أو المكان غير الممهّد ، ونحو ذلك .

قد يقال : وهل ينسحب على مساجدنا اليوم ؟ فيقال : كلا ، فإن المساجد اليوم مخصصة للصلاة ، ممهدة في الأرض والبناء ، مفروشة بالسجاجيد أو نظيف الفراش ، والمشي فيها بالأحذية يعرّضها للتراب والاوساخ مما يتقذر الناس منه ، ولذلك ليس من الدين الــذي يحض على النظافة ولا من الذوق الكريم أن نعتاد دخول المساجد بالأحذية للصلاة فيها ، بل يجب أن نعنى بنظافتها وتطهيرها وتطييبها ما استطعنا إلى ذلك سبيلا ، ولنلاحظ أن مساجد

الصدر الأول لم تكن مفروشة وكانت بطبيعتها لا تتجمع فيها أوساخ ، فهذا فرق واضح بينها وبين مساجدنا .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

صلاة التسابيح

السؤال : سمعت بعض الناس يتحدثون عن صلاة تسمى « صلاة التسابيح » فما هي وما حكمها وكيفيتها ؟ وهل لها سند في سنة الرسول عليه الصلاة والسلام

الجواب :

هذه الصلاة من النوافل المستحبة المسنونة التي يحسن بالمسلم عند بعض الأئمة أن يأتيها ما أمكنه ولو في العمر مرة ؛ وهم يعتمدون في هذه الصلاة على بعض الأحاديث المروية في بعض كتب السنة ، والتي عرض لها رجال الأثر ونقّاد الحديث بكلام

ولمعرفة كيفيتها أروي لك أهمّ حديث فيها ، فقد روى أبو داود عن ابن عباس وابن عمرو ، والترمذيُّ عن أبي رافع أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال للعباس بن عبد المطلب : يا عباس ، يا عماه ، ألاَ أعطيك ، ألا أمنحك ، ألا أحبُوك ، ألا أفعل بك عشر خصال ، إذا أنت فعلت ذلك غفر الله لك ذنبك : أوله وآخره ، قديمه وحديثه ، خطأه وعمده ، صغيره وكبيره ، سرَّه وعلانيته ، عشر خصال : أن تصلي أربع ركعات ، تقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة ، فإذا فرغت من القراءة في أول ركعة وأنت قائم قلت : سبحان الله والحمد لله ولا إله الا الله والله أكبر ، خمس عشرة مرة ، ثم تركع فتقولها وأنت راكع عشرا ، ثم ترفع رأسك من الركوع فتقولها عشرا ، ثم تهوي ساجدا فتقولها وأنت ساجد عشراً ، ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشرا ، ثم تسجد فتقولهـا عشرا ، ثم ترفع رأسك فتقولها عشرا ، فذلك خمس وسبعون في كل ركعة ، تفعل ذلك في أربع ركعات ؛

إن استطعت أن تصليها في كل يوم مرة فافعل ، فإن لم تفعل ففي كل جمعة مرة ، فإن لم تفعل ففي كل سنة مرة ، فإن لم تفعل ففي عمرك مرة .

ولا يفوتنا أن نذكر أن بعض الأئمة أنكر هذه الصلاة لعدم قوة أحاديثها ، فقال العقيلي : ليس في صلاة التسابيح حديث ؛ وذكر أبو الفرج بن الجوزي أحاديثَ صلاة التسابيح وطرقها ثم ضعّفها كلها وبيّن ضعفَها ، وقد يكون للمسلم في الصلوات المفروضة والمسنونة التي لا جدال فيها متسع له عما فيه خلاف .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الصلاة بالحذاء

السؤال : **هل تجوز الصلاة بالحذاء ؟ وإذا كان هذا جائزا في الشرع فلماذا لا ندخل المساجد بالأحذية حين الصلاة ؟**

الجواب :

نعم تجوز الصلاة بالحذاء ما دام الإنسان على وضوء بطبيعة الحال ، لأن الحذاء كأي ملبوس آخر ، إذا توافرت فيه الطهارة بوسيلة من وسائلها المعروفة في الفقه ، وطهارة الحذاء تكون بالمسح والدلك في الأرض ، أو بخرقة أو ما شابه ذلك ؛ وأما السبب في عدم دخولنا المساجد بالأحذية فهو تنزيهها عن التحقير وتنظيفها عن تراب الأحذية ، إذ لو دخلناها بها لتراكمت أتربة على الحصير أو السجاد ، فأدى ذلك إلى توسيخ الملابس والثياب ، وفي العادة يصلي الإنسان بالحذاء إذا دعا داعٍ كخوف برد ، أو ضيق وقت ،أو تعب في خلعه ، أو ما شابه ذلك .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

إمامة الأعمى

السؤال : **هل تجوز إمامة الأعمى في الصلاة؟ وهل يشترط أن يَسمع صوت الإمام إذا كان مأموما ؟**

الجواب :

يجوز أن يكون الأعمى إماما في الصلاة ، بدليل ما رواه أبو داود وأحمد وابن حبان بسند حسن ، عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم استخلف ابنَ أم‌مكتوم يؤم الناس وهو أعمى.ورُوي عن الجمهور أن الأعمى والبصير في الإمامة سواء ، لكثرة خشوع الأعمى ولزيادة تحفُّظ البصير من النجاسة ، وتنسب التسوية أيضا إلى الشافعي وجماعته ، ورُوي عن أبي إسحاق المروزي أن الأعمى أوْلَى ، لأنه لا ينظر إلى ما يلهيه ، فيكون أبعدَ عن تفرق القلب وأخشع ، واختار الشيخ أبو إسحاق الشيرازي أن البصير أولى ، وبه قال أبو حنيفة ، لأنه أحفظ لبدنه وثيابه عن النجاسات ، ولأنه مستقل بنفسه في الاستقبال ، وقد كره ابن سيرين إمامةَ الأعمى لقول ابن عباس وقد عمي : كيف أؤمهم وهم يعدلونني إلى القبلة ؟ وعن أنس قال : وما حاجتهم إليه ؟ والظاهر أن إمامة البصير أولى بدليل أن الرسول أكثرَ من استخلاف البصراء في الصلاة .

ويشترط في الأعمى إذا كان مقتديا أن يَسمع الإمامَ أو المترجم ، ومن لطيف ما يُذكر بهذه المناسبة أن صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي الشافعي كتب إلى بهاء الدين ابن قاضي القضاة تقي الدين السبكي أبياتاً يُلْغِز فيها هذه المسألة منها قوله :

ملكتَ فأخرجْ للمساكين فضلةً ... فعندك من دُرِّ البيان كنوزُ
تجيد القوافي والقُوَى في بيانها ... فبيتك للمعنى الشرودِ حريزُ
سألتُ فخبِّرعن صلاة أمرىءغَدَت ... بحار بسيطٌ عندها ووجيز
تجوز إذا صلى إماما ومفرَداً ... وإن كان مأموما فليس تجوز
فأوفِ لنا كيلَ الهدى متصدقا ... فأنت بمصرٍ والشآمِ عزيز

فردّ عليه الإمامُ بهاء الدين بأبيات منها قوله :

سألتَ وما المسؤول أعلم بالذي	أردتَ ، ولا منه عليك بروزُ
وقلتَ : امرؤ لا يقتدى غير أنه	إماما وفرداً بالجواز يفــوزُ
وذاك امرؤ أعمى نأى عنه سمعُه	وليس لأفعال الإمام يميــزُ
فإن كان هذا ما أردتَ فإنما	بفضلك في الدنيا تُفَكّ رموز
وإن لم يكنه فالذي هو لازم	جوابٌ لمضمون السؤال يحوز
فلا زلتَ تُبدي من فضائلك التي	تزيد مع الإنفاق وهي كنوز
فأنت صلاح الدين والناسِ والدُّنَا	وأنت خليل ، والخليل عزيز

رضي الله عن أولئك الأسلاف ، والله أعلم بالصواب .

* * *

تكرار آيات معينة في الصلاة

السؤال : **أصلي خلف رجل ألاحظ عليه أنه يكثر قراءة بضعة آيات من بضعة سور ، ويكرر هذه الآيات من حين لحين ، فهل يجوز هذا شرعا ، ولماذا لا يستقصي هذا الإمام سائرَ أجزاء القرآن في الصلاة ؟**

الجواب :

لا مانع شرعا من أن يكرر الإنسان آيةً أو آيات معينة في صلواته ، بل ورد في سنة الرسول عليه الصلاة والسلام ما يفيد أن بعض الصحابة فعلوا ذلك وأثيبوا عليه لغرضٍ شريف قصدوه ، فقد رُوي عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلوات الله وسلامه عليه بعث سَرِيّةً من السرايا ، وأمّر عليها رجلا اسمه كلثوم بن هند ، وكان الرجل يصلي بهم إماما ، فجعل يقرأ سورة : « قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ » ولا يقرأ غيرها ، فلما رجعوا إلى الرسول أخبروه بذلك ، فقال : سلوه لأي شيء يصنع ذلك . فسألوه فقال : لأنها صفة الرحمن فأنا أحب أن أقرأها ، فقال النبي : أخبروه أن الله يحبه ؛ وفي رواية : فقال

الرجل : حبِّبْ إليَّ هذه السورة . فقال النبي : إن الله أحبك لحبك « قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ » .

والإمام المكرِّر لآيات معينة من القرآن الكريم يفعل ذلك لسبب ما ، فقد يكون ذلك لعدم حفظه لغيرها فحسبه ما استطاع وما تيسر له ، وقد يكون ذلك لتوسط الآيات المتلوة بين الطول والقصر ، فهو يكررها مراعاة لاختلاف من وراءه ، وقد يكون ذلك للفت الأنظار وتذكير البصائر بأمهات الأخلاق التي تضمنتها آيات معروفة مشهورة ، وقد يكون لغير ذلك من الأسباب ؛ ومهما يكن من شيء فذلك أمر لا يتعلق به كبير جدال ، ويحسن فوق هذا أن ينتقل القارىء من حين لحين متى تيسر له ذلك .

والله ولي التوفيق .

* * *

الشعر في خطبة الجمعة

السؤال : سمعتك في بعض خطبك بمسجد المنيرة [1] تنشد من فوق المنبر أبياتا من الشعر ، فهل هذا يجوز شرعا ، مع أن الله تعالى يقول في القرآن الكريم : والشعراء يتبعهم الغاوون ، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون » .

الجواب :

إنما حارب القرآن الكريم لوناً خاصا من الشعر كان منتشرا شائعا بين الذين نزل عليهم القرآن الكريم أول ما نزل ، وهو شعر المجون والفسوق والتفاخر الكاذب والغرام الفاحش وما أشبه ذلك ، أما ما عفَّ وطهر من الشعر ، ودعا إلى فضائل الأعمال أو حرَّض على مكارم الأخلاق فالإسلام لا يأباه ، بل يحث عليه ويدعو إليه ، وقد سمع الرسولُ الشعر ، وفي المسجد ، واستزاد منه ،

(١) سئلت هذا السؤال في يناير سنة ١٩٥٠ .

وأثنى عليه ، وأجاز صاحبه ، وقال لشاعر الإسلام حسان : « قل وروح القدس يؤيدك » . ولما أنشده النابغةُ جانبا من شعره دعا له فقال : « لا يفضض اللهُ فاك » وقالت عائشة : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتناشدون عنده الأشعارَ وهو يبتسم ، وعن عمرو بن الشريد عن أبيه قال : أنشدتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم مائةَ قافية من قول أمية بن أبي الصلت ، كل ذلك يقول : هيه هيه ... ثم قال: إنه كاد في شعره لَيُسْلم ..

ومن هنا تعلم أن الشعر كسائر الكلام ، حسنُه حسن وقبيحه قبيح ، وإنما المدار فيه على المقصود منه والداعي إليه ، ويضاف إلى ميزة الشعر ما فيه من وزن منغم يؤثر في النفس ويستهوي الألباب ، وقد تحدث الإمام الغزالي في كتابه الإحياء عن استحباب إنشاد الواعظ للاشعار الجميلة والأبيات المرققة للمشاعر ، وقد أفاض في ذلك إفاضةً طويلة رائعة ، وبهذا يُعلم أنه لا مانع شرعا من تضمين الخطبة المنبرية أبياتا من الشعر لها هدفها الكريم وغرضها النبيل .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

إشارة الخطيب بيديه

السؤال : **هل يحسن بالخطيب أن يشير بيديه في أثناء الخطبة ليعبر بهما عما يريد ، ويساعد بحركاتهما على تصوير ما ينطق به من المعاني، أو أن ذلك لا يليق ؟**

الجواب :

يرى بعض العلماء والباحثين أن الأنسب للخطيب ، وخصوصا في المواقف الدينية ، أن لا يشير بيديه . لأن ذلك لا يناسب جلالَ موقفه واحترام شخصه ، وإذا حدث منه شيء من هذا القبيل فليكن قليلا وعند الضرورة . وكان بعض السابقين يتكلف عدم الحركة والإشارة في أثناء خطبته ، كما كان

يفعل أبو شمر ، ويقول : ليس من المنطق أن نستعين عليه بغيره ...

ولكن الواقع أن الخطيب أثناء خطبته تثور في نفسه عواطفه وتفيض مشاعره فلا يكفيه لسانه في التعبير فيستعين بيديه ، وكان ذلك ولا يزال من سنة العرب في خطبهم .

ولقد قال ثمامة بن أشرس : لو كان ناطق يستغني عن الإشارة لاستغنى جعفر بن يحيي عن الإشارة كما استغنى عن الإعادة .

ولا يتيسر الامتناع عن هذه الإشارة إلا لمتكلف الوقار في مواطن تصلح له ، ومن هنا يُعلم أن إشارة الخطيب بيديه عند الحاجة وبلا إسراف أمر لا عيب فيه .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

حرمة المساجد

السؤال : شاهدت في أحد المساجد رجلا يبيع لآخر أشياء مختلفة ، وجعل كل منهما يرفع صوته مساوما ومجادلا ، مما شوش على المصلين وأقلق خواطرهم ، فما حكم الإسلام في ذلك العمل ؟

الجواب :

إنما جُعلت هذه المساجد لعبادة الله تعالى ومناجاته ، فهي أشبه بحر م الله وحماه الذي يجب أن يُصان عن كل لغط وصخب ، وأن يكون بعيدا عن ضجة الحياة وضوضائها ، ليدخله المسلم بعد جهاده من أجل العيش ، فيجد في ظلال سكينته وطهارته الهدوء والسكينة والاطمئنان ، فيبدأ في مناجاة ربه بخشوع واستغراق ؛ وما أشبه المسجد في الأرض بقطعة من السماء ، تنزلت لتعلم أبناء التراب كيف ينسون شرعة الذئاب لحظات في كل نهار ، ويفزعون إلى رحاب خالقهم الأعلى يتقربون إليه ويتسامون نحو علاه .

ولكن المساجد فقدت في العهود الأخيرة جمالـَها وجلالـَها ، فخرجت عن طهارتها وبراءتها وسكينتها ، وصارت أشبهَ بسوق قائمة صاخبة ، وليت السوق في أمر المساجد كانت مقصورة على البيع والشراء ، بل فشت المنكرات والمحدثات والبدع في المساجد مما بعد بها عن رسالتها وغايتها ، وأصبح الداخل إلى المسجد لا يشعر بما كان يشعر به المسلم في العصور الذهبية الأولى من ارتفاع عن التراب ، وتجرد من الشهوات ، واستغراق في الدعاء والرجاء .

أرأيت إلى هؤلاء المتسولين والشحاذين الذين يزحمون المساجد ، ويسدون أبوابها ، ويخترقون صفوفَ روادها ، بقذارتهم وحيلهم وألاعيبهم ، وقد يكون فيهم الغني أو المجرم أو اللص أو اللئيم ، ولكنهم جميعا يتسترون خلف الفقر ، ويحاولون استثارة الشفقة بكل وسيلة ، وما كانت المساجد أمكنة طبيعية لأمثال هؤلاء ، بل مكانهم هناك في الملاجىء إن كانوا عجزة ، وفي المصانع والمعامل إن كانوا على العمل قادرين .

وهذا رجل دعي بين العلماء دخيل بين الواعظين ، تراه ينهض في المسجد بين الجموع الساذجة ، وعليه عمامة كبيرة ، وجبة وقفطان ، ويظل يتحدث عن الإسلام والمسلمين بأسلوب يخيل إليك منه أن هذا الواعظ الدعي أحد الأئمة أو القائدين نحو المجد الإسلامي المأمول ، ولكنه في النهاية ينقلب شحاذا ، فيستجدي ويسترخي ، ويختلق الأسباب والمعاذير ،وقد يبكي ، ثم يدعو الناس باسم العلم والدين أن يساعدوه بما استطاعوا ، وبذلك يَصِمُ هذا الدعيُّ رجال الدين وصمةً شنيعة ، ويجني على غيره من الدعاة الصادقين والوعاظ المخلصين لأن رجل الدين يجب أن يكون كريما عزيزا رفيعا ، لا يقبل الدنية ، ولا يتسول باسم الإسلام ، لن يُقبل من الداعية الإسلامي إرشاد إلا إذا كان قد بزَّ قومَه في مكارم الأخلاق .

وهذا مأفون آخر يحتال على رواد المساجد بأسلوب آخر ، إنه يدخل المسجد وعليه زي العلماء ، فيخطب ويعظ ويحاضر ، ويأتي بالأقاصيص والحكايات ، ومنها الأباطيل أو الموضوعات أو الإسرائيليات ، ولكن حسبه أن يثير الشعب

الساذج ولو بالباطل ، وبعد أن يطيل الدعي الدخيل كلامَه يعرض على الناس كتبا أو رسائل أو نشرات يدَّعي أنها دينية ، ثم يطالب الجمهور في صفاقة ووقاحة ورقاعة بأن يشتريها ؛ وقد يقوم هو بنفسه بتوزيعها أو مع صبيان له في إلحاح شديد وإلحاف خسيس،وقد يزداد الكيل ويلاً ووبالا حينما يختلق ذلك الدعي الكذوب ، فيدعي أن أثمان هذه الكتب ستنفق في وجوه الخير ، أو ستقدم لمساعدة أسرة فقيرة ، أو ستُرسل إلى المشردين من أبناء فلسطين ، أو غير ذلك من جهات ، وقد علم الله أنها لن تستقر إلا في جيبه الكانز وبطنه العميق الواسع ؛ وعين الرقيب غافلة ، والمحاسب مشغول ، حتى ان هذه المآسي تتكرر وتعاد ، ثم تعاد وتتكرر ، وبطلها الأثيم يتمتع بالحرية والثقة والمال .

وهذا الشخص يحمل مروحة كبيرة في يديه ، يروِّح بها على الناس أثناء الحر ، وقد يكون هذا العمل في حد ذاته جميلاً أو مقبولا ، ولكن المضحك أن هذا الرجل الذي يتظاهر بالتطوع في هذا الترويح ، لا يروِّح إلا لمن يعطيه مالا ، أما من لا يعطيه فإنه يمر عليه عجلان ، ومعنى ذلك أن ساحة المسجد الشريف تتحول إلى سوق اتِّجار أو احتكار .

ألاَ إن بدع المساجد كثيرة متعددة ، ولا يُصلح أمرَها إلا القادرون على الإصلاح ، فإلى وزارة الشؤون الاجتماعية ، وإلى الأزهر الشريف ، وقسم الوعظ والإرشاد منه بالذات ، وإلى وزارة الأوقاف وقسم المساجد فيها بالذات ، وإلى وزارة الداخلية أيضا التي اصطنعت لنفسها أخيرا اشرافا أو رقابة على المساجد ، إلى هذه الجهات نوجه الصرخة لإزالة تلك المنكرات [1] .

* * *

(١) سئلت هذا السؤال سنة ١٩٥٠ ونشر السؤال حينئذ .

حرمة المساجد

السؤال : **دخلت مسجدا فرأيت فيه مع الأسف جماعة كبيرة من الأجانب السواح يسيرون فوق فراش المسجد بأحذيتهم الملطخة بالأنجاس والأقذار ، دون رعاية لحرمة المسجد ، وقد ثار من ذلك بعض الأهلين فما رأيكم ؟**

الجواب :

عيبنا أننا نحمل التبعة والمسؤولية من لا يستحق حملها ، فهؤلاء الأجانب لا ذنب لهم ولا جريرة، لأنهم أجانب ، ولأنهم لا يعرفون للمساجد حرمة . وهم يعتقدون أنها كدار من دور الآثار ، أو هيكل من هياكل القدماء ، وإنما الذي يجب أن يؤاخذ هو القائم على أمر هذا المسجد سواء أكان إماما أم بوابا أم فراشا أم غير ذلك ، إذ كان الواجب عليه أن يأمر هؤلاء الأجانب بخلع نعالهم ، وأنا موقن أنهم لن يرفضوا . لأنهم أقرب إلى النظام ومراعاة الشعور من غيرهم مع الأسف . وليت لوزارة الأوقاف عينا فترى .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

صلاة الاشراق

السؤال : **أريد أن أعرف كلّ ما يتعلق بصلاة الإشراق ؟**

الجواب :

هذه الصلاة عبادة مجهولة للكثيرين ، وهي أيضا منسية من الكثيرين ، فهي بحاجة إلى التذكير بها ولفت الأنظار إليها ، وأحكامُها مع هذا جزء من الفقه الإسلامي الواجب تبيانُه : وهذه الصلاة تسمى صلاة الإشراق ، وتسمى صلاة الضحى ، واسمها الأخير أشهر من الاسمين الأولين وانما سميت صلاة الضحى لأنها تكون في وقت الضحى وهو وقت ارتفاع الشمس أول النهار ، وسميت صلاة الأوابين لأنهم هم الذين يلتفتون إلِى أدائها وتكرارها ، والأوابون جمع أواب ، وهو الكثير الرجوع إلى الله تعالى ، من آب إذا رجع ، فالأوابون

كالتوابين ، والله تعالى يقول : « اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ » . أي رجّاع إلى مرضاة الله، والأيْد هو القوة في الدين . وروى الأصبهاني عن عون العقيلي في قوله تعالى : « رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا » . قال : الذين يصلّون الضحى

وسُميت صلاة الإشراق لأنها تكون في وقت الإشراق ، وهو وقت الضحى ، ووقت الإشراق هو حين تشرق الشمس ، أي تضيء ويصفو شعاعها ، والإشراق غير الشروق ، لأن الشروق هو الطلوع . وعن أم هانيء أن النبي عليه الصلاة والسلام صلى صلاةَ الضحى وقال : هذه صلاة الإشراق .

وعن ابن عباس قال : طلبت صلاة الضحى في القرآن فوجدتّها ها هنا : « يُسَبِّحْنَ بِالعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ » . وفي رواية أن ابن عباس قال عن هذه الآية : « كنت أمر بهذه الآية ولا أدري ما هي ، حتى حدثتني أم هانيء بنت أبي طالب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها فدعا بوضوء فتوضأ ، ثم صلى الضحى فقال : يا أم هانيء ، هذه صلاة الإشراق » .

وأخرج ابن أبي شيبة والبيهقي من وجه آخر عن ابن عباس أنه قال : إن صلاة الضحى لفي القرآن ، وما يغوص إلا غواص ، في قوله تعالى : « فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يسبحُ لَهُ فِيهَا بِالغُدُوِّ وَالآصالِ » . والغدو أول النهار ، والآصال جميع أصيل وهو آخر النهار .

فضل صلاة الإشراق

وردت في صلاة الضحى مجموعة من الأحاديث التي تظهر فضلَها ، ونذكر هنا طائفة منها : عن أبي هريرة قال : « أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بثلاث : بصيام ثلاثة أيام من كل شهر (وهي الأيام البيض الثالث عشر واللذان بعده) وركعتي الضحى ، وأن أوتر قبل أن أنام » . وقال الرسول :

« لا يحافظ على صلاة الضحى إلا أواب » ، وقال : « من حافظ على سبحة الضحى (أي نافلة الضحى) غفر له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر » .
« إن للجنة بابا يقال له باب الضحى ، فإذا كان يوم القيامة نادى مناد : أين الذين كانوا يداومون على صلاة الضحى ؟ هذا بابكم فادخلوه برحمة الله » .
وقال : « يصبح على كل سُلاَمَى (أي عضو) من أحدكم صدقة ، فكل تسبيحة صدقة ، وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة ، وكل تكبيرة صدقة ، وأمر بالمعروف صدقة ، ونهي عن المنكر صدقة ، ويجزىء (أي يكفي) من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى » . وقال أيضا : « في الإنسان ستون وثلاثمائة مفصل ، فعليه أن يتصدق عن كل مفصل منها صدقة . قالوا : فمن يطيق ذلك يا رسول الله ؟ قال : النخامة في المسجد يدفعها ، أو الشيء ينحيه عن الطريق ، فإن لم يقدر فركعتا الضحى تجزىء عنك » .

قال الشوكاني عن الحديثين الاخيرين : « والحديثان يدلان على عظم فضل الضحى ، وكبر موقعها ، وتأكد مشروعيتها ، وأن ركعتيها تجزئان عن ثلاثمائة وستين صدقة ، وما كان كذلك فهو حقيق بالمواظبة والمداومة » .

وقال النبي أيضا : « قال الله عز وجل : يا ابن آدم ، لا تعجزني (أي لا تنسني) من أربع ركعات في أول نهارك أكفك آخره » . وقال : من قعد في مصلاه حين ينصرف من صلاة الصبح حتى يسبح (أي يصلي) ركعتي الضحى لا يقول إلا خيرا غفر له خطاياه ، وإن كانت أكثر من زبد البحر » .

هَدْي الرسول فيها :

جاء في الحديث : « كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى حتى نقول : لا يدعها ، ويدعها حتى نقول : لايصليها ». ومعنى هذا أن الرسول صلوات الله عليه وسلامه لم يلتزمها دائما ، حتى لا تكون كالفرض ، وضرب الرسول بالحالة الأولى قدوةً صالحة ومثلا حسنا ، لمن كان عندهم فراغ وخلو من الشواغل ، لأن مواظبتهم عليها تشغلهم بالعبادة ، وتحفظهم من

وساوس الشيطان ، ومن تضييع الوقت فيما يضر ؛ كما ضرب في الحالــة الثانية ــ وهي حالة تركها حينا من الزمن ــ مثلاً حسنا آخر للعمال والموظفين وأمثالهم من الذين يلزمهم الانتظام في أعمالهم وواجباتهم عند وقت الضحى ، إذ الأفضل لهم أن يحرصوا على أداء أعمالهم ، وألا يجعلوا أداء هذه النافلة سببا لإخلالهم بأعمالهم أو تأخيرهم لواجباتهم .

عدد الركعات فيها :

جاء في حديث أبي هريرة السابق أن النبي أوصاه بركعتي الضحى ، وروت عائشة أن النبي « كان يصلي الضحى أربعا ويزيد ما شاء الله » . وعن أم هانيء أن النبي يوم الفتح صلى سبحة الضحى (أي نافلته) ثماني ركعات يسلم من كل ركعتين . وفي رواية أنه دخل بيتها يوم فتح مكة ، فاغتسل وصلى ثماني ركعات . وروى الترمذي بسند غريب هذا الحديث : « من صلى الضحى اثنتي عشرة ركعة بنى الله له قصرا من ذَهَب في الجنة » .

ومن هذه الروايات نرى أن صلاة الإشراق تكون ركعتين أو أربعا أو ثماني ركعات أو ثنتي عشرة ركعة . وجاء في كتاب « زاد المعاد » هذه العبارة : « قال ابن جرير الطبري ــ وقد ذكر الأخبار المرفوعة في صلاة الضحى واختلاف عددها : وليس في هذه الأحاديث حديث يدفع صاحبه ، وذلك أن من حكى أنه صلى الضحى أربعا جائز أن يكون قد رآه في حال فعله ذلك ، ورآه غيره في حال أخرى صلى ركعتين ، ورآه آخر في حال أخرى صلاها ثمانيا ، وسمعه آخر يحث على أن يصلي ستاً ، وآخر يحث على أن يصلي ركعتين ، وآخر على عشر ، وآخر على ثنتي عشرة ، فأخبر كل واحد منهم عما رأى وسمع » .

ونفهم مما سبق أن أقلها ركعتان وأكثرها ثنتا عشرة . ولعل السبب في تعدد الروايات المتعلقة بعدد ركعاتها هو أن الرسول أراد أن ييسر على الناس من جهة ، وأن يفتح أمامهم أبواب الطاعة والتزود منها من جهة أخرى ، فمن ملك وقته وقوته زاد في ركعاتها ما شاء ، ومن شغله عمله وواجبه اكتفى

بركعتين أو أربع ، ولذلك قال الفقهاء إن أقل صلاة الضحى ركعتان ، واكثرها اثنتا عشرة ، أو ثمان ، وقال الحنفية : إن أكثرها ست عشرة ركعة ، وبعض الفقهاء قال إنه لا حد لأكثر هذه الصلاة ، فيزيد فيها المرء ما استطاع .

ولقد قال ابن عمر لأبي ذر : أوصني يا عم . فقال :سألتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سألتني فقال : « من صلى الضحى ركعتين لم يكْتب من الغافلين ، ومن صلى أربعا كُتب من العابدين ، ومن صلى ستا لم يلحقه ذلك اليوم ذنب ، ومن صلى ثمانيا كُتب من القانتين ، ومن صلى عشرا بنى الله له بيتا في الجنة » .

وقت صلاة الإشراق :

يبدأ وقتُها بارتفاع الشمس نحو رمح أو رمحين ، وينتهي بزوالها ، ويستحب تأخيرها حتّى يشتد الحر ، بحيث تجد الفصال (أي أولاد الناقة) حرارةَ الرمضاء — أي الحجارة والرمل بسبب الشمس — وقد جاء في الحديث : « صلاة الأوابين حين تَرْمَضُ الفصال » أي تحس أخفافُها حرارةَ ما تمشي عليه من فعل الشمس . والحكمة في ذلك أن يكون موقعها في منتصف الفاصل الزمني بين آخر وقت الصبح وأول وقت الظهر . وقال الفقهاء : الأفضل أن يبدأها بعد ربع النهار ، ويسن قضاؤها إذا خرج وقتها عند الشافعية والحنابلة واما المالكية والحنفية فقالوا إن جميع النوافل اذا خرج وقتها لا تُقْضَى إلا ركعتي الفجر ، فإنهما تُقضَيان إلى الزوال .

وقال الشوكاني في « نيل الأوطار » هذه العبارة : « وقد اختلف في وقت دخول الضحى ، فروى النووي في الروضة عن أصحاب الشافعي أن وقت الضحى يدخل بطلوع الشمس ، ولكن يستحب تأخيرها إلى ارتفاع الشمس ، وذهب البعض منهم إلى أن وقتها يدخل مع الارتفاع ، وبه جزم الرافعي وابن الرفعة » .

القراءة والدعاء فيها :

يقرأ المصلي في كل ركعة من صلاة الضحى بالفاتحة وسورةٍ من القرآن ،

والأفضل قراءة سورة « الشمس » و« الضحى » لقول عقبة بن عامر : « أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نصلي الضحى بسور منها : والشمس وضحاها ، والضحى » .

ويستحب أن يقول المصلي بعدها ما في حديث صهيب ، فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحرك شفتيه بعد صلاة الضحى بشيء ، فقلت : يا رسول الله ، ما هذا الذي تقول ؟ قال « أقول : اللهم بك أصاول ، وبك أحاول ، وبك أقاتل » .

حكم صلاق الإشراق :

هي سُنة ، وقال المالكية إن صلاة الضحى مندوبة ندبا أكيدا ، وتدل الأحاديث النبوية على استحباب صلاة الضحى ، وقد ذهب إلى ذلك الشافعية، والحنفية ، وقد ذكر ابن القيم في « زاد المعاد » ستةَ أقوال في صلاة الضحى هي : أنها سنة راتبة ، أو أنها تكون لسبب كفتح أو قدوم من سفر أو أنها يستحب فعلها تارة وتركها تارة أخرى ، أو أنها تستحب صلاتُها في البيوت ، أو أنها لا تستحب ، أو أنها بدعة .

وسَرْدُ ابن القيم لهذه الأقوال يراد منه استقصاء كلّ ما قيل في حكم صلاة الضحى ، وإن كان بعضها لا ينهض له حجة ، وقد أشار الشوكاني في « نيل الأوطار » إلى هذه الآراء ثم قال : « ولا يخفاك أن الأحاديث الواردة في إثباتها قد بلغت مبلغا لا يقصر البعض منه عن اقتضاء الاستحباب ، وقد جمع الحاكم الأحاديثَ في إثباتها في جزء مفرد عن نحو عشرين نفسا من الصحابة ، وكذلك السيوطي صنف جزءًا في الأحاديث الواردة في إثباتها ، وروى فيها عن جماعة من الصحابة أنهم كانوا يصلُّونها » .

وابن القيم نفسه في حديثه عنها بدأ يذكر أحاديث تشير إلى أن عائشة لم تر النبي يصلي الضحى ، وتشير إلى أن ابن عُمر وعُمر وأبا بكر لم يصلوها ، وأن ابن عمر سئل : هل صلاها النبي ؟ فقال : لا إخاله . وأنه لم يرو أحد

أنه صلاها غير أم هانيء . ولكنه يعود فيورد أحاديثَ صحيحة تذكر أن النبي كان يصلي الضحى أربعا ويزيد ما يشاء . وأنه صلاها ثماني ركعات ، وأن عائشةرأت النبي يصليها ويقول عقبها : « اللهم اغفر لي وارحمني وتب علي ، إنك أنت التواب الرحيم » . قالها مئة مرة . وعن مجاهد أن الرسول صلاها ركعتين وأربعا وستا وثمانيا ، وعن عائشة وأم سلمة أنه صلاها اثنتي عشرة ، وذكر أحاديث كثيرة من هذا القبيل ، ثم قال : « فاختلف الناس في هذه الأحاديث على طرق : منهم من رجّح رواية الفعل على الترك بأنها مثبتة تتضمن زيادة علم خفيت على النافي . قالوا : وقد يجوز أن يذهب علم مثل هذا على كثير من الناس ، ويوجد عند الأقل » .

وبعد أن ذكر طائفةً من الأحاديث تؤيد ذلك قال : « وطائفة ثانية ذهبت إلى أحاديث الترك ، ورجحتها من جهة صحة إسنادها وعمل الصحابة بموجبها » ، وذكر طائفة من الروايات تفيد أن عددا من الصحابة لم يفعلوها . ثم قال : « وذهبت طائفة ثالثة إلى استحباب فعلها غِبّاً ، فتصلي في بعض الأيام دون بعض » وذكر بعضَ الروايات الدالة على ذلك .

ثم قال : « وذهبت طائفة رابعة إلى أنها تُفعل بسبب من الأسباب ، وأن النبي إنما فعلها بسبب ، قالوا : وصلاته صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ثماني ركعات ضحى إنما كانت من أجل الفتح » . وساق بعضَ الروايات الدالة على ذلك .

ثم انتهى ابن القيم إلى تأييد الرأي القائل بأن يصلي الإنسان الضحى دون أن يداوم عليها ، ودون أن تصير سنة راتبة لكل أحد .

وحتى على القول الغريب الذي يشير إلى أنها بدعة نرى أن ابن القيم يورد عن ابن عمر قوله فيها : « نعمت البدعة » .

أوهام لا صحة لها :

هناك بعض الأحاديث الموضوعةُ أو الواهية الواردة في صلاة الضحى ، وهي مذكورة في الجزء الأول من « زاد المعاد » وفي الجزء الخامس من « الدين

الخالص » . وذلك مثل : « من صلى ركعتي الضحى كتب الله له ألف ألف حسنة » . ومثل : « من داوم على الضحى ولم يقطعها إلا لعلة كنت أنا وهو في زورق من نور في بحر من نور حتى يزور رب العالمين » . ومثل : « من صلى الضحى كذا وكذا ركعة أعطي ثواب سبعين نبيا » ..... إلخ .

ومن الأوهام المتعلقة بها أن من فعلها وتركها يصاب في أولاده ولا يعيش له أولاد ، ومن الأوهام فيها أيضا أن من صلاها فقطعها يحصل له العمى ، وليس لهذا أصل ولا سند .

نسأل الله أن يلهمنا أسباب الرشد ، ووسائل التقرب إليه والحصول على رضاه ، إنه أكرم مسؤول وأفضل مأمول .

* * *

تكرار الأذان في الجمعة

السؤال : **لماذا نؤذن مرتين في صلاة الجمعة ؟ وما سبب ذلك ؟ وما حكمته ؟**

الجواب :

كانت السنة على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم أنه إذا دخل وقت صلاة الجمعة خرج النبي عليه الصلاة والسلام من حجرته ، وصعد المنبر ، وأذن المؤذن بين يديه ، ثم شرع الرسول في خطبته ، فإذا انتهى منها صلى بالناس ، وظل الأمر كذلك حتى تولى عثمان بن عفان رضي الله عنه الخلافة ، وكثر الناس بالمدينة ، فأمر عثمان المؤذن بأن يؤذن أذاناً أولاً لإشعار الناس بدخول وقت الصلاة ، وكان هذا الأذان يقال فوق دار بسوق المدينة يقال لها : « الزوراء » ، لأنها عالية يُسمع منها الصوتُ ، ثم يصعد الإمام المنبر ، ويؤذن المؤذن بين يديه مرة أخرى ، ثم يبدأ الإمام في خطبته .

وأخذ الناس بفعل عثمان في جميع البلاد إذ ذاك ، لأنه الخليفة ، ويتبين مما سبق — كما ذكر الإمام الشوكاني في كتابه « نيل الأوطار » — أن عثمان

رضي الله عنه أحدث هذا الآذان لإعلام الناس بدخول وقت الصلاة ، قياساً على بقية الصلوات ، وألحقَ الجمعةَ بها ، وأبقى لها خصوصيتَها ، وهي الأذان الآخر بين يدي الخطيب .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

تـأخير صلاة الجمعة

السؤال : **أخّر قوم صلاةَ الجمعة حتى سمعوا جزءاً من القرآن عن طريق المذياع . فما رأيكم ؟**

الجواب :

إن وقت صلاة الجمعة كوقت صلاة الظهر ، فوقتها ممتد امتدادَ وقت الظهر ، فإذا صلى المسلمون صلاةَ الجمعة في أول الوقت جاز . وإذا صلوها بعد مضي جانب من الوقت صحت الصلاة . وإن كان التبكير في أول الوقت أفضل ، لضمان الأداء ، وللحصول على فضيلة التبكير . لأن الإسلام يحض على هذا التبكير في أعمال الخير . على هذا لو تأخر وقتُ صلاة الجمعة قليلا لم يحرم ذلك ، وخصوصا إذا كان التأخير لعمل مشروع أو محبوب ، كسماع القرآن الكريم .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

التبكير إلى صلاة الجمعة

السؤال : **ما حكم من ينتظر في بيته يوم الجمعة ليستمع القرآن وجزءاً من الخطبة قبل ذهابه الى المسجد لصلاة الجمعة ؟**

الجواب :

يقول الله تبارك وتعالى في سورة الجمعة : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ . ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ » .

والمراد بالنداء هنا الأذان لصلاة الجمعة . وهو الأذان الذي يردده المؤذن عقبَ صعود الخطيب المنبر استعداداً لإلقاء خطبة الجمعة .

وقد نص الفقهاء على أنه يندب ويستحب التبكيرُ إلى صلاة الجمعة . وقد جاء في بعض الأحاديث قولُ الرسول عليه الصلاة والسلام : « إن الناس يجلسون يوم القيامة على قدر رواحهم إلى الجمعات . الأول . ثم الثاني . ثم الثالث . ثم الرابع . وما رابع أربعة من الله ببعيد » .

كما ذكرت بعضُ الأحاديث أن مقدار الثواب من الله يتفاوت بتفاوت التبكير أو التأخير لوقت الذهاب إلى صلاة الجمعة . وخصوصا أن الإنسان إذا تأخر في الذهاب قد يتعرض لتخطي رقاب مَنْ سبقوه إلى المسجد . ليبحث له عن مكان . وتخطي الرقاب أمر مكروه يكرهه الإسلام . ولقد رأى الرسول رجلا يفعل ذلك لتأخره . فقال له : « اجلس فقد آذيت وأنيت » ومعنى أنيت : أبطأت وتأخرت .

وقال الفقهاء إن الواجب على المسلم هو أن يبادر إلى صلاة الجمعة متى سمع الآذان لها . وفي ضوء هذا نقول : إذا انتظر الإنسان في بيته قبل الجمعة ليسمع قرآنا أو جزءا من الخطبة في المذياع ، قبل أن يؤذن المؤذن في المسجد الذي يصلي فيه فلا حرمة عليه . ولكنه لو تأخر بعد سماعه الآذان في المسجد الذي يصلي فيه كان ذلك حراما . ولا ننسى أن اللائق الذي ينبغي للمسلمين أن يحرصوا عليه هو أن يُعْنَوا بصلاة الجمعة ، وأن يبكروا في الذهاب إليها ، لأنها هي المؤتمر الأسبوعي الإسلامي الذي يتلاقى فيه المؤمنون ، لتأكيد التعارف ، وللتشاور والتعاون ، وللتفقه في تعاليم الدين .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

صلاة الوتر والقنوت

السؤال : نصلي صلاة الوتر بعد العشاء ، وفي الركعة الثالثة نكبر ونقرأ القنوت ، فما الحكمة في هذه الصلاة وفي هذا التكبير والدعاء ؟

الجواب :

الوتر ثلاث ركعات بتسليمة كالمغرب ، ويكون الوتر بعد صلاة العشاء ، وهو كما جاء في حاشية ابن عابدين « فرضٌ عملا ، واجب اعتقاداً ، سنة ثبوتا » . أي يعامل معاملة الفرائض في العمل ، فيأثم تاركه ، ويلزم عمله ، ويجب قضاؤه ، ولعل الحكمة في ذلك هي أن يختم الإنسان ليلته بصلاة فيها تهجد وتقرب إلى الله ، وأن يردد جانبا من كلمات الدعاء ليلجأ إلى ربه فيستعينه ، ويطلب منه الهداية والرعاية ، فينام على طاعة ورجاء في الله وحسن ظن به سبحانه وتعالى .

وقد ثبت الوتر بطريق السنة لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « الوتر حق ، فمن لم يوتر فليس مني » . قال ذلك ثلاثا ، وهو حديث صحيح . وفي الحديث الذي رواه الإمام مسلم : « أوتروا قبل أن تصبحوا » . أي قبل طلوع الفجر . وقال الرسول أيضا : « يا أهل القرآن ، أوتروا فإن الله وتر (أي واحد) يحب الوتر » . أي صلاة الفجر . وبعض المذاهب الفقهية يرى أن الوتر سنة .

وفي الوتر يكبِّر المصلي رافعا يديه إلى حذاء أذنيه قبل الركوع في الركعة الثالثة ، ثم يدعو بالدعاء المشهور وهو : « اللهم إنا نستعينك ونستهديك ونستغفرك ، ونؤمن بك ونتوكل عليك ، ونثني عليك الخير كله ، نشكرك ولا نكفرك ، ونخلع ونترك من يفجرك (أي يعصيك) ، اللهم إياك نعبد ، ولك نصلي ونسجد ، وإليك نسعى ونحفد (أي نسرع في الطاعة لك) نرجو رحمتك ونخشى عذابك ، إن عذابك الجِدّ (القوي) بالكفار مُلْحَقٌ » . ويصلي على النبي وآله ، وله أن يضيف من الدعاء والمناجاة ما يراه مناسبا له .

والله تبارك وتعالى أعلم .

شروط الإمامة

السؤال : **هل تجوز إمامة الرجل الذي ليست له لحية ؟ وهناك رجل لا يُحسن إخراج الحروف من مخارجها عند القراءة . ولا يتمكن من القيام والقعود لشيخوخته . فهل تجوز إمامته ؟**

الجواب :

شروط الإمام الذي يؤم الرجالَ الأصحاءَ ستة أشياء هي : الإسلام ، والبلوغ ، والعقل ، والذكورة . والقراءة . والسلامة من الأعذار كالرعاف والفأفأة والتمتمة واللثغ ... وقد جاء في كتاب « الدر المختار » أن الأحق بالإمامة هو أعلم القوم بأحكام الصلاة . ثم الأحسن تلاوة للقرآن ثم الأكثر اتقاء للشبهات . ثم الأكبر سنا ، ثم الأحسن خُلقا ، ثم أكثرهم تهجدا ، ثم أشرفهم نسبا . ثم أنظفهم ثوبا . ولم يذكر بين هؤلاء من ربّى لحيته .

وجاء في حاشية ابن عابدين أن القوم لو صلوا خلف إمام لم تنبت له لحية لجاز من غير كراهية . وهذا فيما يتعلق بالجزء الأول من السؤال ، وأما فيما يتعلق بالجزء الآخر فإن من شروط الإمامة القدرة على القراءة الصحيحة . بحيث يحسن الإمام قراءةَ ما لا بد من قراءته عند الصلاة . ولذلك لا يجوز أن يقتدي قاريء بأميٍّ لا يقرأ ، وإن كان يجوز أن يقتدي أميٌّ بأمي مثله عند عدم وجود القادر على القراءة .

وقال الفقهاء إنه لا تصح إمامة مَنْ قام به عذر من الأعذار ، إلا إذا كان المأموم معذورا مثل الإمام . بشرط أن يتحد نوع العذر فيهما . ومن شروط الإمام أن يكون صحيحَ اللسان . بحيث ينطق بالحروف على وجهها ، فإن لم يكن كذلك ، كأن يبدل الراء غينا ، أو السين ثاء ، أو الذال زايا ، فإنه لا تصح إمامته إلا لمن كان مثله ، وهنا يقول أئمة الحنفية إنه يجب على مثل هذا إذا صلى أن يجتهد في تقويم لسانه ورده إلى الصواب ، فإن قصّر مع مقدرته على ذلك بطلت إمامته حتى لمثله ، وبطلت صلاته في ذاتها ، وقالوا يجب عليه أيضا أن يقرأ من المواضع التي يستقيم فيها لسانه من القرآن الكريم . ويشترط

في الإمام ألا يكون أقل حالا من المأموم . والأصل في الإمام أن يكون قادراً على القيام والركوع والسجود ، إذا كان الذين خلفه يقدرون على ذلك . ولكن جاء في مذهب الحنفية أنه يصح اقتداء المصلي القائم بالإمام الذي يصلي قاعداً ويستطيع أن يركع ويسجد ، وأما العاجز عن الركوع والسجود . فلا يصح أن يكون إماما للقادر على الركوع والسجود . فإن عجز كلٌ من الإمام والمأموم عن القيام وعن الركوع والسجود . وكانت صلاتهما بالإيماء صح أن يكون أحدُهما إماما : سواء كانا قاعدين أم مضطجعين أو مستلقيين أو مختلفين ، بشرط أن تكون حالة الإمام أقوى من حالة المأموم . كأن يكون المأموم مضطجعا والإمام قاعدا .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

سجود السهو

السؤال : **في أي صلاة يسجد المصلي سجود السهو ؟ وفي أي صلاة لا يسجد ؟**

الجواب :

سجود السهو شُرع في آخر الصلاة التي يقع فيها سهو أو نسيان أو شك ؛ فهو كجبر النقصان الذي يوجد في الصلاة ، أو كما يقول فقهاء الحنفية : « وهو لإصلاح ما فات وتُرك من الواجبات في محله ، كما أن قضاء الفوائت لإصلاح ما فات وقته بفعله بعده » .

وسجود السهو قد أمرت به أحاديثُ صحيحة . كقول النبي عليه الصلاة والسلام : « إذا سها أحدكم في صلاته فلم يدر : واحدة صلىّ أو اثنتين فَلْيَبْنِ على واحدة ، فإن لم يدر : اثنتين صلىّ أو ثلاثا فليَبْنِ على اثنتين ، وإن لم يدر ثلاثا صلى أو أربعا فليبن على ثلاث ، وليسجد سجدتين قبل أن يسلِّم » .

وروي أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه قام بعد ركعتين في صلاة الظهر ، ولم يجلس للتشهد الأول ، فلما قضى صلاتَه سجد سجدتين ، ثم سلم بعد ذلك ، وسجدهما الناس معه مكان ما نسي من الجلوس .

وعن عمران بن حصين أن النبي صلى الله عليه وسلم ، صلى بهم فسها ، فسجد سجدتي السهو ، ثم تشهد ثم سلّم .

وروي أن النبي صلى الظهرَ خمس ركعات ، فقيل له : أزيدَ في الصلاة ؟ فقال : وما ذاك ؟ فقالوا : صليتَ خمسا . فقال : أنا بشر مثلكم أذكر كما تذكرون ، وأنسى كما تنسون . ثم سجد سجدتي السهو .

ولو لم يسجد الساهي كان آثما ، ومن هنا قالوا إن سجود السهو واجب ، والبعض قال إنه سنة . ويكون سجود السهو إذا ترك المصلي واجباً من واجبات الصلاة سهوا ، وسجود السهو يكون في الصلاة التي يؤديها المصلي منفردا ، وكذلك في صلاة الجماعة إذا سها فيها الإمام وسجد السهو ، فإن المأموم يتابع إمامَه في السجود ، لأنه مقتدٍ به تابع له ، والنقص قد دخل صلاته أيضا لارتباطها بصلاة الإمام .

وسجود السهو كما يكون في الصلاة المفروضة يكون في الصلاة المسنونة وفي صلاة النوافل ، كما ذُكر ذلك في كتاب « الدر المختار » . وقد جاء في كتاب « تنوير الأبصار » هذه العبارة : « والسهو في صلاة العيد والجمعة والمكتوبة — أي الصلاة المفروضة — والتطوع — أي السنة — سواء » . واستحسن الفقهاء أن لا يسجد الإمام للسهو في صلاة العيد وصلاة الجمعة ، حتى لا يضطرب أمر المأمومين لكثرتهم وعدم معرفتهم فتختل صلاتهم .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الصلاة في أماكن معينة

السؤال : **نلاحظ أن بعض الناس يفضلون الصلاة في مساجد مخصوصة ، ظانين**

أن الصلاة فيها أحسن أو أعظم من الصلاة في سواها ، وتراهم يحرصون على ذلك التفضيل حرصا لافتاً المنظار ، فما هو حكم الإسلام في هذا ؟

الجواب :

العبادة لله وحده ، لا يشاركه فيها كائن ، وهو أغنى الأغنياء عن الشرك ، ولا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا لوجهه الكريم ، وإلا رده على صاحبه ، وقال له : اطلب أجرَك ممن قصدتَه بعملك .

والصلاة هي العبادة اليومية المتكررة التي يطالَب بها المسلم في الإقامة والسفر ، وفي الصحة والمرض ، وفي القرب والبعد ، وعند وجود الماء وعند فَقْده ، ولذلك يسّر الشارع أسبابَ الصلاة ، فلم يشترط لها من المكان أو الهيئات ما تتعسر به ، وحسبك أن الرسول قال : « جُعلت لي الأرضُ مسجدا وترابُها طهورا » .

وبهذا يتضح أن الصلاة جائزة في كل مكان طاهر ، وأن العماد في تفضيلها وتزكيتها ينهض على وجود الإخلاص فيها ، وعمق الاستغراق في أدائها ، وصدقِ التوجه بها إلى مستحقها ؛ وما تعارف عليه الناس من أن الصلاة في هذا المسجد أو ذاك أو ذلك أفضل من سواه ، لوجود شيخ فيه أو وليٍّ أو إمام أو نحو ذلك ، لا ينهض على أساس ، ولا نص فيه من كتاب أو سنة ، وليس معنى هذا أننا نمنع الصلاة في هذه المساجد ، أو نمنع الإلمام بأضرحتها في عظة واعتبارٍ للترحم أو الاقتداء ، لأن ذلك موضوع آخر .

كما أن هذا لا يتعارض أيضا مع ما ورد في المراجع الفقهية من نصوص وآراء حول تفضيل مساجد مخصوصة : كالمسجد الحرام ، والمسجد النبوي ، والمسجد الأقصى ، ومسجد قباء ، فتلك مساجد فضّلتها السنةُ والآثار ، لاعتبارات دينية وتاريخية ليس هذا مجالَ بسطها .

ولا نفضل مسجداً على مسجد إلا بمقدار ما تزداد به فائدة الإسلام والمسلمين ، ولذلك نرى الفقهاء يفضّلون المسجدَ الواسع ، والمسجدَ الذي

تُلقَى فيه الدروس الدينية ، والمسجد الذي تشهده الجماعةُ الكبيرة ، وهكذا .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الصلاة مع الجماعة

السؤال : **هل تقبل صلاة الذي يصلي في بيته ، ولا يصلي في المسجد ؟**

الجواب :

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صلاة الجماعة تفضل صلاة الفَذّ (أي المنفرد) بسبع وعشرين درجة » . وقد ذهب بعض الفقهاء إلى أن صلاة الجماعة فرض عين ولكنها ليست شرطاً في صحة الصلاة وبعض الفقهاء قالوا إنها فرض كفاية ، أي إذا قام بها البعضُ سقط الفرض عن الباقين ، وإذا تركها الجميع أثموا وكانوا مذنبين ، وبعضُ الفقهاء قالوا إنها سنة مؤكَّدة .

والذين قالوا بانها فرض عين إذا كان الإنسان يسمع الأذان من المسجد ، بأن كان جارا للمسجد ، أو كان قريبا منه ، استدلوا بما رواه مسلم وابو داود والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم رجلٌ مكفوف البصر ، فقال : يا رسول الله ، إنه ليس لي قائد يقودني إلى المسجد ، أفأصلي في بيتي ؟ فرخص النبي له ، فلما ولى دعاه ، فقال : هل تسمع النداء بالصلاة ؟ قال : نعم . قال : فأجبْ .

ورُوي أن هذا المكفوف هو عبد الله بن أم مكتوم ، وقد أمره الرسول بحضور صلاة الجماعة . وروى البخاري أن الحسن البصري قال : من منعه أحدُ أبويه من الجماعة شفقةً عليه فلا يُجبْه .

وقال ابن مسعود : من سره أن يلقى الله غداً مسلما فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادَى بهن ، فإن الله شرع لنبيكم صلى الله عليه وسلم سنَنَ

الهدى ، وإنهن من سنن الهدى . ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنةَ نبيكم ، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم ، وقد رأيتُنا وما يتخلف عن صلاة الجماعة إلا منافق بيِّنُ النفاق ، ولقد كان الرجل يؤتَى به يهادى (أي يُسند) بين الرجلين حتى يقام في الصف (رواه مسلم وأبو داود) وهكذا نجد أن أخف ما قيل في صلاة الجماعة بالمسجد هو أنها سنة مؤكدة . هذا إذا لم يكن هناك للمصلي في بيته عذر من الأعذار المختلفة التي نص الفقهاء على طائفة منها ، كالبرد الشديد ، أو الريح الشديدة ، أو المطر ، أو الظُّلْمة ، أو الخوف من عدو أو سبع ، أو المرض ، أو الملاحظة لمريض يحتاج إلى الملاحظة ، أو ما أشبه ذلك ، فإذا كان هناك واحد من هذه الأعذار فإن صاحبه يُعْفَى من المطالبة بالصلاة مع الجماعة : « وما جعل عليكم في الدين من حرج » .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

بين صلاة الجمعة وصلاة الظهر

السؤال : **هناك رجل أدرك صلاة الجمعة متأخرا ، ونوى مع الإمام ، فماذا يصنع إذا سلّم الإمام : هل يتم صلاة الجمعة أو يصلي أربع ركعات للظهر ؟**

الجواب :

إن التبكير إلى صلاة الجمعة هو الأمر الذي يليق بالمسلم أن يفعله لينال الثواب الجزيل من الله تعالى ، ولينتفع بسماع خطبة الجمعة ، وليشارك في الصلاة من أولها ، والله سبحانه يقول في سورة الجمعة : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ » .

ولقد جاء في الحديث المتفق عليه قولُه صلى الله عليه وسلم : « إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد ملائكة ، يكتبون الأول

فالأول (أي الأسبق فالذي بعده وهكذا) فإذا جاء الإمام (أي وصعد المنبر) طووا الصحف ، وجاءوا يستمعون الذكر ، ومَثَلُ المهجِّر (أي المبكِّر) كمثل الذي يُهدي البدنة ، ثم كالذي يهدي البقرة ، ثم كالذي يهدي الكبش ، ثم كالذي يهدي الدجاجة . ثم كالذي يهدي البيضة » . رواه البخاري ومسلم .

وعلى هذا فالواجب على المسلم أن يحرص على إدراك صلاة الجمعة من أولها ؛ وإن بكّر إليها قبل وقتها فذلك أفضل كما عرفنا ، ولكن لو طرأ على المسلم عذر فتأخر عن بداية صلاة الجمعة ، فعليه إذا أدرك منها الركعة الثانية، ولو في أثناء ركوع الإمام فيها ، أن يضم إليها ركعة ثانية بعد تسليم الإمام ، وتحسب له صلاة الجمعة ، واستدلوا على ذلك بما رواه النسائي والترمذي بسند صحيح . وهو قول رسول الله صلوات الله وسلامه عليه : « من أدرك من صلاة الجمعة ركعة فقد أدرك الصلاة » .

وأما إذا فاتته الركعتان فعليه أن يصلي أربع ركعات تعد ظهراً مكان الجمعة، فإذا جاء المصلي بعد رفع الإمام رأسه من الركوع في الركعة الثانية ، أو جاء والإمام جالس يقرأ التشهد ، فإن المصلي يصلي أربع ركعات ظهرا ، واستدلوا على ذلك بما رواه الدارقطني ، وهو قول النبي عليه الصلاة والسلام : « من أدرك من الجمعة ركعة فليصل إليها أخرى (أي يصير مدركاً لها) ومن فاتته الركعتان فليصل أربعا » .

وقد علق على هذا بعض العلماء فقال : من فاتته الركعتان ، بأن لم يدرك الإمام بالمرة فليصل أربعا ، أي فرض الظهر ، وكذلك إذا أدرك الإمام بعد ركوع الركعة الثانية ، وقد روى الترمذي أن ذلك هو قول أكثر الصحابة والتابعين وسفيان وابن المبارك ومالك والشافعي وأحمد وإسحاق .

وقال البعض : ينوي أولا صلاة الجمعة تبعا للإمام ، فإذا سلّم الإمام قام المتخلف فصلى أربعا على أنها صلاة الظهر ، وهذا هو الشخص الذي يقولون عنه على طريق الألغاز : إنه نوى ولم يصل ، وصلى ولم ينو ، لأنه نوى صلاة

الجمعة ولم تصر جمعة بل صارت ظهرا ، ولم ينو في الأول صلاة الظهر ، ولكنه صار إلى صلاتها في النهاية . وفي مذهب الحنفية ان من أدرك الإمام وهو يصلي الجمعة ، في أي جزء من الصلاة فقد أدرك الجمعة على الصحيح .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

قضاء الفوائت

السؤال : **إذا فات الانسان أحد فروض الصلاة ، كصلاة المغرب ، فهل يُصليها مع صلاة العشاء التي تليها ، أو يؤجلها حتى يصليها في اليوم التالي مع صلاة المغرب ؟**

الجواب :

الصلاة ــ كما جاء في السنة المطهرة ــ هي عماد الدين . من أقامها فقد أقام الدين ، ومن هدمها فقد هدم الدين ، والصلاة فريضة يومية تتكرر كل يوم وليلة خمس مرات ، وقد حدد الدين لكل فريضة من هذه الفرائض الخمس موعداً أو ميقاتا له بداية وله نهاية ، فلا يجوز أن يؤدي المسلم الصلاة قبل ميعادها ، ويحرم عليه أن يؤديها بعد انتهاء وقتها ، ولذلك يقول الله تبارك وتعالى في سورة النساء : « إنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى المؤمنين كِتَاباً مَوْقُوتاً » أي محدود الأوقات مقدراً ، فالصلاة فريضة مكتوبة تؤدى في مواعيدها المقررة .

وقد قال القرآن الكريم في مواطن كثيرة منه : « وأقيموا الصلاة » وإقامة الصلاة هي أداؤها معتدلة مستقيمة ، ومن اعتدالها واستقامتها أن تكون في مواعيدها . ويقول القرآن الكريم أيضا في سورة البقرة : « حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوات والصَّلاَةِ الوُسْطَى وقُومُوا لله قَانِتِينَ » . ويصف المؤمنين في سورتي المؤمنون والمعارج بقوله : « والّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِم يُحَافِظُونَ » . وفي سورة النور يقول : « في بيوتٍ أَذِنَ اللهُ أنْ تُرْفَعَ

ويُذكَر فيها اسمُه يُسبِّحُ لَهُ فيها بالغُدُوِّ والآصَال . رجالٌ لا تُلْهِيهِم تجارةٌ ولا بيعٌ عَنْ ذكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وإيتَاء الزكاةِ يخافون يوماً تَتَقَلَّبُ فيهِ القُلُوبُ وَالأبْصَارُ ، ليَجزيَهم اللهُ أَحْسَنَ ما عَمِلُوا ويَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللهُ يرزقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ » . إلى غير ذلك من الآيات القرآنية الكريمة .

فإذا حدث وفاتت الإنسان صلاةٌ نسياناً أو لضرورة من الضرورات ، فلم يدرك صلاة المغرب مثلا في وقتها ، ودخل بعده وقت العشاء ، فإن هذا الإنسان يبدأ بأداء ما في ذمته لربه . وهو صلاة المغرب التي فات وقتها ، ثم يصلي العشاء ، لأن وقتها ما زال متسعا . وقال بعض الفقهاء إن الشخص إذا خاف فوات الجماعة في صلاة العشاء المذكورة . فإنه يصلي العشاء مع الجماعة لينال ثواب الجماعة . ثم يعود بعد ذلك ليصلي صلاة المغرب التي فاتته . وإذا عرف أن هناك جماعة تقام بعد ذلك فإنه يقضي المغرب ثم يصلي العشاء مع الجماعة .

وكذلك قال بعض الفقهاء : إذا ضاق وقت الفريضة الحاضرة — وهي صلاة العشاء في الحالة التي معنا — عن قضاء صلاة المغرب وأداء صلاة العشاء، فإن الشخص يبدأ بصلاة العشاء لتكون أداءً ، ثم يصلي بعدها صلاة المغرب .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الصلاة وجريمة الزنى

السؤال : ما حكم من يصلي ويرتكب بعض المعاصي كالزنى ؟

الجواب :

شرع الله تعالى فريضة الصلاة لتكون دعاءً ورجاء، وذكراً لله ومناجاة، وتطهيراً للحسِّ بالوضوء ، وتأديبا للنفس بالركوع والسجود ، وإحياءً للقلب بالخشوع والسكينة ، ولذلك يقول الله تبارك وتعالى في سورة العنكبوت :

« اتل ما أوحِيَ إليكَ مِنَ الكتابِ، وأقِمِ الصَّلاةَ، إنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ والمنكرِ، وَلَذِكْرُ اللهِ أكْبَرُ، واللهُ يَعْلَمُ ما تَصْنَعُونَ ».

ومعنى هذا أن الصلاة المستقيمة الكاملة هي التي تمنع المحافظَ عليها من الانحراف وارتكاب الآثام والمعاصي . وإذا لم تحقق الصلاة هذا التطهير والتحصين ، فإنها تكون بلا هدف ولا ثمرة ، وإذا أسقطت عن مؤديها حق مطالبته بها في الظاهر ، فإنها تكون عديمة الفائدة والنفع في الحقيقة والواقع ، ولذلك يقول الحديث النبوي الشريف : « من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر ، لم تزده من الله إلا بُعْداً » . ويقول : « من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له » .

ولقد قال بعض السلف : « إن الصلاة فيها ثلاث خصال ، فكل صلاة لا يكون فيها شيء من هذه الخلال فليست بصلاة : الإخلاص والخشية وذكر الله ، فالإخلاص يأمره بالمعروف ، والخشية تنهاه عن المنكر ، وذكر الله القرآن ، يأمره وينهاه » .

وما دام الأمر كذلك فكيف يرضى المؤمن لنفسه أن يرتكب جريمة كجريمة الزنى وهو يصلي ؟ وكيف يوفق بين طاعته هنا ومعصيته هناك ، مع أن جريمة الزنى من أفظع الجرائم في نظر الإسلام ، والله تعالى يقول في سورة الإسراء: « ولاَ تَقْرَبُوا الزِّنَى إنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً » ويقول في سورة الفرقان في وصف عباد الرحمن : « ولاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ التِي حَرَّمَ اللهُ إلاَّ بالحقِّ ، ولاَ يَزْنُونَ ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أثاماً ، يُضَاعَفْ لَهُ العذابُ يَومَ القيامةِ وَيَخْلُدْ فيهِ مُهاناً، إلاَّ مَنْ تابَ وآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالحاً فَأولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وكَانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً » .

وقد روى البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من أشراط الساعة أن يُرفع العلم ، ويظهر الجهل ، ويُشرب الخمر ، ويظهر الزنى ، ويقل الرجال ، ويكثر النساء حتى يكون للخمسين امرأة القيِّم الواحد » .

وقال أيضا : « من توكل (أي حفظ ورعى) ما بين رجليه ، وما بين لحييه توكلت له الجنة » . وما بين الرجلين هو الفرج ، وما بين اللحيين هو اللسان ، وقد نص عليهما لأن معظم البلاء منهما .

إن الواجب على المسلم المحافظ على الصلاة أن يبادر بالإقلاع عن الذنوب والكبائر التي يرتكبها ، حتى تكمل صلاته ، وتكون مقبولة عند الله، وليتعظ بما رُوي في السنة النبوية من أن رجلا سأل النبي فقال له : إن فلاناً يصلي بالليل فإذا أصبح سرق . فقال الرسول : « سينهاه ما تقول » أي أن اللائق به هو أن تدفعه محافظته على صلاته إلى ترك السرقة ، لأن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

فروض الدين متكاملة

السؤال : **هل يقبل الله الصوم أو الزكاة أو الحج من الرجل الذي لا يؤدي فريضة الصلاة ؟ وهل هناك فائدة من القيام بأي فرض من هذه الفروض إذا أهمل الصلاة ، أو أهمل أحد الفروض ؟**

الجواب :

إن دين الله تعالى كُلٌ لا يتجزأ ، فمن آمن بالله ربا ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولاً ، وجب عليه وجوبا شرعيا أن يؤدي كلَّ ما أمر الله جل جلاله بأدائه من فرائض وواجبات ، دون تفريق بين فريضة وفريضة ، ودون تمييز بين واجب وواجب ، فالكل حكم الله ، والكل تشريعٌ من عند الله ، والرسول عليه الصلاة والسلام قد بين قواعد الدين الأساسية التي لا بد منها ، فقال : « بُني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا » .

ولا يكون المسلم كامل الإسلام إلا إذا أدّى فرائض الله كلها ، وبذلك يتم إيمانه وطاعته لمولاه ، والذي يقوم بفريضة ويترك فريضة أخرى يكون فاسقا مستحقا للعقاب من الله تعالى على ما ترك ، وإذا أنكر الإنسان وجوب أي فريضة من هذه الفرائض يكون خارجا على دين الله عز وجل .

وإذا أدى الإنسان فرضا وترك فرضا ، فإنه يكون كالمعترض على الله سبحانه ، وكأنه يقول بلسان حاله لربه جل جلاله : يعجبني هذا الفرض ، ولذلك سأؤديه وأقوم به ، ولا يعجبني هذا الفرض ، ولذلك سأتركه . والويل لمن يفعل ذلك ، لأنه تمزيق للدين وتفريق بين قواعده ، والدين كله من عند الله .

ولكن ينبغي أن نتذكر أن كل فرض من الفروض له ثوابه إذا قام به الإنسان ، وعليه عقابه إذا أهمله ، فمن صام ولم يصل مثلا سقط عنه فرض الصيام ، ويكون عليه وزر ترك الصلاة ، وينتظره عقابه ، كما ينبغي أن نتذكر أن فقهاء الإسلام قد شددوا في ترك الصلاة ، حتّى قال بعضهم إن تاركها المصرّ على تركها يقتل ، وقال بعضهم : يعزّر بالضرب ،والحبس حتى يصلي .

وإنما شددوا هذا التشديد في الصلاة لأنها الفريضة اليومية المتكررة ، وقد أخبرنا رسول الله عليه الصلاة والسلام أنها عماد الدين ، فمن أقامها فقد أقام الدين ، ومن هدمها فقد هدم الدين ، والله تبارك وتعالى يقول : « حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ » . ويقول : « إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤمنينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً » .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

إمامة شارب الدخان

السؤال : **هل تصح الصلاة خلف إمام يشرب الدخان ؟ وهل الدخان مكروه ؟ وما فائدته للإنسان ؟**

الجواب :

لم يكن الدخان معروفا في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ، ولا في عهد الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين، ، ولا في عهد التابعين ، ولا في عهد أئمة الفقهاء ، وإنما طرأ الدخان على المجتمع الإسلامي كإحدى الآفات الوافدة عليه من خارجه ، ولذلك لم يرد نص على حكم تعاطيه في صدر الإسلام ، ومن هنا اختلف العلماء في حكمه . فقال فريق منهم إنه حرام ، أو مكروه كراهة تحريمية على الأقل ، لما فيه من الضرر وتضييع المال وخبث الرائحة . وقال فريق آخر منهم إنه مباح . لإنه لا يوجد دليل شرعي على تحريمه . حيث لم يثبت أنه مسكر . والأصل في الأشياء الإباحة . ولكن لو تيقن وقوع الضرر من شربه - ماديا أو صحيا - صار حراما . لقول الله تبارك وتعالى : « وَلاَ تُلْقُوا بِأَيدِيكُمْ إلى التهلكة » .

وإذا كنا لا نستطيع أن نحكم على الصلاة خلف إمام يشرب الدخان بأنها صلاة غير صحيحة . فإنه ينبغي لنا مع هذا أن نتذكر أن للدخان رائحة كريهة ، يتأذى منها الناس . وهي رائحة لا تناسب جو المسجد الطهور . ولا تناسب مظهر الإمام بين الناس . ولذلك ينبغي أن يتباعد الإمام عن شرب الدخان قدر استطاعته . فإذا لم يستطع الامتناع الدائم الشامل عنه ، فلا أقل من أن يجعل تعاطيه في غير الوقت القريب من أداء الصلاة . وخاصة أنه سيكون إماماً للمصلين .

ولنتذكر أن فريقا من العلماء قرر أنه يُكره تعاطي الدخان في المسجد ، وفي أثناء قراءة القرآن الكريم ، وقال بعض الفقهاء كالشافعية إن الدخان مكروه على الإطلاق ، للتأذي برائحته الكريهة ، وقاسوا ذلك الحكم على ما ورد من النهي عن تعاطي الأشياء ذات الرائحة الكريهة ، وقد جاء في الحديث الصحيح قول سيدنا رسول الله عليه الصلاة والسلام : « من أكل بصلا أو ثوما أو كراثا ، فلا يقربن مسجدنا ، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم » . **رواه البخاري .**

والواقع المشاهد أن التدخين له مضار كثيرة وآثار سيئة على أغلب مدمنيه .

وليس له فائدة ظاهرة للإنسان ، وأقل ما يقال فيه : إنه إنفاق للمال فيما لا ينفع إن لم يضر .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

شرب الدخان في المسجد

السؤال : **هل يجوز شرعا أن يشرب المسلم الدخان في المسجد ؟ أو يدخل المسجد ورائحة الدخان تفوح من فمه ؟**

الجواب :

إذا كان الفقهاء قد اختلفوا في حكم شرب الدخان ، فقال قوم بإباحته ، لأن الأصل في الأشياء الإباحة ، وقال قوم بكراهته لخبثه ، وقال قوم بتحريمه لضرره ، فإن أقل ما يقال فيه هو أنه سبب لإضاعة المال فيما لا فائدة فيه ، وأن تعاطيه — فوق هذا — يسبب للفم رائحةً كريهة . ولذلك جاء في مذهب الشافعية أن تعاطي الدخان مكروه لما فيه من رائحة كريهة يتأذى بها الناس ، والإنسان في المسجد يختلط عادةً بالناس ويدنو منهم .

وقد روى الإمام البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من أكل بصلا أو ثوما أو كراثا فلا يقربن مسجدنا ، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم » . وقد قاس الفقهاء الدخان على هذه الأشياء الكريهة الرائحة ، لوجود العلة فيه كوجودها في هذه الأشياء .

وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي صلوات الله وسلامه عليه قال في غزوة خيبر : « من أكل من هذه الشجرة (يعني الثوم) فلا يقربن مسجدنا » . وفي رواية قال : فلا يقربن المساجد . وفي رواية أخرى عن جابر أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال : « من أكل من هذه الشجرة» يريد الثوم ، فلا يغشانا في مساجدنا » .

وقد علق بعض المحدثين على هذه الأحاديث فأشار إلى علة النهي بقوله : « ما يعني إلا نَتَنَه » أي رائحته الكريهة ، وعلى هذا يُلحق به ويقاس عليه كل شيء رائحته كريهة . ولذلك جاء في بعض الكتب الفقهية : « ويؤخذ من إلحاق الدخان بالثوم والبصل كراهته تحريما في المسجد ، للنهي الوارد في الثوم والبصل ، وهو ملحق بهما ، والظاهر كراهة تعاطيه حال القراءة (يعني قراءة القرآن) لما فيه من الإخلال بتعظيم كتاب الله تعالى » .

ولا يليق بالمسلم أن يشرب الدخان وهو في بيت من بيوت الله عز وجل ، كما أنه لا يليق به أن يدخل المسجد وما زالت رائحة الدخان تفوح من فمه .

وقد يكون من المناسب أن نذكر عبارة زاجرة قالها الشيخ الشبراوي نقلا عن شيخه السجاعي في شرب الدخان عند قراءة القرآن وهي : « الذي ندين الله عليه هو حرمة شرب الدخان في مجلس القرآن ، ولا وجه للقول بالكراهة . وإذا كان الحديث الدنيوي في مجلس القرآن منهياً عنه ، فشرب الدخان في مجلسه أوْلَى بالنهي لما فيه من الرائحة الكريهة ، وإن كان شاربوه لا يدركون ذلك للإلف والعـادة ، كالذين تعودوا معالجة المواد البرازية ، لا يتألمون من رائحتها ، وإذا كان العقلاء يرون من الآداب أن لا يشرب الدخان بحضرة ملوك الدنيا وأمرائها ، أفلا يرون ذلك مخلاً بالآداب في وقت مناجاة ملك الملوك بقراءة القرآن ؟

وكم من شيء لا يمنع بغير حضرة الملوك ، ولكن يمنع بحضرتهم . فعلى فرض أن شرب الدخان مكروه في غير مجلس القرآن ، فهو في مجلس القرآن – لإخلاله بالأدب في حضرة كلام ذي العظمة والجبروت – محرَّم .
ألا ترى أن كثيراً من الأشياء مباح خارج الصلاة، لكنه يحرم في أثنائها وإن لم يبطلها ، وما ذاك إلا لإخلاله بآداب الوقوف بين يدي الله تعالى » ؟

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

التفكير أثناء الصلاة

السؤال : **كثيراً ما يشغل بالي التفكير في أشياء ، أثناء تأديتي الصلاة ، وأجد نفسي أقرأ القرآن دون أن أعي ما أقول ، فهل هذا يبطل الصلاة ؟ وماذا أصنع ؟**

الجواب :

الصلاة في جوهرها وقوف من العبد أمام الله ، ومناجاة من المصلي لمولاه ، وهذا موقف جليل يلزم أن يستعد المؤمن له بالإقبال والاهتمام وجمع الذهن والخشوع ، ولذلك يقول الله تعالى : « قَدْ أَفْلَحَ المؤمنونَ الذينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ » ويقول : « حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاَةِ الوُسْطَى وَقُومُوا لِلّهِ قَانِتِينَ » أي مطيعين خاضعين ؛ ويحذر القرآن الكريم من الغفلة عن الصلاة ومن التضييع لها بالاستمرار في السهو والنسيان، فيقول : « فويلٌ للمصلينَ ، الذينَ هُمْ عن صلاتِهِمْ ساهُونَ » .

ويقول الله تعالى : « وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ » أي أدوها مستقيمةً معتدلة ، وافية الأركان والشروط والأعمال ، ولا يمكن للإنسان أن يؤدي ذلك بوجه سليم قويم ، إلا إذا كان حاضر القلب والحس وهو في الصلاة . والله سبحانه يقول : « واستَعِينُوا بالصَّبْرِ والصَّلاَةِ ، وَإِنَّها لَكَبِيرةٌ إلاَّ عَلَى الخاشِعِينَ الذينَ يظنُّونَ أنَّهُمْ مُلاَقُو رَبِّهِمْ ، وَأَنَّهُمْ إلَيْهِ رَاجِعُونَ » .

والخشوع يكون بإقبال الإنسان على الصلاة ، وتوجيه همته إليها ، والتفكير في معنى ما يقوله المصلي فيها ، حتى يحضر ذهنه في الصلاة وأعمالها وأقوالها ، وبذلك لا يشرد ذهنه ذات اليمين وذات الشمال . ولقد روى أبو داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا أحسن الرجل الصلاة ، فأتم ركوعها وسجودها ، قالت الصلاة : حفظك الله كما حفظتني ، فترُفع ، وإذا أساء الصلاة فلم يتم ركوعها وسجودها ، قالت الصلاة : ضيعك الله كما ضيعتني ، فتُلَفُّ كما يلف الثوب الخَلَق (أي القديم البالي) فيُضرب بها وجهُه » .

والإنسان من عادته السهو والنسيان وشرود الذهن ، ولكن الواجب عليه أن يقاوم ذلك ما استطاع .وفي وقت الصلاة بوجه خاص.لأنه يقف بين يدي الله عز وجل . ويمكن للمصلي أن يستعين على ذلك بحسن الاستعداد للصلاة عند الدخول فيها . بالإقبال عليها في همة ونشاط . وحصر الذهن في أدائها قدر الإمكان . والعلماء يقولون إن النفس البشرية لا تتجه في وقت واحد إلا إلى شيء واحد ، ولعلهم قد فهموا هذا من قول الله تعالى : « ما جَعَلَ اللهُ لِرجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ » .

وعليه أيضا أن يحسن الأدب في الصلاة فلا يلتفت ، ولا يكثر فيها الحركة ، وعليه أن ينظر إلى موضع سجوده وهو واقف ، وإلى قدميه وهو راكع ، وإلى طرف أنفه وهو ساجد ، وإلى فخذيه وهو جالس بين السجدتين أو للتشهد ، وعليه أن يفكر في معاني ما يقول في الصلاة ، وبذلك يحصر ذهنه فيها ، ويزول عنه الشرود .

إن الرجل الذي يشرد عن صلاته ، ولا يعقل منها شيئا ، يكون كأنه لم يصل .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

صلاة الحرب

السؤال : **ما هي صلاة الحرب ؟ وما كيفية أدائها ؟ ومتى تؤدى ؟**

الجواب :

الصلاة فريضة إسلامية يومية ، لا تسقط بسفر أو هجرة أو عمل أو شاغل من الشواغل ، ولكن قد يتعذر أو يتعسر أداؤها في أثناء الجهاد بصورتها المعتادة ، فخفف الدين عن الناس في ذلك الظرف ، فأباح لهم في حالة السفر والخوف من هجوم الأعداء أن يقصروا الصلاة الرباعية ، أي أن يصلوا كلا من الظهر والعصر والعشاء ركعتين بدلاً من أربع ركعات .

وهذا ما يستفاد من قول الله تعالى : « وإذا ضَرَبْتُم فِي الأرضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُم جُنَاحٌ أنْ تقصروا مِنَ الصَّلاةِ إنْ خِفْتُمْ أنْ يفتنكُمُ الذين

كَفَرُوا إنَّ الكافرينَ كانوا لَكُمْ عَدُوّاً مُبيناً» . فخلاصة معنى هذه الآية أنه إذا كان الانسان مسافرا في الأرض ، فلا إثم عليه ولا ضرر ، إذا قصر الصلاة ، وذلك في حالة الخوف من الأعداء ، وذلك عند الجهاد .

ولأداء صلاة الحرب – أو صلاة الخوف كما يسميها الفقهاء القدماء – صور كثيرة يمكن اختيار الصورة التالية منها لسهولتها ويسرها :

إذا أراد إمام الجنود أن يصلي بهم وهم في الميدان – وفي غير حالة الالتحام والصدام ومباشرة القتال – يأتي قسم من الجنود ، ويصلي بهم فريضة الوقت الحاضر ، ويقتصر معهم على ركعتين إذا كانت الصلاة رباعية ، كالظهر والعصر والعشاء ، ويكون القسم الآخر من الجنود في مواقع المراقبة والمرابطة والحراسة والاستعداد ، ثم يسلم الإمام ويسلم الجنود معه ، ويذهب هذا القسم الذي أدى الصلاة إلى مواقع المراقبة والمرابطة والحراسة .

ويأتي القسم الذي لم يصل ، ويصلي الإمام به فريضة الوقت أيضا ركعتين إذا كانت رباعية ، ويسلم ويسلمون معه ، ثم يعودون إلى واجبهم . وتكون الصلاة الأخيرة سنة أو نفلا بالنسبة إلى الإمام ، لأنه كرر الصلاة .

وعلى الجميع أن يحترسوا ويحتاطوا ، فيأخذ القسم الحارس أسلحته واستعداده ، وكذلك يتسلح القسم المصلي بالأسلحة المناسبة ، خشية المفاجأة من العدو ، ويمكن لمن يتأذى بحمل السلاح في أثناء الصلاة أن يضع سلاحه على مقربة منه .

وأما إذا اشتد الخوف فإنه لا تقام الصلاة جماعة ، بل يصلي كل جندي في موقعه أو مكانه كما يتيسر له ، سواء أتمكن من استقبال القبلة أم لم يتمكن ، ويستطيع أن يقتصر الجندي في أداء الصلاة في هذه الحالة على الإيماء برأسه بدل الركوع والسجود ، سواء أكان راكباً أم على الأرض .

فإذا حدث القتال والالتحام فعلا بين الجنود والأعداء ، ولم يتيسر لهم أداء الصلاة ، فإنها تؤخر حتى تنتهي حالة القتال ، ثم يقضيها الجنود بعد انتهائهم من واجب المعركة .

والله تبارك وتعالى أعلم .



الصّوم

متى يجب الصوم

السؤال : هل يجوز التشديد على الأطفال لكي يصوموا ؟ ومتى يصوم الطفل أو الصبي ؟ وكيف يبدأ في الصيام ؟ وهل يجوز لطالبة في الجامعة أن تفطر بحجة أنها تحتاج إلى المذاكرة ؟

الجواب :

يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم : « يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ اليُسْرَ ، وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ العُسْرَ » . ويقول : « وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ » . أي مشقة وتضييق . ويقول أيضا : « لا يُكَلِّفُ اللهُ نفساً إلاَّ وُسْعَهَا » أي طاقتها وجهدها . ويقول النبي عليه الصلاة والسلام : « إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق » أي خذه بتسهيل وتيسير ، لأنك لو شدّدت على نفسك لأتعبتها ، وحرمتها الرفقَ والرحمة التي هيأهما الله لعباده الضعفاء.

ولا شك أن الصوم فيه نوع من التعب والمشقة ، لأنه امتناع عن الطعام والشراب من الفجر إلى غروب الشمس ، وهذا الامتناع لا يستطيعه الصبي إذا كان صغيرا في سنواته الأولى ، ولذلك يقول الإسلام إن الصوم إنما يجب على البالغ ، ولا يجب على الصبي قبل البلوغ ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « رُفع القلم عن ثلاث : عن الصبي حتى يبلغ ، وعن النائم حتى يستيقظ ، وعن المجنون حتى يُفيق » . ومعنى رفع القلم هنا هو أنه لا تكليف على هؤلاء المذكورين بالواجبات الشرعية والفروض الدينية ، فلا يحاسبهم الله سبحانه وتعالى على عدم القيام بهذه الفروض ، حتى يصيروا أصحابَ أهلية وقدرة على القيام بها ، وقد قال الفقهاء إن الصبي يكلّف بالصوم إذا بلغ عشر سنوات أو نحو ذلك ، لأن ذلك يختلف باختلاف البيئات ودرجة النمو .

والله سبحانه وتعالى لم يقصد بالتكاليف التي فرضها على الناس أن يتعبهم أو يرهقهم ، ولكنه أراد بها أن يجعلهم أقوياء أصحاء فضلاء . وفي مثل هذه

الحالة المسؤول عنها ينبغي لولي الأمر مع الصبي أن يحسن تعويده على الصوم حينما يقدر في حكمة وبلا اعتساف أو تشديد ظاهر ، حتى لا ينفر الصبي من الصوم ويكرهه . وقد روت لنا السيرة النبوية أن المسلمين على عهد النبي كانوا يدربون الصبيان على الصوم حينما يقدرون عليه ، وكانوا يُعِدُّون لهم بعضَ اللُّعَب والهدايا لتسليتهم وتشجيعهم على الصوم ونسيان الطعام .

وقد يكون من الخير أن نأخذ رأي الطبيب الموثوق به في قدرة الصبي على الصوم ، فقد يكون الطفل ضعيفَ النمو أو مريضا ، فإذا قرر الطبيب أن الصبي يستطيع الصوم وجب عليه أن يصوم .

وأما الطالبة في الجامعة فمن الواجب عليها أن تصوم ، لأنها قد بلغت سنا تستطيع معها أن تصوم فيه ، ولا يجوز لها أن تعتذر في الإفطار بحجة المذاكرة ، لأنها تستطيع أن تجمع بين الصوم والمذاكرة ، وما يفوتها من المذاكرة في أثناء النهار تستطيع أن تعوضه في أثناء الليل، وقد جرت العادة بامتداد السهر نوعاً ما في ليالي رمضان .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الصوم وحساب النتائج

السؤال : **هل يجوز أن نعتمد على النتائج في صوم رمضان وفي الإفطار ؟**

الجواب :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هلال رمضان : « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته ، فإن غُمَّ عليكم (أي لم يظهر لكم) فأكملوا عدةَ شعبان ثلاثين يوما » . وقالت السيدة عائشة رضي الله عنها : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحفظ من هلال شعبان ما لا يتحفظ من غيره ، ثم يصوم لرؤية هلال رمضان ، فإن غم عليه عَدَّ ثلاثين يوما ثم صام » .

ومعنى هذا أن الرسول كان يدقق في رؤية هلال شعبان وفي عدِّ أيامه

محافظة على صوم رمضان ، وكان يهتم بذلك أكثر من اهتمامه بغيره ، فإن رأى هلال رمضان ليلة الثلاثين من شعبان صام رمضان ، وإن حال دون رؤيته غيم أكمل عدة شعبان ثلاثين يوما ، ونستفيد من هذا أيضا أننا إذا رأينا هلال رمضان صمنا ، ولو كان شعبان ناقصا ، بأن كان تسعة وعشرين يوما ، وإذا رأينا هلال شوال أفطرنا ولو كان رمضان ناقصا ، بأن كان تسعة وعشرين يوما .

وقد قرر الفقهاء أنه لا يكتفى بحساب « التتائج » في إثبات الهلال ، لأن هذا خلاف الثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد قال النبي عن الهلال : « لا تصوموا حتى تروه ، ولا تفطروا حتى تروه » . وقال الفقهاء : إنه لا يجوز الاكتفاء بعمل الحساب ، لأن الحساب لا يعرفه كثير من الناس ، والهلال هو الذي يقطع الشك ويأتي باليقين ، ولذلك يقول ابن عابدين الحنفي « ولا عبرة بقول المنجمين – ولو عدولا – في وجوب الصوم على الناس بالإجماع ، ولا يجوز للمنجم أن يعمل بحساب نفسه » والمراد بالمنجمين الذين يحسبون المواقيت ويعملون النتائج المعروفة .

ونحن نلاحظ أن المسلمين لا يكتفون بما في النتائج ، بل ينظمون الرؤية للهلال ، فإن رأوه صاموا ، وإلا أكملوا شعبان ثلاثين يوما .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

تفاوت الأوقات في الصوم

السؤال : **بعث إلي صديق تركي يسأل ويقول : وقت الإمساك في مدينة استنبول بعد وقت الإمساك في مدينة « طرابزون » بأربعين دقيقة ، فإذا تسحر رجل في استنبول في آخر وقت الإمساك فيها ، وسافر إلى طرابزون ، فهل يجوز له أن يفطر مع أهل طرابزون على حسب وقت المغرب فيها ؟**

الجواب :

الصائم يتبع في حالة الإمساك والإفطار في الصوم المكانَ الذي يكون فيه ، فإذا أمسك شخص في بلد حسب ميقات هذا البلد ، ثم انتقل إلى بلد آخر في أثناء النهار ، أفطر حين تغرب الشمس في ذلك البلد الآخر الذي انتقل إليه ، لأن الصوم محدد الميقات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس ، وقد بدأ الصائم هنا صومَه عند طلوع الفجر في البلد الذي كان فيه ، وانتهى صومه عند غروب الشمس في البلد الذي انتقل إليه .

ويحسن أن يلاحظ السائل أن الشخص في هذه الحالة ، وهي حالة الانتقال من استانبول إلى طرابزون سيكون مسافرا ، والمسافر له رخصة الإفطار ، ولا يجب عليه الصوم في أثناء السفر ، بل له أن يفطر ثم يقضي السفر ، لقول الله تعالى : « فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ » .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

مدفع الرفع

السؤال : **هل يجوز للانسان أن يأكل أو يشرب بعد إطلاق « مدفع الرفع » ؟**

الجواب :

يباح لمن ينوي الصيامَ أن يأكل ويشرب ، ويعمل كلَّ عمل يعمله المفطر من بعد غروب الشمس إلى أن يطلع الفجر ، أي يبدأ وقتُ دخوله ، فإذا طلع الفجر امتنع عن الأكل والمفطرات الأخرى ، وإذا حدث وكان في فمه لقمة عند لحظة طلوع الفجر ، وجب عليه أن ينزع ما في فمه إذا كان لم يبلعه ، ولو انتظر بعد هذا وبلع شيئا مما في فمه أفطر ، ولا يصح صومه في ذلك اليوم .

وقت الصوم الشرعي يبدأ بطلوع الفجر ، وينتهي بغروب الشمس ،

لأن الله تبارك وتعالى يقول مخاطبا الصائمين : « أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إلى نِسائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ، عَلِمَ اللهُ أَنَّكُم كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ، فَالآنَ باشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا ما كَتَبَ اللهُ لَكُمْ ، وَكُلُوا واشْرَبُوا حتّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الخَيْطُ الأبيضُ مِنَ الخَيْطِ الأسْوَدِ مِنَ الفَجْرِ ، ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إلى الليلِ ، وَلاَ تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي المَسَاجِدِ ، تِلْكَ حُدودُ اللهِ فَلاَ تَقْرَبُوها ، كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ آياتِهِ للناسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ » .

وقد روى الإمام البخاري في صحيحه أن النبي صلى الله عليه وسلم أرشد الصحابةَ رضوان الله عليهم إلى أن يأكلوا ويشربوا حتّى يؤذِّن ابن أم مكتوم الذي كان يؤذِّن لصلاة الفجر على عهد الرسول صلوات الله وسلامه عليه .

ووقت السحور عادةً هو ما بين نصف الليل وطلوع الفجر ، ولذلك نجد أن المدفع الأول وهو المسمى « مدفع السحور » يكون قبل الفجر بوقت طويل ، فهو إشعار للبدء في السحور مع وجود متسع من الوقت له ، حتّى يستعد كل إنسان للسحور بلا عجلة ، والإسلام يحبب في السحور ، ولذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم : « تسحروا فإن في السحور بركة » .

كما يحبب الإسلام في تأخير السحور ، وقد قال النبي : « لا تزال أمّتي بخير ما عجلوا الإفطار وأخّروا السحور » .

ولكن الاحتياط في مثل هذا المقام أفضل ، فعلى الإنسان أن يتناول سحوره في وقت مناسب ، لا يدخل في الجزء القريب من طلوع الفجر ، فربما طلع الفجر وهو يتناول سحوره ، والابتعاد عن الشك والشبهة أفضل من التعرض لهما أو الاقتراب منهما .

ومدفع الرفع أو مدفع الإمساك يطلقونه عادة قبل الفجر بنحو ربع ساعة أو ثلث ساعة ، لتحقيق هذا الاحتياط ، ولكن لو فُرض واحتاج الإنسان إلى أن

يأكل أو يشرب عقب مدفع الإمساك بدقائق معدودة تنتهي قبل طلوع الفجر ، جاز له ذلك ويصح صومه ، وإن كان الاحتياط أفضل كما تقدم .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

مضغ اللبان في الصوم

السؤال : **سمعت من يقول إن مضغ اللبان لا يفطر الصائم ، وقد تعجبت من ذلك ، فما رأي الدين في ذلك ؟**

الجواب :

قرر الفقهاء أن مضغ اللبان ويسمونه في كتبهم بالعِلْك — يفسد الصوم ويفطر به الصائم ، إذا كان هناك في قطعة اللبان جزء يتحلل أو يتفتت في الفم ، ويصل شيء منه إلى داخل الجسم ، كما قرر الفقهاء أن مضغ اللبان يُكْره للصائم ولو كان خاليا من أي شيء يتحلل أو يتفتت ، وذلك لأن مضغ اللبان يُظْهر صاحبَه بمظهر المفطر ، فيثير بذلك الريبةَ والشبهة ، ومن أدب الإسلام أن يتحاشى الإنسان مواطنَ الريبة ،وقد رُوي عن الإمام علي رضي الله عنه قوله: « لا تعمل شيئا يبدو إنكاره ، وإن كان عندك اعتذاره » ، وجاء في الحديث قول الرسول عليه الصلاة والسلام ما معناه : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن موقفَ الريبة » . وكذلك قال عمر رضي الله عنه : « من وقف مواقفَ التهم فلا يلومن إلا نفسه » . ورُوي عن أم المؤمنين السيدة أم حبيبة كما أخرج البيهقي أنها قالت : « لا يمضغ الصائم العلك » أي اللبان .

وقطعة اللبان في العادة لا تخلو من شيء يتحلل أو يتفتت ، حتى ولو سبق مضغُها قبل الصوم ، ولو فرضنا أن الإنسان مضغَ القطعة مضغا في هذه الحالة لوجدها متعددة متصلبة جامدة ، فإذا بدأ مضغَها تكسرت وتفتتت فيكون هناك أجزاء قابلة للتحلل في الفم ..

وأنواع اللبان كثيرة ، وأغلبها قابل للتحلل ، لا يأمن الإنسان تفتت الأجزاء فيه ، فيكون مفطرا . كما أن منظر مضغ اللبان في حدٍّ ذاته منظر غير مألوف ولا مستساغ ، ولذلك قال الفقهاء إن مضغ اللبان يجوز للنساء ، ويكره للرجال إلا إذا كان ذلك في خلوة ، وكان ذلك لضرورة دعت إليه ، كعلاج معدة أو تسهيل إخراج الغازات من الجسم أو إزالة نتن الفم الشديد .

ومن هذا البيان يتضح أن القول بأن مضغ اللبان لا يفطر يُعَدُّ مجازفة ، وجرأة في الحكم ، وفتحا لباب لا يؤمَن شره ولا خطره .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

صوم المرأة

السؤال : **هل يجوز للرجل أن يمنع زوجته من الصوم ؟ وهل إذا أمر الزوج زوجته بأن تفطر في رمضان وهي قادرة على الصوم يجوز لها أن تعصي أمره ؟**

الجواب :

حينما قال الله تبارك وتعالى : « يَا أَيُّهَا الذينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ كمَا كُتِبَ عَلَى الذينَ مِنْ قَبْلِكِم لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » أراد تكليفَ الرجال والنساء معا بهذا الصوم ، فالمرأة مأمورة من ربها تبارك وتعالى بصوم رمضان كالرجال ، ما لم يكن هناك عذر شرعي لها يمنعها من الصيام ، فلا تصوم عند وجود هذا العذر ، ولا يجوز للزوج أن يمنع زوجتَه من صيام رمضان ، لأنه فرض عليها ، ولا تحتاج هي إلى أن تستأذنه في ذلك ، ولو أمرها بالإفطار في رمضان وجب عليها أن تعصيه وتصوم ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول : «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » .

ولكن إذا كانت الزوجة مريضةً لا تستطيع الصيام ، وكان الصوم يزيد مرضَها ، أو يعطل شفاءها ، فعليها أن تستمع نصيحة زوجها ، ويلزمها أن

تفطر حتى لا تعرّض نفسَها للهلاك أو الضرر ، والله سبحانه وتعالى قد أعطاها الفرصةَ لقضاء ما يفوتها بعد شفائهـا ، فقال : « وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ، يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ » .

وأما إذا كان الصيام غيرَ فرض ، بأن كان سنة وتطوعا وتقربا إلى الله ، فلا يجوز للزوجة أن تصوم وزوجُها حاضر معها إلا بإذنه ، فإن حقوق الزوجية الواجبة قد تتعارض مع هذا الصوم الذي ليس واجبا ، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : « لا تصوم المرأة صومَ التطوع وبعلُها شاهد إلا بإذنه » .

والمنتظر من الزوج العاقل ألا يمنع زوجته من صوم التطوع ، إذا لم يكن هناك مانع أو ضرر في ذلك ، بل الأفضل للزوج أن يشجع زوجته على العبادة ، ما دام ذلك يُصلحها حسا أو نفسا .

ونلاحظ هنا أن الصائم صومَ التطوع يجوز له أن يفطر ، ولو بعد شروعه في الصيام ، وإن كان الأفضل له إتمامُ الصوم ، لقول الله تبارك وتعالى : « ولا تبطلوا أعمالكم » . وقد رُوي عن السيدة عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها فسألها : هل عندك شيء ؟ (أي شيء يؤكل). قالت : لا . فقال : إذن أصوم . ودخل عليها في يوم آخر ، فقال : هل عندك شيء ؟ قالت : نعم . قال : إذن أفطر وإن كنت قد فرضت الصوم (أي نويته) . وفي الحديث أيضا : « الصائم المتطوع أميرُ نفسه ، إن شاء صام ، وإن شاء أفطر » .

والواجب على المرأة أن تتعلم دينها كما يجب ذلك على الرجل ، ويجب على الزوج أن يعلّم زوجته ما لا تعرف من أحكام الدين ، إذا لم تستطع هي لبعض ظروفها أن تعرف هذه الأحكام ، وقد كانت العادة عند السلف الصالح جاريةً على أن الرجل إذا سمع درسا من دروس الفقه أو العلم نقله إلى زوجته

وأولاده ، ليتساوى الجميع في التفقه في الدين .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

صوم المرأة المريضة

السؤال : **ما حكم الشريعة في امرأة لا تستطيع الصيام ، ولم يأذن لها الطبيب بالصوم طول حياتها ، لأن مرضها لا يزول ؟**

الجواب :

إذا ثبت أن هذه المرأة لا تستطيع الصيام ، بحكم هذا الطبيب المسلم الحاذق الموثوق به ، فإنها تفطر ، ويحرم عليها أن تصوم ، لأن صومها فيه تعرضٌ للأذى ، وإلقاء بالنفس في الهلاك ، والله تبارك وتعالى يقول : « وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إلى التَّهْلُكَةِ » . وعلى هذه المرأة أن تُطْعم ـ مقابلَ كلِّ يومٍ تفطره ـ مسكيناً ، أو تعطيه قيمةَ إطعامه عن ذلك اليوم .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

صوم أيام العيد

السؤال : **هل يجوز صوم يوم العيد ؟ وما حكم صوم « الأيام البيض » ؟**

الجواب :

يحرم صومُ يوم عيد الفطر ، ويومُ عيد الاضحى ، فقد جاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن صيام يومين : يوم الفطر ، ويوم النحر ، واليوم الأخير هو يوم العيد الكبير .

والحكمة في ذلك النهي أن الله تعالى جعل يومَ العيد ضيافةً وفطراً بعد الصوم في رمضان ، وجعل يومَ العيد الكبير ضيافة منه بعد أداء فريضة الحج .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « إن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن صيام هذين اليومين ، أما يوم الفطر ففطركم من صيامكم . وأما يوم الأضحى فتأكلون من لحم نسككم » يعني من لحم الضحية .

وحتى لو نذر الإنسان أن يصوم يومَ العيد لا يصومه ، بل يقضيه في يوم آخر ، وقد قال رجل لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما : رجل نذر أن يصوم يوما فوافق ذلك يومَ عيد ؟ فقال ابن عمر : أمر الله بوفاء النذر ، ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن صوم هذا اليوم ، وهذا تعريض له بألا يصوم في يوم العيد . ويقضيه ليكون وفاءً بالنذر .

ويحرم كذلك في العيد الكبير أن يصوم الأيام الثلاثة التالية ليوم العيد الكبير وهي الأيام التي تسمى « أيام التشريق » أي أيام رفع الأصوات بالتكبير ، وتجفيف لحوم الضحايا في الشمس كعادة العرب في الحجاز . والرسول صلى الله عليه وسلم يقول عن هذه الأيام : « إنها أيام أكلٍ وشرب فلا صوم فيها.

وأما « الأيام البيض » فهي الأيام الستة التالية ليوم عيد الفطر ، وهذه الأيام يستحب صومُها لقول النبي صلى الله عليه وسلم : « من صام رمضان ثم أتبعه بستٍّ من شوال فكأنما صام الدهر » .

والمعنى أن من واظب على صيام رمضان وستة أيام من شوال في كل سنة ، بإخلاص ومراقبة ، فكأنما صام طول حياته .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الكفارة بالصوم

السؤال : **إذا صام الصائم للكفارة شهرين متتابعين ، وجاء رمضان قبل أن يكمل الشهرين المتتابعين بأيام ، فماذا يصنع ؟ وما هي المواضع التي تجب فيها الكفارة في الصيام ؟**

الجواب :

الكفارة هي إعتاق رقبة مؤمنة ، فإن لم يجد ما يعتقه صام شهرين متتابعين ، وليس فيهما شهر رمضان ، ولا ما يحرم صومه ، كنومي العيدين وأيام التشريق وهي الأيام الثلاثة التالية ليوم عيد الأضحى ، فإن لم يستطع الصوم أطعم ستين مسكينا ، بحيث يطعم كلَّ مسكين منهم أكلتين مشبعتين ، أو يعطيهم ما يكفيهم ذلك .

وإنما يجب في الصوم القضاءُ والكفارة إذا جامعَ الرجلُ امرأتَه متعمدا ، هو صائم في رمضان ، وفي هذه الحالة يجب القضاء والكفارة على الطرفين ، أي الرجل والمرأة ، وقد رُوي عن أبي هريرة قال : أتى رجلٌ إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : هلكتُ . قال : وما شأنك ؟ قال : وقعتُ على امرأتي في رمضان.فقال: فهل تجد ما تعتق رقبة ؟ قال : لا .قال : فهل تستطيع ان تصوم شهرين متتابعين.قال: لا . قال : فهل تستطيع أن تطعم ستين مسكينا ؟ قال: لا.

قال له النبي : اجلس . ثم جاء إلى النبي جانب من التمر ، فقال للرجل : تصدقْ به . فأخبره الرجل بأنه لا يوجد في المدينة أفقر منه ولا أحوج من أولاده . فضحك النبي ، وأمره أن يأخذ التمرَ ويطعمَه لأولاده .

ويستدل من هذا الحديث أيضا على أن الكفارة تكون بأحد الأمور الثلاثة على الترتيب . لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم ينقل السائل من أمر الا بعد عجزه عنه .

وكذلك يجب على الإنسان القضاء والكفارة إذا أفطر عمدا ، بأن تناول ما يفطر الصائمَ متعمدا ، وذلك في مذهب الحنفية والمالكية ، وذلك لما رُوي عن عامر بن سعد عن أبيه أنه قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال أفطرتُ يوما من شهر رمضان متعمدا . فقال صلى الله عليه وسلم : أعتق رقبة ، أو صُمْ شهرين متتابعين ، أو أطعم ستين مسكينا .

وقد قيل عن الحكمة في جعل الكفارة سن هذه الأمور الثلاثة التي سبق ذكرها ، أن من انتهك حرمةَ الصوم بالجماع في أثنائه فقد أهلك نفسه بالمعصية فناسب أن يفدي نفسَه ، إما بعتق رقبة ، لأن الحديث الصحيح المتفق عليه

الذي رواه البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « من اعتق رقبة مسلمة أعتق الله بكل عضو منها عضوا من أعضائه من النار » .

وإما بالصوم لأنه جنى على الصوم بإفساده . وكانت الكفارة صوم شهرين، لأنه لما أفسد يوما كان كمن أفسد الشهرَ كلّه ، لأنه كعبادة واحدة ، فطالبه الله بصوم شهرين ، ليكون ذلك زجراً وتأديبا له .

وإما بإطعام ستين مسكينا ، لأن فيه مقابلةَ كلٍّ يوم من الستين بإطعام مسكين .

ويشترّط في الكفارة جملة شروط . هي أن يكون الصائم مكلّفا . فلا كفارة على الصبي . وأن يكون مختارا . فلا كفارة على المكره . وأن يكون عالما بتحريم الفطر في رمضان . وألا يكون هناك ما يبيح الإفطارَ في الصوم ، كالسفر أو المرض . وأن يصل الشيء المفطرُ إلى الجوف من فم الصائم وأن يكون قد نوى الصوم من الليل . وأن يكون الفطر المتعمّد في أداء شهر رمضان .

وكفارة الصيــام في الحالــة المسؤول عنهــا يجب أن تكون شهرين متتابعين بلا انقطاع ، ولا بد من تتابع هذين الشهرين . بحيث لو أفسد المكفِّر في أثنائها ، ولو بعذر شرعي كالسفر مثلا ، صارت الأيام التي صامها قبل ذلك نفلا أي تطوعا . ووجب عليه استئنافُ الصيام من جديد ، وذلك لانقطاع التتابع فيها .

ومثل هذا أيضا إذا جاء رمضان خلال الصوم لأيام الكفارة ، لأن صوم رمضان مفروض عليه ، فإذا جاء رمضان كما ذكر السائل بعد سبعة وخمسين يوما كان ما صامه قبل ذلك تطوعا . وصام رمضان الذي أقبل عليه ، لأنه مفروض عليه . ثم يلزمه أن يعود لصوم الكفارة بعد ذلك .

ولا يقال في هذا إنه تشديد . لأن الواجب كان يقضي على الصائم أن يختار الوقت المناسب لقضاء الكفارة . فلا يجعل هذا الوقتَ متداخلا مع واجب آخر ، أو شيء آخر يفسد صيامَ الكفارة .

كما أن الصائم إذا لم يستطع أن يصوم الكفارة بسبب مشقة شديدة ، ونحوها، كان له أن ينتقل إلى الوسيلة التالية للكفارة ، وهي إطعام ستين مسكينا .

والذي يصوم الكفارة ستين يوما عليه أن يختار الوقت الكافي لهذا الصوم ، بحيث لا يقع بين الأيام الستين شهرُ رمضان ، ولا يومٌ من أيام العيديـن والتشريق . وبخاصة أن الله تبارك وتعالى لا يطالبه بالكفارة فورا . بل يجوز له التأخير حتى يجد الوقتَ المناسب لأداء الكفارة .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

المواصلة في الصوم

السؤال : **يوجد رجل لا يفطر من صومه عند الغروب كما يفعل الناس ، بل يصل اليوم بلاحقه في الصوم ، دون أن يتناول طعاما يقيم صلبه أو يكفيه ، فما حكم ذلك التصرف في الإسلام ؟**

الجواب :

إن الوصال في الصوم من الأشياء المختلَف فيها ، فبعضهم أجازه إن قَدَر الصائم عليه ، وبعضهم أجازه من السحور الى السحور فقط ، ولكن الذي تميل إليه النفس ويطمئن له قلب المسلم هو الرأي الثالث ، وهو أنه لا يجوز الوصال لأنه حرام ، وذلك لقول الرسول : « إذا أقبل الليل من ههنا ، وأدبر النهار من ههنا ، فقد أفطر الصائم » . وقوله « لا تزال أمتي على الفطرة ولا تزال أمتي بخير ما عجلوا الفطر » . فإن قيل : كيف هذا وقد كان الرسول صلوات الله وسلامه عليه يواصل في صومه ؟ قلنـا إن هذا الوصال من خصوصيات رسول الله، فقد أعطاه الله من قوة الروح والبدن ما لم يعط سواه، وطالبه ربه بتبعات أوسع وأكبر من تبعات سواه . ولقد نهى الرسول صحابته عن الوصال فسألوه ، ولكنك تواصل ؟ فأجاب : لستُ كهيئتكم ، إني أظل عند ربي يطعمني ويسقيني ؛ ومعنى إطعام الله وسقيه له أنه صلوات الله

وسلامه عليه كان يُقْبِل بكليته على ربه وهو صائم ، فيجد من صلته بربه وانغماره في أنوار معارفه ولطائفه لذةً تغنيه عن الطعام والشراب ، وفي « زاد المعاد » عبارة جميلة بليغة تصوِّر هذا فتقول :

« المراد به ما يغذيه اللهُ به من المعارف . وما يُفيض على قلبه من لذة مناجاته ، وقرة عينه بقُربه . وتنعُّمه بحبه والشوق إليه ، وتوابع ذلك من الأحوال التي هي غذاء القلوب ونعيم الأرواح . وقرة العين وبهجة النفس والروح والقلب ، بما هو أعظم غذاءٍ وأجوده وأنفعه . وقد يقوى هذا الغذاء حتى يُغني عن غذاء الأجسام مدةً من الزمان كما قيل :

لهـا أحاديثُ من ذكراك تشغلهـا عن الشراب وتُلهيهـا عن الزادِ
لهـا بوجهك نورٌ يستضاء بـه ومـن حديثـك في أعقابها حادِ
إذا شكت من كَلالِ السير واعدَها روحُ القدوم فتحيـا عند ميعاد

ومن له أدنى تجربة وشوق يعلم استغناءَ الجسم بغذاء القلب والروح عن كثير من الغذاء الحيواني ، ولا سيما المسرور الفرحان الظافر بمطلوبه . الذي قد قرت عينُه بمحبوبه ، وتنعّم بقربه والرضا عنه ، وألطافُ محبوبه وهداياه وتُحَفُه تصل إليه كلَّ وقت ، وحبيبُه حفيٌ به معتز بأمره مكرم له غاية الإكرام ، مع المحبة التامة له ، أفليس في هذا أعظم غذاء لهذا المحب ، فكيف بالحبيب الذي لا شيء أجل منه ولا أعظم ولا أجمل ولا أكمل ، ولا أعظم إحسانا إذا امتلأ قلب المحب بحبه ، وملَكَ حبُّه جميعَ أجزاء قلبه وجوارحه ، وتمكن حبه منه أعظمَ تمكن ، وهذا حاله مع حبيبه يطعمه ويسقيه ليلا ونهارا ، ولهذا قال : إني أظل عند ربي يطعمني ويسقيني ؛ ولو كان ذلك إطعاما للفم لما كان صائما فضلاً عن كونه مواصلا » .

تلك حال للرسول لا يسمو إليها جمهور المسلمين ، فلا تواصل في صومك ، ولا تشدد على نفسك ، فإن الله بالناس لرؤوف رحيم .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

درجات الصوم

السؤال : **هل للصوم درجات ؟ وما هي تلك الدرجات ؟**

الجواب :

نعم للصوم درجات . فمن الناس مَنْ يصوم عن الطعام والشراب فحسب . وهذه أقل درجات الصوم . ومن الناس مَنْ يصوم عن الطعام والشراب والأعمال السيئة والأقوال الرديئة . وتلك درجة أعلى من سابقتها . وهناك صفوة يصومون عن الطعام والشراب وسوء الأعمال ومنكرات الأقوال ، وتصوم قلوبهم عن منحرف الأهواء وتصوم خواطرهم عما سوى ربهم ، وتلك نهايةٌ عليا في الصوم . والإمام الغزالي يجعل الصومَ ثلاث درجات . صوم العموم ، وهو كفُّ البطن والفرج عن قضاء الشهوة . وصوم الخصوص وهو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام . وصوم خصوص الخصوص ، وهو صوم القلب عن الهِمَم الدنية والأفكار الدنيوية . وكفُّه عما سوى الله عز وجل بالكلية . وقد أطال الحديثَ عن كل نوع من هذه الأنواع بأسلوب فيه بيان وإحسان ، فليُرْجع إليه في كتاب « الإحياء » .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

أخلاق الصائم

السؤال : **هناك شخص يتعلل بالصوم ، فيتفوه بألفاظ بذيئة ، ويقول : « أنا معذور ، لأنني صائم » وقد تتطلع عينه إلى محرمات ويقول : « إنه يتسلى » . فهل يليق هذا منه ؟**

الجواب :

إن رمضان موسم عظيم من مواسم الطاعة والعبادة والتطهير الحسي والنفسي ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يُكثر من العبادة في رمضان ،

ويحث على فعل الخير والاجتهاد في الطاعة خلاله ورُوي أن جبريل عليه السلام كان يأتي إلى النبي في رمضان ، ليدارسه القرآن ، ليقوى حفظ النبي لآياته .

والنبي عليه الصلاة والسلام قدوة للمسلمين ، فشأن المسلم في رمضان أن يتلو القرآن . ويصلي لربه ويذكره ، ويزداد علما وفقها في أمور دينه ودنياه . وأن يتحلى بالفضائل ، ويتباعد عن الرذائل ، لا أن يضيع وقته ، ويخدش صومه ، ويشوه أخلاقه ، بالجلوس على المقاهي ، ولعب القمار الذي حرمه الإسلام وحذر منه ، وتتوقح نظرته المتطلعة إلى أجسام الغاديات والرائحات من النساء ويعلق عليها بألفاظ نابية جارحة ، والرسول يقول : « الصيام جُنّة » – أي وقاية – فإذا كان أحدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل – أي لا يتكلم بكلمات نابية أو منحرفة – فإن امرؤ قاتله أو شاتمه ، فليقل : إني صائم إني صائم » .

والله تبارك وتعالى يقول عن الإنسان : « ما يلفظُ مِنْ قَولٍ إلاّ لَدَيه رقيبٌ عتيدٌ » . أي مراقب وصاحب يرقب فعله وقوله ، ويكتب كل ذلك ليحاسبه الله عليه ، والنبي صلوات الله وسلامه عليه يقول : « إن الله عند لسان كل قائل ، فليتق الله عبدٌ ، ولينظر ما يقول » .

فالواجب على الصائم أن يمنع لسانه من الكذب وقول الزور والكلام البذيء السيء ، لأن الحديث النبوي يقول : « من لم يدع قولَ الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » . ويقول : « ليس الصيام من الطعام والشراب ، وإنما الصيام من اللغو والرفث – أي الكلام الباطل القبيح – فإن سابّك أحد أو جَهِلَ عليك ، فقل : إني صائم ، إني صائم » .

ولذلك قال الفقهاء إنه لا ثوابَ لصائم عن الطعام والشراب وارتكب هذه الآثام .

وتحديق النظرة الوقحة في أجسام الغاديات والرائحات من النساء لا يجوز صدوره من المسلم المؤدب ، ومن باب أولى لا يجوز صدوره من الصائم الذي

يجب أن يحرص على أن يجعل صومه سليما مقبولا عند الله ، ولعله يتذكر حين يزين له الشيطان أن يتوقح في نظراته الحديثَ النبوي القائل : « النظرة سهم من سهام إبليس ، من تركها مخافةَ الله أعطاه الله إيمانا يجد حلاوته في قلبه » .

كما أن الصوم يعلّم الإنسانَ الصبر والاحتمال ، فالذين يتعللون بالصوم في تضايقهم واندفاعهم وثورة ألفاظهم يضيعون ثمرةَ الصيام وحكمته ، وكان اللائق بهم أن يزدادوا مع الصيام هدوءا وحكمة ورزانة ، والله مع الصابرين .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الصوم والنفاس

السؤال : **إذا وضعت المرأة مولوداً قبل حلول شهر رمضان ، فهل يجوز لها أن تصوم الشهر الكريم ؟**

الجواب :

أجمع أئمة المسلمين على أنه لا يجوز الصوم للحائض والنفساء ، أي المرأة التي يوجد عندها الحيض ، أو يوجد عندها النفاس ، والنفاس هو الدم الذي ينزل عقب الولادة ، بل يكون الصوم حراماً عليهما ، ويجب عليهما الفطر ، ولو صامتا وهما في إحدى هاتين الحالتين لوقع صومهما باطلاً ، ويجب عليهما قضاء ما صامتاه في أثناء الحيض أو النفاس . وكذلك أجمع علماء المسلمين على أنه لو عرض النفاس أو الحيض للمرأة في أثناء صيامها فإن صومها يبطل . ولو حدث ذلك قبل غروب الشمس بلحظة أي زمن يسير جـــدا .

ويجب على المرأة التي جاءها النفاس في أيام رمضان ، أو قبله وامتد حتى دخل رمضان ، أن تقضي بعد انتهاء نفاسها ما فاتها من أيام رمضان .

والنفاس في اللغة هو الولادة ؛ ولكنه يطلق في اصطلاح الشرع على الدم الذي يخرج من فرج المرأة عقب الولادة ، وأقل مدة النفاس لحظة كما قال بعض الأئمة ، وأكثر مدة للنفاس ستون يوما . والغالب فيه أربعون يوما ؛ ولعل هذا هو المراد من الحديث المروي عن السيدة أم سلمة رضي الله تعالى عنها ، وهو : « كانت النفساء تجلس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين يوما » . فقد قالوا في شرح هذا الحديث : إن ذلك محمول على الغالب .

ومما سبق يتضح الجواب عن السؤال ، فإذا كانت المرأة المسؤول عنها قد وضعت قبل رمضان ، واستمر معها نفاسها إلى أن دخل رمضان ، فإنه لا يجوز لها أن تصوم ، حتى ينتهي نفاسها وتصبح طاهرة صالحة للصوم ، وإذا كانت ولادتها قد سبقت رمضان وانتهى نفاسها قبل دخول شهر الصوم وطهرت منه فإنها تصوم ، .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

استهتار المفطرين

السؤال : نلاحظ أن عدداً كبيراً من الناس لا يصومون ، ويتظاهرون بالإفطار أمام الصائمين ، فما كلمة الدين في هؤلاء ؟

الجواب :

من المظاهر السيئة والعادات القبيحة والذنوب الكبيرة إفطارُ بعض المسلمين في رمضان ، والظهور بهذا الإفطار في الشوارع أو الدواوين أو غيرها ، دون مراعاة لحق الله أو حرمة رمضان أو شعور الصائمين ؛ والإفطار في ذاته ذنب ومعصية ، لأن صوم رمضان ركن وفريضة ، ولكن هذه المعصية تكون أكبر وأفحش إذا أعلنها صاحبها وجاهَرَ بها ، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : « كل أمتي معافىً إلا المجاهرين »

ولا وجه لاعتذار المفطر المُظْهر لفطره بأنه ما دام مفطراً عاصيا فلا داعي

للاستتار أو الإخفاء ، وذلك لأن هناك فرقاً بين المعصية التي لا تظهر ، والمعصية التي يجاهر بها صاحبها ، لأنه في حالة المجاهرة يجرِّىء غيرَه عليها ، وإذا فشت الخطيئة وظهرت سهل أمرها على هذا وذاك وذلك من الناس ، ولذلك يقول الله تعالى : « إنَّ الذينَ يُحِبُّونَ أنْ تَشِيعَ الفاحشةُ في الذينَ آمَنُوا لَهُمْ عذابٌ أليمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخرةِ ، واللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ » .

ويقول الأثر الاسلامي الحكيم : « إذا بُليتم فاستتروا » . ومن القواعد الإسلامية أن ذنب السر أخفُّ من ذنب العلن ، وإن كان الإنسان في الحالتين عاصيا ومؤاخَذا ، وذلك لأن الإسلام يحرص على سلامة المجتمع وشعور الناس ، ويحول دون تعريض الصالحين للجرأة على السيئات والآثام . وعلى الهيئة الاجتماعية بولاة أمورها وذوي الاختصاص فيها ، أن يمنعوا هؤلاء المفطرين الساخرين بمشاعر الصائمين في تحدٍّ وجرأة ، وإذا لم يستجيبوا لواجب الدين بالصوم فلا أقل من امتناعهم عن هذا الإيذاء السافر لشعور الناس ، والله تعالى يقول : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثمِ والعدوانِ » .

ويقول الرسول : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وهذا أضعف الإيمان » .

وليتذكر هؤلاء الآثمون قولَ النبي صلى الله عليه وسلم : « اتقوا شهر رمضان ، فإنه شهر الله ، أن تفرطوا فيه ، فقد جعل الله لكم أحد عشر شهرا تنعمون فيها ، وجعل لنفسه شهر رمضان فأحذروا شهر رمضان » . أي احذروا التفريطَ فيه والاستخفاف بحرمته .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

سنة الاعتكاف

السؤال : **ما هو الاعتكاف ؟ وكيف يقوم المسلم به ؟**

الجواب :

الاعتكاف سنة إسلامية تكاد تكون مهجورةً من المسلمين . مع أن لها ثمرتها النفسية وثمرتها الحسية . وقد نكون في عصرنا المادي أحوجَ من غيرنا إلى هذا الاعتكاف ، نأتيه من حين إلى حين ، لنخفف من غُلواء المادية ، ولنوقظ في نفوسنا الجوانبَ الروحية ، ولنوثق صلتنا بالله خالقنا جل جلاله ، حتى نعود إلى دنيانا بعزم جديد . فيه للدنيا نصيب . وللآخرة نصيب : « وابتغِ فيما آتاكَ اللهُ الدارَ الآخرةَ ولا تنسَ نصيبكَ منَ الدنيا » .

والاعتكاف في اللغة يطلق على المكْث والاستقامة ولزوم الشيء وحبس النفس عليه ، وأما معناه شرعا : فهو المكث في المسجد وقتاً ما . من المسلم المميِّز الطاهر . بنية التقرب إلى الله تعالى . وقد يُسَمّى : جوارا .

وقد اتفق الفقهاء على مشروعية الاعتكاف . وذكر ذلك النووي والشوكاني وقال ابن العربي : إنه سُنة مؤكدة . وقال ابن بسطال : في مواظبة النبي صلى الله عليه وسلم ما يدل على تأكده . وقال أبو داود عن أحمد : ولا أعلم عن أحد العلماء خلافاً في أنه مسنون . وقال الشوكاني : واعلم أنه لا خلاف في عدم وجوب الاعتكاف ، إلا إذا نَذَرَ به .

وأما حكمة الاعتكاف فقد صوَّرها ابن القيم في « زاد المعاد » بهذه العبارة :

« لما كان صلاح القلب واستقامته على طريق سيره إلى الله تعالى متوقفا على جمعيته على الله ولمّ شَعَثه [1] . بإقباله بالكلية على الله تعالى فإن شعث القلب لا يلمه إلا الإقبال على الله تعالى . وكان فضول الطعام والشراب . وفضول مخالطة الأنام . وفضول المنام ، مما يزيده شَعَثاً ، ويشتته في كل واد . ويقطعه

---

(١) الشَعَث : ما تفرق من الأمر ، والشعث : انتشار الشعر وتغيره لقلة التعهد . وتشعث القوم : تفرقوا . انظر الأساس ، ومعجم مقاييس اللغة .

عن سيره إلى الله تعالى . أو يضعفه أو يعوقه ويوقفه . اقتضت رحمة العزيز الرحيم بعباده أن شَرَّع لهم من الصوم ما يذهب فضول الطعام والشراب . ويستفرغ من القلب أخلاطَ الشهوات المعوقة له عن سيره إلى الله تعالى . وشَرَعَه بقدر المصلحة . بحيث ينتفع به العبد في دنياه وأخراه . ولا يضره . ولا يقطعه عن مصالحه العاجلة والآجلة . وشرع لهم الاعتكاف الذي مقصودُه وروحه عكوفُ القلب على الله تعالى وجمعيته عليه والخلوة به . والانقطاع عن الاشتغال بالخَلْق والاشتغال به وحده سبحانه . بحيث يصير ذكره وحبُّه والإقبال عليه في محل هموم القلب وخطراته . فيستولي عليه بَدَلَها . ويصير الهمُّ به كله . والخطرات كلها بذكره . والفكرة في تحصيل مراميه وما يقرِّب منه . فيصير أنسُه بالله بدلا عن أنسه بالخَلْق . فيُعده بذلك لأنسه به يوم الوحشة في القبور . حين لا أنيس له . ولا ما يفرح به سواه . فهذا مقصود الاعتكاف الأعظم » [١] .

والحديث المتفق عليه المروي عن ابن عمر رضي الله عنهما وهو : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف العشر الأواخر من رمضان ». يفيد مداومة الرسول صلوات الله وسلامه عليه للاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان . وهذا يدل على استحباب مداومة الاعتكاف في هذه العشر التي كان النبي يعتكفها حتى توفاه الله . وقد حدث أن ترك النبي الاعتكافَ فيها مرة لبعض الأسباب . فقضى اعتكافَه في شوال . ولما كان في السنة التي مات فيها اعتكف عشرين يوما . وكأنه أراد بهذا أن يستزيد من صالح الأعمال وهو على مقربة من لقاء ربه .

---

(١) ذكر ابن القيم بعد هذا أن مقصود الاعتكاف يتم بالصوم ، ولذلك كان الاعتكاف في أفضل أيام الصوم ، وهي ثلث رمضان الأخير ، وذكر أن الله شرع للأمة حبس اللسان عن كل ما لا ينفع في الدنيا والآخرة ، وذلك لمقاومة فضول الكلام ، كما شرع لمقاومة فضول المنام قيام الليل ، وهو السهر المتوسط الذي ينفع القلب والبدن ، ولا يعوق عن مصلحة العبد ، ثم قال : « ومدار رياضة أرباب الرياضات والسلوك على هذه الأركان الأربعة – الاعتكاف والصوم والصمت والقيام – وأسعدهم بها من سلك فيها المنهاج النبوي المحمدي ، ولم ينحرف انحراف الغالين ، ولا قصر تقصير المفرطين » : انظر كتاب « زاد المعاد » ج١ ص ١٧٠ و ١٧١ . طبعة الحلبي سنة ١٣٤٧ ه .

ويُروى في السنة أن النبي عليه الصلاة والسلام أراد أن يعتكف مرة ، فأمر بخباء له فأقاموه — والخِباء خيمة صغيرة تكون لشخص — فأمرت زوجتُه زينب بخبائها فضُرِبَ (أي أقيم) ، وأمرت غيرُها من أزواج النبي بخبائها فضرب ، فلما صلى رسول الله الفجر نظر فرأى الأخبية ، فقال مستفهما منكرا : « البرَّ يُرِدْنَ ؟ انزعوها فلا أراها » . وأمر بخبائه فقوِّضوه ، وترك الاعتكاف في هذا الشهر ، واعتكف في العشر الأواخر من شوال

ولعل السبب في ذلك أنه خشي أن يكون الدافع للزوجات إلى ذلك هو المباهاة ، أو التنافس على القرب منه ، فيبعد الاعتكاف من موضوعه ، أو لأنه خشي أن يكون اجتماع النسوة عنده يجعله كالجالس في بيته ، وربما شغله ذلك عن التفرغ للاعتكاف ، أو لأنهن ضيَّقن المسجدَ بأخبيتهن .

وقد روى مسلم وأحمد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيرها ، والمقصود طبعا هو الاجتهاد في العبادة والتقرب إلى الله ، وعن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا دخل العشر الأواخر أحيا الليل ، وأيقظ أهله ، وشد المئزر . وإحياء الليل معناه أنه يسهر فيه فيحييه بالطاعة ، ويحيي نفسَه بالسهر فيه للعبادة ، وكان النبي يوقظ أهله للصلاة . وعن أم سلمة قالت : « لم يكن صلى الله عليه وسلم — إذا بقي من رمضان عشرة أيام — يَدَعَ أحداً من أهله يطيق القيام إلا أقامه » .

وشَدُّ المئزر : يراد به اعتزال النساء ، وقد يراد به الجد في العبادة ، كما يقول القائل : شددتُ لهذا الأمر مئزري ، أي شمرتُ له ، أي اجتهدت فيه ، ويحتمل أن يكون المراد التشمير والاعتزال معا ، فهو يشد مئزره فعلاً باعتزال النساء ، ويشمر أيضا للاجتهاد في العبادة .

وهناك الحديث المروي عن نافع — كما رواه مسلم — وفيه يقول نافع : « قد أراني عبد الله المكان الذي كان يعتكف فيه النبي صلى الله عليه وسلم » . ومعنى هذا أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان له مكان معيَّن في المسجد ، يعتكف فيه ويعتاد الاعتكافَ فيه، وفي هذا دليل على جواز اتخاذ المعتكف

لنفسه موضعا في المسجد ، ينفرد فيه مدةَ اعتكافه ، وجواز تكرار الجلوس فيه خلالَ اعتكافه المتكرر ، ما لم يضيِّق على الناس ، وما لم يكن القصد من ذلك هو لفت الابصار ، أو الاستجابة لشهوة المراءاة . وقد استحسن بعض الفقهاء أن يكون المكان المتخذ للاعتكاف في آخر المسجد ورحابه ، حتّى لا يضيق المعتكفُ على غيره ، وليكونْ ذلك أعونَ على الخلوة والانفراد .

وحكم الاعتكاف أنه سنة ، إذا أتاه المسلم تطوعاً ، وتقربا من الله ورجاء لثوابه ، واقتداء برسوله . ويصبح سنة مؤكدة في العشر الأواخر من رمضان، لمداومة الرسول على الاعتكاف فيها ، ويصير واجباً إذا نذره الإنسان وأوجبه على نفسه ، لأن الرسول صلوات الله وسلامه عليه يقول : « من نذر أن يطيع الله فليطعه » . وفي الحديث أن عمر قال : يا رسول الله إني نذرت أن أعتكف ليلةً في المسجد الحرام . فقال له النبي : « أَوْفِ بنذرك » . وكذلك يجب على المرء أن يقضي الاعتكافَ إذا نذره وشرع في أدائه ثم أفسده أو قطعه قبل إتمامه .

ويشترط في الاعتكاف : الإسلام والتمييز والطهارة من الجنابة والحيض والنفاس .

وأما عن مكان الاعتكاف فقد قال فريق من الفقهاء : يصح الاعتكاف في كل مسجد ، دون تفريق بين مسجد ومسجد . وقال فريق ثان . يصح في كل مسجد تُصلّى فيه الصلوات الخمس وتقام فيه الجماعة . وقال فريق ثالث : الأفضل أن يكون في المسجد الجامع . وأجاز بعض الفقهاء للمرأة أن تعتكف في مسجد بيتها ، وهو المكان المعد لصلاتها .

وليس للاعتكاف وقت معين ، فهو يتحقق ولو كان يوما أو ساعة من زمان . قال يعلى بن أمية : إني لأمكث في المسجد ساعةً ولا أمكث إلا لأعتكف . وقال عطاء : هو اعتكاف ما مكث في المسجد ، وإن جلس في المسجد احتسابَ الخير فهو معتكف ، وإلا فلا .

وبعض الفقهاء يرى أنه لا اعتكاف إلا بصوم ، فيكون الصوم مع

الاعتكاف ، وإلا لم يصح الاعتكاف ، ويذكر ابن القيم أنه لم يُنقل عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه اعتكف مفطرا قط . وقالت السيدة عائشة : لا اعتكاف الا بصوم . ولذلك رجح ابن القيم أن الصوم شرط في الاعتكاف . ولكن بعض الفقهاء قال : إن اعتكف المرء من غير صوم أجزأه ، وبعضهم قال : إن شاء صام في الاعتكاف ، وإن شاء أفطر . وبعضهم قال : إن صام فحسن، وإن لم يصم فلا شيء عليه .

ونستطيع أن نستدل على عدم اشتراط الصوم في الاعتكاف بما سبق من قول عمر للنبي - إني نذرت أن أعتكف ليلةً في المسجد الحرام ، ورد النبي عليه بقوله : « أوف بنذرك » . فوافق الرسول على اعتكافه ليلة ، والليل ليس فيه صوم ، فدلَّ ذلك على أن الاعتكاف لا يشترط فيه الصوم .

* * *

ويستحب للمعتكف أن يشغل نفسه بالصلاة ، وتلاوة القرآن ، والتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير ، والاستغفار ، ويُكثر من نوافل العبادات ، والصلاة والسلام على رسول الله ، ويدعو بما يحتاج إليه . ومما يتصل بهذا دراسةُ علوم الدين واستذكار كتب التفسير والحديث والفقه والسير ونحو ذلك . وليس للاعتكاف ذِكْر مخصوص أو دعاء معيّن . فيستطيع الإنسان أن يدعو بما يشاء .

ويجوز للمعتكف التنظيف والغسل والحلق والتطيب وترجيل الشعر . وقد ثبت أن عائشة كانت ترجِّل النبي – وهي حائض – وهو معتكف في المسجد، وهي في حجرتها ، يناولها رأسه ، والجمهور على أنه لا يكره في الاعتكاف إلا ما يكره في المسجد .

ويباح للمعتكف الأمور التالية :

١ – الخروج من المسجد لواجب أو لحاجة ، كالذهاب إلى المرحاض أو الغسل أو التطهر .

٢ ــ الأكل والشرب والنوم في مكان الاعتكاف ، بشرط المحافظة على النظافة والصيانة .

٣ ــ تنظيف البدن ولبس الثياب الحسنة أو الجديدة ونحوها .

٤ ــ عقد العقود ، كعقد الزواج ، وعقد البيع والشراء ونحوها .

والزوجة تستأذن زوجها إذا أرادت الاعتكاف ، لأنه غير واجب ، وإذا أذن لها فلا ينبغي له أن يمنعها بعد الأذن ، وقد قرر بعض الفقهاء أنه ليس له منعها بعد إذنه لها .

ويبطل الاعتكاف بأحد الأمور التالية :

١ ــ الخروج من المسجد لغير حاجة .

٢ ــ ذهاب العقل بجنون أو سُكر .

٣ ــ ذهاب الطهارة بالحيض والنفاس .

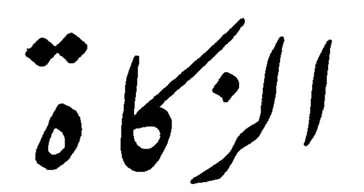
٤ ــ مباشرة النساء .

* * *

أما بعد ، فإن الاعتكاف سنة إسلامية مهجورة ، نسيها الكثيرون من المسلمين ، وانصرفوا عنها مع أنهم اليوم بحاجة إليها . وقد سألني سائل في إحدى الندوات فقال : وهل يلتئم الاعتكاف مع شواغل الحياة المعاصرة وطلباتها الكثيرة ؟ فأجبته : نعم إن الاعتكاف يتواءم مع هذه الحياة ؛ بل لعله يجب أحيانا في هذه الحياة ، لأن المادية الطاغية اليوم تحتاج إلى تخفيف وتلطيف بنسمات روحية . وقد عرفنا أن الاعتكاف لا يشترط فيه وقت معين ، وأنه يمكن أن يكون مطالعةً في كتب دينية ، وما أحوج الشخص الكثير الشواغل والأعمال إلى لحظات يقضيها في رحاب الاعتكاف ، ليستجم ويهدأ ، وليعود إلى الحياة قويا موفور النشاط.ولنهتد بهدي الرسول وليكن لنا فيه خير قدوة . والله يهدي العاملين .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *


الزكاة



زكاة العملة الذهبية

السؤال : أنا أحتفظ بنقود ذهبية لأنتفع بها عند الضرورة ، فهل يجب عليها زكاة ؟

الجواب :

تجب الزكاة في الذهب إذا بلغ عشرين مثقالا ، أي دينارا، وهذا يساوي أحد عشر جنيها مصريا ، ونصفا ورُبعا وثُمنا ، أو اثني عشر جنيها إنجليزياً وثُمن جنيه ، فإذا كان هذا المقدار عند الإنسان ، ومرّ عليه عام وهو حائز له ، أخرج عنه في الزكاة ربعَ عُشره ، ولا فرق بين أن يكون الذهب مضروبا أو غير مضروب .

والسائل يستطيع أن يستغل هذه النقود الذهبية في تجارة ، أو شراء بيت يستفيد منه ، أو شراء قطعة أرض يستغلها أو نحو ذلك ، بدل أن يحبسها جامدةً عنده دون استثمار أو فائدة .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الزكاة والضريبة

السؤال : هل تغني الضريبة التي يدفعها الفرد إلى الدولة عن الزكاة التي تجب عليه في ماله ؟

الجواب :

الزكاة فرض من فروض الإسلام ، أوجبه الله على عباده القادرين ، وحدّد المصارفَ التي تُصرف فيها الزكاة ، تكفلت السنةُ النبوية ببيان مقاديرها في المصادر المختلفة التي تجب فيها الزكاة . وأما الضريبة فهي مقادير مالية تحددها الدولة ، وتطالب بها الأفرادَ ، كل في دائرة طاقته واختصاصاته ، والدولة تجمع هذه الضرائب لتنشىء بها المصالح العامة ، كالمدارس والمستشفيات

والمصانع والطرق والأسلحة وغيرها ، وهذه الضرائب تزيد وتنقص حسب ظروف الحرب والسلم ، وحسب حاجة الأمة ووفرة مال الدولة أو قلته .

وللزكاة مقادير معينة لا تتغير ، وهي حق الفقراء والمساكين ونحوهم ، ممن لا تخلو منهم أمة في الغالب ، أما الضرائب فحق الدولة ، ولا يتيسر لها مباشرة وظائفها بدون هذه الضرائب التي يجب أن تحرص على أن تكون عادلة في تحديدها وإنفاقها .

وعلى هذا لا تغني الضرائب عن دفع الزكاة ، كما أن إخراج الزكاة لا يُعفي من مطالبة الدولة للفرد بالضرائب عند لزومها .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

بناء المساجد من الزكاة

السؤال : يوجد عند إنسان مسلم مبلغ من المال ، هو المقدار المستحَق عليه الزكاة ، فهل يجوز شرعا أن يعطي هذا المبلغ إعانة لبناء أحد المساجد ؟

الجواب :

جمهور الفقهاء يرى أنه لا يجوز دفع هذا المبلغ إعانة لبناء المسجد ، وذلك لأن بناء المسجد ليس من الاصناف التي ذكر الله سبحانه وتعالى أنها مصارف الزكاة ، وهي المذكورة في قوله تعالى : « إنّما الصدقاتُ للفقراءِ والمساكينَ والعاملينَ عليها والمؤلفةِ قلُوبُهم وفِي الرِّقابِ والغارمينَ وفِي سبيلِ اللهِ وابنِ السبيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللهِ واللهُ عليمٌ حكيمٌ » .

ويرون أن الله تعالى قد وصف الزكاة وسماها بالصدقة ، والصدقة هي جزء من المال تعطيه للمحتاج فيتملكه ، وليس المسجد شخصا صالحا للتملك .

ويفسر جمهور الفقهاء كلمة « سبيل الله » في الآية السابقة بأن المقصود منها هو الجهاد في سبيل الله . ولكن بعض الفقهاء يرى أن هذا تخصيص وتضييق

للمراد من كلمة « سبيل الله » فإن المفهوم من هذه الكلمة هو : الطريق الموصل إلى مرضاة الله ، والجهاد لون من ألوان الوصول إلى رضا الله ، وهو مع جلاله وعظمته لا يمنع أن يكون هناك أنواع أخرى من الوسائل توصل إلى هذا الرضا .

وعلى هذا يكون سبيل الله شاملا لجميع طرق الخير ، ومنها بناء المساجد ، وبناء المستشفيات ، وما أشبه ذلك من أمور الخير والبر ، فلا مانع عند هؤلاء من صرف الزكاة في بناء المسجد . ومن الواجب على المسلم أن يكون حكيما في هذا المجال . فإذا رأى أنه لا ضرورة لإنشاء المسجد في بيئته ، لوجود ما يكفي من المساجد ، فعليه أن لا يدفع زكاته لبناء مسجد جديد ، وإذا رأى أن الحاجة ماسة لبناء المسجد فلا بأس عليه إذا دفع زكاته في بناء هذا المسجد .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

صدقة المهمل للفروض

السؤال : **هل تقبل صدقة الرجل الذي لا يقوم بأداء أوامر الله كالصلاة والصيام وغيرهما من الواجبات الدينية ؟**

الجواب :

الواجب على كل مسلم أن يؤدي الفرائض والواجبات التي فرضها الله سبحانه وتعالى عليه ؛ لكي ينال رضى الله ، وينجو من حسابه وعقابه ، ويفوز بالرحمة والرضوان منه ؛ وكلما كان الذي يؤديه الإنسان من هذه الفروض أكثر كان به أقرب من الله ، وأدنى إلى ثوابه ، ولكنه لا يتوقف أداءُ فريضة على أداء غيرها . فلكل فريضة من الفرائض حقُّها ، ولها ثوابها إذا أداها ، ولها حسابها وعقابها إذا أهملها .

ومن الواضح أن الواجب على المسلم هو أن يلتزم كلَّ ما أمر الله به ، وينتهي عن كل ما نهى الله عنه .

والله تبارك وتعالى أعلم .

• • •

زكاة الزرع

السؤال : **ما هي زكاة الزرع ؟ وما موعدها ؟ وما مقدارها ، وما شروطها ؟**

فرض الإسلام الزكاة كقاعدة من قواعد الإسلام الخمس التي ذكرها الحديث النبوي القائل : « بُني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت من استطاع إليه سبيلا » .

ومن بين الزكاة المفروضة شرعا زكاة الزروع ، وقد استدل الفقهاء على وجوب هذه الزكاة بقول الله تعالى وتبارك في سورة البقرة : « يَا أيُّهَا الذين آمَنُوا أنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ ما كسبتمْ وَمِما أخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الأرضِ » وبقوله في سورة الأنعام : « وَهُوَ الذي أنْشَأَ جنات معروشاتٍ وغير معروشاتٍ ، والنخلَ والزرعَ مختلفاً أكلُهُ ، والزيتونَ والرُّمَّانَ متشابهاً وغيرَ متشابهٍ ، كُلُوا مِن ثمره إذا أثمرَ ، وآتُوا حَقَّهُ يَومَ حَصَادِهِ ، وَلاَ تُسْرِفُوا إنَّهُ لا يُحِبُّ المُسْرِفِينَ » .

وتجب زكاة الزروع في القمح والذرة والأرز والفول والعدس ، وغيره من الزروع والثمار ، لأن الآيات القرآنية الحكيمة دلت على أن الزكاة واجبة في كل ما أخرجته الأرض .

وميعاد زكاة الزرع مرتبط بجمع المحصول من الأرض ، فهي لاتشبه زكاة الذهب والفضة التي يشترط فيها مرور السنة على حيازة المال ، فلو زرعت الأرض أكثر من مرة في السنة وجب إخراج الزكاة عن كل محصول إذا بلغ المحصول النصاب المحددُ للزكاة ، أي بلغ الحد الأدنى الذي تجب فيه الزكاة .

وقد قال الفقهاء إنه يجب إخراج زكاة الزرع عند تهيئة المحصول للاقتيات والادخار ، بتصفية الحب وتقشيره ، وتجفيف التمر ، حتى يكون الكيل أو التقدير مضبوطا .

ومقدار زكاة الزرع هو العشر (أي عشرة في المائة) إذا كانت الأرض تسقى بلا آلة ، وهو ما يسمى عند الفلاحين باسم « السقي بالراحة » أي بلا تعب أو مجهود ، لأن الحديث النبوي يقول : « فيما سقت السماء العشر » والمراد بالسماء هنا ماء المطر ونحوه .

ويجب في زكاة الزرع نصف العشر (أي خمسة في المائة) إذا كانت الأرض تسقى بالآلة كالساقية أو الطنبور أو آلة الري الأخرى . وقد جاء في حديث الرسول عليه الصلاة والسلام : « فيما سقت السماء والعيون ، أو كان عَثَرِياً (أي يشرب بعروقه من باطن الأرض) العشر ، وفيما سُقي بالنضح (أي بآلة السقي) نصف العشر » .

وإذا كانت الأرض تسقى أحيانا بالآلة ، وأحيانا تسقى بالراحة ، فالعبرة بالغالب ، فإن كان الغالب هو السقي بالآلة ، فإن مقدار الزكاة يكون نصف العشر ، وإن كان الغالب هو السقي بالراحة ، فإن مقدار الزكاة يكون العشر ، وإن تساوى الأمران يكون مقدار الزكاة ثلاثة أرباع العشر (أي مقدار سبعة ونصف في المائة) .

والزرع الذي تجب فيه الزكاة له نصاب ، أي مقدار ، أو حد أدنى يبلغه ، أو يزيد عنه ،

والحد الأدنى لنصاب زكاة الزرع — كما ورد في مذهب الإمام مالك — رضي الله عنه — هو خمسون كيلة ، أي أربعة أرادب وكيلتان بالكيل المعروف في بلادنا . وقد استدلوا على ذلك بما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ليس فيما دون خمسة أوساق من تمر ولا حَبٍّ صدقة » والمراد بالصدقة هنا هو الزكاة الواجبة .

و« الأوساق» جمع وَسْق ، والوَسْق ستون صاعا ، والصاع قدح وثلث

قدح ، فالنصاب على هذا هو خمسون كيلة . والخمسون كيلة هي أربعة أرادب وكيلتان .

وإذا كان المحصول يُدَّخر بقشره : كما في الأرز مثلا ، فإن نصاب الزكاة يكون عشرة أوسق ، أي ثمانية أرادب وأربع كيلات .

وعلى مخرج الزكاة أن يقدمها من أوسط درجات المحصول ، فليس بمحتوم عليه شرعا أن يختارها من أحسن المحصول ، ولو فعل ذلك اختياراً لما كان ممنوعا ، ويحرم عليه أن يقدم الزكاة من الدرجة الرديئة في المحصول ، بأن يختار أخبث ما فيه، لأن الله جل جلاله يقول في سورة البقرة: « وَلاَ تَيَمَّمُوا الخبيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ ، وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إلاَّ أَنْ تغمضوا فيه ، وَاعلَمُوا أَنَّ اللهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ » . وعلى الإنسان في هذه الحالة أن يتوسط ، وخير الأمور أوساطها .

وإذا كانت الأرض المزروعة أرضا مستأجرة ، فإن جمهور الفقهاء يقررون أن الزكاة تكون على المستأجر ، لأنه صاحب الزرع والمنتفع بالمحصول ، ولأن الآية الكريمة تقول : « وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ » والمراد بالحق هنا حق الثمر ، أي الزرع الحاصل من الأرض . وكذلك تقول الآية الأخرى : « أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الأَرْضِ » والخارج من الأرض هو المحصول ، وصاحب المحصول هنا هو المستأجر .

ويلاحظ أن زكاة الزرع لا يُعفى منها أن يدفع صاحب الأرض الخراج (والخراج هو المال المقدر على الأرض من جهة الدولة) وهذا هو رأي جمهور الفقهاء ، لأن الزكاة حق ديني ، والخراج حق مدني ، وكل منهما واجب . وبعض الفقهاء يرى أن الخراج المدفوع على الأرض يعفي من الزكاة ، وقال هذا البعض إنه لا يجتمع زكاة وخراج ، ولكن القول الأول أرجح .

وتدفع زكاة الزرع للأصناف والمصارف التي تدفع إليها الزكاة الأخرى ، وهي الأصناف المذكورة في قول الله تبارك وتعالى في سورة التوبة : « إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ والمساكينَ والعَاملينَ عَلَيْهَا والمؤلفةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي

الرقابِ والغارمينَ وَفِي سبيلِ اللهِ وابنِ السبيلِ فريضةً مِنَ اللهِ واللهُ عليمٌ حكيمٌ » .

وليتذكر مخرج الزكاة أن الله تبارك وتعالى شرع الزكاة لتكون طهرة للمال من جهة ، وبركة فيه من جهة ثانية ، وتحقيق التعاون والتراحم بين الناس من جهة ثالثة ، والله جل جلاله يعد بالمضاعفة العظيمة لمن أطاع واستجاب فيقول في سورة البقرة : « مثلُ الذينَ ينفقونَ أموالَهُمْ في سبيلِ اللهِ كمثلِ حبةٍ أنبتتْ سبعَ سنابلَ في كلِّ سنبلةٍ مائةُ حبةٍ ، واللهُ يضاعفُ لمن يشاءُ ، واللهُ واسعٌ عليمٌ » . ويقول في سورة الحديد : « مَنْ ذا الذي يقرضُ اللهَ قرضاً حسناً فيضاعفهُ لهُ وله أجرٌ كريمٌ ».ويقول في سورة البقرة : « من ذا الذي يقرضُ اللهَ قرضاً حسناً فيضاعفهُ له أضعافاً كثيرةً واللهُ يقبضُ ويبسُطُ وإليه ترجعونَ » .

والله تبارك وتعالى أعلم .

• • •

زكاة الحلي عند المرأة

السؤال : هل تجب الزكاة على الحلي التي تستعملها المرأة من الذهب والفضة ؟

الجواب :

روى أصحاب السنن عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنهم أن امرأة أتت النبي صلى الله عليه وسلم ومعها بنت لها ، وفي يد ابنتها مَسَكتان غليظتان من ذهب (والمَسَكة بفتح الميم والسين هي السوار) . فقال لها : أتعطين زكاة هذا ؟ قالت : لا . قال : أيسرك أن يسوِّرك الله بهما يوم القيامة سوارين من نار (أي لعدم زكاتهما) فخلعتهما فألقتهما إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وقالت : هما لله ولرسوله (أي لإنفاقهما في سبيل الله) .

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت : كنت ألبس أوضاحا من ذهب

(والوَضَح بفتح الواو والضاد هو الخلخال لوضوحه وبياضه) فقلت : رسول الله ، أكنز هذا ؟ فقال : ما بلغ أن تؤدَّى زكاته فزُكي فليس بكنز . رواه أبو داود والحاكم .

وكذلك روي عن عائشة رضي الله عنها قالت : دخل عليَّ النبي صلى الله عليه وسلم فرأى في يدي فتخات من ورِق (والفتخة بفتح الفاء والتاء هي الخاتم الكبير من الفضة) فقال : ما هذا يا عائشة ؟ قلت : صنعتهن أتزين لك يا رسول الله . قال : أتؤدين زكاتهن ؟ قلت : لا . قال : هو حسبك من النار . رواه أبو داود والحاكم .

وقد ذهب بعض الأئمة – استناداً إلى هذه الأحاديث – إلى وجوب إخراج الزكاة عن الحلى التي تلبسها المرأة أو تمتلكها ، وذهب ابن حزم إلى أن الزكاة واجبة في حلي الذهب والفضة ، سواء أكانت حلى رجل أم حلى امرأة ، وكذلك حلية السيف والمصحف والخاتم ، وكل مصنوع من الذهب والفضة ، حلَّ اتخاذه أم لم يحل .

ولكن الترمذي حكم بضعف السند في الحديث الأول لوجود ابن لهيعة فيه ، وكذلك قال بعض الأئمة إن الأحاديث السابقة قيلت قبل حِلٍّ الذهب للنساء ، أو من باب التزهيد في الزينة .

وكذلك رُوي عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن ابن عمر كان يحلّي بناته وجواريه بالذهب ، ثم لا يُخرج منه الزكاة . رواه مالك والشافعي . وكذلك روى البيهقي والشافعي عن عمر بن دينار رضي الله عنهما قال : سمعت رجلا يسأل جابر بن عبد الله على الحلى : أفيه زكاة ؟ قال : لا . قال : وإن كان يبلغ ألف دينار ؟ قال : وإن كثُر .

وكذلك روى الدارقطني أن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما كانت تحلي بناتها الذهب نحو خمسين الفاً ولا تزكيه .

وكذلك روى مالك أن عائشة كانت تلي بنات أخيها يتامى في حجرها ، لهن الحلى فلاتخرج منه الزكاة .

ولذلك ذهب الشافعية والمالكية والحنابلة إلى أن الزكاة غير واجبة في الحُلَى التي تستعملها المرأة كالقرط والخاتم والسوار والخلخال ونحوه ، وجاء في المذهب الحنبلي أنه لا زكاة في الجواهر التي يُتحلى بها كالماس واللؤلؤ والمرجان. ويروى عن أنس رأي ثالث ، وهو أن الزكاة تجب في الحلى مرة واحدة ، ثم لا تجب بعد ذلك .

وهذا كله يقال طبعا في حلي التزين ، أما إذا كان الحلي للاتجار فيها ، كما إذا اشترت المرأة الحلى ، وتاجرت فيها ، فإنها في هذه الحالة تجب فيها الزكاة وتعد من عروض التجارة .

والنفس تطمئن إلى أن حلى المرأة إذا كانت للزينة ، وكانت في قيمتها لا تزيد عن الحد المعروف المألوف لمن في مستواها من مثيلاتها ، فإنها في هـذه الحالة تعد جزءا مما تحتاج إليه المرأة في زينتها ولبسها ، ولذلك لا تجب فيها ، وأما إذا كانت الحُلَى التي توجد عند المرأة أكثر من حاجتها للزينة ، وحازت المرأة هذه الحلى لتتاجر فيها ، أو لتكنزها وتدخرها ، فإن الحلى في هذه الحالة تجب فيها الزكاة .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

زكاة الركاز

السؤال : **ما هو الركاز ؟ وما مقدار الزكاة فيه ؟**

الجواب :

الركاز عند أهل الحجاز هو كنوز الجاهلية المدفونة في الأرض ؛ والركاز عند أهل العراق هو المعادن التي تُستنبط من جوف الأرض ، القولان يحتملهما المعنى اللغوي لكلمة الركاز ، لأن كُلاً منهما مركوز في الأرض ، أي ثابت . وقيل إن الركاز هو ما كان من مال أهل الجاهلية أو الزمن القديم فقط .

والحديث الشريف يقول : «وفي الركاز الخُمْس» . ويذكر ابن الأثير أن هذا الحكم خاص بكنوز الجاهلية ، لكثرة نفعها وسهولة أخذها .

والركاز إنما يكون ركازاً إذا عثر عليه صاحبُه بلا نفقة ولا كبير عمل ولا مؤونة ، ولذلك يقول الإمام مالك رضي الله عنه : «الأمر الذي لا يختلف فيه عندنا ، والذي سمعت أهلَ العلم يقولون به : إن الركاز ما هو دفن يوجد من دفن الجاهلية ، ما لم يُطلَب بمال ، ولم يتكلف فيه نفقة ولا كبير عمل ولا مؤونة ، أما ما طلب بمال ، وتكلف فيه كبير عمل ، فأصيب مرة وأخطأ مرة ، فليس بركاز» .

وعلى هذا فالمعدن الذي يجده صاحبه بمشقة وتعب وتنقيب ففيه ربع العشر عند أكثر الفقهاء ، ويُصرف الخُمس أو ربع العشر كما تصرف الزكاة ، فقد روى أحمد والبيهقي عن بشير الخثعمي عن رجل من قومه قال : سقطت علي جرة من دير قديم بالكوفة ، عند جبانة بشر ، فيها أربعة آلاف درهم ، فذهبت بها إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقال : اقسمها خمسة أخماس ، فقسمتها ، فأخذ علي منها خمسا ، وأعطاني أربعة أخماس ، فلما أدبرت دعاني ، فقال : في جيرانك فقراء ومساكين ؟ قلت : نعم . قال : فخذها فاقسمها بينهم .

وينبغي أن نلاحظ أن الفقهاء قد وقع بينهم خلاف في هذا المجال ، ويمكن مراجعة تفاصيل هذا الخلاف في كتب الفقه الواسعة .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

زكاة الوقف

السؤال : هل يجب إخراج الزكاة عن أموال أو أملاك موقوفة ؟

الجواب :

جاء في كتاب «المجموع» للامام النووي أن الزروع والثمار الموقوفة:

إن كان وقفها على جهة عامة كالمساجد والمدارس والفقراء ، والمجاهدين والغرباء ، واليتامى والمساكين والأرامل ، وغير ذلك . فلا زكاة فيها ، وإن كانت موقوفةً على إنسان معيّن أو جماعة معينين ، أو على أولاد زيد مثلا ، وجب العُشْر ، لأنهم يملكون الثمار والغلّة ملكا تاما ، ويتصرفون فيه بجميع أنواع التصرف ، فإن بلغ نصيب كل إنسان نصابا وجب عُشره ، وإن نقص وبلغ الجميع نصابا ، وصحت الخُلْطة بينهم ، وجب عُشر الأصل على الجميع .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الواجب في الزكاة

السؤال : **نسمع أن الواجب في الزكاة هو إخراج العشر من كل إنتاج الأرض الزراعية ، فهل هذا في القليل والكثير ، أو هو خاص بالكثير فقط ؟**

الجواب :

الزكاة هي أفضل العبادات بعد الصلاة ، وقد قرَنَها الله تعالى في القرآن الكريم بالصلاة في اثنين وثمانين موضعا ، وهذا دليل على كمال الاتصال بينهما والزكاة جزء من المال عيّنه الشارع ؛ ومن أنواع الزكاة زكاة الزروع ، وهي ثابتة بالقرآن والسنة والإجماع ، ففي القرآن يقول الله عز وجل عن الزرع : « وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ » .

وعامة المفسرين على أن المراد بهذا هو حق الزكاة ، سواء أكان عُشْرا أم نصف عشر . وفي القرآن الكريم أيضا : « أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ ما كَسَبْتُم وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الأَرْضِ » .

وفي الحديث : « ما سقت السماء ففيه العُشْر ، وما سُقِيَ بغَرْب أو دالية (أي بدلو أو ساقية) ففيه نصف العشر » .

وزكاة الزرع واجبة في كل أنواع الزرع عند بعض الأئمة ، سواء أكان الزرع قوتا كالحنطة والأرز والذرة والعدس والفول ، أم كان فاكهة كالعنب والبرتقال والبرقوق ، أم كان خضروات كالبصل والثوم ، أم كان غير ذلك ، ولو زُرعت الأرض أكثر من مرة في العام الواحد وجب إخراج قدر الزكاة من الزرع في كل مرة ، سواء اتحد الصنف في مرات الزرع أم اختلف.

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الشحاذون في الطرقات

السؤال : **قام خلاف كبير بين جماعة من الأصدقاء حول الشحاذين في الطرقات ، أيجوز إعطاؤهم الصدقة أم لا يجوز ، نرجو حسم النزاع بإيضاح وجه الصواب .**

الجواب :

إن الإسلام يكره السؤال ، ويجعله آخر ما يلجأ إليه الرجل من وسائل الاكتساب ، فهو يحرضه أولا على العمل ، مهما كان شاقا أو قليل الثمرة ، حتى لينصحه بأن يحتطب على ظهره ليطعم نفسه ، إذا لم يجد غير الاحتطاب ، وهو يوصي بالتعفف والاستحياء وحفظ ماء الوجه وكرامة النفس ، ولذلك ينظر الإسلام إلى الشحاذة بعين الكراهية والمقت ، ولا يجيزها إلا عند الضرورة الملجئة ؛ ويظهر أن كثيرا من المتعطلين والكسالى والمحتالين لم يهتدوا بذلك الهدي الكريم ، فانصرفوا عن العمل بسبب أو بغير سبب ، وأقبلوا عليها إذ وجدوها باباً واسعا للكسب الهيِّن الرخيص ، واتخذوا في ذلك حِيَلاً تُذهل الألباب وتحيِّر العقول ، وليس الداء فيما يبدو جديدا ، بل هو قديم موروث، تبتلى به المجتمعات فيتشوه جمالها ، وينبهم سبيل الخير فيها . والتاريخ يحدثنا عن هذا في أكثر من موضع وأكثر من مناسبة ؛ فها هوذا مثلا الشيخ الإمام قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب السبكي المتوفي في سنة ٧٧١ هـ في كتابه

القيم « معيد النعم ومبيد النقم » الذي نشرته جماعة الأزهر للنشر والتأليف يتحدث عن « الشحاذ في الطرقات » فيقول ما نصه :

« لله عليه نعمة أنه أقدره على ذلك ، وكان من الممكن أن يخرس لسانَه فيعجز عن السؤال ، أو يُقعده فيعجز عن السعي ، أو يقطع يديه فيعجز عن مدِّهما ، إلى غير ذلك ، فعليه ألاَّ يُلح في المسألة ، بل يتقي الله تعالى ، ويُجْمِل في الطلب ، وكثير من الحرافيش [١] اتخذوا السؤال صناعة ، فيسألون من غير حاجة ، ويقعدون على أبواب المساجد يشحذون المصلين ، ولا يدخلون للصلاة معهم ، ومنهم من يُقْسم على الناس في سؤاله بما تقشعر الجلود عند ذكره ، وكلٌّ ذلك منكر ، وبعضهم يستغيث بأعلى صوته : لوجه الله فَلْس ؛ وقد جاء في الحديث : « لا يُسأل بوجه الله إلا الجنة » . وبعضهم يقول : بشيبة أبي بكر فَلْس ؛ فانظر ماذا يسألون من الحقير ، وبماذا يستشفعون من العظيم ، ويراهم اليهود والنصارى ، ويرون المسلمين ربما لم يعطوهم شيئا ، فيشتمون ويسخرون ، وربما كان المسلم معذورا في المنع ، والكافر لا يفهم إلا أن المسلمين لا يكترثون بذلك ، فرأيي في مثل هذا الشحاذ أن يؤدَّب حتى يرجع عن ذكر وجه الله تعالى ، وذكر شيبة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، ونحو ذلك في هذا المقام ؛ ومنهم من يكشف عورته ، ويمشي عريانا بين الناس ، يوهم أنه لا يجد ما يستر عورته ، إلى غير ذلك من حيلهم ومكرهم وخديعتهم ؛ ولقد أطلنا في ذكر هذه الأمثلة وهي تحتمل مصنفا مستقلا » اهـ.

والواجب على المسلم إذا أراد الإحسان أن يتبين موقعَه ليصادف أهله ، ولا يخرج إلى غير مستحقه ، وليبدأ أولا بذوي قرابته ، فالأقربون أولى بالمعروف . وبعد أن يسد حاجة أقاربه المستحقين للصدقة والمعروف ، يبحث عن جيرته ورفقته ، ثم يبحث عن الفقراء والمحتاجين ، والبائسين المساكين ، الذين لا يجدون حيلة ولا يهتدون سبيلا ، وبهذا يضع بره حيث يجب أن

---

(١) الحرافيش : جمع حرفوش .

يوضع ، وإن الله يحب من الرجل إذا عمل عملا أن يتقنه ، ومن إتقان الإحسان أن تفعله مع أهليه ومستحقيه ، لا مع الذين يحترفون السؤال ويحتالون فيه ، وإن القلب يدمى لمهازل ترتكبها الأفراد والجماعات في باب الصدقات والإعانات ، فكم سمعنا عن إعانات ومساعدات تعطى لأغنياء أو سفهاء أو وقحاء ، والفقراء الحقيقيون يتضورون جوعا ومسغبة . والواجب أن نجعل نصب أعيننا قول ربنا في هذا الباب : « وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ . لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ ، الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ » .

على أنه إذا تبين للمحسن صدقُ السائل في حاجته وفقره كان له أن يعطيه . ولعل ولاة الأمور فينا يضعون حدا لهذا التسول الشنيع بطريقة عملية حازمة ، تقضي على هذا الداء الوبيل ، وتنظّم بها طرقُ الإحسان .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

متى تدفع الزكاة

السؤال : **أتدفع الزكاة بعد احتياجات الأطفال ، أم بعد تأمين احتياجاتنا لسنة ؟ ما مذهب الحنفية في ذلك ؟**

الجواب :

إذا كان المراد بالزكاة المسؤول عنها زكاة الفطر ، فالحكم فيها أنه إذا ملَكَ الإنسانُ النصابَ المحدد في مذهب الحنفية ، وكان هذا النصاب فائضا عن

حاجة الإنسان في ليلة العيد ويومه فعليه أنه يدفع الزكاة للفطر ، ولا يتوقف هذا على تأمين الاحتياجات لسنة .

وإذا كانت الزكاة زكاةَ الزروع فإن الزكاة تخرج منها دون اشتراط مقدار معين ، ولا يتوقف هذا على تأمين الاحتياجات لمدة سنة ، وكذلك في زكاة الذهب والفضة ، ومضى عليه العام ، وجب إخراج الزكاة منه دون توقف على تأمين هذه الاحتياجات .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

اسئلة عن زكاة الفطر

السؤال الأول : **ما قيمة زكاة الفطر بالنقد والعيْن ؟**

الجواب :

الواجب في زكاة الفطر هو كما قال السلف نصف صاع من قمح ، أو صاع من تمر أو شعير أو زبيب ، وعند الإمام الشافعي يجب في صدقة الفطر صاع من غالب قوت البلد في السنة ، والصاع قدح وثلث تقريبا ، وعلى هذا تكفي الكيلة المصرية من الذرة مثلاً لزكاةِ ستة أشخاص .

ويجوز — كما في مذهب الإمام أبي حنيفة — إخراج قيمة القدر الواجب في الزكاة نقودا ، حتى قال الإمام أبو يوسف : « الدقيق أحبُّ إليَّ من الحنطة (القمح) ، والدراهم أحب إليَّ من الدقيق والحنطة ، لأن ذلك أقرب إلى دفع حاجة الفقير ، ولأن المراد من إخراج الزكاة هو إغناء الفقير في العيد ، وهذا الإغناء يتحقق بالقيمة ، بل هو بها أتم وأوفر » .

ويمكن للانسان أن يخرج نحوعشرة قروش عن زكاة الفرد الواحد في مصر، ولو زاد فيها قرشا أو قرشين عند القدرة ، لكان هذا أفضل وأدعى إلى روح التكافل والتعاون والبر بين الناس .

السؤال الثاني :

هل الزكاة واجبة على الصائم فقط ؟ وإذا أفطر شخص بعذر أو بغيره فهل تجب عليه ؟

الجواب .

زكاة الفطر واجبة على المسلم ، وقد ثبتت مشروعيتها بنص القرآن الكريم ، لقوله تعالى : « قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ، وَذَكَرَ اسمَ ربِّهِ فَصَلَّى » . قال ابن عمر رضي الله عنه : نزلت هذه الآية في زكاة رمضان ، وحكمتها أنها تطهير للصائم مما قد يكون وقع منه من اللغو أو فحش القول ، ولتكون عونا للفقراء على كفايتهم في العيد . وقد قال ابن عباس رضي الله عنه : فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاةَ الفطر طُهرةً للصائم من اللغو والرفث ، وطعمة للمساكين ، من أداها قبل الصلاة (أي صلاة العيد) فهي زكاة مقبولة ، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات .

وهي تجب على كل من يجد ما يدفعه زيادةً على قُوتِه وقوت من ينفق عليه في يوم العيد وليلته ، والصوم ليس شرطا في وجوب زكاة الفطر على الإنسان ، فلو أفطر الشخص لكبر سنه أو مرضه أو سفره ، فإن زكاة الفطر تلزمه ، لأن الأمر بأدائها غير مقيد بهذا الشرط ، ولأنها تجب على غير المكلف بالصوم .

وتجب زكاة الفطر عن الإنسان : عن نفسه وعمن تلزمه نفقته أو يتولى أمره ، كطفله الفقير الذي عليه نفقته ، وأما الأولاد الذكور الكبار العقلاء ، فلا يجب على الأب أن يخرج عنهم الزكاة إذا كانوا مستقلين عنه في المعيشة ، ولكنهم إذا كانوا عاجزين عن الكسب ، أو يطلبون العلم ، فإن الأب يُخرج زكاتهم .

ولا يجب على الرجل أن يخرج الزكاة عن والديه لعدم ولايته عليهما ، وتجب عليه زكاة زوجته ، لأنه قوّام عليها ، والحديث المروي عن ابن عمر يقول : « إن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بصدقة الفطر عن الصغير والكبير ،

والحر والعبد ، ممن تمونون » أي ممن تنفقون عليه .

* * *

السؤال الثالث : **لمن تعطى زكاة الفطر ؟**

الجواب :

تعطى زكاة الفطر للفقير المحتاج ، وللمسكين المعسر ، وهذا ما يفهم من مذهب الإمام مالك ، وقال جمهور الفقهاء : إن زكاة الفطر للأصناف التي تعطَى إليها زكاةُ الزروع والأموال . وهي المذكورة في قول الله تعالى : « إنما الصدقاتُ للفقراءِ والمساكينِ والعاملينَ عليها والمؤلفةِ قلوبُهمْ وفي الرقابِ والغارمينَ وفي سبيلِ اللهِ وابنِ السبيلِ فريضةً منَ اللهِ واللهُ عليمٌ حكيمٌ ». وجمهور الفقهاء على أنه يجب دفع الزكاة للمسلم ، ولا يجوز دفعها لغيره ..

ولا شك أن القريب الفقير أولَى بالزكاة ، ما دام المزكِّي غير ملزَم بنفقة هذا القريب ، والقاعدة تقول : « الأَقْرَبُونَ أَوْلَى بِالمَعْرُوفِ » . ويجوز للزوجة أن تدفع زكاتها لزوجها إذا كان فقيرا مستحقا ، لأنها غير ملزمة بنفقته ، ولكن لا يجوز للزوج أن يدفعها لزوجته ، لأنه ملزَم بنفقتها ، ولا يجوز دفعها للخادم أو الطباخ أو السائق أو الفراش وأمثالهم ما دام المزكِّي ينفق عليهم .

* * *

السؤال الرابع : **إذا لم يجد المزكِّي في بلده مستحقا للزكاة ، فماذا يفعل ؟**

الجواب :

الأصل في زكاة الفطر أن تعطَى للفقراء والمحتاجين الموجودين في بلد المزكي ، لأنهم أقرب تناولا من يده ، ولأنهم يتطلعون إلى معاونته أكثر من البعيدين ، ولأن الجوار له حقه وحرمته ؛ ولكن إذا لم يوجد فقير في بلد المزكي فإنه يعطيها لفقراء البلدة المجاورة لبلده ؛ فإن لم يوجد بها فقراء فإنه يعطيها لما بعدها من بلاد الإسلام ، وبلاد الإسلام تعد داراً واحدة . وإذا لم يستطع ذلك دفعَها إلى ولي الأمر ، وهو يعطيها لمستحقيها عن طريق بيت المال .

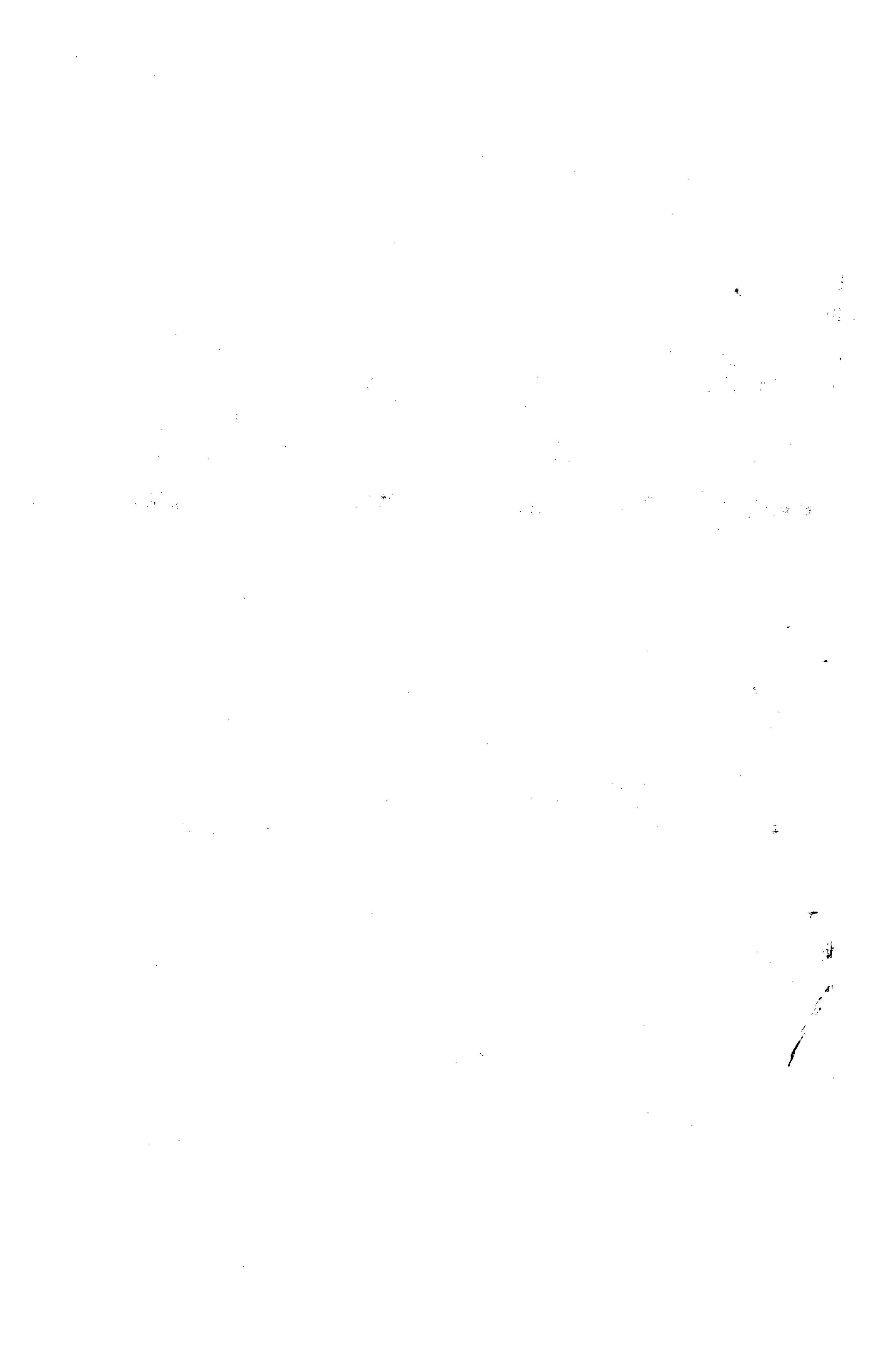
السؤال الخامس: **أيهما أولى بالزكاة: الفقير الموجود في البلدة التي أنا مقيم بها، أم أقاربي الفقراء الموجودون في بلدتي الأصلية التي نزحت منها ؟**

الجواب :

في مذهب الحنفية أن القريب الفقير الموجود في بلد غير بلد المزكّي أولى بالزكاة من الفقير الذي ليس بقريب ويوجد في بلد المزكي ، لأنه حينما يعطي الزكاة ، للقريب الفقير يكون قد أدى حقين : حق القرابة وحق الافتقار ، ولكنه هو يؤدي حق الجوار وحده حينما يعطيها للفقير الذي ليس بقريب وهو في بلده ، وعلى هذا يحسن بالسائل هنا أن يعطي الزكاة لقريبه الفقير ، وإن لم يكن مقيما معه في البلد التي يقيم بها ، وخصوصا أن هذا القريب الفقير يقيم في البلدة الأصلية للمزكي ، وهي تعد عُرفا بلدته ، وإن كان قد تغرب عنها لعمل أو وظيفة . ويمكنه إذا كانت كمية الزكاة كبيرة — كما إذا كثر الأشخاص الذين ينفق عليهم ويخرج زكاتهم — يمكنه أن يوزع جانبا منها ولو قليلا على بعض فقراء البلد الذي يقيم فيه ، ثم يعطي أكثرها لأقاربه الفقراء المذكورين .

والله تبارك وتعالى أعلم .

الحَجُّ وَمَشاعره



الحج المفروض

السؤال : ما الحكمة في أن الحج قد فرضه الله على الإنسان مرةً واحدة في العمر ؟

الجواب :

الحج فرض من فروض الإسلام ، أوجبه الله على عباده بالنص الذي في القرآن الكريم ، حيث قال الله تعالى في سورة آل عمران : « ولله على الناس حجُّ البيت من استطاعَ إليه سَبيلاً » . ومعنى الآية أن الله جل وعلا فرض على عباده أن يحجوا إلى بيته ، وهو الكعبة الحرام ، إذا قدروا على ذلك ، واستطاعوا القيام به .

وقد فُرض الحج سنةَ تسع من الهجرة ؛ ويجب على المسلم أن يحج مرةً واحدة في عمره ، فإذا حج بعد ذلك مرة أو مرات كان ذلك تطوعا منه ، وإنما أوجب الله على عباده الحجَّ مرة واحدة لكيلا يشق عليهم أو يرهقهم ، لأن الحج فيه سفر ورحلة ، ويحتاج الى زاد ومتاع ، ووقت ومجهود ؛ والناس لا يتيسر لهم كل هذا في كل عام ، فكان من رحمة الله أن جعل الحج في العمر مرة ومن وجد في نفسه قدرةً وسعة ، وتيسر له أن يكرر الحج ، فإنه يستطيع أن يفعل ذلك ، ويكون هذا تطوعا منه ، وتقربا إلى الله تعالى .

ولقد روى الإمام مسلم في صحيحه أن النبي صلى الله عليه وسلم . قال : « يا أيُّهَا الناسُ ، قد فُرض عليكم الحج فحجوا » . فقال رجل من الصحابة : أيجب الحج علينا كل عام مرة يا رسول الله ؟ فسكت النبي . فأعاد الرجل سؤاله مرتين ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لو قلتُ نعم لوجبت . وما استطعتم » . ومن هذا الحديث نفهم أن الحكمة في جعل الحج مرة واحدة هو تيسير الله على عباده ، وعدم المشقة عليهم : « إن الله بالناس لرؤوف رحيم » والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الحج بالمال الحرام

السؤال : هناك شخص يريد أداء فريضة الحج ، ولكنه سيؤديها بمال يعرف جيدا أنه حرام ، فهل يُقبل حجه ؟ وهل يكون لهذا الحج قيمة ؟

الجواب :

الحج فريضة محكمة من فرائض الدين ، وإذا أدى المسلم هذه الفريضةَ خالصة مخلصة طاهرة ، كانت توبة له وتطهيراً لماضيه ، لقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه ». وقوله : « الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » .

ولكن الإسلام لم يفرض الحج إلا على القادر المستطيع للنفقة على نفسه وعلى من تلزمه نفقته حتى يعود ، ولذلك يقول القرآن الكريم : « ولله على الناسِ حج البيتِ مَنِ استطاعَ إليهِ سَبيلاً ، وَمَنْ كَفَرَ فَإنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ العَالَمِينَ » . رمعنى القدرة والاستطاعة هنا هو أن يكون المسلم مالكا لما يحج به ، وأن يكون المال حلالا طيبا ؛ لأن الله طيب لا يقبل إلا طيبا ، ولأن الحديث النبوي يقول : « كل لحم نبت من سُحْت أي حرام — فالنار أولَى به » .

ولذلك لا يُقبل عند الله حجُّ الرجل الذي حج بمال حرام ، إذ لا يستقيم في العقل أو الشرع أن يتقرب العبد إلى ربه عن طريق مال قد حرم عليه امتلاكُه والانتفاع به ما دام وارداً عن طريق محرم . ولكن الفقهاء قالوا إن الإنسان إذا أدى الحج ، واستوفى أركانه وشروطه ، فإن الحج يصح منه ويسقط عنه فريضته ، سواء أداه بمال حَلال أم أداه بمال حرام ...

وقد يحار الإنسان في هذا الموطن ، ولكنه يجب أن يتذكر أن معنى سقوط فريضة الحج عنه هنا هو أنه لا يعاقَب عقاب تارك الحج . كالشخص الذي يصلي مرائيا أو لاهيا أو مخادعا أو منافقا ، فإنه لا يعاقَب عقابَ تارك الصلاة ، ولنا أن نأخذ بالظاهر والله يتولى السرائر ، والله لا يثيب شخصا على صلاة يرائي

بها ، ولا يثيب عبداً على حجة أداها بمال حرام .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الحج بمال اليانصيب

السؤال : هل يصح الحج بمال كسبه صاحبه عن طريق « اليانصيب » ؟

الجواب :

إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا ، وعملية « اليانصيب » كما قرر العلماء ليست مشروعةً في الإسلام ، والربح منها حرام ، لأنه من الميسر المحرَّم شرعا ، ولذلك يحرم أن يحج الإنسان بمال جاءه عن هذا الطريق ، لأن المسلم يريد بالحج أداء ركن من أركان الإسلام الأساسية ، كما يريد تطهير نفسه من الذنوب والآثام ، ولذلك قال فقهاء الحنفية إن الحج عبادةٌ تؤدَّى بالمال والنفس معا ، فلا يليق والحالة هذه أن يكون الحج عن طريق مال حرام .

وقد قال الفقهاء إن الإنسان إذا حج بمال حرام يكون حجه صحيحا ، ولكنه لا يكون مقبولا ، فهو لا يعاقَب عقاب تارك الحج ، ولكنه لا يثاب عليه ، أي أن فرض الحج يسقط عنه في هذه الحالة ، ولكنه غير مقبول عند الله سبحانه .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

نقل مقام ابراهيم

السؤال : ما هو المراد بمقام إبراهيم الموجود في مشاعر الحج ؟

الجواب :

إن مقام إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام أحد المشاعر الحرام ، وقد

خلّد الله تبارك وتعالى ذكرَه في القرآن المجيد ، فذكره بلفظه وهو « مقام إبراهيم » مرتين : الأولى في سورة البقرة ، والثانية في سورة آل عمران . وقد أمر الله سبحانه وتعالى باتخاذ مقام ابراهيم « مصلى » ، كما جعله من آيات الله البينات : « فِيهِ آياتٌ بيِّنَاتٌ مقامُ إبراهيمَ » .

وقد ذكر المفسرون في تفسير المراد بالمقام أقوالا كثيرة ، فقال بعضهم : الحج كله مقام إبراهيم ، وقيل إنه عرفة والمزدلفة والجمار ، وقيل هو الحَرَم ، وقيل هو الحجر الذي قام عليه إبراهيم في أثناء بناء الكعبة ، أو في أثناء أذانه في الناس بالحج ، أو حينما غسلت رأسَه زوجةُ ابنه إسماعيل .

وقد أورد شيخُ المفسرين الإمام ابن جرير الطبري الأقوالَ المختلفة في تفسير المقام ، ثم قال بعد ذلك : « وأولَى الأقوال بالصواب عندنا ما قاله القائلون : إن مقام إبراهيم هو المقام المعروف بهذا الاسم الذي هو في المسجد الحرام » .

وقد أشار « تفسير المنار » إلى الأقوال الواردة في المراد بالمقام ، ثم ذكر أن الإمام الشيخ محمد عبده يختار أن المراد بكلمة « مصلى » مكانُ الصلاة بمعناها اللغوي العام ، وهو الدعاء والتوجه إلى الله وعبادته مطلقا ، لأن الحجر لا يسع الصلاةَ المخصوصة ؛ ثم ذكر التفسير أن الإمام رحمه الله رجح تفسير المقام بأنه جميع شعائر الحج التي قام فيها إبراهيم، وأورد هذه العبارة : « ويقول المحققون من الفقهاء : حيثما صليت من المسجد فثَمَّ مقامُ إبراهيم » .

ويظهر من مراجعة كثير من التفاسير والكتب التاريخية أن الأمة الإسلامية قد تعارفت على أن مقام إبراهيم هو الموضع المشهور المعروف الآن ، وجرت على الأخذ بسنة النبي صلى الله عليه وسلم ، وهي صلاة ركعتين بعد الطواف عند المقام .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

حول الحج

السؤال : ما رأي فضيلتكم في تقبيل مقود الجمل الحامل لكسوة الكعبة في الاحتفـــال بسفر المحمل [1] ، وفي كسوة الكعبة بالحرير المقصَّب بالذهب والفضة كل عام ، وفي تقبيل الحجر الأسود ؟

الجواب :

لا جدال في أن تقبيل مقود الجمل في الاحتفال بسفر المحمل بدعة لا سند لها من شرع أو عقل ، وإذا فتحنا بابَ البدع ، وسمحنا لعقولنا أن نصطنع لكل بدعة تأويلاً أو تفسيراً يَصِلُها بالإسلام ، فسنصل إلى حالة من التحريف الديني ، لا نستطيع أن نتبين معها ما هو من الدين وما ليس منه ؛ ومن الواجب ألا نَقْبل من البدع الاجتماعية والاقتصادية والعلمية إلا ما كان صالحا نافعا ، لا يتعارض مع أصل من أصول الإسلام ، وبذلك يظل دين التوحيد واضحاً جليا في نفوسنا ، لا تلتبس به أهواء أو آراء أو ضلالات .

ومما يتصل بهذه البدع بدعة الطواف بالجمل الحامل لكسوة الكعبة في ميدان الاحتفال سبع مرات تشبهاً بالطواف حول الكعبة ، فذلك تشبُّهٌ ضال ، يؤدي إلى تمثيل هذا الميدان بالبيت الحرام . وهذا يقرب من أعمالٍ ضالة في قديم الزمن أريد بها تقليد الكعبة وصرف الناس عن الحج إليها .

وأما تقبيل الحجر الأسود فليس فرضاً تتوقف عليه صحة الحج ، بل على الإنسان أن يقبِّل الحجر الأسود إذا كان هذا التقبيل ممكنا ميسورا ، لا زحام فيه ولا مشقة شاذة معه ، فإذا كان الزحام ، أو عَجَزَ الشخص ، أو صعب عليه الوصولُ إليه ، كفاه أن يلمسه بيده ، أو يشير إليه بيده ، أو بقضيب ، وقد وردتْ عن الحجر الأسود آثار وأخبار فيها الدخيل الموضوع ، وفيها ما لا يفهمه الناس على وجهه الصحيح السليم ، ولعل أبلغ ما يقال بشأن الحجر الأسود هي كلمة عمر الفاروق ، حينما استلم الحجر ليقبِّله ، فقال : « والله

---

(١) نشر هذا السؤال وجوابه بتاريخ ١٧ اكتوبر سنة ١٩٥٠ .

إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أني رأيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقبِّلك ما قبّلتك » .

وإنه لمن العجب أن تتزاحم آلاف الحجاج على الحجر الأسود ، وفيهم النظيف والوسخ ، والصحيح والمريض ، والقوي والضعيف ، والعارف والجاهل ، والمجال ضيِّق ، والضغط شديد ، والجَمْع فيه رجال ونساء ، يحاول كلٌ منهم أن يقبل الحجر الأسود ، ظناً منه أن حجه لن يصح دون هذا التقبيل ، بل ان بعضهم ليشذ في غلوه وظنه فيضرب رأسَه في الحجر بعد تقبيله ، أو يضرب رأس امرأته أو أمه فيه .

وأما عن كسوة الكعبة التي نصنعها في كل عام من الحرير الفاخر والمقصب بالذهب والفضة فأرى أن هذا الإسراف لا لزوم له، والبيت الحرام لا يزيده تشريفا لبس الحرير أو حلى الذهب ، بعد أن عظّمه الله في كتابه : « إنَّ أوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ للناسِ لَلّذي بِبَكّةَ مُبَاركاً وَهُدَىً لِلْعَالَمِينَ ، فيهِ آياتٌ بَيِّنَاتٌ مقامُ إبراهيمَ ، وَمَنْ دَخَلَهُ كانَ آمناً ، ولله علي النّاسِ حجُّ البيتِ مَن استطاعَ إليهِ سَبِيلاً ، وَمَنْ كَفَرَ فَإنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ العَالَمِينَ » . ولا مانع من أن نكسو البيتَ الحرام، وأن نكسوه بالحرير أو ما قاربه ، ولكن ينبغي ألا نغير هذه الكسوة حتى تبلى ، فتظل الكسوة بضع سنوات بلا فساد ، ثم ننفق تكاليفَ الكسوة خلال هذه السنوات على الاصلاحات الأخرى اللازمة للحج والحجاج ، أو ننفقها على الفقراء الذين يتضورون جوعا ، فليس المهم أن تكون سخيا فحسب ، ولكن الأهم أن تكون حكيما في هذا السخاء ، فلا تنفق على الشيء الكمالي الآلاف ، ثم تبخل بالعشرات أو الآحاد على أوجب الواجبات .

هناك من يقطِّعون كسوة الكعبة المستعملة إلى قطع صغيرة ويبيعونها ، وكثير من الناس يحسب هذه القطعَ سببَ غفران ورضوان ، ويعلق عليها أهمية قد تفوق أهمية العمل والعبادة ، وهذا ليس من الإسلام الصحيح ، فليس الإسلام دينَ صكوك غفران أو دينَ وسائل مادية ، ولكنه دين العلم والعمل والاتصال بالله رب العالمين دون وسيط : « ولله المشرقُ والمغربُ فأينما

تولوا فثَمَّ وجهُ اللهِ ، إنَّ اللهَ واسعٌ عَلِيمٌ » . وليس معنى هذا أننا نصرف الناس عن تعظيم الكعبة وإجلالها ؛ فلنوقرها ولنعظمها ، فنحن بذلك مأمورون ، والله الهادي إلى سواء السبيل .

والله تبارك وتعالى أعلم

* * *

الحج عن الغير

السؤال : هل يجوز لي أن أحج عن والدتي المتوفاة حجة واحدة لي ولها ، مع العلم بأنها ما تت قبل أن تؤدي فريضة الحج ؟

الجواب :

لقد فرض الله تبارك وتعالى الحج على كل قادر من المسلمين والمسلمات ، فقال سبحانه في سورة آل عمران : « ولله عَلَى الناسِ حجُّ البيتِ مَن استطاعَ اليهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ العَالَمِينَ » . ويقول في سورة البقرة : « وَأَتِمُّوا الحَجَّ وَالعُمْرَةَ لله » . ويقول فيها أيضا : « الحجُّ أَشْهُرُ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فرضَ فِيهنَّ الحجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الحجِّ ، وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوى وَاتَّقُونِ يا أُولي الألْبَابِ» . ويقول في سورة الحج : « وَإِذْ بَوَّأنا لإبراهيمَ مكانَ البَيْتِ أنْ لا تُشرِكْ بِي شَيْئاً وَطَهِّرْ بيتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السجُودِ ، وَأَذِّنْ فِي الناسِ بِالحجِّ يأتوكَ رِجَالاً وَعَلَى كلِّ ضامرٍ يأتينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ، لِيَشْهَدُوا منافعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسمَ اللهِ في أيَّام معلومات عَلَى ما رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الأنعامِ فَكُلُوا مِنها وَأَطْعِمُوا البائسَ الفقيرَ » .

ونفهم من الآيات السابقة أن الحج فرض عين على كل قادر مستطيع توافرت

فيه الشروط الواجبة لأداء الحج ، وقد قال الفقهاء ان المسلم إذا مات وعليه حجة الإسلام – أي الحجة المفروضة عليه شرعا – فإن على وليه من بعده أن يجهز من يحج عنه من ماله ، لأن الحج في هذه الحالة يكون كالديون التي يلزم قضاؤها ، ويمكن للإنسان أن يحج عن والدته المتوفاة ، واستدلوا على ذلك بما روي عن عبد الله بن عباس رضوان الله عليهما من أن امرأة من جُهينة جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : إن أمي نذرت أن تحج ، ولم تحج حتى ماتت ، أفأحج عنها ؟ فقال لها رسول الله عليه الصلاة والسلام .

« نعم ، حُجّي عنها ، أرأيت لو كان على أمك دَيْنٌ أكنتِ قاضيته ؟ اقضوا فالله أحق بالوفاء » . ومن هذا الحديث الذي رواه البخاري فهم هؤلاء الفقهاء أن الحج واجب علَى الميت ، سواء أوصى بأن يحجوا عنه أو لم يوص، فإذا أوصى أو نذر الحج تأكد وجوب أداء الحج عنه من وليه .

ويشترط بعض الفقهاء فيمن يحج عن الغير ، أن يكون قد حج عن نفسه قبل ذلك ، حتى لا يكون مشغولا بما في ذمته من فريضة الحج في أثناء القيام به عن غيره .

ولا يصح من الذي يحج عن والدته المتوفاة أن يجعل هذه الحجة لوالدته ولنفسه في وقت واحد ، والأفضل أن يحج عن نفسه أولا ، ثم يحج عن والدته بعد ذلك .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الحج عن الغير

السؤال : **هل يجوز لمن لم يحج عن نفسه أن يحج عن غيره ؟ وهل تجوز النيابة في الحج ؟**

الجواب :

إذا كان الإنسان الذي وجب عليه الحج قادراً على أدائه ، وليس له عذر

يمنعه القيامَ بالحج . فإنه يكون مفروضا عليه أن يقوم بالحج بنفسه ، ولا يجوز أن يُنيب عنه غيرَه في أداء هذه الفريضة ، كما لا يجوز لغيره أن يتبرع بالنيابة عنه في الحج ، سواء أكان هذا الغائب قد أدَّى عن نفسه فريضةَ الحج أو لم يؤدها .

وذلك لأن الحج فرضُ عَيْن ، فما دام الإنسان المكلّف المستطيع قادرا على أداء هذا الفرض فلا تصح فيه النيابة ولا الوكالة ، ويكون الإنسان آثما لو لم يحج بنفسه .

وأما إذا كان الإنسان الواجب عليه الحج غيرَ متمكن من أدائه ، وغير مستطيع له ، بسبب مرض أو حبس أو نحوه ، فإنه يجوز له حينئذ أن يوكِّل غيرَه في القيام بالحج بدلا منه ، كما يجوز للغير أن ينوب عنه في ذلك .

فإذا قام الوكيل أو النائب بالحج سقطت الفريضة عن المحجوج عنه ، وقد قرر ذلك فقهاء الحنفية ، واستدلوا عليه بحديث المرأة التي جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالت له : يا رسول الله ، إن فريضة الله في الحج أدركت أبي شيخاً كبيرا ، لا يستطيع أن يثبت على الراحلة (أي دابة الركوب) أفأحج عنه ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أرأيتِ لو كان على أبيك دَيْن أكنتِ قاضيته ؟ قالت : نعم . قال : فدَيْن الله أحقّ أن يُقْضَى .

واستدلوا أيضا بالحديث الآخر الذي جاء فيه أن امرأة من خثعم جاءت في عام حجة الوداع فقالت للنبي : يا رسول الله ، إن فريضة الله على عباده أدركت أبي شيخا كبيرا ، لا يستطيع أن يستوي على الراحلة ، فهل يقضى عنه أن أحج عنه ؟ قال : نعم .

وإذا كان الحديثان السابقان قد جاء فيهما ذكرُ حجّ الولد عن أبيه – ذكراً كان أو أنثى – فالحكم غير مقصور هنا على نيابة الولد ، إذ لا يوجد مـا ينص على التخصيص ، والأصل في الأحكام الشرعية العموم وعدم الخصوص ، إلا مع وجود المخصص .

ويشترط هنا أن يكون عجز المحجوج عنه مستمرا دائما إلى آخر حياته ، فإذا كان العجز موقوتا وزال ، فإنه يجب على الشخص أن يحج عن نفسه .

واشترط بعض الفقهاء أن يكون النائب قد حج حجة الفريضة عن نفسه من قبل ، وبعضهم قال إن ذلك هو الأفضل .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

أيام التشريق

السؤال : **ما هي أيام التشريق ؟ ولماذا سميت بذلك الاسم ؟**

الجواب :

أيام التشريق هي الأيام الثلاثة التي تلي اليوم العاشر من شهر ذي الحجة ، أي التي تلي عيد النحر ، وهو عيد الأضحية ، الذي يكون في موسم الحج عقب الوقوف بعرفة ، وهذه الأيام هي اليوم الحادي عشر ، واليوم الثاني عشر ، واليوم الثالث عشر من شهر ذي الحجة .

وقد سُميت هذه الأيام بأيام التشريق من تشريق اللحم ، وهو تقديده وتجفيفه ببسطه في الشمس ليجف ، لأن لحوم الأضاحي كانت تُشرَّق فيها — أي تجفف — وكانوا يجففونها في منى . وقيل سميت هذه الأيام بأيام التشريق لأن الهدي والضحايا لا تنحر حتى تَشْرُق الشمس ، أي تطلع . وقيل سميت بهذا الاسم لأن العرب كانوا قديما يقولون : « أشرق ثبير ، كيما نُغير » . وثبير جبل بمنى ، وهو الجبل المعروف عند مكة : أي ادخل أيها الجبل في الشروق ، وهو ضوء الشمس ، يقال : شرقت الشمس ، إذا طلعت ، وأشرقت إذا أضاءت . وكيما نغير : أي لكي ندفع للنحر . وقد ذكر هذا الإمام ابن الأثير في كتابه « النهاية في غريب الحديث والأثر » .

وهذه الأيام هي الأيام التي تلقى فيها الجمرات ، ويكون فيها التكبير عقب الصلوات ، وهي الأيام المشار إليها بقول الله تبارك وتعالى في سورة البقرة :

« وَاذْكُرُوا اللهَ في أيَّامٍ معدودات ، فَمَنْ تَعَجَّلَ في يَوْمَيْنِ فَلا إثْمَ عَلَيْهِ ، وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلا إثْمَ عَلَيْهِ لِمَنْ اتَّقَى ، وَاتَّقُوا اللهَ واعلَمُوا أنَّكُمْ إليهِ تُحْشَرُونَ » .

وهذه الأيام أيام فرح وسرور بتوفيق الله ، واستمتاع بطيبات الله ، وقد ذكرت السنة أنه يسن الوقوف والدعاء بعد رمي الجمرات في أيام التشريق ، فقد جاء في الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا رمى الجمرة الأولى التي تلي المسجد رماها بسبع حصيات ، يكبِّر مع كل حصاة ، ثم ينصرف ذات اليسار إلى بطن الوادي ، فيقف ويستقبل القبلة ، رافعا يديه يدعو ، وكان يطيل الوقوف ، ثم يرمي الثانية بسبع حصيات ، يكبِّر مع كل حصاة ، ثم ينصرف ذات اليسار إلى بطن الوادي ، فيقف ويستقبل القبلة رافعا يديه ، ثم يمضي حتى يأتي الجمرة التي عند العقبة ، فيرميها بسبع حصيات ، يكبر عند كل حصاة ثم ينصرف ولا يقف .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الأيام المعدودات

السؤال : ما معنى قول الله تعالى : « وأذكروا الله في أيام معدودات » وما المراد بالذكر هنا ، وما المراد بهذا الأيام ؟

الجواب :

يقول الله تبارك وتعالى في سورة البقرة : « وَاذْكُرُوا اللهَ في أيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ ، فَمَنْ تَعَجَّلَ في يومينِ فَلا إثْمَ عليهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلا إثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى واتَّقُوا اللهَ واعْلَمُوا أنَّكُمْ إليهِ تُحْشَرُونَ ».

والأيام المعدودات المرادة في هذه الآية الكريمة هي الإيام الثلاثة التي يقضيها الحجاج في « منى » ، بعد يوم الوقوف بجبل عرفات ، وهي اليوم الحادي عشر ، واليوم الثاني عشر ، واليوم الثالث عشر من شهر ذي الحجة ؛ وقد

جاء في الحديث النبوي الشريف أن ناسا من أهل نجد أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف بعرفة فسألوه ، فأمر مناديا ينادي : « الحج عرفة ، من جاء ليلة جَمْع – أي مزدلفة – قبل طلوع الفجر فقد أدرك ؛ أيامُ منى ثلاثة أيام ، فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ، ومن تأخر فلا إثم عليه » ؛ وأردف رجلا ينادي بهن . أي أركب خلفه رجلا يقول هذه الكلمات بصوت مرتفع ليسمعه الناس ويتعلموه .

وهذه الأيام هي التي يسمونها أيام التشريق ، وهي الأيام التي يرمي فيها الحجاج « الجمرات » ، ويذبحون فيها الهدي والضحية ، فمن قام بذلك في اليومين الحادي عشر والثاني عشر فقط ، فلا إثم عليه ، ومن بقي إلى اليوم الثالث فهذا هو الأصل وهو الأفضل .

والمراد بالذكر لله في هذه الأيام الثلاثة هو التكبير الذي يكون عقب الصلوات ، وعند ذبح الضحايا ، وعند رمي الجمرات ، وغير ذلك ، وقد روي عن الفضل بن عباس رضي الله عنهما قال : « كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم من جَمْع (أي مزدلفة) إلى منى ، فلم يزل يلبي حتى رمى جمرة العقبة . وروي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يرمي الجمرة ، يكبر مع كل حصاة ؛ وفي رواية أخرى أنه عليه الصلاة والسلام كان يكبِّر بمنى تلك الأيام ، وعلى فراشه ، وفي فسطاطه ، وفي مجلسه ، وفي ممشاه ، في تلك الأيام جميعا .

ولقد كرر الله تبارك وتعالى ذكر التقوى في هذه الآية الكريمة للإشارة إلى أن المراد الجوهري من هذه العبادات إنما هو تحقيق التقوى في نفس المؤمن القائم بها ، لأنها خير ما يخرج به المؤمن من عمله ، ولذلك قال الله تعالى : « وتزوّدوا فإنّ خيرَ الزّادِ التّقوى واتّقونِ يا أولي الألباب » .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

عند عودة الحاج

السؤال : **ما الجائز شرعا في تهنئة الحاج عند عودته من الحج ؟ وما الذي ينبغي له أن يفعله الحاج ؟ وهل يجوز تعليق رايات على منزله ابتهاجا بعودته ؟**

الجواب :

الحج قاعدة من قواعد الدين ، وركن من أركان الإسلام ، وفريضة كتبها الله تعالى على كل مستطيع قادر . فقال سبحانه في سورة آل عمران : « وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ، وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ » . وأداء هذه الفريضة يعد من توفيق الله تعالى للإنسان، فاللائق بمن أداها أن يحمد الله تعالى على ذلك ويشكره ، وأن يذكره ، ويكبره وهو عائد إلى بلده ، فقد رُوي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا رجع من الحج أو العمرة أو الغزو كبر الله على كل شرف من الأرض ثلاث تكبيرات ، وقال :

« لا إله إلا الله وحده ، لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، آيبون تائبون ، عابدون ساجدون ، لربنا حامدون ، صدق الله وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده » .

ومن السنة أيضا أن يخبر الحاج أهله بقدومه قبل دخول البيت عليهم حتى لا يفجأهم بحضوره ، وأن يبدأ بالمسجد فيصلي ركعتين، ثم يدخل بيته ويصلي ركعتين ، ثم يجلس في مكان بارز لمقابلة المهنئين ، ويكثر من حمد الله تعالى والشكر له على ما وفقه في أداء الفريضة وسلامة العودة .

ومن المستحب أن يلاقي الناسُ الحاجَّ ، ويسلموا عليه ، ويطلبوا الدعاء منه ، ويهنئوه بتوفيق الله له ، كأن يقولوا : قبل الله حجك ، وأعظم أجرك ، وأخلف نفقتك ، وغفر ذنبك . وقد روى أحمد والحاكم قول رسول الله عليه الصلاة والسلام : « إذا لقيت الحاج فسلّم عليه ، وصافحه ، ومره أن يستغفر لك قبل أن يدخل بيته ، فإنه مغفور له » .

وكذلك رُوي عن عبد الله بن عمر رضوان الله عليهما أنه قال : جاء غلام إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : إني أريد هذه الناحية للحج ، فمشى معه النبي صلى الله عليه وسلم ، فرفع إليه رأسه فقال : يا غلام ، زوَّدك الله التقوى ، ووجّهك في الخير ، وكفاك الهم . فلما رجع سلم على النبي صلى الله عليه وسلم ، فرفع رأسه إليه فقال : يا غلام ، قبل الله حجك ، وكفّر ذنبك ، وأخلف نفقتك .

ومن المستحب للحاج أيضا أن يذبح عقب عودته ذبيحة ، كناقة أو بقرة أو شاة أو ما استطاع ، ويطعم أصحابه وجيرانه ، وبخاصة الفقراء منْ هذه الذبيحة .

وإذا كان تعليق الرايات يراد به التعبير عن الفرحة بأداء الفريضة ، ولم يكن فيه توسع أو إسراف ، أو انفاق ما يحتاج إليه فيما هو أهم ، فلا حرمة فيه .

والله تبارك وتعالى أعلم .

• • •

الأُسرة: الزَّواج والطلاق



بين الرجل والمرأة

السؤال : مَنْ قائل هذه العبارة : « المرأة من المرء ، وكل أدماء من آدم » ؟ وما معناها ؟

الجواب :

ذكر الميداني في كتابه « مجمع الأمثال » أن هذه العبارة أول مَثَل جرَى للعرب ، واكتفى بذلك ، ويظهر أن معنى العبارة هو الإشارة إلى ما بين الرجل والمرأة من وشائج المنبت الواحد ، وروابط المنشأ المشترك ، فالمرأة أخت الرجل ، والأنثى شقيقة الذكر ؛ وإلى نحو ذلك يشير الله تبارك وتعالى في قوله : « يا أَيُّها الناسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الذي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وخَلَقَ مِنْها زَوْجَهَا ، وبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً » . وقوله جل جلاله : « فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُم مِنْ بَعْضٍ » . وفي هذا المعنى أيضا جاء قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « النساء شقائق الرجال » . وهذا لا يتعارض مع أن كلاً من المرأة والرجل له خصائصه ومميزاته .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

قوامة الرجال على النساء

السؤال : لماذا كان الرجال قوامين على النساء ؟ ولماذا كانت الطاعة من المرأة للرجل ؟ وكيف تكون ؟

الجواب :

يقول الله تبارك وتعالى : « الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّساء بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ » . ومعنى هذا

أن الرجال هم الذين يقومون بالنفقة على النساء ، والحفظ لهن ، والصيانة لحرماتهن ؛ وتقتضي هذه التبعات يكون الرجال قوامين على النساء .

والأسرة لا بد لها من عميد مسؤول . وليس من الطبيعي أن تكون العمادة في الأسرة للمرأة على الرجل ، وإلا كان هذا قلبا للأوضاع ، ومن هنا أوجبت الشريعة على الزوجة أن تطيع زوجها في حقوق الزوجية ، وفيما أحل الله ؛ لا فيما حرَّم ، لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

وإذا عجز الزوج عن النفقة والقوامة فقد ذهب بعض الفقهاء إلى أن المرأة يكون لها الحق في فسخ عقد الزواج .

ومن الواضح أنه لا يمكن استقرار الحياة الزوجية إذا سيطرت البغضاء على الطرفين ، فوُجد بينهما النفور والكراهية . لأن هذا يؤدي إلى سوء العشرة ، واختلال الأسرة ، وقد يوجَد النشوز وهو الكراهية والتمرد من قِبَلِ الزوجة ، وقد يوجد من قبل الزوج . فإذا كان النشوز من المرأة فالأصل أن تسقط حقوقها قِبَلَ زوجها ، ومنها النفقة ؛ وله أن يطالبها بطاعتها له ، وقيامها بواجبها نحوه ، لأنها ارتبطت معه بعقد الزوجية ، وإذا كان النشوز والفساد من قِبَلِ الزوج سقطت الطاعة ، ووجبت النفقة على الزوج .

ومن هذا البيان يتضح أن « بيت الطاعة » بالصورة التي يتحدث عنها الناس في هذا الزمان بصوره المرعبة ، وحالته المرهبة ، لا يوجد في الشريعة ، ولعل هذا التعبير قد نشأ من حالات نشزت فيها الزوجة وتمردت على الزوج ، فاحتكم الزوج إلى القضاء طالبا أن يُحْكَم له بطاعة الزوجة ، وهذه الطاعة تتمثل في استقرارها في بيت الزوجية ، ومن هنا أطلقوا على هذا البيت في تلك الحالة اسم « بيت الطاعة » .

ويلاحَظ أن الإسلام قد وضع وسائلَ لعلاج المرأة الناشز ، يقوم بها الزوج على مراحل ، ثم شرع الإسلام نظامَ التحكيم بين الزوجين في قوله تعالى : وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهما فَابْعَثُوا حَكَمَاً مِنْ أَهْلِه وَحَكَمَاً مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلاَحاً يُوَفِّقِ اللهُ بَيْنَهُمَا ، إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيماً

خبيراً» . فاذا وقع الخلاف بين الزوجين ، ولم يستطع الزوج بوسائله أن يعالج هذا الخلاف ، يجتمع حكمان ، أحدهما من أهل الزوج ، والآخر من أهل الزوجة ، ويبحثان الموضوع في عدالة وإخلاص ، فإن وجدا أن النشوز من الزوج حكما للزوجة بالنفقة ، ولم يحكما عليها بالطاعة ، وإن وجدا النشوز من الزوجة حكما عليها بالطاعة ، ولم يحكما لها بالنفقة ما دامت ناشزا ، وإن رأى الحكمان أن العلاج في التطليق حكما به .

هذا والملاحظ أن أغلب القضايا المسماة بقضايا «بيت الطاعة» الآن يراد بها العناد والإفساد ، أكثر مما يراد بها الوصول إلى الحقوق ، أو المطالبة بالواجبات .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

رأي الفتاة في الزواج

السؤال : **توجد فتاة على أهبة الزواج ، ويريد أهلها أن يزوجوها دون مشاورة معها ، أو موافقة ، منها ، أو رؤيتها لمن ستتزوجه ؛ وهم يحتجون في ذلك بمفاسد العصر الذي نعيش فيه ، وبمآسي الاختلاط الكثيرة ، فما رأيكم في ذلك ؟ وبم تنصحون الفتاة المقبلة على الزواج ؟**

الجواب :

نحن في الواقع أمة تكاد تضيع بين التزمت العنيف والتحلل السخيف ، فمنا من لا يبيح لابنته أن يراها خاطبها ، أو أن تراه ، أو يعرف كل من الطرفين عن صاحبه ما لا بد من معرفته ، حتى يقبل الدخول مع الطرف الآخر في شركة طويلة عريضة ، الأصل فيها أن تستمر إلى نهاية العمر . ومنا من يُطلق لابنته الحبلَ على الغارب ، فلا قيود ولا حدود في علاقتها مع خطيبها أو اختلاطها به .

وكلاً الوضعين خطأ ، لأن التزمت الشديد يؤدي إلى جهالة كلٍّ من الزوجين بطباع الآخر ومسالكه وحقيقة أمره . والارتباط الزوجي القائم على مثل هذه الجهالة يؤدي في كثير من الأحيان إلى عواقب وخيمة غير محمودة . والانطلاق في علاقة الخطيب مع خطيبته دون حدود يؤدي إلى الاستهانة بأمور يجب أن تصان وتهاب ، فإذا استهان بها الخطيبان كانا على تضييع سواها أحرص ، والنتائجُ السيئة لذلك مشهورة لا تحتاج إلى تبيان .

ويجب أن يكون للفتاة رأي فيمن تتزوجه ، لأنه سيكون شريكها طولَ حياتها ، ولأنها هي التي ستعاشره وتخالطه وتساكنه ، وتقاسمه سراءه وضراءه، وتشترك معه في أمور لا يشترك معه فيها أقرب الناس إليه أو أدناهم منه. ولذلك شرع الإسلام أخذَ رأي الفتاة فيمن يخطبها ، وحرّم أن تُزَوج الفتاة بمن ترفضه أو تبغضه ، وللمرأة العاقلة القادرة على التصرف أن تفسخ العقدَ الذي يربطها بشخص يُفْرض عليها دون رضاها أو موافقتها ، ولقد حدث على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم أن بعض الرجال زوجوا بعضَ بناتهن بغير رغبتهن ، فشكون ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأبطل العقد . ومن أمثلة ذلك أن « خنساء بنت خدام » زوجها أبوها من رجل وهي ثيب ، فكرهت ذلك ، واشتكت إلى النبي فأبطل زواجَها .

رجاءت فتاة أخرى فذكرت للرسول أن أباها قد زوَّجها دون أن يأخذ موافقتها ، فجعل النبي الأمرَ إليها ، فإذا بها تقول بعد أن ملكت الأمر : « قد أجزتُ ما صنع أبي ، ولكن أردتُ أن أعلم النساء أن ليس للآباء من الأمر شيء » . وأظن أنه لا يوجد أسمى من ذلك في الدلالة على تكريم الاسلام للمرأة وإعزازه لشخصيتها ومكانتها .

والواجب على الخطيبين أن يتذكرا جيدا أن الزواج يجب أن يكون زواجَ عقل لا عاطفة ، أو يجب – بتعبير أدق – أن يكون زواجَ عاطفة قائمة على عقل وتدبر وتفكير ، لأن العاطفة وحدها قد تجمح ، والعقل بلا عاطفة معه قد لا يتفتح له الفؤاد ولا يساوقه الشعور . ومن الأسباب المساعدة على أن يكون الزواج زواجَ عقل وعاطفة معا أن يرى الخاطبُ مخطوبتَه ، وترى المخطوبةُ

خطيبَها ، وإذا كان يجوز للخاطب أن يتعرف إلى طباع خطيبته وأخلاقها في الحدود المشروعة والنطاق الأمين ، فلِمَ يحرم على الفتاة أن تعرف عن خطيبها مثلَ ذلك ، في حدود العرف والطهر ، بنفسها أو بمن تستعين به من أهلها .

ويجب أن تعرف الفتاة جيدا أن الزواج شركة أخوية تعاونية بين اثنين سيبقى ما بقيا خاضعين لعقد هذه الشركة التي تباركها يد الله وتلحظها عنايته ، وهذا العقد له تبعات وثمرات ، وتبعاته كثيرة وثمراته وفيرة .

ومن الفتيات من تقبل على الزواج متوهمة أنه قطعة من الجنة الخالصة من المتاعب والمصاعب والتبعات ، فليس فيها إلا ما لذ وطاب من المأكل والشراب والثياب ، أوليس فيها إلا همسات الحب ونجويات الغرام وخلوات البهجة والراحة .

ومع أن الزواج بناء لأسرة ، وإنجاب لذرية ، وإسعاد لشريك ، وارتباط بعهود ، وتعاون على واجبات ، فلا بد دون الشهد من إبر النحل ، ولذة الراحة إنما تأتي عقب تجفيف العرق المتصبب أثناء العمل والتعب .

ولتذكر الزوجة أن رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام قد وصف خير النساء بأنها التي إذا نظر إليها زوجها سرَّته ، وإذا أمرها أطاعته ، وإذا غاب عنها حفظته في ماله وعرضه ، فهي تحسن الجمع بين جمال المظهر ، وجمال المخبر وسمو الخلق .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الزفاف ليلة الجمعة

السؤال : يقال إنه يجب على الشخص المتزوج أن يكون زفافه ليلة الجمعة، فهل في الإسلام شيء يتعلق بهذا ؟

الجواب :

لم نجد في النصوص الإسلامية الصحيحة ما يوجب أن يكون الزواج في ليلة الجمعة كما جاء في السؤال ، وهذا الوجوب الذي يدعونه لا يستسيغه العقل ، لأن الأوقات كلها صالحة للزواج . نعم جاء في الحديث الذي رواه مسلم والنسائي وأحمد أن عائشة قالت : « تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال ، وبنى بي (أي دخل بي) في شوال . فأي نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت أحْظَى (أي أحبَّ) عنده مني » ؟

وقد تزوج صلى الله عليه وسلم بنسائه في أوقات مختلفة على حسب الاتفاق، ولم يتحرَّ وقتا مخصوصا ، ولو كان مجرد الوقوع يفيد الاستحباب لكان كل وقت من الأوقات التي تزوج فيها النبي صلى الله عليه وسلم يستحب الزفاف فيه ، وهو غير مسلّم .

ويظهر أن عادة الناس جرت على استحباب الزفاف ليلة الجمعة لأنها ليلة يوم عظيم الشأن ، وهو يوم الجمعة ، كما أن يوم الجمعة هو العيد الأسبوعي للمسلمين . والمُسْلم عادة لا يعمل في يوم الجمعة ، والزفاف يناسبه عُرْفاً أن يبقى الزوج مع عروسه في اليوم الأول للزواج ، فإذا كان اليوم الأول بطبيعته يومَ عطلة وفراغ من العمل كيوم الجمعة ، كان ذلك أدعى إلى البقاء في المنزل .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

كتابة التمائم بالحب

السؤال : **يكتب بعض الناس على ورقة صغيرة ما لا نعرفه من العبارات ، وباستعمال هذه الورقة استعمالا خاصا من جانب المرأة والرجل حسب توصية الكاتب تحصل المحبة بينهما كما يقال ، فهل هذا صحيح ؟ وهل يحق شرعا هذا العمل ؟**

الجواب :

إن القلوب بيد الله تعالى يقلبها كيف يشاء ، ولا يستطيع إنسان أن يسيطر على قلب إنسان آخر ليتحكم فيه فيوجهه إلى الحب أو إلى البغض ، والله سبحانه وتعالى يخاطب نبيه ويمن عليه بأنه هو الذي عطف قلوبَ المؤمنين عليه ، ونحو دعوته ، وأن النبي لو بذل كلَّ شيء لما استطاع أن يؤلف هذه القلوب دون توفيق الله ومعونته ، فيقول الله تعالى لنبيه : « هُوَ الذي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ ما في الأرضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ، وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ، إنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ » .

وفي الحديث الشريف ما يشير إلى أن وضع المحبة والكراهية في القلوب إنما هو عمل الله سبحانه ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله إذا أحبَّ عبدا دعا جبريلَ فقال : إني أحب فلانا فأحِبَّه ، فيحبه جبريل ، ثم ينادي في السماء ، فيقول : إن الله يحب فلانا فأحبُّوه ، فيحبه أهل السماء ، ثم يوضَع له القبولُ في أهل الأرض ؛ وإذا أبغض الله عبدا دعا جبريل فيقول : إني أبغض فلانا فابغضْه ، فيبغضه جبريل ، ثم ينادي في أهل السماء : إن الله يبغض فلانا فأبغضوه ، فيبغضونه، ثم توضع له البغضاء في الأرض » . رواه البخاري ومسلم والترمذي .

ولقد جاء رجل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال له : يا أمير المؤمنين ، إني أريد أن أطلق امرأتي . فقال له : ولِمَ ؟ قال : لأني لا أحبها . فقال له عمر : يا أحمق ، وهل كل البيوت بُنيتْ على الحب ، فأين المروءةُ والتذمم ؟ (أي ليس كل الأزواج يحبون نساءهم ، والواجب أن يراعي الزوجُ حقوقَ زوجته ، ويحسن معاشرتها ولو لم يحبها » فنحن نرى أن عمر لم يُشِرْ على الرجل بكتابة تميمة أو حجاب ، ولو كان هذا نافعا أو مجديا لفعل .

ومن هذا يتضح أن أمثال هذه الأوراق لا تأثير لها في ايجاد المحبة أو الكراهية في القلوب ، ولا يليق بالعاقل أن يفعل هذا ، بل عليه أن يتجه إلى

الله سبحانه ويسأله الهداية والتوفيق ، وأن يمكّن له الحبَّ في قلوب الناس .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الزواج جائز في كل وقت

السؤال : **سمعت أن الزواج بين عيد الفطر وعيد الأضحى يجلب الشؤم على الزوجين ، فهل هذا صحيح ؟**

الجواب :

إن الاعتقاد السائد بين بعض الناس وهو أن الزواج بين عيد الفطر وعيد الأضحى يجلب الشؤم للزوجين أو لغيرهما ، وأنه لا ينبغي للشخص أن يتزوج في هذه الفترة : هذا الاعتقاد باطل لا أصل له في الإسلام ، ومن الواجب محاربته ، لأن الأيام عند الله سواء .

وهذا الاعتقاد موصول الأسباب بالتطير والتشاؤم ، والإسلام يحارب هذه النزعة ، ويدعو أهله إلى التفاؤل والأخذ في الأعمال الصالحة مع الاتكال على الله عز وجل .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الزواج في شهر المحرّم

السؤال : **سمعت أن الزواج حرام في شهر المحرم ، فهل هذا صحيح من جهة الشريعة الإسلامية ؟**

الجواب :

لا نعلم لهذا التحريم أصلا في الشريعة الإسلامية ، فشهر المحرم من هذه الجهة كسائر الشهور ، يجوز فيه الزواج ، كما تجوز فيه سائر الأمور المشروعة ،

وما شاع بين العامة مما يتعلق بتحريم الزواج في الشهر المذكور من المعتقدات الباطلة التي لم نجد لها مستندا من الدين ولا من العقل . وكم نود أن يأخذ المسلمون أحكام دينهم وأمور معتقداتهم من المصادر الموثوق بها التي لا تضلل ولا تحرّف .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الزواج في رمضان .

السؤال : **تزوج أحد أبناء الجالية الإسلامية ببلدة (جوهانسبرج) خلال شهر رمضان لاضطراره إلى السفر ، وقد ساور الشكُّ أعضاء الجالية بسبب هذا الزواج ، لأن رمضان شهر عبادة ، فهل يكون هذا الزواج باطلا ؟**

الجواب :

لا خلاف بين الفقهاء في جواز عقد الزواج في شهر رمضان المبارك . سواء تم هذا العقد ليلا أو نهارا . ولا خلاف كذلك بين الفقهاء في جواز الدخول على الزوجة في شهر رمضان في غير وقت الصوم ، وهو من طلوع الفجر إلى غروب الشمس ، ولا أصل لما يزعمه العامة مما يخالف ذلك ، إذ لم يرد في الشريعة الإسلامية نص يحرم العقدَ في شهر رمضان ، أو يحرم الدخول في أثنائه في غير وقت الصوم .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

زواج الارملة

السؤال : **هناك كثير من الأسر ترى من العيب الفاضح أن تتزوج الأرملة بعد موت زوجها ، لأن هذا يعد عملا لا يليق بها ، وهناك من يحول بين المرأة**

الأرملة وزواجها ، فما رأي الأسلام في هذا ؟ وهل هناك ما يمنع شرعا زواج المرأة إذا توفي زوجها وكانت صالحة للزواج ؟

الجواب :

الإسلام الحنيف حريص الحرص كله على أن يحفظ المرأة من الانحراف والزلل ، وأن يبتعد بها عن مواطن الشكوك والشبهات والريب ، ولا شك أن المرأة الأرملة إذا توفي عنها زوجها ، وكانت صالحة للزواج ، وتطلعت نفسها إلى ذلك ، وحيل بينها وبينه ستكون عرضةً للبلبلة والاضطراب ، وربما حامت حولها شبهة أو ريبة .

ولذلك نجد الإسلام يبيح للمرأة الأرملة أن تتزوج متى انتهت عدتّها ، ولم يكن هناك مانع شرعي معتبر يمنعها من الزواج ، والقرآن الكريم يقول في هذا المقام : « والذينَ يتوفونَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْواجاً يَتَرَبّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أربعةَ أشهرٍ وَعَشْراً ، فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بالمعروفِ ، واللهُ بِما تعملونَ خبيرٌ » .

أي أن المرأة التي يتوفى عنها زوجُها تنتظر بعد وفاته أربعة أشهر وعشر ليال وهذا هو مقدار عدتّها في هذه الحالة ، لأنهم قالوا إن الروح تنفخ في الجنين خلال هذه المدة ، فلو كان هناك حمل لاستبان وظهر أمره . وإذا كانت حاملا ، فإن عدتّها أن تضع حملها ، وبمجرد وضع حملها تنتهي العدة ، ولو كان الوضع بعد موت الزوج بأيام ، لأن الله تعالى يقول : « وأُلاتُ الأحمالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ » .

فإذا انتهت عدة المرأة التي مات زوجها فلا جناح عليها ولا إثم بصريح القرآن الكريم إذا تزوجت . وهذه امرأة تسمى « سبيعة الأسلمية » وَلَدت بعد وفاة زوجها « سعد بن خولة » ، وكانت على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، فأذن لها الرسول أن تتزوج إن بدا لها ذلك ، وهذا ثابت في الحديث الصحيح . وقال الإمام ابن شهاب : « ولا أرى بأسا أن تتزوج حين وضعت ، وإن كانت في دمها (يعني دم النفاس) غير أن زوجها لا يقربها حتى تطهر » .

وقال الإمام القرطبي : « وعلى هذا جمهور العلماء وأئمة الفقهاء » . وبعضهم اشترط الانتظار إلى الطهارة من النفاس .

وأكثر من هذا نجد القرآن يقول بعد الآية السابقة : « وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُم فِيما عَرَضْتُم بِهِ مِنْ خطبة النساء أو أَكْنَنْتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ ،عَلِمَ اللهُ أنكُم ستذكرُونَهُنَّ ، وَلَكِنْ لا تواعدوهُنَّ سِراً ، إلا أن تقولوا قولاً معروفاً ، ولا تعزموا عقدةَ النكاحِ حتّى يبلغَ الكتابُ أَجلَهُ » .

أي لا إثم على الر جال إذا تطلعوا إلى زواج النساء بعد وفاة أزواجهن ، وتحدثوا إليهن في ذلك حديثا رمزيا لا صريحا ، ولو كان في أثناء العدة ، مما تفهم منه المرأة أن للرجل رغبةً في زواجها بعد انتهاء عدتها ، وقد رووا أن النبي صلى الله عليه وسلم عرَضَ لأم سلمة بعد وفاة زوجها ، ثم تزوجها بعد ذلك ، والنبي خير قدوة .

والذين يخالفون ذلك يريدون أن يحرموا ما أحل الله ، ويريدون أن يعرضوا المرأةللزلزلةوالاضطراب،وهم يظنون أن زواجهايعيبهم،وهذا وهم خاطىء ، وربما ترتب على منعهم لها من الزواج أن تقع في أمر أكثر عيبا وأكبر خطأ .

وقد توجد حالات يكون من الخير فيها للمرأة ألا تتزوج ، كأن يكون عندها أولاد صغار ، لا تأمن على تربيتهم أو سلامتهم إذا تزوجت ، أو يكون المتقدم لزواجها غير صالح لها ، ولو تزوجته لأشقاها ، أو تكون قد بلغت من السن مبلغا لايجعلها أهلا للزواج ولا راغبة فيه .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الزواج العرفي

السؤال : **هل يجوز شرعا أن يتم الزواج عرفيا ؟ أريد أن أعرف كلمة الدين الإسلامي في هذا الموضوع ؟**

الجواب :

يجوز شرعا إجراء عقد الزواج شفاهاً وكتابة ، ولكن تدوينه لدى الموثق المختص في ورقة رسمية نظام وضعي ، قضت به ضرورةُ صيانةِ الحقوق عند التجاحد ، أو عند الوفاة ، بطريقة بعيدة عن التلاعب والتزوير بقدر الإمكان .

وقد نصت الفقرة الرابعة من المادة ٩٩ من لائحة ترتيب المحاكم الشرعية في مصر على أنه « لا تُسمع عند الإنكار دعوى الزوجية أو الإقرار بها إلا إذا كانت ثابتة بوثيقة زواج رسمية في الحوادث الواقعة من أول سنة ١٩٣١ » وهو تاريخ العمل بهذه اللائحة بعد التعديل للائحة السابقة الصادرة في سنة ١٩١١ م .

وإذا كان من النظم المتبعة أن الملكية لا تثبت في أصغر عقار إلا بعقد رسمي خشيةَ التلاعب والتزوير ، فأولَى ألاَّ يثبت الزواج إلا بوثيقة رسمية ، وهو أخطر شأنا وأعظم أثرا ، ومن الناس من يتوهم أنه ما دام العقد شرعا يصح بدون توثيق في ورقة عرفية أو رسمية ، فإنه يصح شفاها بمجرد أن تقول المرأة لآخر : وهبتُك نفسي ؛ ويَقْبل ذلك بدون أن يكون هناك شهود ، وذلك وهم باطل ، وهو ليس بعقد شرعي يحللها له ، بل اتصالهما بناء على مجرد هذا الإيجاب والقبول اتصال محرم .

ومن الناس من يكتفي في الزواج العرفي بإثبات القبول والإيجاب الصادرين من الطرفين ، أمام شهود توافرت فيهم الشروط الشرعية ، في ورقة عرفية موقّع عليها من الطرفين والشهود .

وهذا العقد وإن كانت تحل به الزوجة لزوجها ، له معقبات قانونية ، حيث شرع القانون عدمَ سماع الدعوى من أيِّهما بشأن الزوجية ، في الحوادث الواقعة بعد صدور القانون ، وكثيرا ما يقع نزاع بين الطرفين ، فلا يستطيع أحدهما أن يطرح الدعوى أمام القضاء الشرعي ، لعلمه بأنها لا تُسمع ، وفي ذلك إضاعة للحقوق ، واستمرار للشقاق .

ولا بد من الإشارة هنا إلى الحكمة التي دفعت المشرِّع إلى أن يجعل العقوبة

في هذه الحالة عدم سماع الدعوى ، وذلك أن الزواج كما قدمنا ، صحيح شرعا ، ولا يمكن للمشرع أن يقول إنه باطل ، فلم يجد سبيلا للعقاب على هذا التصرف الضار من الطرفين إلا أن يمنع المحاكمَ من سماع الدعوى . وهذا ليس حكماً ببطلان الدعوى ، إنما هو منع للقاضي من سماعها ، وولي الأمر يملك منعَ قضاته من سماع بعض الدعاوي ، على شرط أن يفصل هو في الدعوى بما يقتضيه المنهج الشرعي . ولكن القانون لم ينص على هذا الشرط ، فانتهى التشريع في هذا النزاع إلى عدم سماع الدعوى ، وهو شديد النكاية بمن يزعم له حقا قِبَلَ الآخر ، ولكنهما قد سلكا سبيلا ضارا لهما ، فعوقبا عليه بهذا العقاب .

ومن الغالب فيمن يتفادى توثيقَ العقد رسميا أن يحاول إخفاءه لاغراض خاصة ، والزواج مبني على الإشهار . وهو وإن كان متحققا بالشهود لدى بعض المذاهب ، فهو غير متحقق بالشهرة العامة لدى البعض الآخر .

والشارع قد حرص على إشهار الزواج وإذاعته وإعلانه ، ليكون هناك فارق بين النكاح والسفاح ، مع ما في إشهاره من إذاعة شعيرة دينية يتم بها بناء أسرة ، ويتحقق بها العفاف والصيانة ، وذلك من أهم أغراض الشارع في الزواج .

ومن الغالب في حالات الإخفاء أن يكون الزوج غير كفء ، أو أن يكون هناك اعتراض من جانب الأسرة على هذا الزواج ، كما أنه قد تكون الزوجة ممن لا يصح أن تنتظم في سلك أسرة الزوج ، لوضاعتها أو سوء سلوكها .

والشبان الذين يغرون الفتيات بهذا الزواج ويخفونه ، يقترفون إثما عظيما ، ويتعرضون لنتائج خطيرة ، فلا بد من تسجيل الزواج بالكتابة الرسمية ، احتراماً للتقاليد المتبعة ، واتقاء للشبهات والاعتراض من جانب والد الزوجة بعدم الكفاءة ، أو من جانب أهل الزوج بعدم اللياقة .

وتعمدُ إخفاء الأمر مثارُ ريبة ظاهرة ، تجر إلى سوء القالة ، وتقطع الصلةَ بين الآباء والأبناء ، وقد تؤدي إلى أحداث جسام ، وإلى الاتهام بأن هذا لم

يتم إلا بطريق الإغواء والإغراء وستظل هذه السبة أو الريبة عالقةً بهما وبأسرهما وبما ينجبان من ذرية أبد الدهر ، ولا يرضى بذلك إلا طائش مستهتر ، لا يقدر أعقاب الأمور ، وسيندم أشد الندم ولات حين مندم ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الزواج والمرض الخبيث

السؤال : هل يجوز لأحد الزوجين أن يطلب فسخَ الزواج لأن الطرف الآخر مصاب بمرض خبيث معد ؟

الجواب :

ذكر الفقهاء طائفةً من الأمراض والعيوب التي تبيح طلبَ التخلص من عقد الزواج ، كالبرص والجذام ، والجنون والعِنّة (وهي عدم القدرة على المعاشرة الزوجية) . وبعض الفقهاء يتقيد في هذا الباب بما ذكره الأئمة من عيوب ، ولا يتجاوزونه إلى ما سواها ، ولو كان شبيها بها في الضرر والعدوى ولكننا حينما نتتبع أقوال الفقهاء ، ونرى أنهم يعللون جوازَ الفسخ للزواج عند وجود هذه العيوب بأنها منفِّرة ومعدية ، نفهم أن العلة في جواز الفسخ هي وجود النفور والعدوى عند وجود هذا المرض أو ذاك .

وعلى هذا يجوز لأحد الزوجين أن يطلب فسخ الزواج لأن الطرف الآخر مصاب بمرض خبيث معد ، حتى ولو كان هذا المرض لم يُذْكَر باسمه أو صفته بين العيوب والأمراض التي نص عليها الفقهاء وذكروا أنها مبيحة لفسخ الزواج ، لأن العبرة هنا بالعلة الداعية إلى هذا الفسخ .

وللحاكم من جهة السياسة الشرعية أن يفرق بين الزوجين ، متى ثبت أن

أحدهما مصاب بمرض من هذه الأمراض التي تنفر وتعدي ، أو تمنع من المعاشرة ، أو يتعدى ضررها إلى النسل والذرية .

والله تبارك تعالى أعلم .

* * *

الزنى لا يثبت زوجية

السؤال : **زنى مجوسي بأمه ، وأنجبت الأم من ذلك الزنى ولداً، وبعدهذا أسلم الزاني وأمه ، وتوفي المجوسي الذي زنى بأمه ، فالمرأة حينئذ تكون أمه من ناحية ، وتكون زوجته من ناحية أخرى ، والولد الذي أنجبته يعتبر ابنه وأخاه ، فهل يرث الولد من ناحية أنه ابن الميت ، أو من ناحية أنه أخوه ؟**

الجواب :

الزنى أولا مرض خطير ، ينشأ عن طغيان الشهوة الجنسية في الإنسان ، حتى تخرج به عن الحد المشروع الذي رسمه الله تعالى ، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : لايزني الزاني حين يزني وهو مؤمن » .

وآثار الزنى السيئة ونتائجه الضارة كثيرة ، تعرض صاحبها لغضب الله تعالى واحتقار الناس . وهذه الجريمة هي التي تهتك الأعراض وتمزق الشرف ، وتفتح أبواب الويلات على الأفراد والجماعات . والذي يقترف هذه الجريمة يعده الاسلام كالحيوان الأعجم الذي يردعه الضرب والجلد ، ولذلك قال الله تعالى : « الزَّانيةُ والزاني فاجلدوا كلَّ واحدٍ منهما مائةَ جلدةٍ ، ولا تأخذكُمْ بهما رأفةٌ في دينِ اللهِ » .

ويعود القرآن الكريم إلى تقبيح أمر الزنى وتقبيح فاعله فيقول : « « الزَّاني لا ينْكِحُ إلاَّ زَانيَةً أوْ مُشْرِكَةً ، والزَّانِيَةُ لاَ يَنْكِحُهَا إلاَّ زَانٍ أوْ مُشْرِكٌ ، وحُرِّمَ ذَلكَ عَلَى المُؤْمِنِينَ » .

وحذر الله تعالى عباده الاقتراب من الزنى ، حتى لا يتعرضوا لغضب الله ومقته ونقمته ، وحتى لا تسوء عاقبتهم ويعوج طريقهم بسبب هذه الفاحشة

المنكرة فقال : « وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَى إنّه كَانَ فاحشةً وساءَ سَبيلاً » .

والرسول صلى الله عليه وسلم قد جعل ظهور الزنى من علامات الساعة في بعض أحاديثه ، وفي حديث آخر أخبرنا أن من حفظ فرجه من الزنى ، ولسانه من الباطل ومن الكلام المحرم ، ضمن له الرسول الجنة . يقول الحديث : « من توكل لي ما بين رجليه وما بين لحيْيه توكلت له بالجنة » . رواه البخاري والترمذي .

وهكذا نرى أن الزنى في نظر الإسلام شيء منكر قبيح ، وهو أمر تأباه النفوس الكريمة ، فكيف إذا كان مع أم الزاني ، إنه لا يفعل ذلك إلا من فقد إنسانيته ، واستمرأ حيوانيته ، وانحط عن مستوى البشر .

ثم نقول بعد هذا : إن فقهاء الإسلام قد اتفقوا على أن سبب الميراث هو الزوجية والقرابة . وهنا في الحالة التي يسأل عنها السائل لم توجد زوجية ، لأن الأمر لم يخرج عن كونه زنى ، وكذلك لا توجد قرابة ، لأن نسبة الولد إلى أبيه في حالة الزنى هذه نسبة غير محترمة وغير معتبرة .

والرابطة الزوجية تتحقق بين الرجل والمرأة إذا جاءت عن طريق الزواج، بالعقد الشرعي الذي بيّن الإسلام حدودَه وذكر شروطه ، وزنى هـذا المجوسي بأمه لا يصح أن يكون زواجا لمانعين : أولهما أن التي زنى بها هي أمه ، وأمه محرمة عليه بصريح القرآن ، لا يصح له أن يتزوجها ، فضلا عن أن يزني بها ، والله تعالى يقول : « حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ » . وثانيهما أن اتصاله الجنسي بها كان زنى ولم يكن زواجا ، والفقهاء يقولون : إن المرأة المعقود عليها في نكاح فاسد لا تسمى زوجة بحال من الأحوال ، فكيف نسمي المرأة المزني بها زوجة .

وحيث أنه لم يتحقق بينهما زواج يعتبره الإسلام ، فإن ما نشأ عن هذا الزنى لا يكون مشروعا في الإسلام ، ولا يقام له اعتبار .

ومثل هذا يقال في ثبوت نسب الولد إلى أبيه ، فالإمام أبو حنيفة النعمان رضي الله عنه يقول : إن العقد الصحيح هو السبب في ثبوت نسب الولد ،

والزنى ليس عقدا صحيحا ولا عقداً غير صحيح ، فهو لا يُثبت نسبا ، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « الولد للفراش وللعاهر الحجر » .

ومعنى هذا – كما جاء في كتاب النهاية للامام ابن الأثير – أنه لا حظّ للزاني في الولد ، وإنما يكون الولد لصاحب الفراش – فراش الزوجية – أي صاحب أم الولد وهو زوجها ، لأنه صاحب هذا الفراش ومالك التصرف فيه ، وأما العاهر وهو الزاني فله الخيبة والحرمان وسوء الجزاء .

وثبوت النسب نعمة ، والجريمة – وهي هنا جريمة الزنى – لا تثبت نعمة ، بل يستحق أهلها العذابَ والنقمة ، وحتى لو اعترف الوالد صراحةً بأن هذا ابنه من الزنى لا يثبت نسبه إليه ، لأن الزنى مهدور الحقوق .

وإذا كان هذا الولد ينسب إلى أمه اصطلاحا ، لأنها هي التي ولدته ، فإنه يكون غير ثابت النسب ممن كان السببَ فيه – وهو الزاني – ولو كان معروفا ومقرا بأن الحمل كان منه ، لأن الولد كما ذكرنا جاء ثمرة للزنى ، والميراث نعمة ، إذ هو مال يسوقه الله تعالى إلى الوارث بغير تعب أو مجهود ، ولا يقبل عاقل أن تكون الجريمة سبباً للنعمة .

وعلى هذا لا يكون هناك ميراث بين الزاني وولده من الزنى ، وكذلك لا ترث الزانية من ذلك الزاني على اعتبار أنها زوجته ، لأنه لم تكن هناك زوجية .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

خصام داخل أسرة

السؤال : **حدث خلاف بين إخوتي ووالدي . وكلما حاولت أن أعقد الصلح بين الطرفين أمعن والدي في الخصام . وفي اعتقادي أن « عمتي » هي التي تعمل على اتساع الخصام بين والدي واخوتي ، فأرجو من فضيلتكم أن توضحوا لنا رأي الدين في الخصام دون ما سبب . كما أرجو أن توجهوا كلمة**

إلى والدي ربما تعيد صفو العلاقة إلى عائلتنا التي نكبت بهذا الخصام .

الجواب :

جاء الإسلام والناس في فرقة وشتات ، وتناحر وتشاجر ، فعمل أولَ ما عمل على جمع الكلمة وتوحيد الأمة والتآلف بين القلوب . واستطاع أن يخرج من القبائل المتعادية أمةً قوية متماسكة متراحمة ، وامتن الله على عباده بذلك فقال : « وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا ، واذكروا نِعمَةَ اللهِ عليكُمْ ، إذْ كُنْتُمْ أعداءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ، فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَته إخوانا ». ويقول : « إنما المؤمنون إخوة » . ومعنى هذا كله أنّ المسلم أخ للمسلم ، لا يخذله ولا يظلمه ، ولا يقصر في حق من حقوقه ، ولو كان بعيدا عنه من جهة النسب والقرابة ، فكيف إذا كان قريبا له ؟ إن الحب في هذه الحالة يجب أن يكون أقوى وأشد ، والقرآن الكريم يخبرنا بأن الصلح خير ، وبأن أتباع محمد عليه الصلاة والسلام رحماء بينهم.. والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه المسلم فوق ثلاث ليال يلتقيان فيُعرض هذا ، ويعرض هذا ، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام » . كما أنه روي عنه أنه نصح للمسلم بأن يعفو عمن ظلمه ، ويصل مَنْ قطعه ، ويعطي من حرمه .

ومن هذا يتبين لنا أن الواجب على المسلم هو أن يبتعد عن أسباب العداوة والخصام ، وأن يسارع إلى كلمة الصلح والوفاق ، وإلا كان ساعيا في التفرقة والشتات ، ويتعرض بذلك لغضب العزيز الجبار ، وسبحان من لو شاء لهدانا جميعا إلى سواء السبيل .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الغريزة الجنسية والسجن

السؤال : **هناك شخص محكوم عليه بالسجن بعدة سنوات ، وهو متزوج ،**

فماذا يصنع لإرضاء غريزته ؟ وهل تعتبر العفة ضرورية لمثله ؟ وما علاج الناحية الجنسية عند المسجونين ؟

الجواب :

لا يستطيع أحد يحرص على الفضيلة والأخلاق أن يقول ان العفة ضارة ، وإن كان الملاحَظ في الوقت نفسه أن الغريزة الجنسية من أقوى الغرائز في الإنسان ، إن لم تكن أقواها جميعا ، وهذه الغريزة تحتاج إلى إرضاء وتعبير عن نفسها ، وإذا لم تنل هذه الغريزة إرضاءها بطريق مستقيم أو مشروع ، التمست ذلك بطريق منحرف أو غير مشروع .

وقد جرى عرف الناس على عدم الحديث عن هذه الغريزة ، وبعضهم يعده عيبا ، وليس هذا من استقامة التفكير في شيء ، فالغريزة الجنسية كسائر الغرائز الطبيعية ، التي تكون قوة من قوى الخير إذا استقامت وأحسن الناسُ استعمالها ، وتكون قوة من قوى الشر إذا أساؤوا استخدامها. ونستطيع بسهولة أن نقول : إن جوع الجنس كجوع البطن ، فكما يحتاج البطن إلى غذاء ، تحتاج غريزة الجنس إلى إرضاء ، وليس في هذا الإرضاء غضاضة أو عيب ما دام الإرضاء يأتي عن طريق بعيد عن الحرام .

والإسلام يقدِّر لهذه الغريزة قيمتها ، ويعمل على تهذيبها وإرضائها ، لأنها هي الوسيلة لبناء الأسرة ، واشتراك المرأة مع الرجل في الحياة ، وهي كذلك الوسيلة لبقاء النوع الإنساني واتصال النسل .

ولذلك نجد الإسلام يشرع الزواج لإرضاء هذه الغريزة وتحقيق فوائدها . والأصل أن يتزوج الإنسان متى وجد من نفسه ما يدعوه إلى إرضاء غريزته ، وما دام قادرا على تكاليف الزواج ، وهيأت له ظروفه أن يفعل .

ولكن قد يعجز الإنسان عن تكاليف الزواج مع رغبته فيه ، وهنا ينصح الإسلام بحسن المقاومة للنزوات ، والاستعانة على ذلك بما يستنفد الطاقة الثائرة في الرغبة الجنسية ، ويشغل صاحبها عن الاشتغال بها أو التفكير فيها ، وهنا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « يا معشر الشباب ، من استطاع منكم الباءة

(أي تكاليف الزواج) فليتزوج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم ، فإنه له وجاء » (أي وقاية وصيانة) .

وإنما نصح الرسول بالصوم لأنه يخفف حدةَ الشهوة ، ويوجد في الإنسان نوعاً من الروحانية ، يجعله غير منشغل كثيرا بالتفكير في هذه الناحية .

وما دام الرسول قد نصح بالصوم كملطِّف لحدة الغريزة ، وشاغلٍ عن التفكير فيها ، فلا يصعب علينا أن نعتبر الصوم إحدى الوسائل التي يمكن استخدامها هنا ، ولا يمنع أن نستعمل وسائل أخرى للتلطيف والتهذيب ، فهناك الرياضة بأنواعها وهي من أجود الوسائل لشغل الذهن عن التفكير في هذه الأمور ، ولاستهلاك الفائض من فضلات الجسم وحيويته عن القدر المناسب له ، وهناك الفنون بأنواعها النظيفة ،وهناك المطالعة والكتابة ، وهناك قبل هذا كله التدين المصحوب بالتعبد المنتظم..كل هذه عوامل ملطِّفة، وإن كنا لا نستطيع الجزم بأنها كافية لعلاج هذه الحال علاجا حاسما نهائيا .

وقد يلجأ مَنْ تستبد به غريزته إلى التنفيس عنها بالعادة السرية ، وهي مهما كان وضعها لا تخلو من انحراف وضرر ، وإن كنا نجد من الناحية الدينية أن الفقهاء قد اختلفوا في أمرها ، فكثير منهم يمنعها، ومنهم من يبيحها عند وجود دواعيها ، ولكن جمهورهم يرى أن الإنسان إذا تعرض للزنى ، كان الأحسن أن يلجأ إليها بدلا عنه وفرارا منه ، وهذا يفيد أنهم يعتبرونها وسيلة لتجنب الوقوع في الفاحشة ، ولست أدري مدى صلاحية هذه الوسيلة لعلاج الحالات التي يمتد أجلها ويطول مداها ، مع أن هناك من الأطباء من يرى أن هذه العادة ليست بليغة الضرر بالصورة التي يشيعها عنها عامةُ الناس ، وإنما الذي يضر فيها هو اعتيادها ، أو الخروج بها إلى مجال الإسراف ، وهذا الذي يحدث عادة ممن يعرفون هذه العادة ويمارسونها .

وأما عن الحالة المسؤول عنها في السؤال فأرى أنها تدخل في نطاق الحالات الفردية التي لا يسهل فيها تقعيدُ قاعدة أو وضع قانون ، لأن الشخص صاحب المشكلة مذنب يقضي فترةَ عقاب ، فهو إذن ليس في وضعه الطبيعي من

الحياة والمجتمع ، فعليه أن يعتبر نفسه في حالة لا يتمتع فيها صاحبها بكل ما يتمتع به الفرد العادي .

وقد يكون من وسائل العلاج هنا أن تنظم زيارات بين الأزواج والزوجات ، بحيث تتم داخل السجن أو خارجه ، وفي هذه الزيارات علاج لا يقتصر على الأزواج المسجونين وحدهم ، بل يشمل علاجَ زوجاتهم في الخارج ، وهن اللواتي قد يتعرضن لمثل ما يتعرض له أزواجهن أو أكثر في هذه الناحية .

وقد يكون من العوامل المعاونة على علاج المشكلة في هذه الحالة أن يتجنب الإنسان العواملَ المثيرة لغريزته ، سواء أكان ذلك يتعلق بالطعام أم بالشراب أم بلون من القراءة أم بالفراغ أم بحوافز التفكير في هذه الأمور ، كما يستطيع إذا اشتدت به حالته وخشي منها السوء أن يستعين بما ذكرناه من وسائل ملطفة أو مهذبة .

وفيما يتعلق بالقائمين على شؤون السجون أرى أن يعاونوا على إيجاد الجو الملطف والمهذب ، وهذا يتحقق بعدة أمور منها : إفراد كل مسجون بمكان ، أو وضع أكثر من مسجونين في كل حجرة ، وتوفير وسائل الرياضة البدنية التي تحقق التربية الرياضية ، وكذلك وسائل الفنون المختلفة ، وتهيئة الكتب والمراجع ، بشرط أن تكون من النوع المثمر المنتج البعيد عن الإثارة لنزعات الجسد ورغبات الجنس ، وعليهم أن يحسنوا علاج ما يقع من نزوات أو هفوات في هذا الباب ، متذكرين أن الإنسان عرضة للخطأ ، وأن حسن علاج الخطأ مع توفير الوقاية منه خير وسيلة لتجنبه فيما يستقبل .

ولا أحب أن أنهي الحديث قبل أن أقرر أن مثل هذا الموضوع لا يعالج بمثل هذه السرعة ، ولا بمثل هذه العجلة في الإجابة ، لأن المشكلة عميقة ومتشعبة الفروع ، وهي تحتاج إلى طويل النظر وعميق الفهم ، ولعل هذه الكلمات العاجلة يتوافر فيها حسن القصد الذي يفتح الباب أمام المختصين من الباحثين والمسؤولين ، ليعالجوا هذه الناحية في ضوء الدين والفضيلة والإصلاح

وقد يكون من الخير أن تتألف لجنة من المختصين بشؤون الدين والاجتماع والنفس لبحث هذه المشكلة ، ووضع الأسس العلمية الكفيلة بعلاجها علاجا نافعا مستقيما ، لأن الاضطراب الجنسي يؤدي إلى أضرار فردية وجماعية لا يتسع هذا المجال لبحثها واستقصائها ، وهي من البروز والوضوح بحيث لا يحتاج خطرها إلى بيان أو إيضاح .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

تشبه النساء بالرجال

السؤال : عمد بعض الفتيات اللاهيات أخيراً إلى ارتداء الثياب الافرنجية تشبها بالرجال ، فما هو حكم الإسلام في ذلك التقليد ؟

الجواب :

الرجل رجل ؛ والمرأة مرأة ، وبينهما من الفروق الجسمية ما بينهما ؛ ولكل منهما أعمال ومجال ومظهر خاص ، فالرجل إذا تشبه بالمرأة في عمله أو صوته أو مشيته أو لباسه صار متأنثا داخلا في زمرة النساء ؛ وإذا تشبهت المرأة بالرجل في شكلها أو زيها فقد أفسدت أنوثتَها وخرجت عن نطاقها ، ولذلك رُوي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه الإمامان أحمد وأبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه : أنه لعن الرجلَ يلبس لبسَ المرأة ، والمرأةَ تلبس لبس الرجل . وعن عائشة رضي الله عنها : لعن الرسول صلى الله عليه وسلم المترجلة من النساء . وأخرج البخاري وغيره عن ابن عباس رضي الله عنه : لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المتشبهات من النساء بالرجال ، والمتشبهين من الرجال بالنساء ، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص فيما يرويه الإمام أحمد أنه رأى امرأة متقلدة قوسا وهي تمشي مشيةَ الرجل، فقال : من هذه ؟ فقالوا : هذه أم سعيد بنت أبي جهل ، فقال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ليس منا من تشبه بالرجال من النساء .

وقال النبي في المترجلات : أخرجوهن من بيوتكم . وعن أبي هريرة قال : أتي رسول الله بمخنث قد خضب يديه ورجليه بالحنّاء ، فقال الرسول : ما بال هذا ؟ فقالوا : يتشبه بالنساء . فأمر به فنُفِيَ إلى البقيع ، قيل يا رسول الله : ألا تقتله ؟ قال : إني نُهيت أن أقتل المصلين . وكذلك اقتدى أبو بكر بالرسول فأخرج مخنثا ، وجاء عمر فسار على النهج فأخرج مخنثا آخر .

وقد أهدى الرسول إلى أسامة قبطيةً (أي ثوبا يصنعه قبط مصر) فأعطاها أسامةُ لأمرأته . فقال له الرسول : مالك لا تلبس القبطية ؟ قال أسامة بن زيد : يا رسول الله ، كسوتُها امرأتي . فقال النبي : مُرْها أن تجعل تحتها غلالة (الشعار الذي يلبس تحت الثوب) فإني أخاف أن تصف حجمَ عظامها. وفي رواية: مُر امرأتَك تجعل تحته ثوبا لا يصفها. وهذا الحديث كما يقول الشوكاني يدل على أنه يجب على المرأة أن تستر بدنها بثوب لا يصفه ، وهذا غير متوافر في ثياب الرجال الإفرنجية الضيقة ، فإنها بضيقها تصف الأعضاء في الجسم كما هو معروف .

وعن أم سلمة أن النبي صلوات الله وسلامه عليه دخل عليها وهي تختمر (أي تضع خمارها) فقال : لَيّةً لا لَيّتين . وإنما أمرها بذلك حتى لا يكون الخمار إذا لُوِيَ ليتين شبيهاً بعمامة الرجال .

أظن أن في هذا المقدار من النصوص والأدلة غنى وكفاية لإظهار أن المرأة مرأة ، والرجل رجل . وأما أن يميل الرجل إلى التشبه بالنساء فخسة تأباها الرجولة ، وأما أن تطمح المرأة إلى التشبه بالرجل فجموح وتطاول ، وقد أصاب من قال : « مهما اجتهدت المرأة في أن تقلد الرجل فجل ما تصل إليه أنها لا تصير رجلا ، ولا تعود امرأة » . والله ولي التوفيق .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

حديث عن الحب

السؤال : **هل هذا حديث : « من أحب فعف فكتم فصبر فمات فهو شهيد » .**

الجواب :

الحب غريزة في النفوس مطبوعة ، فالمرء يميل إلى مَنْ يهوى ، ويتعلق بمن يختار . وهناك ألوان من الحب المختلفة ، كحب الأبوة ، وحب الأمومة ، وحب البنوة ، وحب الحليلة ، وأعلى أنواع الحب في الوجود هو حب الله المسيطر على كل موجود ؛ وكلما قصد المحب واستقام طريقه وطهرت غايته ، كان مقبولا مرضيا ، والعكس بالعكس ؛ وهذا الحديث رواه سويد بن سعيد ، كما رواه الزبير بن بكار ، وفيه روايتان : الأولى : « من عشق فعف فمات فهو شهيد » . والأخرى : « من عشق وكتم وعف وصبر غفر الله له وأدخله الجنة » . ومعنى الحديث في روايتيه ليس مما يأباه روح الإسلام ، وخصوصا إذا لم نفهم من العشق معنى التعلق بالجسد وصورته ومطالبه . بل فهمنا منه الميل القوي مع التعفف عن الخنا ، وإنما نقول ذلك لأن بعض النقاد طعنوا في سويد راوي الحديث ، ولقد رأيت ابن القيم في « زاد المعاد » يطيل الحديثَ حاملا على العشق ، مصورا له بأنه مرض إذا استحكم عزَّ على الأطباء دواؤه ، وأنه كما قال بعضهم حركة قلب فارغ ، ويذكر الحديث السابق برواياته ثم يقول :

« هذا الحديث لا يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يجوز أن يكون من كلامه ، فإن الشهادة درجة عالية عند الله ، مقرونة بدرجة الصديقية ولها أعمال وأحوال هي شرط في حصولها ، وهي نوعان : عامة وخاصة ، فالخاصة الشهادة في سبيل الله ، والعامة خمس مذكورة في الصحيح ، ليس العشق واحداً منها ، وكيف يكون العشق الذي هو في شرك المحبة وفراغ عن الله ، وتمليك القلب والروح والحب لغيره ، تُنال به درجة الشهادة ؟ هذا من المحال ، فإن إفساد عشق الصور للقلب فوق كل إفساد ، بل هو خمر الروح الذي يُسكرها ، ويصدها عن ذكر الله وحبه والتلذذ بمناجاته والأنس به ،

وتوجب عبوديةَ القلب لغيره ، فإن قلب العاشق متعبد لمعشوقه ، بل العشق لب العبودية ، فإنها كمال الذل والحب والخضوع والتعظيم ، فكيف يكون تعبد القلب لغير الله مما تُنال به درجةُ أفاضل الموحدين وساداتهم وخواص الأولياء ؟ فلو كان إسناد هذا الحديث كالشمس كان غلطا ووهما ، ولا يُحفظ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لفظُ العشق في حديثٍ البتة .

ثم إن العشق منه حلال ومنه حرام ، فكيف يُظَنّ بالنبي صلى الله عليه وسلم انه يحكم على كل عاشق يكتم ويعف بأنه شهيد ، فترى من يعشق امرأةَ غيره ، أو يعشق المُرْدَان والبغايا ينال بعشقه درجةَ الشهداء ؟ وهل هذا إلا خلاف المعلوم من دينه صلى الله عليه وسلم ؟ كيف والعشق مرض من الأمراض التي جعل الله سبحانه لها أدويةً شرعا وقدرا ، والتداوي منه إما واجبا إن كان عشقا حراما ، وإما مستحبا ، وأنت إذا تأملت الأمراض والآفات التي حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابها بالشهادة ، وجدتها من الأمراض التي لا علاج لها ، كالمطعون والمبطون والمجنون والحريق والغريق ، وموت المرأة يقتلها ولدها في بطنها ، فإن هذه بلايا من الله لا صنع للعبد فيها ولا علاج لها ، وليست أسبابها محرَّمة ، ولا يترتب عليها من فساد القلب وتعبده لغير الله ما يترتب على العشق » اهـ .

ثم أخذ ابن القيم يضعِّف الحديثَ ، ويطعن في صحته ، ويذكر ما قاله رجال الحديث من طعن سويد راويه ، ثم ذكر أنهم عابوا على الإمام مسلم إخراجَه للحديث مع هذه الحال .

ويمكن عند التدبر والإمعان أن يُرَدَّ على أغلب ما ذكره الإمام ابن القيم ؛ فقد أغلظ القول وفسح دائرته ، وخرج بالأمر عن قصده ، مع أن مدار البحث لا يخرج عن تعلق روح بروح ، وميل قلب إلى قلب ، وذلك فطرة فطر اللهُ الناسَ عليها ، وهي مما لا يعاب إذا لم يصحبها عابٌ ، وحسبنا قول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « الأرواح جنود مجنَّدة ما تعارف منها

ائتلف ، وما تناكر منها اختلف » . وقوله : « لا يحب المرءُ قوما إلا حُشر معهم » .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

منع الحمل

السؤال : **هل يجوز للزوج شرعا أن يحول دون حمل امرأته ؟**

الجواب :

هذه العملية تعرف عند الفقهاء باسم « العزل » ، والواقع أن العزل طريق غير طبيعي يلجأ الرجل إليه عند الحاجة ، ويعرِّض نفسَه وزوجته معه لبعض المضايقات حسب اختلاف الطبائع ، ولكننا برغم هذا نجد في سنة رسول الله صلوات الله وسلامه عليه أحاديث كثيرة ، تشير إلى جواز العزل ، وحسبنا أن نسوق هنا هذه الطائفة الكريمة من الأحاديث [1] :

في الصحيحين عن جابر قال : كنا نعزل على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن ينزل ، وفي رواية : كنا نعزل ، فبلغ ذلك النبيَّ صلى الله عليه وسلم فلم ينهنا .

وفي صحيح مسلم عن جابر أيضا أن رجلا أتى الرسولَ صلى الله عليه وسلم فقال له : يا رسول الله ، إن لي جارية هي خادمتنا وسانيتنا في النخل [2] ، وأنا أطوف عليها ، وأكره أن تحمل . فقال عليه الصلاة والسلام : اعزل عنها إن شئت ، فإنه سيأتيها ما قُدِّر لها .. فلبث الرجل ما شاء الله ، ثم أتى

---

(١) راجع كتابي « الدين وتنظيم الأسرة » ، ص ٥٨-٦٨ . والمجلد الأول من كتابي « يسألونك في الدين والحياة » ص ٢٤٧ .

(٢) السانية في الأصل هي الناقة التي تحمل الماء ، وكأنه أراد أنها تسقي لهم النخل (كتاب الدين وتنظيم الأسرة ، هامش صفحة ٥٩) .

الرسولَ بعد ذلك فقال : إن الجارية قد حملت . فقال : قد قلتُ سيأتيها ما قُدِّر لها .

وفي الصحيحين عن أبي سعيد قال : أصبنا سَبْياً فكنا نعزل ، فسألْنا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال : إنكم لتفعلون ؟ (ثلاثا) ما من نسمة كائنة إلى يوم القيامة إلا وهي كائنة .

وفي السنن أن رجلا قال : يا رسول الله ، إن لي جارية وأنا أعزل عنها ، وأنا أكره أن تحمل ، وأنا أريد ما يريد الرجال ، وإن اليهود تحدِّث أن العزل الموؤدة الصغرى . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : كذبت اليهود ، لو أراد الله أن يخلقه ما استطعت أن تصرفه .

ورُوي أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم : إن عندي جارية ، وأنا أعزل عنها . فقال صلى الله عليه وسلم : إن ذلك لا يمنع شيئا أراده الله . فجاء الرجل فقال : يا رسول الله ، إن الجارية التي كنتُ قد ذكرتها لك حملت . فقال النبي : أنا عبد الله ورسوله .

وفي مسند أحمد وسنن ابن ماجة من حديث عمر : أن الرسول صلى الله عليه وسلم نهى أن يعزل عن الحرة إلا بإذنها . ووجه الدلالة في هذا الحديث أن العزل يباح إذا أذنت الحرة ، وقد تأذن .

وفي صحيح مسلم أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله، إني أعزل عن امرأتي . فقال النبي : لِمَ تفعل ذلك ؟ قال : أشفق على ولدها – أو قال على أولادها – فقال النبي : لو كان ضارًّا لضر فارسَ والروم .

هذه مجموعة من الأحاديث النبوية ، وكلها تشير إلى جواز العزل وعدم تحريمهصراحة ، ولو لم يكن بجوارها ما يتعارض معها لسهل الأمر ، وانتهينا إلى القول بأن العزل مباح في الإسلام بلا اعتراض ، ولكننا نجد في صحيح مسلم حديثاً نبويا كريما من درجة الأحاديث السابقة في الصحة والقوة ، وهذا الحديث يشير إلى كراهية العزل ، والى التنفير منه وتقبيح أمره ، ففي صحيح مسلم أن الرسول سئل عن العزل فقال : ذلك الوأد الخفي ... وقد قالوا :

إن هذا الحديث يصح أن يكون ناسخا للأحاديث السابقة المبيحة ، لأن الأصل في الأشياء الإباحة ، وهذا الحديث المانع ناقل عن الأصل ؛ ولكن هذا القول يحتاج إلى تعيين الزمن الذي قيل فيه هذا الحديث ، ليثبت له التأخرُ عن الأحاديث السابقة ، فيصح به النسخ .

ومن الذين تكلموا في ذلك الموضوع الإمام الغزالي في « الإحياء » والإمام ابن القيم في « زاد المعاد » والإمام الشوكاني في « نيل الأوطار » ، وغيرهم .

ونخلص من البحث في الموضوع بأن أدلة الإباحة في العزل أكثر وأقوى من أدلة المنع ، وأن القائلين بجوازه أكثر من القائلين بحرمته ، ومن الممكن التوفيق بين الطائفتين ، بأن يقال في اختصار : إن العزل يجوز عند وجود السبب القوي والعذر الشرعي ، ولا يجوز لمجرد الهوى أو السبب التافه .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

حرمة المصاهرة

السؤال : أحبَّ فتاةً وخطبها ، وقبل عقده عليها أخطأ مع أمها ، فهل يجوز له شرعا أن يتزوج هذه الفتاة ؟

الجواب :

في المذهب الحنفي أن الزنى يوجب حرمة المصاهرة ، فمن ارتكب الفاحشة مع امرأة حرم عليه أصولُها وفروعها ، فلا يجوز للرجل إذن أن يتزوج بنت المرأة التي ارتكب معها الخطيئة .

ولكن بعض الفقهاء قال إن الزنى لا يوجب حرمةَ المصاهرة ، وعلى قول هذا البعض يجوز له أن يتزوج البنت .

ومن الخير لهذا الشخص أن ينصرف عن التزوج بتلك البنت ، لأن الجريمة التي ارتكبها ستكون سبباً للقلاقل والمتاعب ، وليتب إلى الله مما فعل .

والله تبارك وتعالى أعلم .

المهر في الزواج

السؤال : هل يعتبر المهر ركنا أساسيا في الزواج ؟ وإذا لم يؤد الزوج مهرا فهل يكون الزواج باطلا ؟

الجواب :

المهر هو مقدار المال الذي يقدمه الزوج إلى زوجته مقابل زواجها ، وهذا المال يجب في ذمة الرجل لزوجته ، سواء أسمّاه واتفق عليه أم لم يسمّه ولم يذكره ، حتى ولو اشترط عدم دفعه ، فإن هذا المهر واجب في ذمة الزوج . يلزمه أن يؤديه حالا أو مستقبلا .

فإذا كان المهر مقدّرا وجب عليه دفعُ ما قدره ووافق عليه ، وإن كان غير مسمّى فإنه يدفع لها مهر المثل ، أي مهر مثلها من قريباتها أو قريناتها ، ممن هنّ في مستواها .

وهذا المهر قد يسقط ، كما في حالة ارتداد الزوجة عن الإسلام . وقد يسقط نصفه إذا طلق الزوج زوجته قبل الدخول عليها .

ويدفع هذا المهر عند الدخول ، ويجوز دفعه قبل ذلك ، ويجوز دفع بعضه وتأجيل بعضه ، وإذا تأخر منه شيء ، فإنه يجب دفع هذا المتأخر بحلول أقرب الأجلين : الطلاق أو الموت ؛ ولا يبرأ ذمة الزوج من المهر إلا بأدائه أو بإبراء الزوجة له .

والله تبارك وتعالى يقول في سورة النساء «وَآتُوا النِّسَاءَ صدقاتِهِنّ نحلةً» أي ادفعوا إليهن مهورهن فريضة واجبة. والرسول عليه الصلاة والسلام يقول : «من كشف خمار امرأة ونظر إليها وجب الصداق ، دخل بها أم لم يدخل» .

والمهر – في الوقت نفسه – ليس ركنا من أركان الزواج ، بل هو أثر من آثاره ، فلو أن رجلا عقد على امرأة ، دون أن يحدد لها مهراً ، صح الزواج ، ووجب على الزوج أن يدفع لها مهر المثل ، واستدلوا على ذلك بقول الله تعالى : «لا جناحَ عليكمْ إن طلقتمُ النِّساء ما لم تمسوهنّ أو تفرضوا لهنّ

فَرِيضَةً » . فهذا معناه أنه يصح للرجل أن يطلق زوجته قبل الدخول، ودون تحديد مهر ، والطلاق لا يكون إلا بعد زواج .

ولكن الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه يقرر أن الزواج لا يصح ولا ينعقد دون مهر .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

حرمان المرأة من الزواج

السؤال : **هناك من يمنع البنات من الزواج ، ويحاصر البنت في البيت مدة حياتها ، فلا تتزوج ولا تخرج من بيته إلا على النعش ، فهل هذا مباح شرعا ؟**

الجواب :

الزواج سنة الإسلام ، وقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام : « الزواج سنتي فمن رغب عن سنتي فليس مني » ، والزواج حق للمرأة متى توافرت شروطه ، ولا يمنعها من هذا الحق إلا ظالم أو جاهل ، وقد جاء في صحيح الإمام مسلم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « البنت أحق بنفسها » . كما روى الإمام الترمذي أن النبي صلوات الله وسلامه عليه قال يخاطب الرجال في شأن بناتهم : « إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه (أي زوجوه) إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد » . قالوا : يا رسول الله ، وإن كان فيه ؟ (أي وإن كان فقيرا ، أو أسرتهمتواضعة) فقال عليه الصلاة والسلام : « إذا جاءكم من ترضون دينه وخُلقه فأنكحوه وكرر الرسول قوله هذا ثلاث مرات .

ومن الميسور أن نفهم من هذا الحديث الشريف أنه لا يجوز للأب أن يعضل بنته عن الزواج ، أي يمنعها ، ما دام قد تقدم إلى زواجها من يصلح لها . ولوفعل الأب ذلك العضل لكان مخطئا في حق ابنته ، ومانعا ما أباحه الله

من سنة الزواج ، وما حث عليه الإسلام ورسول الإسلام عليه الصلاة والسلام .

ومما يتصل بهذا أنه لا يجوز لولي البنت أن يمنعها من العودة إلى زوجها الذي طلقها ، او الرجل الذي يريد زواجها ، ما دامت هي راضية به ، وما دام هو راضيا بها . وليس هناك سبب شرعي يمنع هذا الزواج ، وفي هذا جاء قول الله تبارك وتعالى في سورة البقرة : « وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ، ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» ويقول الله في سورة النساء : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا ، وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ » .

وقد جـاء في بعض التفاسير [1] أنه كان من عادات الجاهلية أن يتحكم الرجال في تزويج النساء ، إذ لم يكن يزوِّج المرأة إلا وليها ، فقد يزوجها بمن تكره ، ويمنعها من تحب ، لمحض الهوى ، وأن الرجال المطلقين كانوا يفعلون ذلك . فيتحكم الرجل بمطلقته فيمنعها أن تتزوج أنفة وكبرا أن يرى امرأته تحت غيره ، فكان يصد عنها الأزواج بضروب من الصد والمنع ، كما كان يراجعها في آخر العدة لأجل العضل ؛ وقد أثبت الإسلام الولاية للأقربين ، ولكنه حرَّم العضل ، وهو المنع من الزواج ، وحرَّم أن يزوِّج الوليُّ المرأة بدون إذنها ، فجمع بين المصلحتين .

وجاء أنه لا إثم ولا نُكر في أن يخطب الرجل المرأة إلى نفسها ، ويتفق معها على الزواج ، ويحرم حينئذ عضلها ، أي امتناع الولي أن يزوجها منه ، إذا كان ذلك التراضي في الخطبة بالمعروف شرعا وعادة ، بأن لا يكون هناك شيء محرَّم ، ولا شيء يخل بالمروءة ، أو يُلحق العار بالمرأة وأهلها .

---

(١) تفسير المنار الجزء الثاني .

بل ويقول بعض المجتهدين من المفسرين المعاصرين [1] إنه إذا أرادت المرأة أن تتزوج بأقل من مهر مثلها ، ولم يكن الحامل لها على ذلك هو فساد الأخلاق المسقط للكرامة ، أو اتباع الهوى وإرضاء الشهوة ، بل كان ميلاً إلى رجل مستقيم يُرجى منه حسن العشرة وصلاح المعيشة ، إلا أنه يعسر عليه دفع مهر كبير مع نفقات الزواج الأخرى ، فلا يجوز حينئذ العضل ، بل يجب تزويجه .

ومن هنا نفهم أنه لا يجوز للأب شرعا أن يحبس ابنته في بيته ، ويمنعها الزواج بمن يصلح لها ، ولا يجوز له أن يحكم عليها بالحرمان المؤبد من الزواج ، فذلك تحريم لما أحله الله تعالى ، وبعض الآباء يعمد إلى هذا التحريم ، فتكبر منهم الجناية على بناتهم ، وقد ينشأ عن هذا التعنت مفاسد لا يعلم سوء عاقبتها إلا علام الغيوب .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

المرأة وعقد الزواج

السؤال : **هل تستطيع المرأة أن تعقد لنفسها عقد الزواج ، دون تدخل من وليها ؟ وهل يبيح الدين أن تكون العصمة في يدها ؟**

الجواب :

الزواج حق المرأة ، فهي أولى بإبداء الرأي فيه موافقة أو ممانعة ، ولا يجوز لولي الفتاة أن يرغمها على الزواج بمن تكرهه أو لا تريده زوجا لها ، وقد حدث على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم أن أبطل زواج فتاة زوجها أبوها على الرغم منها برجل لم تبد موافقتها عليه ، واحتكمت إلى رسول الله في ذلك فأيدها ونصرها — .

وكذلك طلب الدين من ولي أمر الفتاة أن يأخذ موافقتها على من يتقدم

---

(١) الإمام محمد عبده ، المرجع السابق .

للزواج بها ، لأنها هي التي ستعاشره وتساكنه ، وهذا حقها فلا يغلبها عليه غالب .

ومن هذا نفهم أن المرأة تستطيع أن تعقد لنفسها عقد زواجها ، ما دامت قد توافرت فيها شروطه الصلاحية لعقدمثل هذا العقد ، وتستطيع أن توكل عنها من يعقد عقدها على من توافق عليه .

وكذلك لا يمنع الدين أن تشترط المرأة عند العقد أن تكون عصمتها بيدها : فإذا وافق الزوج على هذا الشرط كان لها أن تطلق نفسها حسبما اتفقا عليه فيما يتعلق بهذا الاشتراط .

ولكني أنصح الفتيات ألا يغتررن بأنفسهن ، فيسوء منهن استعمال هذا الحق ، حيث تندفع الفتاة وراء عاطفة هوجاء أو شعور عارض ، وتعرض عن المشورة والاستعانة بآراء المجربين والمخلصين ، فيكون من وراء ذلك البلاء والخسران . ولتتذكر الفتاة أن والديها هما أحرص الناس على سعادتها ، وكذلك كان عليها أن تستأنس برأيهما ، وأن تتعاون معهما على تهيئة الحياة الزوجية الهنيئة لها .

وهذا يجعلنا ننسى توصية الآباء والأمهات بالحكمة وحسن التصرف ، فليس من الجائز شرعا ولا عقلا أن يرغموا فتياتهم على الزواج بمن يكرهن .

وكذلك ينبغي أن نتذكر أن اشتراط المرأة أن تكون العصمة بيدها وضع لا يقبله زوج كريم لنفسه ، وإن كان ذلك غير ممنوع شرعا ، والله الهادي إلى سواء السبيل .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

ما يبيحه عقد الزواج

السؤال : **عقد قرانه على فتاة ولم يدخل بها ، ولكنه عند زيارته لها داعبها وقبّلها ، وتطور الموضوع إلى معاشرتها دون فض بكارتها ، فهل هذا حرام ؟**

الجواب :

إذا عقد الرجل قرانه على الفتاة ، وآستوفى العقد أركانه وشروطه ، صارت هذه الفتاة زوجة له ، ولـو لم يدخل بها حسب العادة المتبعة في الدخول ، ولذلك يحل لهذا الرجل مع هذه الفتاة ما يحل لكل زوج مع زوجته ، مما جاء في السؤال أو غيره ، حتى ولو فض بكارتها وعاشرها معاشرة زوجية كاملة ، لأنها صارت زوجته بالعقد شرعاً وقانوناً ، وعلى هذا لا يكون ما فعله هذا الرجل مع زوجته هذه حراما .

ولكن ينبغي أن نتذكر مع هذا أن العرف له قيمته وأثره ، وقد تعارف الناس على أن العقد يعقد في كثير من الأحيان ، ثم يبقى الزوجان مدة ، ثم يأتي دخول الزوج على زوجته في مظهر يحس به الأهل والمعارف ، ويتحقق معه لون من الإعلان عن اقتران الزواج بالدخول .

وكذلك تعارف الناس على أنه ليس من المألوف أن يدخل الزوج على زوجته سرا ، ومن الناس من يثير القيل والقال إذا وقع الدخول في طـي الكتمان والإسرار .

ولذلك يحسن بالزوج ألاّ يعرّض نفسه لموقف من مواقف الشبهة ، فمن الخير له إذا أراد أن يمارس الحياة الزوجية مع من عقد عقده عليها أن يشعر بذلك من حوله من أقاربه وأقارب زوجته ، حتى لا يسيئوا الظن ، وبعض الظن إثم .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الزواج المشروط

السؤال : **ما رأي الدين في الزواج المشروط ؟**

الجواب :

لا بد في الزواج من صيغة العقد ، وهي الصيغة التي تسمى « صيغة الإيجاب

والقبول » . يقول الرجل مثلا للمرأة : زوجيني نفسك ، أو تزوجتك . فترد عليه قائلة : زوجتك نفسي ، أو قبلت الزواج منك . ولا بد من التلفظ بصيغة الإيجاب والقبول ، حتى يكون كل منهما قد أنشأ الزواج وطلبه ووافق عليه . لأن شأن الزواج كبير جليل خطير ، يجب أن نصونه عن الاحتمال والاشتباه . ويشترط في عقد الزواج ما يلي :

١ ــ اتحاد مجلس الإيجاب والقبول ، ليتحقق الارتباط بينهما ، وقد شدد الفقهاء في هذا .

٢ ــ أن يكون القبول موافقا للإيجاب متلاقيا معه في المقصود منه ، فلو قال رجل لرجل : زوجني بنتك زينب ، فأجابه : زوجتك بنتي عائشة ، لم يصح .

٣ ــ عدم رجوع الموجب عن إيجابه قبل القبول ، لأن الرجوع حينئذ يبطل الإيجاب ، فيكون القبول وارداً على غير أساس .

٤ ــ أن تكون الصيغة صيغة تنجيز ، بحيث لا يكون فيها تعليق للزواج على شرط مستقبل أو زمن مستقبل ، فلا يصح أن يقول لها : تزوجتك إن جاء الربيع ، أو : تزوجتك إن رجع أبي من سفره .

وهذا لصيانة عقد الزواج عن شبهة الاحتمال ، والتذبذب بين الوجود وعدمه .

وكذلك يحرم أن يكون الزواج مشروطا بشرط مدة معينة ، لأن هذا زواج مؤقت ، والأصل في الزواج أن لا يكون مؤقتا .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

متى يكون المرء محصنا ؟

السؤال : **عقد رجل عقده على امرأة ، ولكنه لم يدخل بها ، ولم يمكنه أهلها من الدخول بها ، فهل يعتبر في هذه الحالة محصَناً ؟ وما معنى كلمة « المحصَن »**

الجواب :

يشترط في المحصن عدةُ شروط ، هي الحرية والعقل والبلوغ والإسلام والدخول بالزوجة ، والمراد بالدخول هنا أن تقع المعاشرة الزوجية ، ويتم الاتصال الجنسي فعلاً بين الرجل وزوجته التي عقد عليها عقدا صحيحا . واستدل الفقهاء على ذلك بحديث نبوي وصف فيه المحصن بكلمة « الثيِّب ». ومعناها الذي يتصل بزوجته اتصالاً جنسياً صحيحاً . ولقد سُمِّيَ الرجل في هذه الحالة « مُحْصَناً » لأن الزواج الشرعي قد حصَّنه ضد الزنا ، إذ هو يجد في زوجته الشرعية ما يُرضي رغبته الجنسية ، فإذا ارتكب الزنا بعد ذلك كانت جريمته أكبر من جريمة من يرتكبه وهو غير محصن .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

ثبوت النسب

السؤال : **عقد رجل على امرأة ، ولم يدخل بها ، ثم ولدت ولداً ، ونسبته إلى من عقد عليها ، فهل يصح هذا النسب ، مع أنهما لم يتلاقيا مطلقاً ؟**

الجواب :

إن إحدى ثمرات الزواج المشروع هو ثبوت نسب الولد إلى أبيه ، وبذلك لا تضطرب الأنساب ، ولا يضيع الأولاد ، والأساس في ثبوت النسب هو قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الولد للفراش » أي أنه ينسب الى والديه المشتركين في فراش واحد عن طريق الزواج الشرعي ، فالمراد بالفراش هنا هو صلة الزوجية القائمة بين الزوج وزوجته . ومن شروط الزواج الصحيح أن تكون المرأة خالية من آثار زواج سابق ، ومن آثار حمل سابق ، فإذا ثبت أن الرجل لم يدخل إطلاقا على المرأة التي عقد عليها ، ولم تكن بينهما معاشرة زوجية إطلاقا ، فإن نسبة الولد الذي جاءت به ، إلى هذا الرجل الذي عقد عليها ولم يدخل بها ، تكون نسبة كاذبة غير صحيحة .

والمرأة التي تحمل من غير زوجها ، ثم تنسب الولد الناشيء عن هذا الحمل إلى زوجها تكون قد ارتكبت إثما عظيما وبهتاناً كبيرا ، ويعاقبها الله جل جلاله على جريمتها أشد العقاب . بل إن المرأة التي تفعل ذلك تكون قد ارتكبت كبيرتين فظيعتين ، الأولى كبيرة الزنى ، والأخرى كبيرة الافتراء بنسبة الولد إلى غير أبيه .

والله تبارك وتعالى يقول في سورة الممتحنة : « يا أَيُّها النبيُّ إذَا جَاءَكَ المؤمناتُ يُبَايعنكَ عَلَى أَنْ لا يُشْرِكْنَ بالله شَيْئاً ، وَلا يسرِقْنَ ولا يَزْنِيْنَ ، وَلاَ يَقْتُلْنَ أَوْلاَدَهُنَّ ، وَلاَ يأتِينَ ببهتان يَفْتَرِيْنَه بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ ، وَلاَ يَعْصِينَكَ في معروفٍ ، فَبَايِعْهُنَّ واستَغْفِرْ لَهُنَّ اللهَ ، إنَّ اللهَ غفورٌ رحيمٌ » .

وقد ذكر كثير من المفسرين في قوله تعالى في هذه الآية : « وَلا يأتينَ ببهتان يِفترينَه بَيْنَ أيديهِنَّ وأَرْجُلِهِنَّ » أن المعنى هو : لا يُلحقن برجالهن ولداً من غيرهم . وهذا هو قول الجمهور . فهذا الإلحاق الكاذب هو الزور والبهتان والافتراء

ولقد كان رسول الله صلوات الله وسلامه عليه إذابايع النساء قال : « أبايعكنَّ على أن لا تشركن بالله شيئا ، ولا تسرقن ولا تزنين ، ولا تقتلن أولادكن ، ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن ، ولا تعصينني في معروف فيما استطعتن» . وقد روى أبو داود أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال : « إيماامرأة أدخلت على قوم من ليس منهم ، فليست من الله في شيء ، ولن يدخلها الله الجنة ، وأيمارجل جحد ولده وهو ينظر إليه ، احتجب الله منه ، وفضحه على رؤوس الأولين والآخرين » .

نعوذ بالله من البهتان والافتراء ،.

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

طاعة الزوجة لزوجها

السؤال : **توجد زوجة عاصية لزوجها ، وهو يدعوها إلى أن تعمل بعض الأشياء فلا تسمع كلامه ولا تطيعه ، وإذا طلب منها أن تقيم في بيته أو بلده، رفضت وأصرت على الإقامة مع أهلها ، فهل يجوز منها ذلك ؟**

الجواب :

يقول الله عز وجل في سورة النساء : « الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللهُ » وكلمةُ «قانتات» معناها طائعات ، كما ذكر ذلك أكثر من واحد من المفسرين ، وإذا كان واجبا على الزوج أن يحسن معاملته لزوجته ، وأن يرعاها حق رعايتها ، وأن ينفق عليها ، وأن يعدل معها ، وألا يسبّب لها ضررا ، فإنه من الواجب على الزوجة أن تطيع زوجها فيما أباحه الله ، وفي غير المعصية ، ولقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : « خير النساء من إذا نظر إليها زوجها سرته ، وإذا أمرها أطاعته ، وإذا غاب عنها حفظته في ماله وعرضه »

وقال عليه الصلاة والسلام : « لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ، من عظم حقه عليها » . والمراد من هذا الحديث إنماهو الإشعار بأن للزوج على زوجته حقا كبيرا يجب أن ترعاه .

ولقد جاءت امرأة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وقالت له : يا رسول الله ، أنا وافدة النساء إليك . هذا الجهاد كتبه الله على الرجال ، فإن يطيعوا أجروا ، وإن قُتلوا كانوا أحياء عند ربهم يرزقون ، ونحن معاشر النساء نقوم عليهم ، فما لنا من ذلك ؟

فقال لها رسول الله صلوات الله وسلامه عليه : أبلغي من لقيت من النساء أن طاعة الزوج واعترافها بحقه يعدل ذلك » .

ولقد سألت السيدة عائشة رضي الله عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقالت : « يا رسول الله ، أي الناس أعظم حقا على المرأة . فقال : زوجها . قالت : فأي الناس أعظم حقا على الرجل ؟ قال : أمه .

وكذلك ربطت السنة المطهرة بين طاعة الزوجة لزوجها ورضى الله تبارك وتعالى عنها ، فقال النبي صلوات الله وسلامه عليه : « أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راضٍ دخلت الجنة » . وقال أيضا : « إذا صلت المرأة خمسها (أي الفرائض الخمس المكتوبة عليها) ، وصامت شهرها (يعني رمضان) وحفظت فرجها وأطاعت زوجها ، قيل لها : ادخلي الجنة من أي الأبواب شئت » .

ومن هذا نفهم أن هذه المرأة عاصية لله عز وجل ، ومذنبة في حق زوجها ، ويجب عليها أن تطيع زوجها فيما يتعلق بالحقوق الزوجية وغيرها مما أباحه الله ، ولا يجوز لها أن تعصي زوجها إلا إذا منعها حقا من حقوقها ، أو أمرها بما لا يبيحه الله عز وجل ، لأن الرسول عليه الصلاة والسلام يقول : « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

زواج المسلمة بغير المسلم

السؤال : **هل يجوز للمرأة المسلمة أن تتزوج من رجل غير مسلم ؟**

الجواب :

قررت الشريعة الإسلامية الغراء أنه يحرم على المسلمة أن تتزوج رجلاً غير مسلم ، مهما كان دينه ، ومهما كانت عقيدته ، فما دام هذا الرجل لا يدين بدين الإسلام ، فإنه لا يجوز للمرأة المسلمة ــ بكرا كانت أو ثيبا ــ أن تتزوج منه ، وذلك التحريم قد أجمع عليه أئمة الإسلام وفقهاء المسلمين ، حتى عبّر بعضهم بأن حكم هذا هو الحرمة القطعية والمنع البات ، وهذا من الأحكام التي أجمعت عليها الأمة المسلمة من عهد رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وصار منعه في الإسلام من الأحكام التي يقول عنها الفقهاء ان العلم بهـــا

ضروري ، ويحكم على من أباح هذا الزواج بالخروج من الدين والعياذ بالله .

وقد استدل الفقهاء على هذا الحكم بقول الله تبارك وتعالى في سورة الممتحنــة : « يا أيُّها الذينَ آمَنُوا إذَا جاءَكُمْ المؤمناتُ مهاجرات فامتحنوهُنَّ ، اللهُ أعْلَمُ بإيمَانِهِنَّ ، فإنْ علمتموهُنَّ مؤمنات فَلاَ ترْجعوهُنَّ إلى الكفّار ، لا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ ، وَلاَ هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ، وَآتُوهُمْ مَا أنْفَقُوا ، وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أنْ تنكحوهُنَّ إذا اتيتموهن أجورهُنَّ ، وَلاَ تُمسكُوا بِعِصَمِ الكوافِرِ ، واسألُوا ما أنْفَقْتُم وَلْيَسْألُوا ما أنْفَقُوا ، ذَلِكُمْ حُكْمُ اللهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللهُ عَليمٌ حَكِيمٌ »

وموضع الشاهد من هذه الآية الكريمة هو قوله تعالى فيها : « فَإنْ علمتموهُنَّ مؤمناتٍ فَلاَ ترجعوهُنَّ إلى الكفّارِ ، لاَ هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ ، وَلاَ هُمْ يَحلّونَ لَهُنَّ » .

ولقد جاء في الفقه الإسلامي أن المسلمة لا يجوز لها التزوج بغير المسلم ابتداء ولا يجوز أن تبقى مع زوجها إذا ارتد عن الإسلام بعد أن تزوجها وهو مسلم ، إذ يجب التفريق بينهما بعد الارتداد ، وكذلك إذا كانت هناك امرأة غير مسلمة متزوجة بغير مسلم ، ثم أسلمت ، فإنه يجب التفريق بينهما .

والحكمة في هذا التحريم أن الزواج فيه معنى القوامة من الرجل عــلى المرأة ، بمقتضى قوله تعالى في سورة النساء : « الرِّجَال قَوَّامُونَ عَلَى النِّساء » ٣٤ . ومما تستلزمه هذه القوامة أن تطيع المرأة زوجها في كل ما يأمرها به إذا لم يكن معصية ، وفي هذه الطاعة معنى الولاية والسلطان من غير المسلم على المسلمة ، والله تبارك وتعالى يقول في سورة النساء : « وَلَنْ يَجْعَلَ اللهُ لِلْكَافِرين عَلَى المؤمِنينَ سَبِيلاً » ١٤١ .

وكذلك نجد أن غير المسلم لا يعترف بدين المرأة المسلمة ، ولا يؤمن بكتابها ولا يعترف بنبيها ، ولا يمكن أن تستقر الحياة الزوجية بين المسلمة وغير المسلم

وبينهما ذلك الاختلاف الواسع . ويضاف إلى ذلك أن غير المسلم لن يحترم عقيدة المسلمة ، وقد يحملها على إهمال دينها أو تركه ، وفي هذا من الفساد ما فيه .

ولذلك روت السيرة النبوية العطرة أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يقبل أن يرد إلى الكفار المسلمات المهاجرات من مكة إلى المدينة عقب صلح الحديبية ، وكان من شروطه أن من أتى مسلما من مكة إلى المدينة فعلى المسلمين أن يردوه ، ولما طالب الكفار بهن قال النبي : « كان الشرط في الرجال لا في النساء » ونزلت الآية السابقة تؤيد ذلك .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

نشوز الزوجة

السؤال : **يوجد رجل تزوج من ابنة عمه ، ومضى عليها ثمانية عشر عاما ، دون أن تلد ، ثم تركت الزوجة بيتَ الزوجية بلا سبب ، وعاشت في بيت أبيها ، ورفض أبوها إعادتها إلى زوجها ، فهل للزوج حق الهجر أو حق الطلاق أو حق التزوج بامرأة أخرى ؟**

الجواب :

إن المرأة التي تترك بيت زوجها دون سبب مشروع ، وتهجره مدة طويلة ، تكون امرأة ناشزا ، أي خارجة على طاعة زوجها ، وتكون خارجة كذلك على آداب الإسلام وحقوق الزوجية .

ولا يجوز لوالد هذه المرأة أن يشجعها أو يعاونها على هجر زوجها وترك بيت الزوجية دون وجود ما يضطرها إلى ذلك .

ومن حق الزوج أن يؤدب زوجته الناشز بالعظة والهجر والضرب الخفيف إذا لم ترعو ، ولم تفلح معها كلُّ وسائل النصح والزجر ، والقرآن الكريم يقول في ذلك : « الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ، بِمَا فَضَّلَ الله

بَعْضَهُمْ عَلَىَ بَعْضٍ ، وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ، فالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللهُ ،واللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهن فَعِظُوهُنَّ واهجُرُوهُنَّ فِي المَضَاجِعِ واضْرِبُوهُنَّ ، فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً ، إنَّ اللهَ كَانَ عَلِيّاً كَبِيراً » .

ولا شك أن هجر الزوجة لزوجها مدةً طويلة دون مسوغ مشروع يكون إضرارا بالزوج ، والشريعة الإسلامية الغراء تدعو إلى إزالة الضرر عن الجميع ، والرسول عليه الصلاة والسلام يقول : « لا ضَرَرَ ولا ضِرار » . والرجل يحتاج إلى أن يُعفَّ نفسه . ويصونها عن الحرام . وهذا يشق عليه في العادة . إذا كانت زوجته بعيدةً عنه لمدة طويلة ، كما أن الضَررَ يُخاف على الزوج أيضا من هذه الناحية .

والذي ينبغي أن يكون في هذه الحالة المسؤول عنها هو التحكيم ، حيث يجتمع ممثل للزوج وممثل للزوجة ، ويدرسان الموضوع ، ويتفقان على رأي لهما لينفّذ ، فإن الله تعالى يقول : « وإن خفتم شقاقَ بينهما فابعثوا حكماً من أهلهِ وحكماً من أهلها ، إن يريدا إصلاحاً يوفّقِ اللهُ بينهما ، إن اللهَ كانَ عليماً خبيراً » .

هذا وللزوج الحق في أن يتزوج بغير هذه الزوجة إذا أصرت على موقفها . ورأى نفسَه غير مستقر في حياته دون زواج ، ولا يكون في هذه الحالة قد أساء الى زوجته الهاجرة ، كما لا يكون قد أساء استعمال حقه في الزواج بأكثر من واحدة .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الجمع بين الاختين في الزواج

السؤال : تزوج رجل امرأة ، وبعد حين طلقها وتزوج أختها ، فهل يجوز ذلك شرعا ؟

الجواب :

يقول الله تبارك وتعالى في آية المحرمات من سورة النساء : « حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاَتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ ، وَأُمَّهَاتُكُمْ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ ، وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ ، وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ ، وَرَبَائِبُكُمْ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ ، فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ . وَحَلاَئِلُ أَبْنَائِكُمْ الَّذِينَ مِنْ أَصْلاَبِكُمْ ، وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً » .

فقد نصت الآية الكريمة على قولها : « وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إلاَّ ما قَدْ سَلَفَ » أي : ومن المحرَّم عليكم أيها المسلمون أن تجمعوا في الزواج بين الأختين ، فلا يحل أن يتزوج المسلم أختين معا . وهذا أمر قد أجمع عليه فقهاء المسلمين بلا خلاف . ويشمل هذا الحكم الجمع بين الاختين من الرضاع ، لأنه يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب .

والقاعدة الفقهية هنا تقول إنه لا يجوز أن يجمع الإنسان في الزواج بين امرأتين قريبتين ، لو فرضنا أن إحداهما ذكر لما حلَّ له أن يتزوج بالمرأة الأخرى ، فيحرم الجمع بين المرأة وعمتها . وكذلك بين المرأة وخالتها، وكذلك بين المرأة وابنتها ، وهكذا .

وقوله : « إلا ما قد سلف » إشارة إلى أن ما حدث من هذا الجمع في الجاهلية ، وقبل نزول الحكم ، لا يعاقب عليه فاعلوه . ولكن بعد نزول الحكم يجب على الجامع بين الأختين أن يطلق إحداهما ويبقي في عصمته الأخرى ، فقد روى أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجة أن فيروز الديلمي أسلم وعنده أختان قد جمع بينهما في الزواج من قبل . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « طلّق أيتهما شئت » .

والمحرَّم هنا هو الجمع بينهما ، ولكنه لو تزوج امرأة ثم طلقها أو ماتت .

فلا مانع بعد هذا أن يتزوج أختها ، ومن هذا يُفهم الجواب على السؤال ، فلا مانع من تزوج الرجل المذكور من أخت مطلقته بعد أن تنتهي عدة هذه المطلقة .

هذا من ناحية حكم الزواج المسؤول عنه . ويبقى بعد هذا أن نقول إنه لا يليق بالمسلم أبداً أن يطلق امرأته الأولى ظلما وعدوانا . أو لمجرد أنه يشتهي أختها ، ويريد زواجها بعد تطليق أختها . وصلوات الله وسلامه على رسوله القائل : « اتقوا الله في النساء » .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الرضاع والزواج

السؤال : يوجد شخص عنده اثنتان وعشرون سنة ، وأخوه عنده سبع عشرة سنة ، ولهما بنتا عم متوفي . وقد رضع الأخ من زوجة عمه ، فهل تحل البنتان لهما عند الزواج ؟

الجواب :

في صيغة السؤال نوع من الغموض والإبهام ، لأن السؤال لم يحدد وقت الرضاع ، ولا عدد مرات الرضاع . وكذلك لم يحدد الراضع من الأخوين : أرضعا من زوجة عمهما مثلا ، أم رضع أحدهما فقط ... الخ .

ومع هذا نذكر الجواب بصورة تعين على فهم الحكم المراد ، وهو أنه إذا رضع واحد من هذين الأخوين من زوجة عمه ، وكان عدد الرضعات خمس رضعات مشبعات متفرقات متيقنات ثابتات ، وكان هذا الرضاع في زمن الإرضاع . وهو سنتان على المعتمد للفتوى ، فإن بنتي هذه الزوجة — زوجة العم — تصبحان أختين في الرضاع لهذا الراضع معهما من أمهما ، فلا يحل له أن يتزوج إحداهما .

ولكن يحل للأخ للثاني أن يتزوج من أي واحدة منهما . ما دام لم يرضع معهما من أمهما ولا من امرأة أخرى ، أي لم يجتمع على ثدي واحد مع واحدة منهما ، وليس معنى الاجتماع هنا أنهما يرضعان في وقت واحد ، بل معناه أنهما اشتركا في الرضاع من ثدي واحد ، وقد يتقدم أحدهما في الرضاع وقد يتأخر ، فلا تشترط المصاحبة الزمنية في الرضاع للتحريم .

وكذلك إذا رضع الأخوان معا من أم هاتين البنتين — بالصورة السابقة — فإنهما لا يجوز لهما أن يتزوجا واحدة من هاتين البنتين . لأنهما صارتا بالرضاع أختين لهما .

وليت الأمهات والآباء يحتاطون في أمر الرضاع . فلا يتركونه فوضى بين الأطفال ، حتى لا يتسبب عنه مشكلات بعد ذلك .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

كفارة جريمة الزنى

السؤال : **ما كفارة جريمة الزنا ؟ وماذا يفعل مرتكبها ليتطهر منها ، ما دامت القوانين المعاصرة لا تنفذ الحد ؟**

الجواب :

الزنا من الكبائر التي شدد في أمرها الإسلام ، فإذا وقع الشخص في هذه الجريمة ، ولم يحدث منه إقرارٌ بها ، ولم تثبت عليه ، أو لم يوجد من يقيم حدّها ، فإن كفارة الجريمة في هذه الحالة هي التوبة الصادقة النصوح ، أي التي يندم فيها الإنسان ندماً حقيقيا صادقا ، ويقلع عنها ويحذرها ، ثم يعزم عزما أكيدا على عدم العودة إليها ، ثم يواظب على الطاعة .

وهذا المعنى هو المفهوم من قول الله تبارك وتعالى في سورة الفرقان في شأن عباد الرحمن : « وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَـٰهاً آخَرَ ، وَلَا يَقْتُلُونَ

النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ، وَلاَ يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ، يُضَاعَفْ لَهُ العَذَابُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ، إِلاَّ مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً ، فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ، وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً ، وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللهِ مَتَاباً » . وليس معنى هذا أن ننسى شناعة الجريمة نفسها ، إذ من واجب فاعلها أن يندم ندما بليغا عليها ، وأن يحذرها فلا يعود إليها .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

حكم اللقيط

السؤال : **ما حكم اللقيط في الإسلام ، وما حكم الولد غير الشرعي ؟ وهل تكون له حقوق كالولد الشرعي ؟**

الجواب :

اللقيط هو الطفل الذي يلتقطه بعض الناس ، لأن أهل الطفل طرحوه خوفا من الفقر ، أو خشية من العار . والتقاط هذا الطفل واجب شرعا على من يجده وعليه أيضا أن يقوم بتربيته وإعداده للحياة ، وتعليمه صناعة أو حرفة أو عملا يكسب منه قُوتَه . وذلك إذا كان الملتقط قادراً على الإنفاق والتربية .

وقد قرر الفقهاء أن الإنفاق على اللقيط يكون من بيت مال المسلمين ، فقد رُوي أن رجلا على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، التقط طفلا ، فقال له عمر : « لك ولاؤه ، وعلينا نفقته » . وإذا عجز الملتقط عن نفقة اللقيط ، أو أساء معاملته ، وجب على ولي الأمر — وهو الحاكم — أن ينتزعه من يده ، ويعين له من يحسن تربيته وإعداده ؛ ومن الواجب على المجتمع الإسلامي — حسبما توحي تعاليم الإسلام — أن يتخذ من الأسباب والوسائل ما يكفل تربية اليتيم وإعداده .

ولقد جاء في كتاب « أحكام الأولاد في الإسلام [1] » أن الشريعة الإسلامية الغراء كرّمت اللقيط وعدته مسلما تبعا لوجوده في بلد إسلامي . إلا إذا التقطه غير مسلم في مكان خاص بغير المسلمين . فإنها عدته في هذه الحالة على دين ملتقطه الذي ضمه إليه وآواه . ولم تعده مسلما في هذه الحالة لهذه الاعتبارات والقرائن التي ترجح ولادته لغير مسلمين .

فإن وُجد مع اللقيط مال — كما يحدث في بعض الأحيان — كان مِلْكاً خالصاً له . يصرف منه على حاجاته ومصالحه . ويتولى ذلك ملتقطه بعد استئذان القضاء ، حتى يضمن إنفاقها في الوجوه التي تعود عليه بالخير والمنفعة ، فإن لم يوجد مع اللقيط مال يكفيه . ولم ينفق عليه ملتقطه . وجبت نفقته من مال الدولة . قياما بأحكام التكافل الاجتماعي الذي دعا إليه الإسلام .

واللقيط يُنْسب إلى والده إذا عرفنا هذا الوالد . وإن ادعى الملتقط أو غيره أن هذا ولده قبلنا منه هذا الادعاء . وثبت نسب الولد إليه . وأخذ جميع أحكام الأولاد . حتى توافرت شروط الإقرار الصحيح في هذا المجال . وإذا لم نعرف له أبا لا تزور نسبته إلى أحد . والقرآن الكريم يقول في سورة الأحزاب : « وما جعلَ أدعياءَكُم أبناءَكُم . ذلكم قولكُم بأفواهكُم . واللهُ يقولُ الحقَّ وهوَ يهدي السبيلَ . ادعوهم لآبائِهِم هُوَ أقسطُ عندَ الله . فإنْ لم تعلَموا آباءَهُم فإخوانُكُم في الدينِ ومواليكُم » .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

حكم الإجهاض

السؤال : **هل يعتبر الإجهاض من الوجهة الشرعية كقتل النفس العمد ؟ وما كفارته ؟**

---

(١) لفضيلة الاستاذ زكريا البري ، انظر ص ٢٤ .

الجواب :

اتفق الفقهاء على أن إسقاط الحمل – وهو المراد بالإجهاض – حرام وجريمة وجناية اذا كان بعد نفخ الروح في الجنين – وذلك يكون كما قالوا بعد تمام أربعة أشهر من بدء الحمل – ولو اسقط الجنين بعد نفخ الروح فيه ، فالواجب عليه هو الدية إذا سقط الجنين حيا ، ويعاقب بعقوبة مالية اقل من الدية اذا نزل الجنين ميتا .

وهذا إذا لم تكن هناك ضرورة للإجهاض ، فإذا كان هناك ضرر من بقاء الحمل أكبر من ضرر الإجهاض ، فإننا نرتكب أخف الضررين وهوالإجهاض كما إذا كان بقاء الحمل يؤدي إلى موت الأم ، فلا نضحي بحياة الأم من أجل الجنين .

وأما الإجهاض قبل نفخ الروح في الجنين – أي قبل اكتمال أربعة أشهر من بدء الحمل – فقد اختلف فيه الفقهاء ، فمنهم من قال إنه جائز ولا حرمة فيه ، ومنهم من قال إنه حرام أو مكروه ، لأن الجنين فيه حياة مستورة قبل نفخ الروح ، لأن المادة التناسلية نفسها مادة حية .

وقد يمكن التوفيق بين الرأيين بأن نقول إن الإجهاض هنا إذا كان بلا داع يدعو إليه فهو حرام أومكروه ، وإذا وُجد له داعٍ يدعو إليه فهو جائز ولا حرمة فيهُ .

وقد ذكروا بعض الدواعي المسوغة للاجهاض قبل نفخ الروح ، مثل انقطاع لبن الأم عند الحمل ولها رضيع لا يجد مرضعة سواها ، ومنها ضعف صحة المرأة بالحمل .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الإحسان إلى الأُم

السؤال : **لي أم تركت أبي ، وطُلقت منه ، وتزوجت برجل آخر لا يليق بها**

أن تتزوجه ، ورحلت معه إلى مكان مجهول ، فهل يجب عليّ طاعة أمي أو أن أحسن إليها بعد الذي فعلته ؟

الجواب :

إن طاعة الوالدين والإحسان إليهما من أكبر الفرائض الإسلامية ، وأعظم الواجبات الدينية التي أوجبها الله تبارك وتعالى على الإنسان ، ولذلك يقول القرآن الكريم في سورة النساء : « واعبدوا اللهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً ، وَبالوَالِدين إحْسَاناً» . ويقول في سورة الأنعام : « قُلْ تَعَالَوا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبالوَالِدَيْنِ إحْسَاناً » . ويقول في سورة الإسراء : « وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إلاَّ إيّاهُ وَبِالوَالِدَيْنِ إحْسَاناً ، إمّا يَبْلُغَنَّ عِندكَ الكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا ، فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُما ، وَقُلْ لَهُما قَوْلاً كَرِيماً ، وَاخْفِضْ لَهُما جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً » .

والأم مقدّمة على الأب في هذه الناحية ، فحقها أكبر وأهم من حق الوالد ، ولذلك جاء في السنة المطهرة أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : يا رسول الله ، من أحق الناس بحسن صحابتي ؟ قال : أمك . قال : ثم من ؟ قال : أمك . قال : ثم من ؟ قال : أمك . قال : ثم من ؟ قال : أبوك .

ويقرر الدين ان الإنسان يجب عليه أن يحسن إلى والديه ، وأن يبرهما ، وأن يقدم إليهما كلّ ما يقدر عليه من معونة أو مساعدة ، وحسبنا أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال للشاب الذي اختلف مع أبيه : « أنت ومالك لأبيك ». فكيف بالأم . ويجب على الإنسان أن يطيع والديه في غير المعصية ، فإذا أمراه بالمعصية لم تلزمه الطاعة ، لأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول : « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » .

ولو فرضنا وكان الوالدان مسلمين فإن ولدهما المسلم يجب عليه أن يحسن إليهما ، ولكنه لا يطيعهما في ترك الدين أو الخروج عليه ، والله تبارك وتعالى

يقول في سورة لقمان : « وَوَصَّيْنَا الإنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ . وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ ، أنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إلَيَّ المَصِيرُ . وإنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً ، وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أنَابَ إلَيَّ . ثُمَّ إلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ » .

ومن هذا يمكن أن نفهم أن السائل لا يتحمل تبعة الأعمال السيئة التي قد ترتكبها والدته . ولكنه مع هذا مطالب شرعاً بأن يحسن إلى والدته ، وأن يطيعها إذا أمرته بغير المعصية ، وأن يتودد إليها حتى لا يكون قاطعا للرحم .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الطلاق بسبب غياب الزوج

السؤال : **غادر رجل وطنه ، وترك زوجته ، وغاب عنها سبع سنوات ، ولم يؤد إليها حقوقها خلال هذه المدة ، فطلبت من القاضي تطليقها ، نحكم لها بذلك ، فما موقف الدين من ذلك ؟**

الجواب :

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا ضرر ولا ضرار » ، ومن القواعد الشرعية أن الضرر يزال ، وأن درء المفاسد مقدّم على جلب المنافع ، فإذا تسبب الزوج في إحداث ضرر لزوجته ، بأن امتنع عن الإنفاق عليها ، أو كان غائباً ، أو مسجونا ، ولم تجد الزوجة من ماله ما تنفقه على نفسها ، أو كان به عيب لا تستقر معه الحياة الزوجية ، أو ما شابه ذلك ، فإنه لا يكون صالحا للحياة الزوجية ، لأن الحياة الزوجية تقوم على السكنية والمودة والتعاون والمشاركة الوجدانية ، ولذلك يقول الله تبارك وتعالى في سورة الروم : « وَمِنْ آيَاتِهِ أنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أنْفُسِكُمْ أزواجاً لِتَسْكُنُوا إلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ، إنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ » .

فإذا غاب الزوج عن زوجته مدة طويلة ، وقطع صلته بها ، أو قطع أخباره عنها ، ولم يؤد إليها حقوقها ، وتضررت الزوجة من ذلك ، وأرادت الافتراق عنه بسبب غيبته ، فلها الحق في أن تطلب فسخ الزواج بينها وبين زوجها الغائب ، وذلك عن طريق ولي الأمر وهو القاضي .

فإذا ثبت لدى القاضي ما ذكرتْ فرّق بينهما ، ويكون هذا التفريق طلقة بائنة بينونة صغرى .

ويرى بعض الفقهاء أن الزوج الغائب إذا كان مكانه معروفا ، ويمكن إيصال الرسائل إليه ، فإن ولي الأمر (الحاكم أو القاضي) يحدد له مدة مناسبة لحضوره إلى زوجته وإقامته معها ، وأدائه حقوقها ، أو ينقلها إلى المكان الذي يقيم فيه ، أو يطلقها باختياره ، فإن استجاب الزوج وعاد إلى زوجته فبها ونعمت ، وإن لم يعد بعد ذلك فرّق ولي الأمر بينهما ، لأن هجر الزوج لزوجته مدة طويلة ، دون سبب مشروع ، ودون رضاها ، يعرضها لأضرار في حسها ونفسها ، وقد تنحرف في سلوكها بسبب هذا الهجران .

وإذا حكم ولي الأمر بطلاق المرأة التي غاب عنها زوجها غيبة طويلة ، فلها الحق أن تتزوج بمن تريده ، بعد انتهاء عدتها وإذا عاد الزوج الأول بعد إتمام الزواج الثاني فإنه لا يكون له الحق في إعادة هذه المرأة إلى عصمته ، بعد أن بانت منه وتزوجت غيره .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

التلقيح الصناعي

السؤال : **ما رأي الدين في التلقيح الصناعي ؟**

الجواب :

إن التلقيح الصناعي من مبتدعات العصر الذي نعيش فيه الآن ، ولم يكن

معروفا في صدر الإسلام ولا في العصور التي تلت . والتي شهدت مراحل التصعيد لمسائل الفكر الإسلامي المختلفة . ولذلك لم نجد بين أيدينا كلاما فقهيا يتعرض لهذا الموضوع .

ولكننا نجد أن الإسلام قد أقام نظام الأسرة ونظام التناسل على قاعدة الزواج الشرعي المعروف . الذي يعاشر فيه الرجلُ زوجتَه المعاشرةَ التي يرتضيها الدين ، كما يرتضيها الذوق السليم والعادة القويمة .

ومن هذا نفهم أن التلقيح الصناعي ليس من هذا النظام المشروع . ولكن لو فرضنا أن زوجة تعذَّر عليها أن تحمل من زوجها بالطريق المألوف ، وكانت هناك رغبة ملحة من الزوجين في الإنسال ، فإننا لا نجد ما يمنع من إتمام عملية الحَمْل بين الزوجين . بطريق صناعي لا يخرج عن نطاق الاتصال الشرعي بين الزوج وزوجته ، وتكون هذه حالةً ضرورية تقتصر على نطاق الضرورة .

أما أن يتم التلقيح بين مادتين تناسليتين ليستا لزوجين ، فهذا ما لا يقره الدين ، ولا تقبله النفوس الكريمة . والنسل المتكون من مثل هذا التلقيح يكون كالنسل الناشيء من الزنى سواء بسواء ؛ ولا ننس النصَّ على أن عواطف الأبوة والأمومة لا تتحقق فيما يتعلق بالنسل إلا إذا كان هذا النسل قد تكوَّن وخرج إلى الحياة بالطريق الطبيعي المألوف ، ونحن نحذر أولئك الذين يفتحون الباب لمثل هذه الأساليب الشاذة الملتوية ، التي ستؤدي إلى هدم كيان الأسرة . وخلط الأنساب ، والاستخفاف بأصول الفضائل ، وأركان العفة والشرف .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

التزوج بالصغيرة

السؤال : **أنا شافعي المذهب ، وأريد أن أعرف رأيَ المذهب الشافعي في تزوج البنت الصغيرة للرجل البالغ مع الشكر .**

الجواب :

يجوز في مذهب الشافعي زواج البنت الصغيرة ، وقد استفاضت الأخبار

الصحاح بعقد زواج الصغار ، فالنبي صلى الله عليه وسلم تزوج عائشة وهي بنت تسع سنوات أو نحوها ، يقول الإمام النووي في كتابه « تهذيب الأسماء واللغات » عن زواج عائشة : « وهي بنت ست سنين ، وقيل سبع ، والأول أصح وبنى بها بعد الهجرة بالمدينة ، بعد منصرفه من بدر في شوال سنة اثنتين ، بنتَ تسع سنين ... » .

وابن عمر زوَّج بنتا صغيرة له من عروة بن الزبير .

ويحسن أن نلاحظ هنا بعد ذلك أن هناك رأيا لعثمان البتّي ، وابن شبرمة ، وأبي بكر الأصم ، يستفاد منه أن الصغر يتنافى مع مقتضيات عقد الزواج ، إذ هو عقد لا تظهر آثاره إلا بعد البلوغ ، وقد أشار الله تبارك وتعالى إلى ذلك في قوله : « وابتلُوا اليَتَامَى حتّى إذَا بَلَغُوا النِّكاحَ .. » . فقد جعل الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة بلوغَ سن النكاح أمارةَ انتهاء الصغر ، وإذن فلا ثمرة في العقد قبل البلوغ ، لأنه عقد لا تظهر ثمراته قبل البلوغ ، وفي إثباته قبل ذلك ضرر بالصغير ، لأنه لا يستفيد من العقد ، ويبلغ فيجد نفسَه مكبّلا بقيود الزوجية ، وهو عقد يستمر في أصل مشروعيته طول الحياة ، لأنه غير مؤقت . ولذلك استأنس قانون الأحوال الشخصية في مصر بهذا الرأي ، وحدد سنّ الزواج بقانون كيلا يقع الضرر الذي سبقت الإشارة إليه .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

حرمة بنت الزوجة

السؤال : **هل إذا تزوج الرجل امرأةً تحرم عليه ابنتها ؟**

الجواب :

تقضي الشريعة الإسلامية بأن البنت تحرم على الرجل إذا تزوج ذلك الرجل بأم تلك البنت ، بشرط أن يدخل بها ، أما إذا كان لم يدخل بها ، ولم يحدث

بينهما عشرةٌ زوجية ، فإنه يحل له ابنةُ تلك المرأة ، والأمر بالعكس في حالة زواج البنت ، فإن الرجل بمجرد عقده على البنت يحرم عليه أمها . سواء دخل بالبنت أم لم يدخل بها .

والله تبارك وتعالى أعلم

* * *

طاعة الوالد وطاعة الزوج

السؤال : **اختلف الوالد والزوج في الرأي والمشورة ، والزوجة حائرة بينهما ، أتطيع أباها أم تطيع زوجها فما هو حكم الله في ذلك الموضوع ؟**

الجواب :

المرأة ما دامت في بيت أبيها فوليُّها أبوها ، يأمر فتطيع ، ويرشدها فتستجيب ؛ أما حين أصبحت زوجةً فقد انتقلت الولاية عليها إلى زوجها ، إذ أصبحت فرداً في أسرة جديدة ، وزوجها حينئذ أحق بالطاعة ممن سواه كأبيها أو أمها ؛ وأئمة الدين يرون أن الزوجة يجب عليها أن تطيع زوجَها في كل ما يأمر به ، ما لم يأمر بمحرَّم ، وأن تعصي أبويها إذا أمراها بمخالفة زوجها . وحسبنا في هذا المقام أن نتذكر قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لو أمرتُ أحداً أن يسجد لأحد لأمرت الزوجة أن تسجد لزوجها » ... فيا أيتها الزوجة الحائرة ، ما سبب الحيرة ؟ الطريق أمامك واضح ، فأطيعي زوجك ، والله الهادي إلى سواء السبيل .

* * *

حق المرأة في الزواج

السؤال : **هل تملك المرأة الحقَّ في عرض نفسها على من تريد زواجَه ؟ وهل يجوز ذلك في الإسلام ؟**

الجواب :

نعم يجوز للمرأة إذا استوى عقلها ، واستقام تصرفها ، أن تعرض نفسها على من تراه صالحا لمشاركتها في حياتها ، وليس في ذلك من عابٍ ولا ذام؛ وكم من سيدات فضليات عرضن أنفسهن على كرام الرجال ، ولم يُعَدّ ذلك منهن منقصة ، بل عُدّ من العقل وبعد النظر ، وهذه أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها ـ عرضت نفسها على الرسول قبل بعثته ليتزوجها ، فكان زواجا ميمونا مباركا ، ظل الرسول يتحدث عنه طوَالَ حياته ، وفي الحديث الصحيح المتفق عليه عن سهل بن سعد الساعدي قال : جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله ـ جئتُ أهب لك نفسي ، فنظر إليها الرسول وصعّد النظر فيها وصوّبه ـ ثم طأطأ رأسه ـ فلما رأت المرأة أنه لم يقض فيها شيئا جلست ـ فقام رجل من الصحابة فقال : يا رسول الله ، إن لم يكن لك حاجة فزوّجْنيها ـ فقال : فهل عندك من شيء ؟ فقال : لا والله يا رسول الله . قال : اذهب إلى أهلك فانظر هل تجد شيئا . فذهب ثم رجع ، فقال : لا والله ما وجدتُ شيئا ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انظر ولو خاتماً من حديد . فذهب ثم رجع ، فقال : لا والله يا رسول الله ، ولا خاتما من حديد ، ولكن هذا إزاري فلها نصفُه . فقال الرسول : ما تصنع بإزارك ؟ إن لبستَه لم يكن عليها منه شيء وإن لبستْهُ لم يكن عليك من شيء . فجلس الرجل حتى إذا طال مجلسه قام ، فرآه الرسول موليا ، فأمر به فدُعِيَ له ، فلما جاء قال : ماذا معك من القرآن ؟ قال : معي سورة كذا وسورة كذا . فقال : تقرؤهن عن ظهر قلبك ؟ قال : نعم . قال : اذهب فقد ملّكتكها بما معك من القرآن .

قال الفقهاء : إن هذا الحديث يدل على جواز عرض المرأة نفسَها على رجل من أهل الصلاح لتتزوجه .

وقال أنس : « إن امرأة عرضت نفسها على النبي صلى الله عليه وسلم ، فضحكت ابنة أنس ، فقالت : ما كان أقلّ حياءها . فقال أنس : هي خير منك ، عرضت نفسها على النبي صلى الله عليه وسلم . واستنتج العلماء من

هذا أنه ليس في عرض المرأة نفسَها للزواج عارٌ أولوم شرعا أو عرفا .

ومما يذكر على سبيل الاستطراد المناسب ما جاء في لسان العرب من أنه كانت في العرب امرأة مفوهة يقال لها صدوف ، فقالت : لا أتزوج إلا من يردُّ على جوابي . فجاء خاطب فوقف ببابها . فقالت : من أنت . قال : بشر وُلِدَ صغيرا ، ونشأ كبيرا . قالت : أين منزلك ؟ قال : على بساط واسع ، وبلد شاسع ، قريبُه بعيد ، وبعيده قريب . قالت : ما اسمك ؟ قال : من شاء أحدثَ اسما ، ولم يكن ذلك عليه حتْماً . قالت : كأنه لا حاجة لك . قال : لو لم تكن حاجة لم آتك . ولم أقف ببابك ، وأصل بأسبابك . قالت : أسرٌّ حاجتك أم جهر ؟ قال : سر وستُعْلَن . قالت : فأنت خاطب . قال : هو ذاك . قالت : قَضَيْتُ . وزوجته نفسَها بعد أن استبان لها فصاحتُه وعقله .

حقا ما أحوج العرف الخاطىء الى التهذيب .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الحب في نظر الدين

السؤال : هل الحب الطاهر الشريف الذي يقصد منه صاحبه الزواج الشرعي حرام ؟

الجواب :

الحب لون من التناسق ، والتناسق هو شرعة الوجود ، والحب في أصله لا يحرم ، فالتلميذ يحب أستاذه ، والأب يحب ابنه ، والزوج يحب زوجتَه ، والصديق يحب صديقه ، والوطني يحب وطنه ، والكريم يحب المكارم ، بل كان الحب يسري بمعنى أوسع بين الحيوانات والنباتات ، بل والجماد ؛ ولذلك تفسير علمي يتسم بسمة الأدب لو ذكرناه لطال ، ويهمنا هنا أن نقول لك إن مثل هذا الحب الطاهر الشريف الذي يراد منه الزواج مشروع محبوب ،

وليت كل متحابين على هذه الطريقة يجمعهما الله على كلمة ، ويرعاهما برعايته .

والله تبارك وتعالى أعلم .

• • •

ضرب الزوجة

السؤال : **هل يجوز في الإسلام أن يضرب الزوج زوجته ؟ وهل يعتبر ذلك قسوة ؟**

الجواب :

نعم يجوز في الإسلام أن يضرب الزوج زوجته في بعض الأحوال وبشرُط كثيرة . والدليل على ذلك قوله تعالى : « الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، وبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ، فَالصَّالِحَاتُ قانتاتٌ حافظاتٌ للغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللهُ ، واللاتِي تَخَافُونَ نشوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ واهجُرُوهُنَّ فِي المَضَاجِعِ ، واضرِبُوهُنَّ ، فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً ، إنَّ اللهَ كانَ علياً كَبِيراً ».

ولكنه يجب أن يتقدم الضربَ مراحلُ : منها اختيار الزوجة التي لا تُحْوِج إلى سوء المعاملة ، وحسنُ المعاشرة من الزوج للزوجة ، وإرشادها عند الخطأ ، ثم تحذيرها ، ثم تخويفها ، ثم تحكيم بعض أهلها لهدايتها ، ثم هجرها في الفراش ، فإن أبت إلا التمرد والطغيان ، فالضرب الخفيف الذي لا يسيل دماءً ، ولا يقطع لحما ، ولا يكسر عظما ، ولا يشوه خِلْقة ، ولا ينال وجهاً ، ولا يخلِّف أثرا ؛ حتى قيل إن الضرب هنا يكون بالسواك ومثله ؛ ومع هذا فالامتناع عن الضرب أفضل ، لقول الرسول : « ولن يضرب خياركم » . وقوله : « أما يستحي أحدكم أن يضرب امرأته كما يضرب العبد ، يضربها أول النهار ، ثم يجامعها آخر الليل ؟ » فهل بعد هذا تكون هناك قسوة ؟

وبمناسبة هذا السؤال نذكر قانون بريطانيا المتمدنة ، إذ فيه نص على أن ضرب الزوج لزوجته مباح .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

فرار الزوجة

السؤال : **فرت الزوجة من بيت زوجها بلا سبب مشروع ، ثم طلبها الزوج من أبيها ، فلم ترض ابنته ، ولما انقطع أمل الزوج تزوج بغيرها ، وتزوجت هي زوجا آخر ، دون أن يطلقها الزوج الأول ، ثم قال الزوج : أعطوني كذا من المال وأنا أطلقها ، فهل تعد مطلقة بمجرد ذكره ذلك ؟**

الجواب :

إن المرأة حينما تركت بيت الزوجية ، دون عذر شرعي مقبول ، صارت ناشزا ، أي عاصية متمردة على الزوج ، وعليها أن تطيعه ما دامت زوجته ، وما دام ينفق عليها .

وزواج هذا الرجل بزوجة ثانية ، بعد فرارزوجته الأولى ، زواج صحيح؛ أما زواج الزوجـــة الأولى بزوج ثان ، مع أنها ما زالت في عصمة زوجها الأول لم يطلقها ، فهو زواج باطل ، ويعد كالزنا ، لأنه لا يجوز اشتراك أكثر من رجل في امرأة . واشتراط الرجل أن يأخذ مبلغا من المال لكي يطلق زوجتَه يسمى طلاقا على مال ، وهو لا يقع بمجرد ذكر الشرط ، بل يقع إذا دفعت المرأة المبلغَ المشروط .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

بين الوالد والولد

السؤال : رجل يعظ الناس ويرشدهم ، ويحثهم على الخير ، ويحذرهم من السيئات ، ويبدو في هيئة الغيور على حرمات الدين ، وله ولد فاسد متمرد . أفما كان الأولى بهذا الواعظ أن يبدأ بتقويم ابنه ؟ وهلا يعتبر هذا منه تقصيرا يعذّب عليه ؟

الجواب :

إذا كان هذا الرجل لم ينصح ابنه ولم يعظه ، فإنه يؤاخَذ على هذا الإهمال ، ويعتبر عند الله مقصرا ، لأن الواجب عليه أن يبدأ في الإرشاد والتقويم بأهله ، لأن هذه هي الطريقة الطبيعية الرشيدة لتكوين أمة صالحة . ولذلك نرى أن الله تعالى قد أمر نبيه محمداً صلوات الله عليه وسلامه بأن يبدأ بأهله . فقال له : « وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ » ، وإذا كان هذا الوالد قد نصح ابنه ووعظه ، ثم لم يستطع هدايته بعد أن بذل ما في وسعه ، فلا تثريب عليه ولا ولا لوم ، خصوصا فإن الحق تبارك وتعالى يقول لرسوله : « إنّكَ لا تَهْدِي مَنْ أحْبَبْتَ » . ويقول : « لَوْ أنْفَقْتَ مَا فِي الأرضِ جَمِيعاً مَا ألّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ » . ويقول : « وَمَا أكْثَرُ الناسِ وَلَوْ حَرِصتَ بِمؤمِنِينَ » . ولقد كان كثير من أقارب الرسول صلوات الله وسلامه عليه كفارا ، عاود معهم النصيحةَ وكررها ، فما استقاموا بل زادوا في بغيهم وعدوانهم عليه ، وأبو لهب هو عمه الذي يقول فيه القرآن الكريم : « تَبّتْ يَدَا أبِي لَهَبٍ وَتَبّ ، مَا أغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَما كَسَبْ ، سَيَصْلَى ناراً ذاتَ لَهبٍ ، وامرأتُهُ حَمّالةَ الحَطَبِ ، فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِن مَسَدٍ » .

ولقد كان لنبي الله نوح عليه السلام ولد عاق ، نصحه أبوه فلم ينتصح ، ولم يُجْدِه نفعا أن والده نبي ورسول ، والله يحدثنا عن ذلك فيقول : « ونادَى نوحٌ ابنَهُ وكانَ فِي معزلٍ يا بُنَيَّ اركَبْ مَعَنا ولا تَكُنْ مَعَ الكافِرينَ ،

قَالَ سَآوِي إلى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الماءِ : قَالَ : لا عاصِمَ اليومَ مِن أمرِ اللهِ إلاَّ مَنْ رَحِمَ ، وَحَالَ بَيْنَهُما الموجُ فكانَ مِنَ المُغْرَقِينَ » .

وكان لنوح ولوط زوجتان كتب الله عليهما الشقوة فلم يؤمنا برغم نصائح زوجيهما الرسولين لهما : « ضربَ اللهُ مثلاً للذينَ كفروا امرأةَ نوحٍ وامرأةَ لوطٍ ،كانتا تحتَ عبدَيْنِ مِنْ عبادِنا صالحينِ فخانتاهُما فلم يغنيا عنهما مِنَ اللهِ شيئاً . وقيلَ ادخلا النارَ معَ الداخلين » . وكان لآدم أبي البشر — وهو نبي — ولدان ، فصلح أحدهما ، وشرد الآخر ، فهمَّ بقتل شقيقه الصالح ، فنصحه أخوه فلم ينتصح ، على الرغم من أنه كان بليغا في نصحه له كما يصور ذلك القرآن الكريم : « لَئِنْ بَسَطْتَ إليَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إلَيْكَ لأَقْتُلَكَ ، إنِّي أَخَافُ اللهَ ربَّ العَالَمِينَ . إنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ، وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ . فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِيْنَ » .

وكثيرا ما يخرج من الرجل الفاسد ومن البيئة السيئة ذرية صالحة أو نبتة طيبة . فهذه هي امرأة فرعون الجبار ، وتلك هي مريم البتول الناشئة بين المعاندين المتهجمين ، يقال فيهما : «وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امرأةَ فِرعونَ إذْ قَالَتْ ربِّ ابنِ لِي عِندَكَ بَيْتاً فِي الجَنَّةِ ، وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ ، ونَجِّنِي مِنَ القومِ الظَّالِمِينَ ، ومريم ابنة عمران الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ، فَنَفَخْنَا فيهِ مِنْ رُوحِنَا، وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ ، وَكَانَتْ مِنْ القَانِتِينَ » .

إلى غير ذلك من الشواهد والبراهين ، مما يدلك على أن الإنسان قد يعجز عن إصلاح أقرب الناس إليه وأعزهم عليه ، ولا يمنعه ذلك من إصلاح غيرهم ، فقد يفوز هناك حيث لا يفوز هنا والمهم أن يبذل الإنسان جهده،

والهداية من الله :

وعـــليّ أن أســـــــــعى وليس عليّ إدراك النجـــاح

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

صورة زواج

السؤال : **يوجد رجل تزوج بامرأة ، ثم تزوج بأخرى ، وهي بنت أخت الأولى ، وبعبارة أخرى : الزوجة الأولى خالة أم الثانية ؛ ثم إن الزوج عاشَرَ الثانية معاشرة زوجية ، فما الحكم ، وما العمل لو حملت الثانية ؟**

الجواب :

من قواعد الإسلام أن الرجل لا يصح له الجمع بين زوجتين لوفرضنا إحداهما ذكراً ، لما حلّ له أن يتزوج الأخرى ، للقرابة الشديدة بينهما ، وحكمة الإسلام في هذا المنع بادية غير خافية . وفي الحالة الموجودة في السؤال تكون الزوجة الأولى في مقام الأم أو الخالة بواسطة للزوجة الثانية . وعلى هذا لا يصح زواج الرجل المذكور بها ، وعقدُه عليها غير صحيح . ويجب عليه بمجرد علمه بالحكم الشرعي أن يطلق زوجته الثانية ويبقى على الأولى . وإذا حدث حمل من الثانية ، وكان منه ذرية نسبت إلى الزوج ، وكان لها ما للذرية ، كما قال بذلك جمهور من العلماء . وأنتهزها فرصة لأذكّر كل مسلم بأن مسائل الزواج خطيرة جليلة ، يجب أن يسبقها بحث واستقصاء واستفتاء ، حتى لا يقع المرء في زواج محرم برضاع أو قرابة أو غير ذلك من الأسباب ، ثم يعود فيصعب عليه الخلاص من مثل هذه المشكلات .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

حكم التبني

السؤال : **ما رأيكم فيما انتشر بين كثير من المسلمين من تبنيهم للقطاء، ومعاملتهم كالأبناء الشرعيين في كل شيء ، وتسجيل ذلك رسميا ، ينبني عليه الميراث وغيره من الحقوق ؟**

الجواب :

التبني محرَّم شرعا في الإسلام ، وقد عده بعضهم من الكبائر ، وقيل - مَنْ فعله مستحلا له مستخفا بحكم الله فيه ، متجارئا على الله به ، فقد كفر ، وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « كَفَرَ من تبرأ من نسب وإن دَقَّ ، أو ادعى نسبا لم يعرف » ، وقال : « من ادَّعَى إلى غير أبيه ، وهو يعلم أنه غير أبيه ، فالجنة عليه حرام » . وقال : « من ادعى إلى غير أبيه ، وانتسب إلى غير مواليه ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صَرْفا ولا عَدْلا »[1] .

ولقد كان التبني من عادات الجاهلية الجائرة ، فكان الواحد منهم يختار من الأولاد المجاهيل من يشاء ، وينسبه إلى نفسه ، ويُجْري عليه جميعَ الحقوق التي تجري على صادق الأبناء ، ولكن الإسلام جاء فعصمهم من هذا التزوير في الأنساب والأرحام والقرابات ، وأوجب أن يُنْسَب الولد إلى أبيه إذا كان معروفا ، وإذا لم يكن له أب معروف ، بأن كان لقيطا أو مجهولَ النسب عدَّه المسلمون أخاً لهم في الدين ، ووليا من أوليائهم في الملة ، يعامَل بشرعة العدالة والإحسان ، ولذلك يقول القرآن الكريم : « وَمَا جَعَلَ أدعياءَكُمْ أبناءَكُمْ ، ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأفواهِكُمْ ، والله يقولُ الحقَّ وَهُوَ يَهْدِي السبيلَ ، ادعوهُمْ لآبائِهِمْ هُوَ أقْسَطُ عِنْدَ الله ، فإنْ لَمْ تَعْلَمُوا آباءَهُمْ فإخوانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ » .

---

(١) أي لا يقبل منه توبة ولا فدية .

وقد بدأ الله برسوله في تحطيم هذه العادة ، إذ كان للرسول مملوك هو زيد ابن حارثة ، وكانوا يسمونه « زيد بن محمد » ، فحرَّم الله هذا ، فأطاع الرسول ، بل وأمر الله رسولَه أن يتزوج زينب بنت جحش مطلقةَ زيد ، ليقضي على عادات العرب السخيفة ، ومنها أن الولد المتبنّى تحرم زوجته على من تبناه .

وقد حرم الله التبني لأنه افتراء وكذب ، والمجتمع الإسلامي يقوم على الحق والصدق في كل شيء ، ولأن التبني يؤدي إلى اختلاط الأنساب واضطراب القرابات وضياع الروابط الأصلية ، ولأن التبني يُحدث غالباً العداوةَ بين الأولاد الشرعيين أو الأقارب الحقيقيين والولد المتبنى ، بسبب المال أو الميراث ، وهناك حوادث مفجعة في هذا الباب ، وكثيرًا ما يساء استخدام التبني ، فتحدث فيه حوادثُ عِرْض أو تعذيب أو انحراف، فعلى المسلمين أن يحذروه ، ومن أراد الخير والبر فالأبواب كثيرة عديدة .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

حفلة الاسبوع للمولود

السؤال : **يقيم الناس في اليوم السابع بعد ميلاد المولود الجديد حفلةً يسمونها « حفلة الأسبوع » ، يوقدون فيها الشمع ، ويوزعون الفول النابت والحلوى بأنواعها ، ويجمعون باسم المولود نقودا من أقاربه ، فهل يوافق هذا شريعةَ المسلمين ؟**

الجواب :

الفرح بالذرية غريزة أصيلة في نفس الإنسان، وكل غريزة تحتاج إلى ميدان تتنفس فيه ، وتعبر عن ذاتها به ، ومن بين ذلك ما يقيمه أهل الولد في اليوم السابع لميلاده من احتفال وابتهاج ، وهذه الفرحة لا بأس بها ، ولا تعارض بينها وبين الدين ، إذا لم يكن فيها منكر أو فاحشة أو خَبَث يحرمه الإسلام ،

وحبذا لو اهتدينا في حفلتنا هذه بما جاء في سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فعندنا في الإسلام « حفلة أسبوع » تسمى « العقيقة » . ويتلخص منهاج هذه الحفلة في أن نحلق شعرَ المولود ، ونتصدق بوزنه فضةً على الفقراء والمحتاجين ، ونضع للمولود اسمه ، ونذبح عنه شاةً تسمى « شاة العقيقة » ، ونأكل من لحم هذه الشاة . ونُهْدي منها . ونطعم ضيوفنا وأحباءنا ونتصدق منها على المعوزين .

وقد رُوي في هذا الباب أن الرسول صلى الله عليه وسلم عَقَّ عن الحسن شاة وقال : « يا فاطمة . احلقي رأسه . وتصدقي بزنة شعره فضة » ، فوزنوه فكان وزنه درهما أو بعض درهم .

وهذه الحفلة سنة ، وبعضهم أوجبها .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

طائفة من الاسئلة

السؤال : **وجه إليَّ أحدُ الشباب طائفةً متتابعة من الأسئلة ، أوردها وأعقِّب عليها بالإجابة السريعة الوجيزة . قال : ما موقفك من تحديد النسل بالطرق العلمية ؟ وما رأيك في تطبيق الاشتراكية في النظام الاقتصادي ؟ وما موقفك من اشتغال المرأة بالفن والتمثيل ؟ وما رأيك في تحديد عدد الزوجات ؟**

الجواب :

أفهم أنك تسألني على أساس أنني أحد العلماء . وأحب أن أقول لك إن الإسلام كما قرر كثير من فقهائه لا يمنع المسلم من اتخاذ وسيلة مشروعة غير ضارة لتنظيم نسله ، ما دام ذلك لا يصل به إلى الاعتداء على حياة ظاهرة أو مستترة ، وكتب الفقه تتحدث عن « العزل » الذي يُقْصَد منه التخلص من كثرة الحمل ، وقد اشترطوا لذلك أن يتفق الزوجان عليه ، حتى يكون برضاهما . وعلى الرغم من أن الفقهاء عرضوا لهذا الموضوع منذ قرون طويلة

أحب أن أذكّر بأن الإنسان مهما حاول أو احتال ، فلن يستطيع الوقوف في وجه قضاء الله ، فحينما يريد الله أمرا ينفذه : « والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

وأما عن تطبيق الاشتراكية في النظام الاقتصادي فأقول : « إنه إذا كان المراد من الاشتراكية هو التعاون بين أفراد الأمة ، والتكافل بين طبقاتها ، والتساند في مجموعها ، وتهيئة الفرص لكل مواطن ، حتى يكون عاملا منتجا متمتعا بالحياة كما ينبغي ، فإني أرحب كل الترحيب بأن تكون هذه الاشتراكية هي العمود الفقري والركن الأساسي في النظام الاقتصادي ، والإسلام يؤيد هذا النوع من الاشتراكية ويدعو إليه ، فالقرآن يقول : « وتعاونوا على البر والتقوى » . ويقول : « إنّمَا المؤمنونَ إخوة » . والحديث يقول : « الله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه » .

وأما عن اشتغال المرأة بالفن والتمثيل فأنا أدعو منذ سنوات طويلة إلى حسن التقريب بين الدين والفن ، وطالما قلت : إنه إذا تديّن رجل الفن ، وتفنن رجل الدين ، التقيا في منتصف الطريق لخدمة العقيدة الصحيحة والفن السليم . ولا شك أن في الوسط الفني عيوبا وفجوات واسعة تبعده عن الهدى الديني ، وتحديد الحكم الفاصل في موضوع اشتغال المرأة بالفن والتمثيل يتوقف على إزالة هذه العيوب وتلك الفجوات ، ويومها أستطيع أن أعطيك القولَ الفصل في هذا الموضوع .

وأما عن تعدد الزوجات فإني أرى أن طبيعة الحياة الزوجية الكثيرة التبعات والنفقات يسايرها الاكتفاءُ بزوجه واحدة ، لأن الزوج مطالَب في حياته الزوجية ببناء بيت ، ورعاية أسرة ، وإسعاد زوجة ، وتنشئة أطفال ؛ وهذه تبعات ثقال ، ومن النادر أن تجد زوجا يؤدّي الحقوقَ الزوجية كما ينبغي ، ثم يفكر في زوجة ثانية ، ولكن الإسلام مع هذا قد أباح تعدد الزوجات

بشروطه عند الحاجة الداعية ، وأحسن وصف لتعدد الزوجات أنه علاج لحالات خاصة يقتصر عليها .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الطلاق في يد الرجل

السؤال : لماذا كان الطلاق بيد الرجل ؟ ولماذا لم يكن في يد المرأة ؟

الجواب :

جعل الإسلام الطلاقَ في يد الرجل لأنه القوام على الأسرة وعلى المرأة ، ولأن الرجل أقل استجابةً من المرأة للعواطف العارضة والمشاعر الثائرة ، والرجل يتّردد كثيراً في إيقاع الطلاق ، لأنه تَعِبَ في سبيل الزواج ، فهو الذي قد قدّم الهدايا (والشبكة) ، ودفع المهر ، وأعد بيتَ الزوجية ، وهو حين وقوع الطلاق سيدفع المتأخر من المهر ، وسيدفع النفقة ، وسيضطر إلى نفقات باهظة جديدة إذا أراد أن يتزوج بعد الطلاق ، ولذلك لا يفكر الرجل في الطلاق إلا إذا رأى أن وقوعه أهم من تحمله لهذه النفقات والمتاعب كلها .

ومع هذا فللمرأة أن تشترط حين العقد أن تكون عصمتها بيدها ، فتطلّق نفسَها تطليقة ، إذا وجدت ما يدعو إلى ذلك ، كما أن ولي الأمر له أن يطلق المرأة من الرجُل ، إذا وُجد السبب الشرعي للتفريق بينهما . ومن هذا يتضح أن جعل الإسلام الطلاقَ في يد الرجل ليس هضما لحق من حقوق المرأة ، بل هو وضع للشيء في مكانه الطبيعي المناسب له .

والله تبارك وتعالى أعلم

* * *

في الطلاق

السؤال : لو طلق الرجل امرأته من ثلاث إلى تسع ، هل يزول نكاح المرأة تماما ، أم تقع الطلقات الست وتبقى الثلاث ؟ وما حكم هذه الطلقات في الدين الإسلامي ؟

الجواب :

جاء في مذهب الحنفية أن الرجل إذا طلق امرأته التي دخل بها ثلاث تطليقات ، طلقت منه نهائيا ، وبانت منه بينونة كبرى ، فلا تحل له حتى تنتهي عدتها منه ، وتتزوج زوجا غيره زواجا شرعيا ، ويدخل بها ويعاشرها معاشرة الأزواج ، ثم يطلقها أو يموت عنها ، وتنتهي عدتها من هذا الزواج الثاني ، ثم يجوز بعد هذا لزوجها أن يعود إلى زواجها بعقد ومهر جديدين ، إذا رضيت المرأة بذلك .

ولو ذكر المطلق في تطليقه لامرأته التي دخل بها عددا أكثر من ثلاث تطليقات كأن قال لها : طلقتك تسع طلقات ، أو أنت طالق مرارا ، أو أنت طالق كثيرا ، أو طلقتك ألفاً أو ألوفا ، يقع على المرأة ثلاث تطليقات ، ويكون حكمها هو الحكم الذي سبق أن ذكرناه ، وما زاد عن الثلاث فهو لغو ، لأنه لا محل له ، فلو فرضنا وعادت هذه المرأة إليه ، بعد استيفاء ما ذكرناه من الشروط لا يكون عليها من التطليقات السابقة من الزواج الأول شيء .

وقد يكون من الخير أن نشير إلى أن في مصر قانونا للأحوال الشخصية ، هو القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩م . وقد جاء في المادة الثالثة منه : « الطلاق المقترن بعدد لفظا أو إشارة لا يقع إلا واحدة والمراد باللفظ ان يذكر عدداً في الطلاق بصوته وكلامه والمراد بالاشارة أن يذكر الطلاق مشيرا بعدد له بأصابعه .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الطلاق المعلق

السؤال : **قال الرجل لامرأته : إن ذهبت إلى بيت أبيك فأنت طالق ، فذهبت ، فما الحكم ؟ وهل يشترط وجود الشهود عند وقوع الطلاق ؟**

الجواب :

جاء في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم قوله : « أبغض الحلال عند الله الطلاق » . وجاء في قوله : « لعن الله كل مطلاق مذواق » أي كثير الطلاق كثير الزواج .

ونستفيد من هذا أن الطلاق أشبه بالدواء الذي يستعمل عند الحاجة ، والأصل في الإسلام أن الزوج إذا رأى نفسه مضطرا إلى تطليق زوجته وعزم على ذلك ، طلقها وذكر كلمة الطلاق وبذلك تفترق عنه زوجته . وأما الجاري بين المسلمين الآن في الحلف الكثير بالطلاق ، وإدخال يمين الطلاق في المعاملات وفي تأكيد الأخبار وفي حثٍّ على عمل بعض الأشياء ، أو ترك بعضها الآخر ، فليس من هدى الإسلام في شيء ، لأنه إدخال للطلاق في غير بابه ، ومن الواجب على المسلمين أن يقلعوا عن هذه العادة السيئة ، وأن يجعلوا يمين الطلاق مقصورة على حالة التصميم والعزم على فسخ الرابطة الزوجية عند الاضطرار لذلك .

وقد جاء في كتاب « الفتاوي » للشيخ شلتوت الحنفي المذهب هذه العبارة : « الطلاق المعلق – ومثاله أن يقول الزوج لزوجته : إن خرجتِ بغير إذني ، أو كلّمت الجارة ، أو فعلت كذا ، فأنت طالق – حكمه أنه كان يقصد تخويفَ الزوجة ، ومنعها عن الفعل ، وهو في نفسه يكره طلاقَها ، ولا يرغب فيه ، وليس لديه من الأسباب ما يجعله يقصد الطلاق ، كان ذلك لغوا من القول لا أثر له في الحياة الزوجية .

أما إذا كان منطويا على بغضها ، غير راغب في عشرتها ، واتخذ التطليقَ مبررا له في الكلام أمام الناس . فإنه يقع إذا خالفت الزوجة ، ويقع طلقةً واحدة رجعية لا غير ، ولو كان بلفظ الثلاث أو الستين ، وإلى هذا ذهب

كثير من العلماء من سلف الأمة وخلفها . وبه أخذ قانون المحاكم الشرعية المعمول به الآن » .

وإني أرى هنا أن عبارات الطلاق الواردة في القرآن لا تصدق لغةً إلا على من نجز الطلاق وأوقعه بالفعل . غير معلّق له على شيء ، فقوله تعالى : « الطَّلاَقُ مَرَّتَانِ » وقوله : «فَإِنْ طَلَّقَهَا » . وقوله : « وَإِذَا طَلَّقْتُمْ » كل هذا لايفهم منه إلا شيء واحد ، هو إيقاع الطلاق بالفعل .

أما من علّق الطلاق على فعل غيره ، زوجةً أو غيرها ، فإنه لا يصدق عليه أنه طلّق . وجاء أيضا في كتاب « الفتاوي » هذه العبارة : « الطلاق المقترن بعدد ، كأن يقول الرجل لامرأته : أنت طالق بالثلاث — لا يقع إلا طلقة واحدة رجعية ، وإن الحلف بالطلاق ، كقول الرجل : عليَّ الطلاق ، أو يلزمني الطلاق ، لغو من الكلام لا يقع به شيء . وإن الطلاق المعلّق على فعل شيء أو تركه ، والرجل لا يريد الطلاق ولا وطر له فيه ، وإنما يريد التهديد والتخويف ، كذلك لا يقع به شيء » .

والطلاق المعلق هو الطلاق الذي يعلقه الرجل على فعل شيء أو تركه ، والحكم المعمول به الآن أنه لايقع به طلاق ، وهذا هو المعمول به في المحاكم وإن كان خلاف مذهب الحنفية ، وإن كان قصده الوقوعَ في الطلاق إذا فعلت العمل أو تركته ، وقع الطلاق إذا وُجد الشيء المعلّقُ عليه الطلاق .

وأما فيما يتعلق بالإشهاد على الطلاق فليس بشرط في إيقاعه ، لأن المرء لا يحتاج الى شهود عند استعمال حقه . والطلاق حقٌ الرجل ، فلا يشترط الإشهاد عليه ، وقد ذكر الامام الحصاص في كتاب « أحكام القرآن » أنه قد روي عن بعض الفقهاء أنه قال : « الطلاق والنكاح والرجعة بالبينة » أي الشهادة . ثم علّق على هذا بأن معناه الاحتياط خوفا من الإنكار فيما بعد ، لأن الطلاق لا يقع إلا بشهود . والذين اشترطوا الشهود في الطلاق هم الشيعة الامامية لانهم اشترطوا فيه شاهدين عدلين ، فلو وقع الطلاق دون حضورهما كان باطلا .

والله تبارك وتعالى أعلم .

طلاق الغضبان

السؤال : طلقت زوجتي ثلاثاً وأنا غضبان . لاأدري ما أقوله بسبب شدة الغضب ولي من هذه الزوجة أولاد أخاف عليهم ، فما هو الحل لبقاء زوجتي في عصمتي ؟

الجواب :

من شروط وقوع الطلاق أن يكون الزوج واعياً لما يصدر عنه ويقصده ، ولذا جاء في مذهب الأحناف أنه لا يقع طلاق الغضبان . ويسمونه طلاق « المدهوش » أي المتحير الذي ذهب عقله . وأصابه الذهول والدهشة ، وقد سئل أحد القضاة عمن طلق زوجته ثلاثا في مجلس القاضي وهو مغتاظ مدهوش . فأجاب بأن الدهش من أقسام الجنون فلا يقع ، وذكر ابن عابدين الحنفي في حاشيته أن الحافظ ابن القيم له رسالة في طلاق الغضبان قال فيها إنه على ثلاثة أقسام :

أحدها : أن يحصل له مبادىء الغضب ، بحيث لا يتغير عقله ، ويعلم ما يقول ويقصد . وهذا لا إشكال في وقوعه . والثاني : أن يبلغ النهاية . فلا يعلم ما يريد ولا ما يقوله ، فهذا لا ريب أنه لا ينفذ شيء من أقواله (ولا يقع في طلاقه) . والثالث : مَنْ توسط بين المرتبتين ، بحيث لم يَصِر كالمجنون ، فهذا محل النظر . والأدلة تدل على عدم نفوذ أقواله (أي فلا يقع طلاقه) .

وقال ابن عابدين الحنفي : « والذي يظهر لي أن كلاً من المدهوش والغضبان لا يلزم فيه أن يكون بحيث لا يعلم ما يقول . بل يكتفى فيه بغلبة الهذيان واختلاط الجد بالهزل ، كما هو المفتَى به في السكران» .

ثم قال : « فالذي ينبغي التعويلُ عليه في المدهوش ونحوه ، إناطةُ الحكم بغلبة الخلل في أقواله وأفعاله الخارجة عن عادته ، وكذا يقال فيمن اختل عقله لكبر أو لمرض أو لمصيبة فاجأته ، فما دام في حال غلبة الخلل في الأقوال والأفعال لا تعتبر أقواله ، وإن كان يعلمها ويريدها ، لأن هذه المعرفة

والإرادة غير معتبرة ، لعدم حصولها عن إدراك صحيح . كما تعتبر من الصبي العاقل » .

ويقول الدكتور محمد يوسف موسى في كتابه « أحكام الأحوال الشخصية » ما نصه :

« إذا كان من شروط وقوع الطلاق أن يكون الزوج واعياً لما يصدر عنه ويقصده ، فهل يقع طلاق المدهوش ؟ للاجابة عن هذا السؤال يجب أولا أن نعرف من هو المدهوش . في لسان العرب أن الدهش ذهاب العقل من الذهل والوَلَه ، وقيل من الفزع ونحوه ، دَهِشَ دهشا فهو دهش ، ودهش فهو مدهوش ، ويقال : دهش وشده ، فهو دهش ومشدوه .

وإذا كان الأمر كذلك فلا يقع طلاق المدهوش الذي لا يدري ما يقول ، بسبب صدمة عصبية أصابته فأذهبت عقله وقوةَ تفكيره ، ولهذا نرى الفقهاء يحكمون بعدم وقوع طلاقه ، كما لا يقع طلاق المجنون والمعتوه والمغمى عليه ، ومن اختل عقله لكبر أو مرض أو مصيبة فاجأته . فما دام الواحد من هؤلاء في حال غلبة الخلل في الأقوال والأفعال لا تعتبر أقواله ، وإن كان إيعلمها ويريدها ، لأن هذه المعرفة والإرادة غير معتبرة ، لعدم حصولها عن دراك صحيح ، كما يقول بعض الفقهاء .

وكذلك الأمر في الغضبان الذي يخرجه غضبُه عن إدراك ما يقول وما يفعل إدراكا صحيحا ، ولا يشترط ابن عابدين لعدم وقوع طلاق الغضبان والمدهوش أن يكون بحيث لا يعلم ما يقول ، بل يكتفي فيه بغلبة الهذيان واختلاط الجد بالهزل » .

ومما تقدم يستطيع السائل أن يحدد موقفه بالنسبة لغضبه ، فيعرف جواب سؤاله .

والله تبارك وتعالى أعلم

* * *

طلاق الغضبان

السؤال : **طلق رجل امرأته بالثلاثة في حالة الغضب ، فما الطريق لإبقاء زوجته معه ؟**

الجواب :

الطلاق يقع من العاقل البالغ ، لأن العقل والبلوغ هما اللذان تكمل بهما أهلية الاداء التي تتوقف عليها صحة التصرفات ، ولذلك يرى الفقهاء أنه لا يقع طلاق المدهوش ، وهو الذي لا يدري ما يقول بسبب صدمة عصبية أصابته ، فأفقدته الوعي والرشد والتفكير ، ويشبهون هذا بالمجنون والمغمى عليه والمختل العقل ، فما دام الواحد من هؤلاء في حالة غلبة الخلل عليه في الأقوال والأفعال ، لا تكون أقواله معتبرة ، وإن كان يعلمها ويريدها ، لأن المعرفة والإرادة غير معتبرة هنا ، لعدم حصولها عن إدراك صحيح .

ولا يقع أيضا الطلاق من الغضبان الذي خرج في غضبه عن إدراك ما يقول وما يفعل إدراكا صحيحا . وبعض فقهاء الحنفية لا يشترط أن لا يعلم المرء ما يقول ، بل يكتفي فيه بغلبة الهذيان ، واختلاط الجد والهزل .

فإذا كان الشخص المطلّق قد أوقع الطلاق وهو في حالة الغضب المذكورة بشرطها السابق ، لم يقع منه الطلاق ، وأما إذا لم يكن الشرط متحققا ، فإنه يقع طلقةً واحدةً رجعية ، إذا كان الطلاق بالثلاث في عبارة واحدة ، وإذا لم تكن هناك طلقتان سابقتان قبل ذلك . وإلا كانت الطلقة مكملةً للثلاث ، وبها تبين الزوجة من زوجها بينونةً كبرى . فلا تحل له حتى تنكح زوجا غيره ، ويدخل بها دخولا صحيحا . ويعاشرها معاشرة الأزواج ، ثم يطلقها بإرادته ، أو يتوفى عنها ، ثم تستكمل عدتها ، وفي هذه الحال يجوز للزوج الأول أن يتزوجها بعقد ومهر جديدين .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

تحريم الرضاع : **أيجوز لي الزواج من ابنة رضعت من امي مع اخي الأصغر؟**

برضاع هذه الفتاة من أم السائل الرضاعَ المحرِّمَ الذي سنبينه ، تحرم عليه ، لأنه يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب ، وهذه الفتاة برضاعها هذا قد صارت أختا للسائل .

ولقد ذهب جمهور الأئمة إلى أن التحريم بالرضاع يثبت بخمس رضعات فأكثر ، بحيث يكنَّ خمسَ رضعات مشبعات متيقّنات متفرقات ، وتكون هذه الرضعات في وقت الرضاع وهو سنتين ؛ وأقل من هذا العدد لا يثبت به التحريم ، وهذا القول هو المفتّى به الآن ، وهو المروي عن عائشة وابن مسعود وعطاء وطاووس ، وهو قول للامام الشافعي .

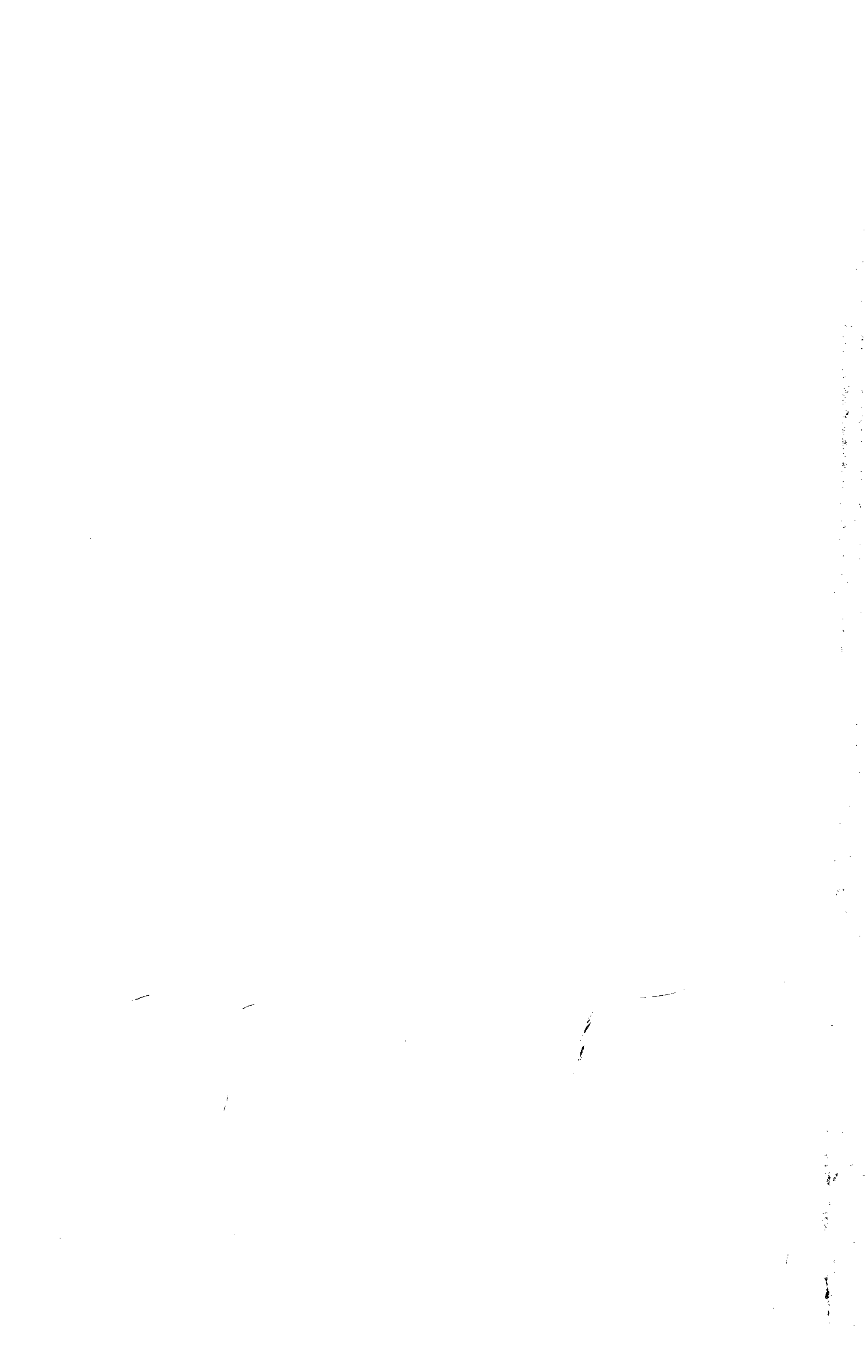
وقالوا : اذا وقع الشك في عدد الرضاع المحرم : هل كمل أو لا ، بُنِيَ الأمر على اليقين ، فلا يثبت التحريم مع الشك ، لأن الأصل عدم التحريم ، فلا يزول اليقين بالشك ، ومن هذا البيان يعرف السائلُ جوابَ سؤاله .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *



المعاملات والاقتصاد



الاشتراكية والاسلام

السؤال : **ما معنى الاشتراكية ؟ وهل توافق الاسلام ؟ بعض المشككين يقولون إنها تتعارض مع احترام الملكية الفردية ، ومع الفروق الموجودة بين الناس ، فهل هذا صحيح ؟**

الجواب :

الاشتراكية بمعناها العام القريب من عقائدنا ومواريثنا الروحية ، هي أن يتشارك الناس في الخير ، وأن يتقاسموا النعم الإلهية التي خلقها الله تعالى لهم ، بحيث يشيع بينهم الرخاء والهناء ، وتزول من بينهم الأحقاد والبغضاء ، وبحيث لا يكون ترف معه إسراف ، وبجوار ذلك فقر وحاجة وحرمان .

وهذا المعنى للاشتراكية نجده في مبادىء الإسلام الحنيف وتعاليمه ، فالله تبارك وتعالى يحدثنا في القرآن الكريم بأن كل ما في السموات والأرض ملك له في الحقيقة والواقع : « لِلّهِ مُلْكُ السّمواتِ والأرْضِ » ، « بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيءٍ » ، ثم يحدثنا بأنه هو الذي يهب الناسَ ما يشاء من نعم وخيرات : « قُلِ اللّهُمَّ مَالِكَ المُلكِ ، تُؤتِي الملكَ مَنْ تَشاءُ ، وَتَنْزِعُ الملكَ مِمّنْ تَشاءُ » .

ثم يذكِّرنا في الوقت نفسه بأن المِلْك أو المال في يد الإنسان أشبه بالوديعة أو العارية ، أو الشيء الذي استخلف الله فيه الإنسان ، وَوكّله عنه للتصرف فيه ، ولا بد للوكيل أن ينفذ إرادة الموكل ، وأن يُحسن الخلافة عنه ، فمن الواجب على الإنسان إذن أن يكون في هذا المال عادلا ، لأن الله هو أعدل العادلين ، وأن يكون رحيما ، لأن الله هو أرحم الراحمين ، وأن يكون فيه محسنا ، لأن الله يحب المحسنين ؛ وهكذا .

ولذلك يقول الله تعالى لعباده في شأن المال : « أَنفِقُوا مِمّا جَعَلَكُمْ

مُسْتَخْلَفِينَ فيه » . ويقول : « وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي آتاكُمْ »
والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « المال مال الله ، وأنا عبده » .

ويحدثنا القرآن الكريم كذلك بأن ما خلقه الله تعالى في الكون من نعم وخيرات وطاقات ، ليس وقفا على طائفة دون طائفة ، وليس احتكاراً لفئة دون فئة ، بل هو في الأصل شركة بين الناس ، لأن الخَلْق عيال الله وعباده ، والله قد خلق لهم ما في الأرض جميعا ؛ وهذه صبغة اشتراكية واضحة ، ولذلك يقول القرآن الكريم : « هُوَ الَّذي خَلَقَ لَكُمْ ما فِي الأرضِ جَمِيعاً » . ويقول عن الأرض : « وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ » . فيقول القرآن هنا : « لكم » بصيغة الجمع ، لا لزيد أو عبيد ، ولا لهذه الفئة من الناس دون سائر الفئات .

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « الناس شركاء في ثلاثة : الماء والكلأ والنار » . وأضافت بعضُ الروايات « الملح » إلى هذه الثلاثة ، وهذه المواد الأربع كانت عصب الحياة والمعيشة على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد يقابلها الآن ويماثلها ما في حكمها من مرافق عامة ، وطاقات أساسية ، ومنابع ثروة أصلية في الأمة ، فمن حق ولي الأمر باسم الإسلام أن يجعل الناس شركاء في هذه المرافق وتلك الطاقات ، لأنهم جميعا محتاجون إليها . واختصاص فرد أو أفراد بها أو بالتحكم فيها يؤدي إلى الاحتكار ، والاحتكار يؤدي إلى سوء الاستغلال ، وسوء الاستغلال يؤدي إلى الظلم ، والظلم ضلال وفساد .

وإذا كان « التأميم » مظهرا من مظاهر الاشتراكية ، فقد عرف الإسلام نوعين من أنواع التأميم ، أولهما تأميم عام ، وهو حماية « الحمى » . فقد ثبت أن الرسول حمى أرضَ « النقيع » بالمدينة ، بأن جعلها لعامة المسلمين ، لا يجوز منع واحد منهم عنها ؛ وثانيهما تأميم فردي اختياري . وهو نظام « الوقف » الذي يُخرج فيه الإنسان شيئا من ماله أو عقاره عن ملكه ، ويجعله للخير العام .

وإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد قال : « كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه » فهذا تقرير لاحترام الملكية الفردية ، ويجب أن نتذكر هنا أن الإسلام وضع شروطاً للتملك الصحيح ، فيجب أولا أن تكون طريقة التملك مشروعة ، وأن يكون المال المملوك حلالا طيبا ، وأن ينفق الإنسان منه على نفسه بلا إسراف ولا انحراف ، وأن يؤدي منه حق الله وهو الزكاة والبر ، وحق المجتمع وهو ما يفرضه ولي الأمر من ضرائب تحتاج إليها الأمة ومصلحتُها العامة ، وأن لا يستخدم المالكُ ما يملك في الإضرار بالغير ، سواء أكان الغير فرداً أم جماعة أم أمة ؛ فلو فعل المالك ذلك الإضرار حق لولي الأمر أن يضرب على يده ، وأن يمنعه ذلك .

وإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد قال : « أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها » . فيحسن أن نتذكر هنا أن فريقا من الفقهاء قد قالوا إن الحديث هنا عن المعاصرين للرسول عليه الصلاة والسلام ، ومع هذا فقد قال النبي في آخر الحديث : « الا بحقها » . ومن هذا الحق حق الزكاة الذي حارب عليه أبو بكر المرتدين ، والزكاة نسبة محدودة ، وقدر معلوم يؤخذ من الأغنياء ليرد على السائل والمحروم ويدخل في هذا الحق أيضا أن يصان المال المملوك عن أن يكون سحتاً أو حراما أو مكسوبا بطريق غير شرعي ، أو يساء الاستعمال فيه ، أو يستخدمه صاحبه للاضرار بالغير ، أو لا يؤدى حق الله فيه .

وإذا كان الإسلام قد احترم الملكية الفردية ، وقرر للمال حرمة ، ودعا إلى المحافظة عليه وتنميته ، فإنه في الوقت نفسه وضع لتملكه — كما ذكرنا — شروطا لا يتيسر معها طغيان ملكية ، ولا يتحقق معها إقطاع مخيف . والإسلام يتيح المجال للأفراد كي يستخدموا طاقاتهم ومواهبهم في الكسب والتملك ، وكلٌ ميسر لما خُلق له ، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا ، ولذلك اعترف الإسلام بالفروق الفردية في المواهب والملكات والجهود المادية والمعنوية ؛ ولكن هذا ليس معناه أن يكون في المجتمع الإسلامي احتكار أو استغلال ،

لأن شعار الإسلام هو التعاون والتكافل والتقارب ، والرسول يقول : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » . ويقول : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا [1] » .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

جوائز المسابقات

السؤال : **هل يجوز شرعا تقديم الجوائز من النقود في المسابقات ؟ وهل تجوز طريقة القرعة عند التساوي ؟**

الجواب :

تجوز شرعا المسابقة على مال ؛ إن كان المال من غير المتسابقين ، كأن يخصص الوالي جزءا من المال يجعله للسباق ، وهذا شيء جائز بلا خوف ، وأجاز جمهور الفقهاء جعلَ هذا المال من أحد المتسابقين ، ولكن لو تسابق شخصان وحدد كل منهما مبلغا من المال يأخذه الآخر إذا سبق ، لكان هذا من القمار والميسر ، وهو حرام ممنوع بالاتفاق .

ويقول الإمام الشافعي إن المسابقة إنما تجوز في الإبل والخيل وضرب السهام. والاعتماد في هذا على الحديث الذي رواه ابن عمر ، وفيه : « سابقَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الخيل » . والحديث الذي رواه أبو هريرة : « لا سَبْق إلا في خُف أو نصل أو حافر » . والخف كناية عن الإبل ، والنصل كناية عن السهم ، والحافر كناية عن الخيل .

وقال الفقهاء إن في هذا دليلا على مشروعية المسابقة ، وإنها ليست من العبث ، بل من الرياضة المحمودة الموصلة إلى تحصيل المقاصد في الغزو ،

---

١ ــ انظر كتابي « الاسلام والاقتصاد » ص ٢٠١ ــ ٢٤٢ طبعة الدار القومية بالقاهرة ، سنة ١٩٦٥ م .

والانتفاع بها عند الحاجة ، وهي دائرة بين الاستحباب والإباحة ، بحسب الباعث على ذلك .

وقال الإمام القرطبي : « لا خلاف في جواز المسابقة على الخيل وغيرها من الدواب ، وعلى الأقدام ، وكذا الرمي بالسهام ، واستعمال الأسلحة ، لما في ذلك من التدرب على الجري » .

وإذا كان هناك شخصان متسابقان ، ولم يُعرف أيهما الذي سبق ، ووقع الشك في السباق ، فإن المال يُقْسم بينهما ، كما جاء في الحديث المروي عن علي ، وفيه : « فإن شككتم فاجعلوا سبقهما نصفين » .

وأما القرعة فجائزة شرعا ، وجوازها يمكن أخذُه من قول الله تعالى عن مريم وزكريا وقومه : « ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك ، وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامَهم أيهم يكفل مريم ، وما كنت لديهم إذ يختصمون » . والأقلام هنا هي السهام المبرية التي ألقوها على طريقة القرعة ، ليظهر الذي يستحق أن يكفل مريم ويرعاها ؛ وكذلك كان النبي إذا أراد السفرَ أجرى القرعة بين نسائه ، فمن خرجت قرعتها أخذها معه . ولا شك أن القرعة فيها حسم للنزاع وتطييب للخواطر .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

نفع القرض

السؤال : اقترض رجل من آخر مبلغا من المال ، واشترط صاحب المبلغ أن يسكن في دار المقترض حتى يرد المبلغ ، ولما تسلم المقرضُ الدار أجّرها وانتفع بإيجارها ، فهل يحل هذا ؟

الجواب :

من القواعد الشرعية أن كل قرض جرَّ نفعا فهو ربا ، وقد ذكر الإمام ابن أسلم السمرقندي في كتاب « المنهج » أن المقرض الذي يأخذ رهنا في

مقابل قرضه لا يحل له أن ينتفع بشيء منه بوجه من الوجوه ، وإن أذن له الراهن . لإنه أذن له في الربا ، لأن المقرض سيستوفي دَيْنَه كاملا عند الأجل ، فتكون المنفعة زيادةً ، فتكون ربا ، وهذاأمر حرام .

وقد خالفه غيرُه في هذا القول ، في حالة إذن المقترض للمقرض في الانتفاع بالرهن . وجاء في « جواهر الفتاوى » أنه إذا كان الانتفاع بالرهن مشروطا صار قرضا فيه منفعة وهو ربا ، وإذا لم يكن ذلك مشروطا عند القرض فلا بأس .

وجاء في « الفتاوى التترخانية » ما نصه: « ولو استقرض دراهمَ ، وسلّم حمارَه إلى المُقْرض ليستعمله شهرين حتى يوفّيه دَيْنه ، أو داره ليسكنها ، فهو بمنزلة الإجارة الفاسدة ، إن استعمله فعليه أجرُ مثله ، ولا يكون رهنا » .

وجاء في « الخلاصة » ما نصه : « القرض بالشرط حرام ، والشرط لغو ».

وجاء في كتاب « الأشباه » أن كل قرض جرَّ نفعا فهو حرام ، فيحرم على المقرض أن يسكن دار المقترض المرهونة ، ولو بإذنه .

وفي الحالة التي معنا خطآن ، الخطأ الأول : أن المقرض اشترط سكنى دار المقترض ، وقد تقدم حكمُ ذلك ؛ والخطأ الثاني أنه خرج على الشرط المتفق عليه وهو السكنى ، وقام بتأجير الدار لغيره ، وأخذ ثمنَ الإيجار لنفسه ،وهذا حرام .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

حكم الايداع في البنك

السؤال : **ما حكم النقود التي تؤخذ كفائدة عن المبلغ المودع في البنك ، هل هذا حلال أو حرام ؟**

الجواب :

لقد حرم الله الربا تحريما قاطعا ، وجاء هذا التحريم في القرآن الكريم عند

قوله تبارك وتعالى : «وَأَحَلَّ اللهُ البَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا» . وقد جاءت أحاديث نبوية كثيرة فيها تحريم الربا ولعْنُ آخذه ومعطيه ؛ والربا هو كل زيادة على رأس المال ، ولذلك يقول القرآن الكريم في شأن الربا : «وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ» . ومن الواضح أن هذه الفائدة التي يأخذها صاحب النقود في مقابل بقاء نقوده في البنك داخلةٌ في معنى هذه الزيادة التي تُعَد ربا ، وعلى ذلك يكون أخذ هذه الفائدة حراما.

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

تزييف النقود

السؤال : ما حكم الشريعة الإسلامية في تزييف النقود ، وترويج هذه النقود المزيفة .؟

الجواب :

قد يكون من الخير أن ننقل عن حجة الإسلام الإمام الغزالي عبارةً له ذكرها في كتابه الجليل : «إحياء علوم الدين» حينما تحدَّث عن أنواع الأمور المحرَّمة ، لأن ضررها يعم ، فبعد أن ذكر النوع الأول وهو الاحتكار قال : «النوع الثاني ترويج الزائف من الدراهم في أثناء النقد ، فهو ظُلْم ، أو يستضرُّ به المعاملُ إن لم يعرف ، وإن عرف فسيروِّجه على غيره ، فكذلك الثالث والرابع ، ولا يزال يتردد في الأيدي ، ويعم الضرر ويتسع الفساد ، ويكون وِزرُ الكلِّ ووبالُه راجعا إليه ، فإنه هو الذي فتح الباب .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من سن سنة سيئة فعمل بها من بعده كان عليه وزرها ووزر من عمل بها ، لا ينقص من أوزارهم شيئاً» . وقال بعضهم : «إنفاق درهم زَيْف أشد من سرقة مائة درهم» . لأن السرقة معصية واحدة ، وقد تمت وانقطعت ، وإنفاق الزيف بدعة أظهرها في الدين ، وسنة سيئة يعمل بها من بعده ، فيكون عليه وزرُها بعد موته إلى مائة

سنة أو مائتي سنة ، إلى أن يفنى ذلك الدرهم ، ويكون عليه ما فسد من أموال الناس بسببه .

وطوبى لمن إذا مات ماتت معه ذنوبه ، والويل الويل لمن يموت وتبقى ذنوبه مائة سنة ، أو مائتي سنة ، أو أكثر ، يعذَّب بها في قبره ، ويُسأل عنها إلى آخر انقراضها .

قال تعالى : « وَنَكْتُبُ ما قَدَّمُوا وآثارَهُمْ » . أي نكتب أيضا ما أخروه من آثار أعمالهم ، كما نكتب ما قدموه ، وفي مثله قوله تعالى : « ينبأُ الإنسانُ يَومَئِذٍ بما قَدَّمَ وَأَخَّرَ » . وانما أخّر آثارَ أعماله من سنة سيئة عمل بها غيره .

وليعلم أن في الزيف خمسة أمور : الأول أنه إذا ورد عليه شيء منه فينبغي أن يطرحه في بئر بحيث لا تمتد إليه يد ، وإياه أن يروجه في بيع آخر ، وإن أفسده بحيث لا يمكن التعامل به جاز . الثاني : أنه يجب على التاجر تعلم النقد ، لا ليستقصي لنفسه ، ولكن لئلا يسلم إلى مسلم مزيفا وهو لا يدري فيكون آثما بتقصيره في تعلم ذلك العلم ، فلكل عمل علم يتم به نصح المسلمين ، فيجب تحصيله ، ولمثل هذا كان السلف يتعلمون علامات النقد نظراً لدينهم لا لدنياهم .

الثالث : أنه إن سلم وعرف المعامل أنه زيف لم يخرج عن الإثم لأنه ليس يأخذه إلا ليروجه على غيره ، ولا يخبره ولو لم يعزم على ذلك لكان لا يرغب في أخذه أصلا ، فإنما يتخلص من إثم الضرر الذي يخص معامله فقط .

الرابع : أن يأخذ الزيف ليعمل بقوله صلى الله عليه وسلم : « رحم الله أمرأ سهل البيع ، سهل الشراء ، سهل القضاء ، سهل الاقتضاء » . فهو داخل في بركة هذا الدعاء إن عزم على طرحه في بئر ، وإن كان عازما على أن يروِّجه في معاملة ، فهذا شرٌّ روجه الشيطان عليه في معرض الخير ، فلا يدخل تحت من تساهل في الاقتضاء .

الخامس : أن الزيف نعني به ما لا نُقْرة فيه أصلا (والنقرة القطعة من

الذهب (بل هو مموه ، أو ما لا ذهب فيه ، أعني في الدنانير ، أما ما فيه فإن كان مخلوطا بالنحاس وهو نقد البلد ، فقد اختلف العلماء في المعاملة عليه ، وجل رأينا الرخصة فيه (أي جوازه) إذا كان ذلك نقد البلد ، سواء علم مقدار النقرة أو لم يعلم ، وإن لم يكن هو نقد البلد لم يجز ، إلا إذا علم قدر النقرة فإن كان في ماله قطعة نقرتها ناقصة عن نقد البلد فعليه أن يخبر بهمعامله.

وقد كان السلف يحتاطون في مثل ذلك ، حتى روي عن بعض الغزاة في سبيل الله أنه قال : حملت على فرسي لأقتل علجا (أي كافرا مجرما) فقصّر بي فرسي ، فرجعت ، ثم دنا مني العلج فحملت ثانية ، فقصر فرسي فرجعت، ثم حملت الثالثة فنفر مني فرسي ، وكنت لا أعتاد ذلك منه ، فرجعت حزينا ، وجلست منكّس الرأس منكسر القلب لما فاتني من العلج ، وما ظهر لي من خُلُق الفرس ، فوضعت رأسي على عمود الفسطاط وفرسي قائم ، فرأيت في النوم كأن الفرس يخاطبني ويقول لي : « بالله عليك أردت أن تأخذ على العلج ثلاث مرات وأنت بالأمس اشتريت لي علفا ، ودفعت في ثمنه درهما زائفا ؟ لا يكون هذا أبداً » . قال : فانتبهت فزعا ، فذهبت إلى العلاف ، وأبدلت ذلك الدرهم » .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

نقود الجامع والربا

السؤال : معنا مبلغ من المال يتعلق بمسجد من المساجد ، فهل يجوز لنا أن نستثمره بالفائدة لمصلحة المسجد ؟

الجواب :

لقد حرم الله الربا تحريما قاطعا جامعا ، بعد أن تدرج في هذا التحريم على مراحل ، فالقرآن الكريم أخبرنا أولا أن أكل الربا هو طبيعة اليهود وعادتهم ،

مع أن الله تعالى نهاهم عنه ، فقال : « وأكلهم الربا وقد نُهوا عنه » . ثم عاد القرآن الكريم فصوَّر لنا صورةً شنيعة فظيعة كان الناس في القديم يفعلونها ، وهي أكلهم الربا في إسراف ومضاعفة ، فقال القرآن : « لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعَفة » . ثم جاء القرآن بعد ذلك بتحريم الربا تحريما جامعا قاطعا يشمل قليله وكثيره وكلَّ لون من ألوانه ، فقال : « وأحل الله البيع وحرم الربا » . وقال يخاطب المرابين : « فإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تَظْلِمون ولا تُظْلَمون » ، أي إذا تركتم التعاملَ بالربا فالواجب عليكم هو أن تعطوا الناس كلَّ ما أخذتموه منهم ، وتكتفوا برؤوس أموالكم فقط ، فلا يقع منكم ظلم على غيركم ، ولا يظلمكم غيركم .

وقد حذر الرسول صلى الله عليه وسلم تحذيراً شديدا من التعامل بالربا ، فلعن الذي يُعْطي الربا ، والذي يأكل الربا ، وقال عليه الصلاة والسلام : « إن آكل الربا يُبْعَث يوم القيامة مجنونا يتخبط » ، وقال : « إن الربا وإن كثر فعاقبته إلى قُلّ » أي إن الربا يؤدي إلى الفقر ولو كان كثيرا .

ومن هذا البيان يتضح بجلاء أنه لا يجوز بحال من الأحوال تشغيلُ النقود الخاصة بالجامع بالفائدة ، لأن الفائدة ربا ، والله طيب لا يقبل الا طيبا ؛ وإن المساجد — وهي بيوت الله في الأرض — أحقُّ الأماكن بأن تنفق عليها أموالا طاهرة لا شبهة فيها ولا حرمة ، ولذلك يجب جعلُ أموالها بعيدةً عن الربا .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

املاك الدولة

السؤال : بجوار بلدتنا غابة فيها أشجار ، وهي تابعة للحكومة ، وقد كلفت الحكومة « العمدة » بالإشراف عليها ، وقد جمعتُ من هذه الغابة ، قدرا من الحطب ، ولكن العمدة أخذه مني ، واستخدمه في مصلحة المسجد بالبلدة ، فهل يجوز له أن يأخذ هذا الحطب الذي جمعتُه ؟

الجواب :

المفهوم من صيغة السؤال أن هذه الغابة غير مباحة للجميع ، أي أن ولي الأمر لم يعط اذنا للناس بأن يأخذوا منهاما يشاؤون عندما يشاؤون ، ومعنى هذا أنها ملك للدولة ، وأنها محرمة على الأفراد ، وأن المسؤول عن شأنها هو العمدة ، وعلى هذا لا يجوز لأحد الأفراد أن يقتحمها دون إذن ، أو يأخذ منها شيئا ، ومن هنا يحرم على السائل أن يجمع الحطب من هذه الغابة ، ما دام لم يأخذ إذنا بذلك ، ولا يكون أيضا مالكا لما جمع ومن حق العمدة — وهو صاحب الاختصاص في الأمر ، والمكلف بذلك من الدولة — أن يتصرف في هـذا الحطب بما تقتضيه المصلحة العامة .

وإذا كان المسجد محتاجاً لهذا الحطب لمصلحة من مصالحه ، فإن المسجد يكون أولى من غيره بهذا الحطب ، فلا يكون العمدة مخطئا إذا استخدم هذا الحطب في مصلحة الجامع ، ما دامت عنده سلطة تمكنه من ذلك أعطاها له ولي الأمر ، وهو هنا الدولة أو الحكومة .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الغش في الميزان

السؤال : **سمعتُ أن الذي يغش في الميزان يحترق بنار جهنم أربعين عاما ، فهل هذا صحيح ؟**

الجواب :

رُوي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة مهاجرا وجد فيها أناسا من أخبث الناس كيلا ، فأنزل الله تعالى قوله في سورة المطففين : « وَيْلٌ للمُطفِّفِينَ ، الّذِينَ إذا اكتالُوا عَلَى الناسِ يَسْتَوفُونَ ، وَإذا كَالوهُم أوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ، ألاَ يَظُنُّ أولَئِكَ أنهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيوم عظيمٍ ، يومَ يقومُ الناسُ لربِّ العالَمِينَ » ؟ والتطفيف هو التغيير في الكيل

والميزان .أي أعدالله سبحانه وتعالى العذابَ الشديد للذين ينقصون المكاييل والموازين فإذا كالوا أو وزنوا لأنفسهم أخذوا حقوقهم كاملة وافية أو زادوا فيها ، ولكنهم إذا كالوا من عندهم للناس نقصوا في الكيل أو الوزن ؛ فهل حسب هؤلاء المجرمون أنهم لن يبعثهم الله يوم القيامة ليلاقوا يوماً شديدا ، يوم يقوم الناس بين يدي الله رب العالمين ، ليحاسبهم على ما فعلوا ؟ فإن كانوا قد أحسنوا الكيل والوزن فقد فازوا ، وإذا كانوا من المطففين هلكوا ونالهم العذاب الأليم . ولما نزلت هذه الآية أحسن أهلُ المدينة الكيل بعد ذلك ، فكانوا أحسن الناس كيلا . وروي أن هذه السورة هي أول سورة نزلت بالمدينة عقب الهجرة .

وقال عبد الله بن عباس لبعض الأعاجم : « إنكم معاشر الأعاجم وليتّم أمرين بهما هلك مَنْ كان قبلكم : المكيال والميزان » . وجاء في الحديث عن الذين يعصون أوامر الله تعالى : « وما طفّفوا المكيال إلا مُنعوا النبات ، وأخذوا بالسنين » أي نالتهم المصائب .

وقال مالك بن دينار دخلت على جار لي قد نزل به الموت ، فجعل يقول: جبلين من نار ، جبلين من نار ! .. فقلت له : ما تقول ، أتهجر ؟ (أي أتهذي ؟) فقال : يا أبا يحيى ، كان لي مكيالان أكيل بأحدهما وأكتال (أي لنفسي)، بالآخر ، فقمتُ فجعلت أضرب أحدهما بالآخر حتى كسرتهما . ثم قال : يا أبا يحيى ، كلما ضربتُ أحدهما بالآخر ازداد عظما ؛ فمات الجار من وجعه .

وكان ابن عمر يمر بالبائع فيقول له : « اتق الله ، وأوف الكيلَ والوزن بالقسط ، فإن المطففين يوم القيامة يوقفون (للحساب الدقيق) ، حتى إن العرق ليُلْجمهم إلى أنصاف آذانهم » . واليوم الذي يقف فيه المطففون أمام ربهم للحساب والعقاب يوم طويل عصيب ، وفي الحديث أنه يوم كان مقداره خمسين ألف سنة . ولعل السبب في قول من قال إن الوزانين والكيالين يدخلون النار ما رواه الإمام القرطبي في كتابه : « الجامع لأحكام القرآن » عن عكرمة أنه قال : أشهد على كل كيال أو وزان أنه في النار ، قيل لعكرمة : فإن ابنك

كيال أو وزان قال : أشهد أنه في النار . وإذا صحت نسبةُ هذا القول إلى عكرمة فلا بد أنه أراد به التهديدَ والتحذير من التطفيف أو النقص في الكيل والميزان ، ولا يُعقل أن يدخل العادلُ في كيله ووزنه النار ، بل هو يستحق على عدله الثوابَ والجزاء الحسن من الله تعالى ، إذا نوى بهذا العدل التقربَ من الله وحفظَ حقوق العباد .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الأسنان من الذهب

السؤال : **هل يجوز اتخاذ الأسنان من الذهب في مذهب الحنفية ؟**

الجواب :

مذهب الإمام أبي حنيفة أنه يجوز شدُّ الأسنان بالفضة عند الحاجة إلى ذلك ، ومذهب صاحبيه محمد وأبي يوسف أن ذلك يجوز بالذهب أيضا ، وقد جعلا ذلك قياسا على الأنف ، فقد روت السيرة أن صحابيا اسمه « عرفجة » أُصيب أنفه في بعض المواقع ، فاتخذ أنفاً من فضة فأنتن ، فارشده النبي صلى الله عليه وسلم أن يتخذ أنفا من ذهب ، وكان ذلك ضرورةً فيجوز ، ويقاس على الأنف الأسنان .

ولكن الإمام أبا حنيفة يقول : إن الضرورة في الأسنان تندفع باستعمال الفضة ، ولا تندفع الضرورة في الأنف إلا بالذهب ، فيجوز عنده الذهبُ في الأنف ، ولا يجوز في الأسنان .

وللسائل أن يأخذ برأي الصاحبين إذا كانت هناك ضرورة تدعو إلى ذلك .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الاتجار في الدخان

السؤال : نحن نزرع الدخان في أراضينا ، ونحصده لنكسب منه المال ، فهل يجوز الحج والوصية من هذا المال ؟

الجواب :

إن شجرة الدخان (واسمه التبغ) لم تكن معروفة في العصور الأولى للاسلام، وقد عُرفت بين المسلمين في مطلع القرن الحادي عشر ، وحينما عرفوها بدأ الفقهاء يبحثون أمرها ، ويتناقشون حول حِلِّها وحرمتها ، وقد قالوا إن الأصل في الأشياء الإباحة ، ما لم يعرض ما يوجب التحريم . وقد ذهبت طائفة منهم إلى حل التدخين ، لأنه ليس مسكرا ، ولا من شأنه أن يسكر ؛ وذهبت طائفة أخرى إلى القول بحرمته أو كراهته إذا حصل منه ضرر كثير أو قليل لمتعاطيه ، في نفسه أو في ماله أو فيهما معا ، أو يؤدي تعاطيه إلى لون من الفساد ، كتضييع حقوق الأهل والأولاد ، أو من تجب نفقتُه على المدخن ، فإذا خلا من هذه العوارض وأشباهها كان تعاطيه حلالا ، كما جاء في كتاب « فتاوى شرعية » لفضيلة الشيخ مخلوف .

وعلى هذا القول لا يحرم الاتجار في التبغ أو الحج منه ، لأنه ليس نجسا ولا محرما لذاته ، كما تجوز الوصية بثمنه ، ويجوز أن يقضي المرء بهذا المال ما يباح من أمور الحياة وأمور الدين .

وقد يكون من الخير أن نذكر عبارة جاءت في كتاب « الفتاوى » لفضيلة الشيخ شلتوت عن التبغ تقول :

« وإذا كان التبغ لا يُحدث سكرا ، ولا يفسد عقلا ، غير أن له آثاراً ضارة ، يحسها شاربُه في صحته ، ويحسها فيها غير شاربه ، وقد حلل الأطباء عناصره ، وعرفوا فيها العنصر السام الذي يقضي وإن كان ببطء — على سعادة الإنسان وهنائه ، وإذن فهو ولا شك أذًى وضرر ، والإيذاء والضرر خبثٌ يحْظَر به الشيء في نظر الإسلام ، وإذا نظرنا مع هذا إلى ما

ينفق فيه من أموال ، كثيرا ما يكون شاربه في حاجة إليها ، أو يكون صرفها في غيره أنفع وأجدى.

إذا نظرنا إلى هذا الجانب عرفنا له جهة مالية تقضي في نظر الشريعة بحظره وعدم إباحته .

ومن هنا نعلم أخذاً من معرفتنا الوثيقة بآثار التبغ السيئة في الصحة والمال ، أنه يمقته الشرع ويكرهه . وحكم الإسلام على الشيء بالحرمة أو الكراهة لا يتوقف على وجود نص خاص بذلك الشيء ، فالعلل والأحكام العامة قيمتها في معرفة الأحكام . وبهذه العلل وتلك القواعد كان الإسلام ذا أهلية قوية في إعطاء كل شيء يستحدث الناس حكمه من حل أو حرمة ، وذلك عن طريق معرفة الخصائص والآثار الغالبة للشيء ، فحيث كان الضرر كان الحظر ، وحيث غلب النفع كانت الإباحة ، وإذا استوى النفع والضرر كانت الوقاية خيراً من العلاج » .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

هل الهدية ربا

السؤال : اقترض رجل من صاحبه مالا ، وقال له قبيل القرض : إذا أعطيتني هذا المبلغ قرضا فسأعطيك هدية لك خارج القرض ، فرضي المقرض ، وسلم إليه المقترض ثوبا وأخذ القرض ، فهل يكون هذا الثوب حلالا أو يكون ربـــا ؟

الجواب :

من الأصول الفقهية المشهورة عند الفقهاء أن كل قرض جرَّ نفعا فهو ربا ، والربا حرام بنص الكتاب والسنة والإجماع ، وقد جاء في حاشية ابن عابدين الحنفي أن المقرض إذا اتفق مع المستقرض على أن يهدي إليه هدية حرم ذلك للاتفاق السابق .

ولكن لو جاء المستقرض ووفّى الدينْ للمقرض ، ثم أهدى إليه بعد ذلك هدية من ذات نفسه جاز ذلك ، ولم يكن ربا .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

بين الهبة والربا

السؤال : **دفع شخص إلى شخص مبلغا من المال على سبيل القرض ، واشترط المقرض على المقترض أن يشتري منه – أي من المقرض – شيئا ، ثم يهبه للمقرض ، قاصداً بذلك أخذ الربا بالحيلة . أليس هذا ربا ؟ وما رأي الإسلام إذا كان من يفعل هذا يصلي بالناس إماما ؟**

الجواب :

لا شك أن أخذ الربا بحيلة صورية من الحيل التي يعرفها الناس ، يدخل في باب الربا المنهي عنه ، والله سبحانه وتعالى مطلع على الضمائر ، ويعلم ما في الصدور ، والرسول يقول : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء ما نوى » . وإذا اشتهر شخص من الأشخاص باتباع هذه الحيل الأثيمة حتى ذاع ذلك عنه ، وعرفه الناس به ، لم يكن صالحاً لإمامة الناس في الصلاة ، ويجب عليه أن يتخلى عن ذلك ، أو يعمل المأمومون لإبعاده عن الإمامة بالطريقة الحسنى والأسلوب الحكيم ، حتى لا تكون فتنة ، وقد جاء في مذهب الحنفية – كما ورد في كتاب الدر المختار – أن الأحق بالإمامة هو الأعلم بأحكام الصلاة ، بشرط اجتنابه للفواحش الظاهرة ، ثم الأحسن تلاوة وتجويداً للقراءة ، ثم الأورع ، أي الأكثر اتقاء للشبهات ، والشبهة هي ما اشتبه حِلّه وحرمته ، ويلزم من الورع التقوى .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

قبول الهدية

السؤال : **أهديت إلى أحد أصدقائي هدية فردّها علي ، ولم يقبلها مني ، وتأثرت بذلك كثيرا ، فما هو هدي الإسلام في هذه الحالة ؟**

الجواب :

من تعاليم الإسلام التحبيب في قبول الهدية من الصديق والرفيق ، لأن هذا يقوّي الروابط ويمكّن الحب ويديم المودة ، ومن الخير في الإسلام أن يتقبل المُهْدَى إليه هدية صاحبه ، ولو كانت قليلة أو ضئيلة ، فقد روى البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لو دُعيت إلى كُراع [1] أو ذراع لأجبت ، ولو أُهدي إلي ذراع أو كراع لقبلت . وروى أحمد والترمذي عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو أُهدي إليّ كُراع لقبلت ، ولو دُعيت عليه لأجبت ؛ وروى الطبراني عن أم حكيم قالت : قلت يا رسول الله تكره اللُّطْف (أي اليسير من الطعام) قال : لا أقبّحه ، لو أُهدي إليّ كراع لقبلت .

وعن خالد بن عدي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من جاءه من أخيه معروف من غير إشراف ولا مسألة فليقبله ولا يرده ، فإنما هو رزق ساقه الله إليه . وعن عبد الله بن بسر قال : كانت أختي ربما تبعثني بالشيء إلى النبي صلى الله عليه وسلم نُطْرِفه (أي نجعله هدية له نروّح بها عنه) فيقبله مني . وفي رواية أخرى : كانت تبعثني إلى النبي صلى الله عليه وسلم بالهدية فيقبلها. وعن أم كلثوم بنت أبي سلمة قالت : لما تزوج النبي صلى الله عليه وسلم أم سلمةَ قال لها : إني قد أهديت إلى النجاشي حلة وأواقي من مسك ، ولا أرى النجاشي إلا قد مات ، ولا أرى هديتي الا مردودة ، فإن رُدَّت عليّ فهي لك . قالت : وكان كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورُدت عليه هديته ، فأعطى كلّ امرأة من نسائه أوقية مسك ، وأعطى أم سلمة بقية المسك والحلة . رواه البخاري .

---

(١) الكراع هو ما دون الركبة من الساق .

وقد أشار النبي صلوات الله وسلامه عليه في عدة أحاديث إلى ما تثمره الهدية من تحابٍ وترابط فقال : « تَهادَوْا تحابوا » . وقال : « تَهادوا تزدادوا حبا » . وروى مالك في الموطأ عن عطاء الخراساني الحديثَ التالي : « تصافحوا يذهب الغل ، وتَهادوا تحابوا ، وتذهب الشحناء » . وفي الطبراني حديث يقول : « تَهادوا تحابوا ، وهاجروا تورثوا أولادكم مجدا ، وأقيلوا الكرامَ عثراتهم » . وروى الترمذي من حديث أبي هريرة : « تَهادوا فإن الهدية تُذْهب وَحَرَ الصدر » . ووحر الصدر ما فيه من غيظ وكراهية . وقد أشار الرسول بقوله عن الهدية : « فإنما هو رزق ساقه الله إليه » إلى احترام الهدية واعتبارها مقبلة من جهة الله الوهاب الرزاق ، وإن كان قد أجراها على أيدي المهدين ، ليكتب لهم بذلك الثواب على ما عملوا ، والمحمود في الحقيقة أولا وأخيرا هو الله ، وفي هذا قدر كاف في تبيين تحريض الإسلام على قبول الهدية ، وذلك مشروط بعدم الإثم فيها ؛

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

سباق الخيل

السؤال : ما هي كلمة الإسلام في سباق الخيل المعروف ؟

الجواب :

لقد نظر الإسلام إلى الخيل نظرةَ تكريم ، إذ اعتبرها وسيلةً من وسائل القوة والعُدة ، ومظهرا من مظاهر الهيبة والعزة ، ولذلك يقول القرآن الكريم : « وَأَعِدُّوا لَهُمْ ما استَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ » . وأقسم بها في آية أخرى فقال : « وَالعَادِيَاتِ ضَبْحاً ، فالمُورِيَاتِ قدْحاً ، فالمُغِيراتِ صُبْحاً ، فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً ،

فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً ، إنّ الإنسانَ لِرَبِهِ لَكَنُودُ » [1] . وعن شبيب ابن عرقدة قال : سمعت عروة بن أبي الجعد يقول : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة » قال شبيب : فرأيت في دار عروة سبعين فرسا مربوطة (أي معدة للجهاد في سبيل الله) . وعن ابن عمر أن الرسول قال : « الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة . وقد فسر البخاري ومسلم وأحمد هذا الخير بأنه الأجر والغنيمة وهناك أحايث كثيرة في فضل الخيل واقتنائها لأجل الجهاد .

والإسلام ينظر إلى المسابقة على الخيل في أصلها نظرة الرضى والتحريض ، لأنها وسيلة إلى نشر القوة والفتوة والرياضة والجندية الماهرة ، وفي سنة الرسول صلوات الله وسلامه عليه ما يفيد أن هذه المسابقة كانت معروفة عند الصدر الأول ، فعن أنس بن مالك قال : كانت ناقة الرسول صلى الله عليه وسلم تسمّى العضباء ، فكانت لا تُسبق (لسرعتها) ، فجاء أعرابي على قَعود له فسابقها فسبقها ، فاشتد ذلك على المسلمين ، فلما رأى الرسول صلى الله عليه وسلم ما في وجوههم قالوا : يا رسول الله سُبقت العضباء . فقال : حق على الله عز وجل أن لا يرفع شيئا من الدنيا إلا وضعه .

وعن ابن عمر أن الرسول سابَقَ بين الخيل التي أُضْمِرت (أي عُلفت بصورة خاصة حتى تسمن ثم تقوى)من « الحفياء » ، وكان غايتها ثنية الوداع ، وسابق بين الخيل التي لم تضمر من الثنية الى مسجد زريق .

وعن أبي هريرة أن الرسول قال : « لا سَبْقَ إلا في نصل أو حافر أو خُف .. والنصل هو حديد الرمح والسيف والسهم ، والحافر للخيل والحمير ، والخف للابل والفيلة ، وقد فهم الفقهاء من هذا الحديث جواز إعطاء السابق جُعْلا أو مكافأة ، وقالوا إن المعنى أنه لا يحل أخذ المال بالمسابقة ، إلا في نصل أو ذي حافر أو خف ، وهي السهام والإبل والخيل ، وألحقوا بها ما

---

(١) العاديات : خيل الجهاد ، تعدو بسرعة . وضبحا : هوصوت انفاسها اذا جرت . والموريات قدحاً : المخرجات النار من الاحجـــار بصك حوافرها . والمغيرات صبحا : المباغتات للعدو عند الصباح . واثرن به نقعاً : هيجن غباراً . ووسطن : توسطن .

كان بمعناها ، وجاء التصريح بإعطاء الجُعْل في حديث آخر لابن عمر قال : سبّقَ (بتشديد الباء) النبي صلى الله عليه وسلم بين الخيل ، وأعطى السابق .

ولكن الفقهاء اشترطوا أن تكون المكافأة من غير المتسابقين ، كأن يقول الوالي أو غيره من الناس : من سبق فله كذا من بيت المال ، أو من بيتي . لما في ذلك من فضيلة التحريض على المسابقة والتقوي وكذلك يجوز أن يكون من أحدهما فيقول : إن سبقتني فلك كذا ..وأما من الطرفين فلا . وروي عن أبي حنيفة أن عقد المسابقة على مال باطل . وروي عن مالك أنه لا يجوز أن يكون العوض من غير الإمام ، وروي أيضا عن مالك وابن الصباغ وابن خير أنه لا يجوز بذل المال من جهتيها .

هذه خلاصة سريعة لما نعلمه عن أمر المسابقة بالخيل في الإسلام ،ولكن السباق المعروف اليوم غير هذا ، فهو نوع من القمار والميسر ، وفيه من المضار والمكايد ما فيه ، وكم جر على أهليه والمشتركين فيه البلايا والنكبات ، وكم هدمْ الأسر وشتت العائلات ، وهو لا يتوفر فيه ما اشترطه الإسلام لصحته ، ولذلك لا يجوز ذلك السباق شرعا ؛ وفوق كل ذي علم عليم .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الاسلام والشيوعية

السؤال : **هل يوافق الإسلام على الشيوعية ؟ وإذا كان يعارضها فما السبب في تلك المعارضة ؟**

الجواب :

الإسلام لا يوافق الشيوعية ، لأن الشيوعية لا تعترف بالله تعالى ، ولا تخضع له ولا تدعو إليه [1] ، والإسلام شرعة قامت على الدعوة إلى الله

(١) انظر كتابي محاضرات الثلاثاء ص ١٧ – ٣٦ ط دار الكتاب العربي بالقاهرة سنة ١٩٥٢

وإفراده بالعبادة وحده : « قُلِ اللهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوضِهِمْ يَلْعَبُونَ » «مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ». والشيوعية تحارب الدين ، وتعده مخدرا للشعوب ومثبطا للهمم ، وصارفا عن الدنيا ؛ والإسلام ينادي بأن التدين والإخبات إلى الله والتقرب منه بالتعبد ، وتجنب الرذائل وحفظ الفضائل سبب السعادة في الأولى والآخرة : « إنَّ الدِّينَ عندَ اللهِ الإسلامُ » . وهذا الإسلام هو الذي يريد أن يجعل أبناءه عمالقةً في الكون ، وملائكةً بأخلاقهم بين الناس ، وكَذَبَ على الله والإسلام من قال إن شرعته تدعو إلى فقر أو ذل أو تخدير .

والشيوعية لا تعترف بحرمة الأسرة وقيود الزواج ، والإسلام يرى أن نظام الأسرة وقيود الزواج وصلات الأبوة والأمومة والبنوة والقرابة من أقوى الدعائم لتقوية الأمم وحفظ المجتمعات . والشيوعية لا تقر الميراث الشرعي ولا تعمل به ، مع أن الميراث فريضة مقدسة ثابتة في الإسلام إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

والشيوعية تلغي الملكية الفردية ، وتجعل المال والعقار والأرض والثمرات ملكا للدولة ، والإسلام يقر ملكية الفرد ، ويعد الاعتداء عليها جريمة ، فالرسول يقول : « كل المسلم على المسلم حرام ، دمُه وماله وعرضه » .. والشيوعية تجعل من الأفراد المميزين العقلاء آلات ميكانيكية تعمل ثم تأكل وتشرب ، فلا تنافسَ ولا تسابقَ ولا ابتكار ، والإسلام يحرض أهلَه على السعي والكسب والعمل والتنافس في ميادين الحياة : «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثقالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ » .

على أنه يجب ألا ننسى بعد هذا أن الإسلام لا يرضى أن يظل هذا الشقاء بين الناس ولا أن يكتوي الفقراء بنيران المسغبة والحرمان .. الإسلام لا يرضى أبدا أن يعيش قوم في السماء يمتلئون ويتخمون ، ويجمعون المال من حله ومن حرامه ، ويخدعون ويسرقون ويكتزون ويشحون ، وبجوارهم قوم فراشهم الغبراء وغطاؤهم السماء .. الإسلام يريد الناس متعاونين : « وَتَعَاوَنُوا عَلَى

البِرِّ والتَّقْوَى » متراحمين : « ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء » متساندين « الله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه » متآلفين : « إنّما المؤمنونَ إخْوَةٌ » متكافلين متضامنين : « والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » . وإذا كان الناس اليوم [1] يرددون أسماء الاشتراكية والشيوعية ، والديموقراطية ، والفاشية ، فما أجدرنا أن ننادي فيهم بهدي الإسلام ، فالإسلام اليوم هو زورق النجاة ، وقارورة الدواء ، ومضخة الإطفاء ، ووسيلة الشفاء : « قَدْ جاءكُمْ مِنَ اللهِ نورٌ وكتابٌ مبينٌ ، يهدِي بِهِ اللهُ مَنْ اتبعَ رضوانَهُ سُبُلَ السَّلاَم ،ويخرجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إلى النُّورِ بإذنِهِ ، وَيَهْدِيهِمْ إلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ » .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

منابع الثروة العامة

السؤال : **هل يجوز لفرد أو أفراد بان يتملكوا منابعَ الثروة العامة كالبترول والمعادن الأخرى ؟**

الجواب :

من القواعد المقررة في الدين أن الله تبارك وتعالى خلق نعمه وآلاءه وخيراته لعباده جميعهم ، حتّى يستطيع كل واحد منهم أن يعيش ويحيا ، وأن يتحقق له على أقل تقدير — المستوى الأدنى الذي إن لم يتحقق له لما كان إنسانا مكرّما في هذه الحياة ، مع أن الله تعالى يقول : « ولقد كرّمنا بني آدمَ وحملناهُمْ في البرِّ والبحرِ ، ورزقناهُمْ من الطيباتِ ، وفضلناهم على كثيرٍ مِمَّنْ خلقنا تفضيلا »

ومما يدل على أن الله تعالى جعل النعمَ والخيرات في الحياة قسطاً مشتركاً بين عباده ، قوله سبحانه : « هوَ الذي خلقَ لكم ما في الأرضِ جميعاً » .

---

(١) نشرت هذه الفتوى سنة ١٩٥٠ م .

وقوله عن الأرض : « وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ » . وبناءً على ذلك نفهم من روح الإسلام أن أي منبع من منابع الثروة العامة التي يحتاج إليها كل فرد ، ولا يستقيم دونها عيشُه أو حياته ، لا يصح أن ينفرد بملكها فردٌ من الناس ، ولا أن يحتكرها أفراد ، وإلا أدَّى ذلك إلى الضرر الأكيد ، والرسول عليه الصلاة والسلام يقول : « لا ضَرَرَ ولا ضِرار » .

ولذلك لا يجوز شرعا أن يتملك الفرد طرقَ المسلمين العامة ، ولا أن يحتكر مصادرَ رزقهم الأساسية ، ولا الأشياء الضرورية في حياتهم ، وهذا هو الإمام ابن القيم مثلا يقول في كتابه « زاد المعاد » ما نصه : « الماء خلَقه الله في الأصل مشتركا بين العباد والبهائم ، وجعله سقيا لهم ، فلا يكون أحد أخصَّ به من أحد ، ولو أقام عليه وبنى عليه » .

وفيما يتعلق بمناجم المعادن الضرورية والمراد الأساسية في المجتمع نجد الإمام الكاساني في كتابه « بدائع الصنائع » ، وهو من أهم المراجع الفقهية في مذهب الحنفية يقول : « وأرض الملح والقار والنفط ـ البترول ـ ونحوها مما لا يستغني عنها المسلمون ، لا يجوز للامام أن يُقْطِعَها لأحد ، لأنها حق المسلمين ، وفي الإقطاع إبطالٌ لحقهم ، وهذا لا يجوز » .

ويقول الإمام ابن قدامة في كتابه « المغني » ما نصه : « وجملة ذلك أن المعادن التي ينتابها الناس ، وينتفعون بها من غير مؤونة ، كالملح والماء والكبريت والقار والمومياء ـ نوع من الدواء ـ والنفط والياقوت وأشباه ذلك ، لا يجوز احتجازها دون المسلمين ، لأن فيها ضررا بهم ، وتضييقا عليهم » .

ويذكر ابن قدامة في « المغني » أيضا وجهيّ نظرٍ في المعادن الباطنة ، ثم يرجِّح عدم جواز ملكها لفرد ، فيقول : « وأما المعادن الباطنة التي لا يوصل إليها إلا بالعمل والمؤونة ، كمعادن الذهب والفضة والحديد والنحاس والرصاص والبللور والفيروز ، فلا يجوز ملكها » .

ومن هذا نفهم أن منابع الثروات العامة والطاقات الأساسية التي يحتاج إليها

أبناء الأمة لا يجوز أن ينفرد بملكيتها أو الانتفاع بها فرد أو أفراد ، دون بقية الأمة [1] .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الاسلام والفقر

السؤال : **يقال إن الدين يحبب في الفقر ويدعو إليه ، فهل هذا صحيح ؟**

الجواب :

الإسلام يعمل لإقامة مجتمع قوي فاضل ، يُشيع المكارمَ ووجوه الخير وألوان البر في مواطن الأمن والسلام ، ويُعد العدة والذخيرة وألوان القوة في مواطن الإعداد والاستعداد ، ولذلك نجد القرآن يقول : « يا أيُّها الرسلُ كُلُوا مِنَ الطَيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً » . ويقول : « وَأَعِدُّوا لَهُمْ ما استَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ » .

ولذلك يعتبر الإسلام الفقرَ عيبا ، ينبغي للمسلم أن يتخلص منه ما دام قادرا على ذلك ، والحديث النبوي يقول : « كاد الفقر أن يكون كفرا » . وقال الإمام علي : « لو كان الفقر رجلا لقتلتُه » .

وكان رسول الله عليه الصلاة والسلام يدعو ربه فيقول : « اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر ، وأعوذ بك من عذاب القبر ، لا إله إلا أنت ». وقال لأحد أصحابه : « لأن تذر ورثتَك أغنياء خير من أن تذرهم عالة (أي فقراء) يتكففون الناس » أي يحتاجون إليهم ويسألونهم .

والإسلام يعتبر الغِنَى الشريف أو اليسار الطاهر من المكارم ، ومظهرا من المظاهر التي ينبغي للمسلم أن يتحلى بها . ولذلك نجد في القرآن الكريم آيات كثيرة في الحض على السعي والكسب والابتغاء من فضل الله والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « نعم المال الصالح للرجل الصالح » . ويقول : « إن الله

---

(١) انظر كتابي « الاسلام والاقتصاد » ص ٢١٤ — ٢١٨ .

يحب العبد التقي الغني الخَفِيّ » .

ووجدنا الرسول صلوات الله وسلامه عليه يقول في دعواته : « اللهم إني أسألك العفافَ والغنى » . ولو كان الغنى أمراً قبيحا ، أو شيئا مرذولا لما سأله النبي من خالقه تبارك وتعالى . بل إننا نجد القرآن الكريم يعتبر إزالةَ الفقر منةً كبرى من الله جل جلاله ، يمن بها على رسوله محمد عليه الصلاة والسلام ، فالمولى عز شأنه يقول في القرآن لنبيه : « ألم يجدك يتيما فآوى ، ووجدك ضالا فهدى ، ووجدك عائلا فأغنى » . أي وجدك فقيرا فاغناك .

وقد اعتبر الرسول صلى الله عليه وسلم الدفاع عن المال المشروع أمراً له مكانته وقيمته ، فقال : « من قُتل دون ماله فهو شهيد » .

قد يقال : ولكن هناك نصوصا دينية تشيد بالفقراء ، وتنوه بفضل فقرهم ، فكيف نوفق بين هذا وبين إشادة الإسلام بالغنى الفاضل واليسار الطاهر ؟ ونجيب بأن هناك أناساً يتلمسون في بعض الأحيان أسبابا للعمل فلا يجدونها ، أو يصيبهم عجز ليس في طاقتهم التغلب عليه ، أو تجري عليهم الأقدار بابتلاء لهم في ثروتهم وأموالهم ، فيفقدونها ولا يستطيعون تعويضها ، فهنا تأتي النصوص مواسيةً ومشجِّعة وحافزة على حسن الاحتمال وجميل الصبر ، مع براعة العمل للتخلص من الفقر حينما يتهيأ السبيل لذلك .

والإسلام لا يحبِّب في الفقر ، ولكن يحد من جشع الكانزين الجشعين ، الذين يجمعون ولا يعرفون القسمة ، فهنا يدعوهم الإسلام إلى التلطف في الجمع ، والتخفف من المال ، والتذكير بواجباته ، والتحذير من تبعاته ومسؤولياته ،وكأن هذا مقاومة للغنَى الفاحش الجاحد الذي يؤدي إلى تجميد الأموال دون النفع منها ، وليس المراد أن يرتضي الإسلام الفقرَ شعاراً لأبنائه ومجتمعه ، وإلا أصابهم الهزال والهوان ، بل هو يريدهم أقوياء فضلاء : « وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ » .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الاسلام والمبادىء الاشتراكية

السؤال : **هناك من ينكر أن الإسلام يقر المبادىء الاشتراكية ، فما وجهُ الحقيقة في ذلك ؟**

الجواب :

الإسلام دين إلهي إنساني عام ، جاء ليحقق العدالةَ الاجتماعية بين الناس ، والاشتراكية القويمة السليمة الفاضلة هي التي تعمل على تحقيق هذه العدالــة الاجتماعية ، لأن الاشتراكية تفيد — حتّى بلفظها — أن يتشارك الناس في خيرات ربهم الواسعة ، ونعمه الشاملة ، وآلائه العامة ، وأن يتعاونوا في النهوض بالتبعات ، والتساند في مواجهة الشدائد والأزمات .

والإسلام الحنيف العادل يعمل بنصوصه وروحه على تحقيق الاشتراكية الإنسانية الأخلاقية العادلة الفاضلة التي توائم بين الملكية الفردية والملكية العامة ، وتحفظ حقّ الفرد ، وفي الوقت نفسه ترعى حقوقَ المجتمع ؛ ويكفي في التعرف على إقرار الإسلام لروح الاشتراكية الفاضلة العادلة أنه أخبرنا بأن ما في الكون من خيرات وطاقات هو للجميع ، لا لفرد دون فرد ، ولا لجماعة دون جماعة ، فيقول القرآن الكريم : « هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً » . ويقول عن الأرض : « وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيها مَعَايِشَ »

والإسلام يصور الأمة بصورة الكتلة الموحّدة المتعاونة المتكافلة المتضامنة ، المتشاركة في النعم والطاقات ، فالرسول يقول : « المسلمون تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهمْ ، وهم يد على من سواهم » . ويقول : « لا يؤمن أحدكم حتّى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » . ويقول : « الناس شركاء في ثلاثة : الماء والكلأ والنار » .

وهذا الحديث الأخير نص صريح في إقرار الإسلام لروح الاشتراكية العادلة الفاضلة .

والاشتراكية الفاضلة تستلزم التقاربَ بين الناس ، والاعتدال في الحياة ،

وتحارب الإسراف وتقاوم الترف ، والإسلام يقر ر هذا منذ عهد بعيد حيث يقول : « وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا ، فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ ، فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً » ، ويقول عن المؤمنين : « وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً » .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الاسلام وتحديد الملكية

السؤال : هل يقر الإسلام مبدأ تحديد الملكية ، وما الدليل على ذلك ؟

الجواب :

لا شك أن الإسلام يحرّض على السعي والعمل والكسب والإنتاج والتملك ، ولكنه يطالب بأن يتم كل هذا بطريق سليم قويم ، وبأسلوب نظيف شريف ، ولغرض كريم نبيل ، ولذلك وضع للتملك شروطا وقيودا ، فهذا التملك في نظر الإسلام يأتي غالبا من جهة العمل — وإن كانت هنـــاك طرق التملك الأخرى — وهي الوصية والهبة والإرث ، فهي قليلة الوقوع .

ولا بد في هذا التملك أن تكون وسيلة العمل والكسب مشروعة ، ولذلك حرم الإسلام الغشّ والغصْب والسرقة والربا والقمار والاحتكار وفحش الربح وسوء الاستغلال . كما اشترط الإسلام أن يكون الشيء المملوك حلالا ، لان النبي يقول : « طلب الحلال فريضة على كل مسلم » . ولذلك يحرم الإسلام امتلاك الخمر والمخدر والخنزير والأصنام ونحوها .

وإذا امتلك الإنسان مالا وجب عليه أن ينفق منه على نفسه وأهله ومن تلزمه نفقتـهم ، بلا تقتير وبلا إسراف ، ووجب عليه أن يؤدي حق الله فيه ، وهو الزكاة المفروضة ، ويحسن به أن يتطوع ويتبرع ويتصدق فوق الزكاة ،

وأن يؤدي حق الأمة في ماله ، وهو ما تقتضيه المصلحة العامة ، أو الضرورات العارضة ، من أنصبة تؤخذ من أموال القادرين لتنفق على هذه المصالح العامة . ومن الواجب على الإنسان أيضا ألا يستخدم ماله في الإضرار بالغير ، وإلا كان لولي الأمر الشرعي أن يضرب على يده ، ويمنعه من استخدام ماله في السوء .

وبالتزام الإنسان لهذه الشروط في المال وتملكه ، لا يصل إلى أن يحوز ملكا منحرفا أو معتسفا ، بل يسعى على طريق الحق والحلال والاعتدال .

إن الباحثين من العلماء يقولون بتحديد ربح المحتكرين عندما يتأكد تحكمهم في فرض الأسعار كما يريدون ، مع إضرار ذلك بالشعب ، وتحديد تملك الإنسان للمال كتحديد ربحه في المال ، فإذا جاز هذا جاز ذاك ، ويؤيده أن ملك الإنسان لقدر معين من الأرض مباح ، فإذا رأى الإمام وأهل الحل والعقد في الأمة أنه لا يصح تملك أكثر من ذلك كان من الواجب إطاعته ، لأن ذلك من باب السياسة الشرعية .

ومن هذا نفهم أن الإسلام يجيز تحديد الملكية إذا اقتضته الضرورة ومصلحة الجماعة ، وَيُقدَّر ذلك بقدر الضرورة .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الاسلام والاقطاع

السؤال : يدعي بعض الناس أن الاسلام أقر الاقطاع ، فهل لهذا نصيب من الصحة؟

الجواب :

لا صحة لما يدعيه البعض من أن الإسلام أقر مبدأ « الإقطاع » بمعناه البغيض الذي عرفه الناس في القرون الوسطى ، وبقيت منه بقايا أثيمة في العصور الأخيرة .

ولعل الأساس الواهي الذي اعتمد عليه المفترون في هذا المجال ، هو التشابه اللفظي بين عنوان الإقطاع البغيض وعنوان إصلاح اجتماعي عرفه المسلمون وسموه باسم « الإقطاع » .

فالإقطاع في القرون الوسطى هو أن يملك السيد الإقطاعي مساحةً واسعة هائلة من الأرض يملكها بما عليها وبمن يشتغل فيها من الفلاحين ، فيصبحون عبيداً عنده ، ويتصرف في الأرض وناسها وحيوانها تصرفا مطلقا ، بلا حدود من قانون أو عدالة أو أخلاق .

أما كلمة « الإقطاع » الموجودة في تاريخ المسلمين ، فهي تدل على معنى إصلاحي خاص ، هو أن الإمام – وهو ولي الأمر – يعطي للفرد المحتاج الصالح قطعة من الأرض ليس لها مالك ، ليصلحها ويعمرها ، ويستغلها ، بشرط أن يتم ذلك خلال ثلاث سنوات ، وإلا نُزعت منه ، وأُعطيت لغيره . ويُشترط في هذه الأرض أن تكون غير مملوكة ، وألا تكون من المرافق العامة التي يحتاج إليها الناس ، وألا يكون فيها معدن من المعادن التي ينتفع بها الناس . ولا شك أن هذا عمل نافع مثمر ، وهو علاج لحاجة المحتاج من جهة ، وتحريك لدولاب العمل من جهة أخرى . ونستطيع أن نجد وجها من الشبه بين هذا العمل وبين قيام الدولـــة بتمليك الفقراء قطعاً من الأرض ليزرعوها ويستثمروها .

وقد رُوي أن النبي أعطى بلال بن الحارث أرضا ليعمرها ، فعمر بعضَها وأهمل الباقي ، فلما تولى عمر الخلافة قال لبلال : « إن رسول الله لم يُقْطعك لتحتجزه عن الناس ، وإنما أقطعك لتعمل ، فخذ منها ما قدرتَ على عمارته ورُدَّ الباقي » .

فأين إقطاع المستبدين المحتكرين الكانزين من هذا الإصلاح الإسلامي القديم العهد العريق الشأن في البناء والتعمير ؟

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

بين العمل والتوكل

السؤال : هل معنى التوكل في الإسلام أن يترك الإنسان العملَ ويتكل على انتظار الرزق فقط ؟

الجواب :

يُروى أن رجلا كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، وكانت له ناقة، فتركها مطلقة وقال : « توكلتُ على الله » ... فقال له النبي صلوات الله وسلامه عليه : « اعقلها وتوكل » . أي اربط ناقتك وقيِّدها حتى لا تضيع ، ثم توكل على الله بعد ذلك .

وهذا الحديث يتخذه الفقهاء والعلماء رائداً ودليلا في تحديد المراد بالتوكل، فليس التوكل في الإسلام أن يترك الإنسان الأسبابَ ، أو يهمل العمل والاحتياط واتخاذ الوسائل المؤدية إلى الفوز بالمطلوب والحصول على المرغوب . بل التوكل هو أن يبذل الإنسان جهدَه وطاقته في السعي والعمل ، ثم يؤمن الإيمانَ العميق الصادق — وهو يسعى ويعمل — أن الله تعالى معه ، يرعاه ويؤيده ، ويوفق مسعاه ويسدده ، ولذلك قال القرآن الكريم : « وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ » . وقال : « إنَّ الَّذِينَ تعبدونَ مِنْ دُونِ اللهِ لاَ يملكُونَ لَكُمْ رِزْقاً ، فَابْتَغُوا عِنْدَ اللهِ الرِّزْقَ » .

فأشار القرآن المجيد إلى الإيمان ، والإيمان عقيدة وعزيمة ويقين ، وثبات على خطة ومبدأ ومنهاج ، وأشار القرآن إلى ابتغاء الرزق ، وابتغاؤه هو طلبه ، والطلب يستلزم العملَ والسعي وبذل الجهد واستقصاء الطاقة، ومن وراء ذلك عنايةُ الله جل جلاله ورعايته .

ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام : « لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله ، لرزقكم كما يرزق الطير ، تعدو خِمَاصاً وتروح بِطَاناً » . وهذا درس يجب أن يتعلم منه المسلم ، فالطيور هنا لم تلزم أعشاشَها ، بل خرجت منها صباحا ، وهي جائعة خاليةُ البطون ، ثم سعت وبحثت وحصَّلت ، وعادت في آخر النهار وهي ممتلئة البطون بالزاد والطعام .

ويقول الإمام الغزالي في «الإحياء» : «وقد يظن أن معنى التوكل تركُ الكسب بالبدن ، وترك التدبير بالقلب ، والسقوط على الأرض كالخرقة الملقاة ، وكاللحم على الوضم ، وهذا ظنُّ الجهال ، فإن هذا حرام في الشرع ، والشرع أثنى على المتوكلين ، فكيف يُنال مقامٌ من مقامات الدين بمحظورات الدين ؟» . ويقول أيضا : «إن انتظرت أن يخلق الله تعالى فيك شبعا دون الخبز ، أو يخلق في الخبز حركة إليك ، أو يسخر ملَكا ليمضغه لك ويوصله إلى معدتك ، فقد جهلتَ سنةَ الله تعالى ، وكذلك لو لم تزرع الأرض وطمعت في أن يخلق الله نباتا من غير بذر ... فكل ذلك جنون» .

ويقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : «لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق ، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة» .

والقرآن الكريم قبل هذا يقول في قيمة السعي والعمل : «وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ» . ويقول : «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ» . ويقول : «وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى . وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ، ثُمَّ يجزاهُ الجَزَاءَ الأَوْفَى» .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

نظام المؤاخاة وحكمته الاقتصادية

السؤال : ما هو نظام المؤاخاة الذي وضعه الرسول عليه الصلاة والسلام ؟ وما الحكمة في هذا النظام ؟

الجواب :

بعد أن هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى مكة نفّذ نظام المؤخاة بين المهاجرين والأنصار ، فتآخوا في الله أخويْن أخوين ، وصار لهذا الإخاء حكم

إخاء الدم والنسب ، بحيث لو مات أحد الأخوين ورثه الآخر ، كما يرث الشقيقُ الشقيق ، وقد ذكر الإمام ابن القيم أن هذه المؤاخاة كانت في دار أنس بن مالك ، وقد ظلت تبعاتُ هذه المؤاخاة ساريةً إلى حين غزوة بدر ، فلما أنزل الله تبارك وتعالى قوله : « وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ » . رجع الميراث إلى أساس القرابة النسبية ، وكان مستوى المهاجرين قد ارتفع واعتدل ، وكان من نتائج هذه المؤاخاة أن أحسن الانصار استقبالَ المهاجرين الذين أُخرجوا من ديارهم وأموالهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ، وكان فريق من الأنصار يعرضون على إخوانهم المهاجرين أن يشاطروهم أموالهم ، ويقاسموهم ما يملكون ، وفي الوقت نفسه كان المهاجرون لا يتكلون على هذا ، بل كانوا يعملون في التجارة أو الزراعة أو غيرهما ، وكانوا ينافسون إخوتَهم الأنصار في العمل والإنتاج والكسب ، حتى قيل عن بعضهم إنه يُحيل بالتجارة رملَ الصحراء ذهباً .

وقد روى الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره هذا الحديث : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأنصار : « إن إخوانكم قد تركوا الأموالَ والأولادَ وخرجوا إليكم » فقالوا : أموالنا بينهم قطائع ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أو غير ذلك ؟ قالوا : وما ذلك يا رسول الله ؟ قال : هم قوم لا يعرفون العمل (أي لا تتهيأ لهم فرصته ، ولم يتدربوا عليه بعد) فتكفوهم وتقاسموهم الثمر . قالوا : نعم يا رسول الله .

وكان هناك فريق من المسلمين اشتدت بهم الحاجة والعوز ، فخصص الرسول لهم مكان « الصُّفّة » ، وهو مكان مسقوف بجانب من المسجد النبوي ، وأجرى عليهم رزقهم من مال المسلمين من المهاجرين والأنصار الذين آتاهم الله رزقا حسنا واسعا .

كما نستطيع أن نقول إن هذه المؤاخاة التي أجراها الرسول بين أتباعه كانت خطوة رائعة قصد بها الرسول إلى تحقيق الوحدة بين المهاجرين والأنصار ، وإلى إزالة الشحناء التي كانت موجودة بين الأوس والخزرج من أهـــل المدينة .

كما نستطيع أن نقول ان هذه المؤاخاة كانت أيضا خطوة نحو تحقيق العدالة الاجتماعية ، والتقارب بين أفراد الجماعة المؤمنة ، وإيجاد نوع من التعادل في الأحوال الاقتصادية المتعلقة بمستوى المعيشة المرتبط بأمور منها العمل والتملك وأسلوب التوزيع .

والرسول صلى الله عليه وسلم لا يعمل عملا يتعلق بالدعوة ومبادئها إلا عن طريق الوحي ، لأن الله تبارك وتعالى يقول في حق نبيه : « وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى ، إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى » . ولا يشترط أن يكون الوحي أتى النبيَّ نصا قرآنيا ، فجبريل سفير الرحمن كان يغدو ويروح بين الله ونبيه ليبلغه أوامره وأحكامه ، وهناك أمور كثيرة عبر عنها النبي أو تصرف فيها بمقتضى هذا الوحي ، وفي بعض الأحيان يأتي القرآن الكريم ليصور ما حدث ، وما كان لله فيه من إرادة أو فضل . وفي موقف المؤاخاة يقول القرآن عن المهاجرين ومعاونتهم للأنصار وتقديرهم لإخوتهم : « وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدارَ والإيمانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هاجَرَ إِلَيْهِمْ ، وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا ، ويؤثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِم وَلَوْ كانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ، وَمَنْ يوقَ شحَّ نَفْسِهِ فأولئكَ هُمُ المُفْلِحُونَ ، والذينَ جَاءوا مِنْ بعدِهِمْ يَقُولُونَ : رَبَّنا اغفِرْ لَنَا ولإخْوانِنَا الّذِينَ سَبَقُونا بالإيمانِ ، ولا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِلّذِينَ آمنوا رَبَّنَا إنّكَ رؤُوفٌ رَحِيمٌ » .

وسواء أكان تصرف النبي صلى الله عليه وسلم بنص سابق أو بوحي مستور ، فإن الذي نؤمن به أن النبي صلوات الله وسلامه عليه معصوم من الخطأ في حق دعوته وحق أمته ، لأنه الأمين على وحي ربه ، المبلغ لرسالته ، الناشر لدعوته بين العالمين .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

حول التكايا

السؤال : ما حكم نظام « التكايا » في الإسلام ؟

الجواب :

إذا كانت التكايا قد بدأت لأغراض مقبولة ، وهي إيواء أبناء السبيل ، وإعانة المحتاجين ، واتخاذها مركزاً لتوزيع المعونات ، فإنها في عصور الانحراف قد ابتعدت كثيرا عن رسالتها ، وأصبح كثير من الناس يتخذ من « التكية » وسيلة للكسل والركود ، والانقطاع عن السعي في سبيل الحياة ، ولذلك أصبحت التكايا في أماكنَ مختلفة وسيلةً للتبطل والتعطل والارتزاق بلا مجهود .

إن الإسلام يدعو إلى العمل ليكسب الإنسان قُوتَه ؛ ولا يجوز لقادر على العمل أن يأخذ مطالبَ حياته من غيره ، وحسبنا قول الرسول عليه الصلاة والسلام : « لأن يأخذ أحدكم حبلَه فيحتطب على ظهره ، خير له من أن يسأل الناس : أعطوه أم منعوه ».فإذا كان البعض الذين أقاموا في التكايا قد اتخذوها وسيلةً للارتزاق مع قدرتهم على العمل فهذا لا يتفق والدين .. وقد تردد أكثرَ من مرة أن بعض التكايا كانت تتخذ مباءةً لأعمال وتصرفات لا يليق تفصيلُها والتصريح بها . وتردد أكثر من مرة أن أماكن من هـــذه الأماكن كانت تنبعث منها روائحُ الإثم المنتنة حينا ، وأدخنة المخدرات حينا آخر : « وفوق كل ذي علم عليم » .

إن الدين لا يرضى عن المتواكِل ، ويفرض العمل على القادرين ليكسبوا ، لأن التعبد ليس حرفة ، وإنما هو واجب مفروض على كل مؤمن ، ولذا قال الفقهاء : « ان العبادة لا يصح أن يؤخَذ عليها أجر » . ولكن إذا اتخذت الدولة دار التكية لأغراض الإصلاح الاجتماعية ، كالعلاج أو توزيع المعونات أو القيام بخدمات اجتماعية أخرى ، فإن الدين يرضى عن هذا الإصلاح ويباركه .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

العدالة في الأمة

السؤال : **سمعتُ بعض المحاضرين ينسب إلى الرسول عليه الصلاة والسلام هذه العبارة : « كيف تُقَدَّس أمة لا يؤخذ من شديدهم لضعيفهم » . فهل هذا حديث حقا ، وما معنى كلمة « تقدس » فيه ؟**

الجواب :

نعم هذا حديث نبوي ، رواه ابن حبان وابن ماجه ، ومعنى **« تقدس »** تُطَهَّر ، أي كيف تطهر أمة من الذنوب وفيها **تلك البلية العظمى وهي ظلم** الأشداء للضعفاء ، وبغي الأغنياء على الفقراء ، **ومما يناسب هذا المقام قول** الرسول « يؤتَى بالقاضي العادل يوم القيامة فيلْقَى من شدة الحساب ما يتمنى أن لم يقض بين اثنين في عمره » .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

استعمال الرجال للذهب

السؤال : **هل التختم بالذهب حرام أم مباح بالنسبة للرجال ؟**

الجواب :

التحلي بالذهب والفضة حرام على الرجال دون النساء ، والأصل في ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال عن الذهب والفضة : « إن هذين حرام على ذكور أمتي ، حِلٌ لإناثها » .

ولذلك قال الفقهاء إنه لا يجوز للرجال التحلي بالذهب والفضة ، ولكنهم استثنوا في الفضة — كما ذكر كتاب الاختيار — الخاتم ، والمنطقة ، وحلية السيف ، وأجازوا كذلك شد الأسنان والأنف بالذهب أو الفضة ، وأجاز بعضُهم استعمالَ إناءٍ مضبّب بالذهب ، والإناء المضبب هو المكسور الملحوم.

وقالوا : لا بأس بالانتفاع بالأواني المموَّهة بالذهب والفضة ، لأن الذهب والفضة مستهلكان فيها لا يخلص ، فصار كالعَدَم .

وأجازوا أيضا ربطَ فصِّ الخاتم بمسمار الذهب ، قالوا : ولا بأس بسد الثقب في فص الخاتم (غير الذهب) بمسمار الذهب لأنه قليل » .

وعلى هذا لا يباح عند الفقهاء الخاتمُ من الذهب ، ولا يباح سنّ القلم الذهب ، متى صدق عليه اسم الذهب في اعتبار المختصين بذلك .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الأطعمة والأشربة والذبائح



تحريم أكل الخنزير

السؤال : أنا في بلد غير إسلامي ، وأغلب الأطعمة التي يقدمونها يكون فيها لحم الخنزير أو شحمه ، فماذا أصنع ؟ وهل يجوز لي أن آكل من هذه الأطعمة ؟

الجواب :

لقد حرم الله تعالى لحمَ الخنزير بنص القرآن الكريم ، فالله تعالى يقول في سورة البقرة : « إنّما حرمَ عليكُمْ الميتةَ والدَّمَ ولَحْمَ الخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللهِ » . أي المذبوح الذي يذكرون عليه عند ذبحه اسماً غير اسم الله ؛ ويقول الله تعالى في سورة المائدة : « حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ المَيْتَةُ والدَّمُ ولَحْمُ الخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بهِ » . ويقول في سورة النحل : «إنّما حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الميتةَ والدَّمَ ولَحْمَ الخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ » .

ولا يبيح الإسلام أكلَ لحم الخنزير إلا في حالة الاضطرار ، بأن لم يجد الإنسان ما يسد به الرمقَ سواه ، فيباح له التناولُ بالمقدار الذي يدفع به الإنسان عن نفسه الهلاكَ دون أن يكون راغبا فيه أو مستطيبا له ، أو متجاوزا المقدار الذي تندفع به الضرورة ، لأن الله تعالى يقول : « فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه ، إن الله غفور رحيم » .

والواقع ان كل دولة حديثة الآن يوجد فيها كثير من أنواع اللحوم والطيور والأسماك والزيوت والسمن الصناعي والفواكه والأطعمة الحلال المحفوظة في علب أو طازجة .

ولذلك لا يباح للمسلمين المقيمين في هذه الدول الأجنبية أن يأكلوا ما حرم الله عليهم كلحم الخنزير ، لأنهم ليسوا في حالة ضرورة ، إذ أنهم يستطيعون أن يأكلوا من الأصناف الأخرى التي أحلها الله وهي كثيرة .

والله تبارك وتعالى أعلم .

• • •

حكم الدين في الحشيش

السؤال : **يقوم بعض المهتمين بالإصلاح الاجتماعي والأخلاقي والصحي بحملة لتكتيل القوى لمحاربة المخدرات ، وفي طليعتها الحشيش الذي ذاع شره . وهناك بعض الجهلة يتعللون في تعاطيهم الحشيش بأن الإسلام لم يحرمه ، فهل هذا صحيح ؟**

الجواب :

الإسلام يحرم الخمرَ المُسكر ، وكلَّ مخدر ومفتِّر : والقاعدة الأساسية في هذا الباب هي قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « كل مسكر خمر ، وكل خمر حرام » . وقوله : « إني أنهى عن كل مسكر » . وقوله : « ما أسكر كثيرُه فقليلُه حرام » .

وعن جابر رضي الله عنه أن رجلا سأل النبيَّ صلى الله عليه وسلم عن شراب يشربونه في أرضهم من الذرة يقال له « المزر » ، فقال النبي : أمسكر هو ؟ قال الر جل : نعم ؛ فقال النبي « كل مسكر حرام إن على الله عهدا لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخَبَال » ، قالوا : يا رسول الله ، وما طينة الخبال ؟ قال : عَرَق أهل الدار ، أو عُصارة أهل النار .

وقد قال الإمام ابن تيمية : إن الحشيشة حرام ، يُحَدُّ متناوِلها كما يحد شارب الخمر » . وقال عنها مرة أخرى : « هذه الحشيشة الملعونة هي وآكلوها ومستحلوها ، الموجبة لسخط الله تبارك وتعالى ، وسخط رسوله ، وسخط عباده المؤمنين ، المعرِّضة صاحبها لعقوبة الله ، تشتمل على ضرر في دين المرء وعقله وخُلُقه وطبعه ، وتُفسد الأمزجة ، حتّى جعلتْ خلقاً كثيرا مجانين ، وتورث من مهانة آكلها ودناءة نفسه وغير ذلك ما لا تورث الخمر ؛ ففيها من المفاسد ما ليس في الخمر فهي بالتحريم أولَى » .

وقال الإمام ابن حجر العسقلاني : « إن من قال إن الحشيشة لا تسكر وإنما هي مخدر : مكابر ، فإنها تحدث ما تحدثه الخمرُ من الطرب والنشوة » . ومن

هذا يتبين أن الإسلام يحرم تعاطيَ الحشيش على أي وضع من الأوضاع والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

أَسئلة عن المخدرات

السؤال الاول : **هل يحرم تعاطي الحشيش والمخدرات في الدين الإسلامي ؟**

الجواب :

لا جدال عند العقلاء في أن الحشيش المعروف بين الناس شيءٌ يحرّمه الإسلام : يحرم تعاطيّه واستعماله بكل الصور المختلفة المعروفة عند مدمنيه . وقد جاء تحريم الحشيش بالقياس وبالنص ، وبغيرهما من الأدلة والبراهين .

أما القياس فلأن الحشيش كالخمر في التأثير وفي علة التحريم ، وهناك خطأ شائع بين الناس في فهم المقصود من معنى الخمر ، فهم يقصرونها على ذلك السائل الذي يُشْرَب ، مع أن الخمر — لغة وشرعا — هي كل ما خامر العقلَ ، أي خالطه وغطّاه وستّره ، ولا يتقيد ذلك بنوع المادة التي يُتخذ منها ذلك المخامرُ الساتر ، فقد يكون من العنب أو الحنطة أو العسل أو التمر أو الحشيش ، أو أي نوع من الزروع أو سواها . وسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : « الخمر ما خامَرَ العقل » . وما دام الشيء يخامر العقلَ بالمعنى السابق فإنه يكون مسكرا ، والحديث النبوي يقول : « أنا أنهى عن كل مسكر » ويقول : « كل مسكر حرام » .

والحشيش فيه هذا المعنى ، ولذلك يحرم كحرمة الخمر ، ولا يمنع من هذا أن الحشيش شيء جامد غير سائل ، لأن الإسلام لا ينظر هنا إلى أن الخمر سائل يُشْرَب ، أو أي شيء يؤكل ، أو أي شيء يُدَخّن ، أو أي شيء يُحقَن ، بل كل ما أثّر في العقل حتى أخرجه عن اتزانه واعتداله ، وستّره عن تفكيره ووعيه المألوف ، يدخل تحت مفهوم الخمر ، فالإسلام لا ينظر إلى ذلك الشيء المخامر ، بل ينظر إلى أثره وعاقبته .

وجاء تحريم الحشيش بالنص أيضا ، فقد روى الإمام الجليل أحمد بن حنبل رضي الله عنه في مسنده أن النبي صلى الله عليه وسلم « نهى عن كل مسكر ومفتّر » . والمفتّر هو كل ما يورث الفتورَ والخدَرَ في الأعضاء والأطراف ؛ والثابتُ المشاهَد أن الحشيش يوجد هذا الفتور في الجسم بشكل واضح ملموس ، فلو فرضنا جدلا أن الحشيش لا يدخل تحت مفهوم الخمر ، لدخل تحت مفهوم المفتّر ، ولا يستطيع مكابر حينئذ أن يكابر في هذا ، أو يدَّعي بعده أن الحشيش ليس بحرام .

ولقد أجمع فقهاء الإسلام على تحريم المخدرات كلّها ، وفي طليعتها الحشيش ، وذكر الإمام ابن حجر « أن شرب المخدرات من كبائر الذنوب » . كما قرر الفقهاء حرمةَ الاتجار في هذه المخدرات . وجاء في كتب مذهب الحنفية أنه « يحرم أكل البنج والحشيش والأفيون ، لأنها مفسدة للعقل ، وتصد عن ذكر الله تعالى وعن الصلاة ، ويجب تعزيرُ آكلها بما يردعه » . أي تجب معاقبته بما يراه ولي الأمر ، حتى يُقلع عن تعاطيها ، والمراد من أكل البنج هنا هو تعاطيه في غير العمليات الجراحية اللازمة ، لأنه يباح في مثل هذه العمليات ، إذ تدعو إليه الضرورة .

قال ابن تيمية عن المخدرات : ان فيها من المفاسد ما ليس في الخمر ، فهي أولى بالتحريم ، ومن استحلها وزعم انها حلال فانه يستتاب فان تاب والا قتل مرتداً لا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين .

وقال الإمام ابن القيم : « يدخل في الخمر كلُّ مسكر ، مائعاً كان أو جامدا ، عصيرا أو مطبوخا ، واللقمة الملعونة — يقصد الحشيش — لقمة الفسق والفجور التي تحرِّك القلبَ الساكن إلى أخبث الأماكن » .

والمخدرات لها أضرار صحية وعقلية وروحية وأدبية واقتصادية واجتماعية والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « لا ضَرَرَ ولا ضرار » . ولذلك تحرم المخدرات وفي طليعتها الحشيش ، بقاعدةِ دفع الشر وسدِّ ذرائع الفساد ، حتى ولو لم يَرِدْ نص بتحريمها .

كما أن المخدرات تقتل حوافز العمل ، وتغري بالكسل ، ونحن لم ننس كيف كان شعب الصين فريسة للأفيون ، وكيف تعطلت حوافز العمل فيه

بسبب هذا المخدر ، وكيف نهض نهضةَ العملاق حين ترك هذا الأفيون اللعين . والمخدرات – وفي طليعتها الحشيش – تذهب بنخوة الرجال ، وبالمعاني الفاضلة في الإنسان ، وتجعله غير وفيٍّ إذا عاهد ، وغير أمين إذا أؤتمن ، وغير صادق إذا حدَّث ، وتميت فيه الشعورَ بالمسؤوليات ، والشعور بالكرامة وتملؤه رعبا ودناءة ، وخيانة لنفسه ولمن يعاشر ، فيصبح عضوا موبوءا فاسدا، يجب علاجه وإبعاده .

السؤال الثاني :**هل أتى ذلك التحريم في القرآن الكريم والسنة النبوية ؟ وما سر التحريم ؟**

الجواب :

يتضح من جواب السؤال السابق الدليلُ على تحريم الحشيش في الإسلام ، وقد جاء فيه الحديث الذي يحرِّم الحشيش . وأما القرآن الكريم فلا يوجد فيه نص صريح بتحريم الحشيش باسمه ؛ ويجب أن نتذكر هنا أن الحشيش والأفيون والكوكايين والهورايين وغيرها من المخدرات ، لم تكن معروفة في عهد النبي ، ولا في صدر الإسلام ، فلم يكن هناك داعٍ للنص على تحريمها ، ولو أنها كانت معروفة لجاء النص على تحريمها بالاسم والذات .

ومع ذلك نجد في القرآن الكريم آيات تدل على تحريم الحشيش وكل مفسد للصحة والمال ، وذلك بمعناها العام ، فالله تعالى يقول : « وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إلى التَّهْلُكَةِ » . ولا شك أن إدمان الحشيش أو ما شابهه يؤدي إلى تحطيم الجسم وإهلاك المواهب التي وهبها الله للانسان ، ويقول الله تعالى أيضا : « قُلْ إنَّما حَرَّمَ رَبِّيَ الفواحِشَ ما ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ » . والفاحشة بمعناها العام هي الإتيان بكل عمل يستقبحه العقل ، وينفر منه الذوق ، ويبدو فيه الشطط والخروج عن طريق الاعتدال ؛ ولا شك أن تعاطي الحشيش يدخل ضمن هذا المعنى .

وسر التحريم كما يتبين مما سبق هو أن الحشيش مفسد للصحة والعقل والمال ، وهذه الهبات الثلاث نعم إلهية كبرى ، فكل ما أفسدها أو اعتدى عليها يكون حراما ، ويضاف إلى هذا الأضرارُ الاجتماعية التي تنشأ عن إدمان الحشيش مما يوجب تحريمه ومقاومته .

السؤال الثالث : ماذا تقترحون لعلاج انتشار المخدرات ؟

الجواب :

هناك عدة أمور يلزم القيام بها لمقاومة هذه الآفة البعيدة الأثر الواسعة الخطر، ومن هذه الأمور ما يلي :

أولا : يجب إزالة الوهم الشائع عند كثير من العامة ، وهو أن الحشيش ليس بحرام ، فقد قامت الأدلة من القرآن والسنة وأقوال الفقهاء على تحريمه ، ولا بد من إثارة الوعي الديني الصحيح فيما يتعلق بهذه المخدرات ، حتى يعلم الناس أن تعاطيها شيء لا يحرمه القانون والعقل والمصلحة فقط ، وإنما يحرمه الدين كذلك .

ثانيا : تشديد العقوبة على المتجرين في هذه المخدرات ، والضرب على أيديهم في حزم وصرامة ، مع التدقيق في اختيار الذين تُسند إليهم مقاومةُ هؤلاء المتجرين حتى لا يساء استغلال السلطة المعطاة للمقاوم في بعض الأحيان .

ثالثا : إحكام الرقابة على المنافذ والثغرات التي يتسرب منها هذا المخدر ، حتى لا يكون تسربه فاتحةً للاتجار فيه ، والإقبال على تعاطيه .

رابعا : مقاومة هذا المخدر في منبته وبيئته التي يصدر منها ، وقد أصبح معروفا أن بعض الأقطار هو الذي يزرع الحشيش ، ويصدِّر منه إلى الشرق العربي ، ولو نجح ولاة الأمور على القضاء على زراعة الحشيش هناك ، لإمكننا أن نقضي على المنبت الذي ينبت فيه ، فلا يكون هناك تصدير له أو اتجار فيه أو إدمان له .

خامسا : يجب القيام بحملة دعاية واسعة النطاق ومنظّمة الخطوات ، لإطلاع طبقات الأمة المتعددة على المضار الصحية والمادية ، ويشترك في هذه الحملة العلماء والأطباء ورجال الاجتماع ، ويُسهم فيها المسجدُ والمدرسة والصحافة والإذاعة والمسرح والسينما ، وغير ذلك من وسائل الإعلام والتوجيه .

سادسا : التعجيل بإنشاء المصحات التي يعالَج فيها ضحايا الحشيش من المدمنين ، لأن هؤلاء قد أصبحوا مرضى ، وقد تحكم فيهم الداء ، فيجب أن يجدوا حكيمَ العلاج وناجع الدواء ، ويجب أن نذكر هنا أن هؤلاء المدمنين هم أحرص الناس على تطلب هذا المخدر ، والبحث عنه ، ودفع الثمن فيه مهما كان مرتفعا ، فإذا عولجوا نكون قد قضيْنا على الجانب المهم في تعاطي هذا المخدر ، ويبقى بعد ذلك الجُدُد الذين يقعون فريسةً له ، وهؤلاء يصبح خطرهم هيّنا بعد ذلك ، ويمكن إبعادهم عن الوقوع فيه بما أسلفنا من وسائل .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

وسائل مكافحة المخدرات

السؤال : هناك جهود تبذَل لمضاعفة المقاومة ضد المخدرات ، فما الوسائل الفعالة التي تقترحونها لمكافحة هذه المخدرات بين تجارها ومهربيها ومدمنيها ؟

الجواب :

هذه الوسائل تتلخص فيما يلي :

أولا : بيان العلماء بمختلف طرق الإبانة أن كل مسكر ومخدر ومفتر ومُذْهب للوعي والرشد يحاربه الإسلام ، ويحرمه الدين ، ويعاقب عليه الله عز وجل .

ثانيا : بذل الجهود اللازمة لإقناع الجهات التي تزرع الحشيش في بعض البلاد بالإقلاع عن زراعته ، حتى لا تظل مصدرا خصبا لتوريد هذا المخدر إلى بلادنا .

ثالثا : التدقيق في اختيار الذين توكَل إليهم مكافحةُ هذه المخدرات ، بحيث يتوافر فيهم الدين الصحيح ، والإخلاص العميق ، وأخذُ المهمة على أنها واجب يؤمنون به ، لا على أنها تكليف يؤدونه تحت عامل الأمر والمطالبة .

رابعا : التوسع في إمداد المكافحين بوسائل المكافحة الحديثة ، فيجبأن

يستعان في هذه المكافحة بالطائرات والمناظير المكبِّرة والزوارق البخارية الحديثة والأنوار الكاشفة . لأن هذه الوسائل ضرورية في مكافحة المخدرات في أخطر أماكن تهريبها وهي الشواطىء والمياه الإقليمية .

خامسا : تشديد العقوبة على المهربين والمحترفين للاتجار في المخدرات بشرط الابتعاد عن سوء الاستغلال وسوء الكيد في هذه الناحية ، وإلا تضاعفَ الشر .

سادسا : معالجة المصابين بآفة من هذه الآفات معالجةً حسية ونفسية وطبية واجتماعية وروحية ، ببصيرة وإرشاد ، ويحسن أن يُنْظَر إلى المصاب بهذه بهذه الآفة على أنه مريض . لا على أنه مجرم فقط ، إلا إذا عاند وتمرد .

سابعا : يجب إنشاء وحدات علاجية للمصابين بتعاطي المخدرات ، تتوافر فيها العناية والرعاية . والتوجيه الرشيد لهؤلاء المصابين ، ويجب أن تنظّم حملة إرشاد لإبعاد سوء الظن بهذه الوحدات ، ولتفهيم الجمهور أن العلاج واجب وليس بعيب ، بل العيب كل العيب هو الاستمرار في تعاطي المخدرات .

ثامنا : يجب القيام بحملة واسعة النطاق للارشاد في الريف ، حيث انتشر الحشيش مع الأسف ، وذلك لإفهام الناس ما في هذا المخدر من أضرار صحية ومادية وأدبية ، وأنه محرَّم كالخمر .

تاسعا : يجب استغلال الصحف والمجلات والمذياع والتلفزيون والمسرح والسينما في تبيان الأضرار المترتبة على هذه المخدرات .

عاشرا : يجب القضاء على المقاهي وأماكن قتل الفراغ بصورة سيئة ، حتى لا تظل هذه الأوكار مباءات لتعاطي هذه المخدرات .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

صيد البندقية

السؤال : هل يحل أكلُ الحيوان أو الطير الذي يصطاده صاحبه بالبندقية ويموت بسببها ، ولا تبقى فيه عقب الصيد حياة أو روح لذبحه بالسكين ؟

الجواب :

يرى فريق من الفقهاء أن الصيد بالبندقية لا يحل أكله إلا إذا مات من ضرب البندقية وحده ، ولم تبق فيه عقبَ الضرب حياة فيذبحه صاحبه بالسكين ؛ وفي مذهب الحنفية أن الصيد الذي يحل أكله هو الصيد المقتول بآلة حادة ، جرت العادة بأن يُقطع بها كالسكين والخنجر والسهم والنصل وما أشبه ذلك ، ولكن المقتول بالآلة المثقلة كالحجر والصخر والخشبة الغليظة وما أشبهها لا يحل أكله .

وعلى هذا الأساس يرون أن الرصاصة التي تخرج من البندقية وتصوَّب إلى الصيد ليست آلة حادة ، وليست مما يستعمل للقطع والذبح في العادة ، وإنما يحدث القتل في هذه الحالة عن طريق الضغط الشديد ، الناشيء عن قوة قذف الرصاصة ، فيكون المقتول بها من قبيل « الموقوذة » المحرَّمة بنص قرآني [1] .

ولكن فريقا من محققي الفقهاء في مذهب الحنفية يرون أن الرصاصة لا تضغط على جسم الصيد فقط ، بل هي في الواقع تقطع الجلدَ وتمزق الجسم وتُسيل الدم ، وبهذا لا يكون القتل ناشئا عن الضغط كما في حالة استخدام الحجر أو الصخر أو العصا الغليظة ، بل ينشأ في الحقيقة عن الجرح الذي أحدثته الرصاصةُ فمزق الجسم وأسال الدم ، فلا يكون الصيد المقتول بالبندقية من قبيل « الموقوذة » المشار إليها في القرآن ، بل يكون كالمذبوح بالآلة التي تسيل الدم وتقضي على الحياة .

وعلى ذلك يكون الحيوان أو الطير المقتول بالبندقية حلالا ، ولا يحرم أكله ، وهذا كله إذا قضت عليه الرصاصة وأفقدته الحياة كلية ، وأما إذا أدركه الصائد وفيه بقية حياة ، كان عليه أن يذبحه بالسكين ، ليُجهز على ما فيه من حياة بطريقة الذبح المشروعة المعروفة .

والله تبارك وتعالى أعلم .

• • •

ذبيحة غير المسلم

السؤال : **هل تؤكل ذبيحة غير المسلم ؟ وما دليل ذلك بالاجمال ؟**

الجواب .

تحل ذبيحةُ غير المسلم إذا كان هذا الشخص كتابيا ، أي من أهل دين له كتاب سماوي وذلك كالمسيحية واليهودية ، بشرط أن يكون المذبوح مما يحل أكله في شريعتنا ؛ والدليل على ذلك أن الله تعالى يقول في القرآن الكريم : « وَطَعَامُ الّذِينَ أُوتُوا الكتابَ حِلٌ لَكُمْ ». والمراد بالطعام هنا هو الذبائح ، كما جاء في رأي ابن عباس وجمهور المفسرين ، وذلك مع علم الله تبارك وتعالى أنهم قد يذكرون عند الذبح أسماءً غير اسم الله سبحانه .

واشترط فريق من الفقهاء أن يذكر الكتابي عند الذبح اسمَ الله على الذبيحة وهو يذبحها وإلا حرمت ، فإذا لم يعلم المسلم هل ذكر الكتابي اسم الله أو غيره حلّت الذبيحة أيضا .

وقد جاء في صحيح البخاري عن الزهري أنه قال : « لا بأس بذبيحة نصارى العرب ؛ وإن سمعته يسمّي غير الله فلا تأكل ، وإن لم تسمعه فقد أحله الله وعَلِمَ كفرَهم » .

وأما ذبيحة غير الكتابي ، كالمجوس الذين يعبدون النار ، فلا تجوز للمسلم ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول عن المجوس : « سُنُّوا بهم سنةَ أهل الكتاب ، غيرَ ناكحي نسائهم ، ولا آكلي ذبائحهم » . فيدل ذلك على أن ذبائح أهل الكتاب حلال . ولكن ذبائح المجوس وأشباههم حرام على المسلمين .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الحُقن للتقوية

السؤال : يوجد رجل صحته جيدة ، ولكنه يأخذ في جلده حقناً لمجرد التقوية فما حكم ذلك ؟

الجواب :

إن الله سبحانه وتعالى الذي خلق الداء خلق الدواء، وقد وردت أحاديث تشير إلى جواز التداوي والحض عليه ، ولا شك أن الإنسان يتناول الدواء في وقت الحاجة إليه ، وعند وجود المرض الذي يلزمه الدواء ، وليس من شأن العقلاء أن يتناولوا الدواء دون الحاجة إليه . لأن هذا يكون عبثا ، والعبث شيء يتنزه عنه العقلاء ، لأنه تضييع للمال والجهد بلا فائدة .

وأخذ الحقنة في الجسم أمر جائز في ذاته ، إذ ليس هناك نص على تحريمه ، ولكن أخذ الحقنة يكون عند وجود المرض الذي يعالجه صاحبه بأخذ هذه الإبرة ؛ وإذا كان جسم الإنسان ضعيفا يحتاج إلى تغذية أو تقوية أو معالجة لأسباب أوجدت هذا الضعفَ فيه ، جاز للانسان أن يأخذ الحقنة للتقوية أو العلاج ، وأما إذا كان الجسم سليما قويا ، وكان صاحبه لا يحتاج إلى استعمال هذه الحقنة ، فإن استعمالها في هذه الحالة يكون عبثا وأمرا لا يليق أن يصدر من العاقل .

والله تبارك وتعالى أعلم .

طعام الظالمين

السؤال : هل يجوز للمحتاج الفقير أن يأكل من طعام العظيم الذي يشتبه في ماله ، أو يقبل هديته ؟

الجواب :

لا شك أن الابتعاد عن مواطن الشبهة عند القدرة والاستطاعة أفضلُ وأجدر

بالذي يريد أن يُحسن تقواه وأن يحفظ دينه ، والرسول يقول : « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك » . ويقول : « فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه » .

ولكن القوم مع هذا أجازوا للانسان أن يقبل هديةَ الأمير ، وأن يأكل طعام من يشتبه في كسبه ، بشرط ألا يتعين عنده أن نفس الطعام من مصدر حرام ظاهر ، وأن الهدية ذاتها جاءت عن طريق واضحِ الحرمة ، بأن كانت غصبا أو ظلما أو سرقة ، وأما إذا لم تتعين الحرمة في الشيء جاز قبوله ، ولو كان المعطِي يكسب الحرام ، أو يمزج في ماله بين الطيب والخبيث . لأنه يُروى أن رجلا جاء إلى عبد الله بن مسعود وسأله قائلا : إن لي جارا يعمل بالربا ، ولا يجتنب في مكسبه الحرام ، يدعوني إلى طعامه فأجيبه ؟ قال : نعم ، لك المهنأ وعليه المأثم ، ما لم تعلم الشيء بعينه حراما . . واستدلوا هنا بقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « ما أتاك من غير مسألة فكُلْه وتموَّله » . وفي رواية : « ولا ترد على الله رزقه » . وقال أبو هريرة في هذا المجال : « إذا أعطينا قبلْنا ، وإذا مُنعْنا لم نسأل » .

وذكر التاريخ أن بعض أعلام هذه الأمة كانوا يقبلون أعطيات الأمراء والحكام ، مع ما أُشيع عن هؤلاء الأمراء والحكام من الظلم أو الكسب المحرَّم ، فروي أن زيد بن ثابت الراسخ في العلم والدين كان يقبل جوائزَ معاوية وابنه يزيد ، وكذلك كان الحسين رضي الله عنه ، وكان عبد الله بن عمر الورع الزاهد يقبل هدايا صهره المختار بن أبي عبيد ، ويأخذ جوائزه ، ويأكل طعامه ؛ وطعن بعض النقاد في هذا الخبر . وكان الإمام ابن عبد البر يأكل طعام السلطان ويأخذ جوائزه ، ويقول

قل لمن ينكر أكلي ... لطعام الأمراء
أنت من جهلك هذا ... في محل السفهاء

وكان سفيان الثوري يقبل جوائزَ السلاطين ، ويقول : جوائز السلطان أحبُّ إليَّ من صلة الإخوان ، لأن الإخوان يمنُّون والسلطان لا يمن . وروى التاريخ

أن الشعبي والنخعي والحسن البصري وأبا سلمة بن عبد الرحمن وأبان بن عثمان وعلماء البصرة والكوفة والفقهاء السبعة وابن خالد فقيه الأندلس وابن شهاب وأبا الزناد ومالكا وأبا يوسف والشافعي وفقهاء الحجاز والعراق كانوا يقبلون جوائز السلاطين والأمراء .

وكان هناك من يشدد على نفسه ، فلا يقبل هدايا السلاطين أو الأمراء ، مثل سعيد بن المسيب ومحمد بن سيرين وأحمد بن حنبل ، وقد وصف التاريخ هؤلاء بأنهم كانوا أمثلةً في الورع والزهد والتقشف ، وليس كل الناس بمنزلتهم .

وقد عقد الإمام الغزالي في كتابه « الإحياء » فصلا طويلا عن هذا الموضوع وقد تشدد في الأمر ، فاشترط على الآخذ أن يعرف من أين جاءت العطية ، وما وجه حلِّها ، وأن يعلم أنه يجوز له أخذها شرعا . وأن يعلم أنه لم يتجاوز المقدارَ الجائز له أخذُه ؛ وأفاض القول في درجات الزهد والورع المتعلقة بالأخذ من الأمراء والسلاطين ، ومال إلى عدم الأخذ في أكثر الأحوال ، ونقد الذين يفتحون باب الأخذ على مصراعيه . ولكنه أورد أثناء الحديث هذه العبارة : « اختلف الناس في هذا . فقال قوم : كلُّ ما لا أتيقن أنه حرام فلي أن آخذه . وقال آخرون : لا يحل أن يؤخذ ما لا يتحقق أنه حلال . فلا تحل شبهةٌ أصلا ؛ وكلاهما إسراف ، والاعتدال ما قدمنا ذكره ، وهو الحكم بأن الأغلب إذا كان حراما حَرُمَ . وإن كان الأغلب حلالا وفيه يقينُ حرام فهو موضع توقفنا فيه كما سبق » .

والفرق بين مذهب الغزالي ومذهب غيره ، أن الغزالي يمنع الأخذ إذا كان الأغلب حراما ، ويتوقف إذا كان الأغلب حلالا وفيه حرام متعين ، وغيرُه يجيز الأخذَ في الحالتين ، ولكن الجميع مجمعون على حرمة الأخذ إذا تيقن المرء من حرمة المأخوذ . وكذلك يحرم أن يذل الآخذ للمعطِي بسبب هديته ، لأن الإسلام والذل لا يجتمعان .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

التشبه بشاربي الخمر

السؤال : شرب رجل مع بعض أصدقائه فناجين من الشاي المعروف ، وحينما رفعوا الأكواب قرعوها ، وقال كل منهم لصاحبه : « في صحتك » كما يفعلون تماما عند شرب الخمر ، فما حكم الإسلام في هذا التصرف ؟

الجواب :

يريد الحق تبارك وتعالى لأمة محمد صلى الله عليه وسلم على الدوام أن تكون أمةً قائدة لا مقودة ، مرشدة لا تابعة ، ويريدها خير أمة أخرجت للناس ، تأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر ، وتكون في الناس وسطا بين الإفراط والتفريط ، فلا جور فيها ولا شطط ، بل اعتدال وقسطاس في جميع الأمور . ولذلك يريدها سبحانه وتعالى متميزةً بأخلاقها وعاداتها وتقاليدها ومظاهرها الفردية والاجتماعية . ولعل هذا هو السر في عناية السنة المحمدية — على صاحبها أفضل الصلوات والتسليمات — بأمور كثيرة جزئية يظنها الغافل شيئاً تافها لا يقام له ميزان ، وهو لو تدبر الأمر حقَّ تدبره لعلم أن هذه الأمور إن كانت جزئية أو شكلية ترسم باجتماعها والتئامها صورةَ المسلم الصحيح ، ولذلك أيضا شدد الرسول صلوات الله وسلامه عليه في عدم التشبه بغير المسلمين ، وحذَّر من متابعة الكافرين والذين يدينون بغير دين الإسلام ، وكثيرا ما أمر قومَه بمخالفة هؤلاء في أمور ظاهرية . ومن هنا يسهل علينا أن نفهم أن من قصدَ التشبه بقوم عامداً متعمدا كان داخلا فيهم أو قريبا منهم .

والمثل يقول : إن الطيور على أشكالها تقع . وبهذا تستطيع أن تحكم على أن شرب الشيء المباح بصورة شرب الشيء المحرَّم أمر لا يليق بالمسلم أن يأتيه .

وتعجبني هنا عبارة لحجة الإسلام الغزالي يقول فيها : « لو اجتمع جماعة وزيّنوا مجلسا ، وأحضروا آلات الشراب وأقداحه ، وصبوا فيها السكنجبين (شراب يحل تناولُه) ونصبوا ساقيا يدور عليهم ويسقيهم ، فيأخذون من الساقي ويشربون ، ويحيِّي بعضُهم بعضا بكلماتهم المعتادة بينهم ، حرم ذلك

عليهم ، وإن كان المشروب مباحا في نفسه ، لأن في هذا تشبهاً بأهل الفساد »

ما أجدر أمة محمد بأن تكون مستقلة عزيزة ، لها شخصيتها وكرامتها ، ولها مظاهرها الخاصة بها ، فما أضاع كيانَها ، ولا أذل سلطانَها ، ولا هدم إيوانها ، إلا متابعتُها لسواها ، مع أن الله تعالى قد كفاها مؤونةَ ذلك ، وكتب لها العزة لو أنها استقامت على صراطه المبين .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

شرب الحشيش

السؤال : يعمد كثير من الناس إلى شرب « الحشيش » ، بعضهم يدخنه في « الجوزة » أو اللفافة ، وبعضهم يضعه في الطعام أو في القهوة ، وبعضهم يأكله أو يمتصه ، فهل أباح الإسلام ذلك المخدر ؟

الجواب :

إنها لنكبة خطيرة يجب أن يفزع لها كل غيور ، فقد انتشر (الحشيش) بشكل وبائي فظيع ، ولن يحارَب حقَّ المحاربة ، إلا بحملة وعظ فيها بلاغٌ وتأديب للنفوس؛ وبعض مَنْ لاخَلاق لهم يفترون على الله الكذبَ وهم علمون فيقولون إن « الحشيش » مباح لا يمنعه الإسلام ، مع أن الإمام أحمد يروي في مسنده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « نهى عن كل مسكر ومفترٍ » . والمفتر هو كل ما يُحدث فتورا وخَدَرا وتراخيا في الأعضاء والأطراف ؛ والحشيش بشهادة الدارسين والمجربين يُحدث هذا الأثرَ بوضوح في أجسام الشاربين ، وقد عدَّ الإمام ابن حجر تعاطيَ المخدرات من كبائر الذنوب ، وذكر ابن تيمية وغيره أن إجماع المسلمين انعقد على تحريم الحشيش ، وأن من يستحل استعمالَه وشربه فقد كفر . وأضرار الحشيش المادية والصحية والاجتماعية لا تحصى ، فهو متلفة للمال ، ومضيعة للكرامة ، وشَيْنٌ للسمعة ، وهو كما أثبت الأطباء العُدُول مضر بالصدر والقلب والرئتين وعملية التنفس ، وهي أهم عملية في حياة الإنسان .

والحشيش يبعث في نفس شاربه الجبنَ والخَوَر ، ويثير فيه الهلعَ والفزع من أتفه الأسباب ، وهو يعرِّض كيانَ المرء الجثماني للتحلل والانهيار ، ولا صحة لما يقال من أن الحشيش يساعد على « غرفة النوم » ، فذلك باطل وتصور خداع ، وتعاطي هذا المخدِّر يعرِّض صاحبه لمراقبة الشرطة وتحكم المخبرين وازدراء الناس وعقاب القانون ، ويجعله يفرِّط في كثير من واجباته نحو نفسه وأسرته ووطنه .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

التداوي بالخمر

السؤال : عندي حالة مرضية عرضتها على بعض الأطباء ، فوصف لي أن أتناول في العلاج خمراً ، فهل يجوز هذا شرعا ؟

الجواب :

الخمر هي أم الخبائث ، وهي متلفة للمال ، مذهبة للعقل، مُسقطة للمروءة، مُسْقمة للبدن . وهي التي تجلب للجسم الداء الدفين والمرض المكين وهي التي تهدم الحياة وتتلف الأعصاب والألياف ، وتحطم المناعةَ والمقاومة ، وإذا كان بعض الأطباء يهمل أمرَ الدين في هذه الناحية ، ويتسرع فيصف الخمرَ علاجا لمريضه كمسكِّن وقتي ، أو ستر زمني للداء ، فإن هذا من عدم البصر بدقائق الطب وأسراره ، ومن ضعف الروح التي يجب أن تحاول التوفيقَ بين الدين والطب .

وقد أثبتت البحوث الطبية الحديثة أنه ما من مرض تُستعمل فيه الخمر كعلاج إلا ويوجد بدلَ الخمر دواء آخر يقوم مقامها ، ويُنجي من عواقبها السود . وإذا كان الأطباء أنفسهم الذين أوتوا البصرَ بأمور مهنتهم الدقيقة وأسرار صنعتهم الجليلة يقررون هذا ، فيخدمون المجتمع والأحياء والدين ، فلماذا تلجأ بعد هذا إلى استعمال الخمر في الدواء ؟

ومن عجب أن النبي الأمي الذي بعثه الله منذ مئات ومئات من السنين يشير إلى هذا إشارةً بليغة معجزة فيقول في حديثه الشريف : « إن الله أنزل الداء والدواء . وجعل لكل داء دواءً ؛ فتداووا ، ولا تتداووا بمحرَّم » ... وسأل طارق بن سويد رسولَ الله صلوات الله وسلامه عليه عن الخمر ، فنهاه عنها ، فقال طارق : إنما أصنعها للدواء . فقال الرسول : « إنه ليس بدواء ، ولكنه داء » . وفي رواية أن الرسول قال عن الخمر : « إنها داء وليست بدواء » .

بل ومن عجب أيضا أن يدرك عربي في جاهليته ما في الخمر من سيئات ومنكرات ، وما تؤدي إليه من مقابح ومآثم ، فيحرِّمها على نفسه ؛ فهذا قيس بن عاصم الصحابي المشهور ، الذي أسلم في وفد بني تميم : سنة تسع من الهجرة ، والذي قال فيه الرسول الكريم : « هذا سيد أهل الوبر » . كان عاقلا حليما . وكان في الجاهلية يشرب الخمر على عادة قومه . فسكر ذات يوم وأعطى الخمّار مالا كثيرا . ثم عاد إلى بيته ، فغمز ابنته وسب أبويها وتكلم كلاما قبيحا . فلما آفاق أخبروه بذلك . فحرم الخمرَ على نفسه وهو في الجاهلية ، وقال في سبِّها أشعارا كثيرة ، منها :

رأيت الخمرَ فاسدةً ، وفيها ... خصالٌ تفسد الرجلَ الحليما
فلا والله أشربها صحيحا ... ولا أشفى بها أبداً سقيما
ولا أعطي بها ثمنا حياتي ... ولا أعطي لها أبدا نديما
فإن الخمر تفضح شاربيها ... وتجنيهم بها الأمرَ العظيما

أظن أنه يسهل علينا بعد ذلك كله أن نعرف أن الإسلام يحرم استعمالَ الخمر كدواء ، وهذا ما أجمع عليه جمهور العلماء ، على أن البعض قد قال بجواز التداوي بالنجس والخمر عند الاضطرار ، بشرط أن يشير بذلك الطبيبُ المسلم الحاذق ، وأن يقتصر فيه على قدر الضرورة والحاجة .

والله تبارك وتعالى أعلم .

• • •

أكل الميتة والتصدق بها

السؤال : هناك رجل وزّع لحم شاة على طائفة من الناس باعتبار أنه صدقة ، ثم تبين بعد ذلك أن هذه الشاة كانت ميتة ، وكان هذا الرجل يعلم ذلك ، ولكنه لم يخبرهم ، فهل على هؤلاء إثم ؟

الجواب :

أكل الميتة حرام بنص القرآن الكريم ، لأن الله تبارك وتعالى يقول فيه : « قُلْ لا أَجِدُ فِيما أُوحِيَ إليَّ مُحَرَّمَاً عَلَى طاعِمٍ يطعَمُهُ إلاَّ أَنْ يكونَ ميتةً أو دماً مَسفُوحاً أَوْ لحمَ خنزيرٍ فإنه رجس ... » إلى آخر الآية الكريمة . ويقول أيضا : « إنّما حرمَ عليكُمُ الميتةَ والدمَ ولحمَ الخنزيرِ وما أهلَّ بهِ لغيرِ اللهِ ، فَمَنِ اضطُرَّ غَيرَ باغٍ ولا عادٍ فَلاَ إثْمَ عَلَيْهِ ، إنَّ اللهَ غفورٌ رحيمٌ » .

ومن هذا يتضح أن الأكل من لحم هذه الشاة محرَّم شرعا ، ولا يجوز للمسلم أن يأكل منه إذا كان يعلم أنها ميتة ، ولكنه إذا أكل من لحمها على اعتقاد أنها مذبوحة ذبحا شرعيا ، لأن من قدّم إليه اللحم خدعه وأخبره بذلك ، فإنه لا تكون هناك تبعة ولا ذنب على هذا الآكل ، لأنه أكل دون أن يعلم الحقيقة .

والذنب كله محصور في هذا الآثم الذي أخذ لحم الشاة الميتة ، ووزعه على هؤلاء الناس زاعماً لهم أنه لحم طيب ، ومحاولا التظاهر بأنه يتصدق ، وهذا التصدق غير مقبول عند الله ، لأنه يتصدق بشيء خبيث غير طيب .

وعلى هذا الرجل أن يتوب إلى الله وأن يستغفر من ذنبه ، وأن يكفر بالطاعة عن خطيئته ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

والله تبارك وتعالى أعلم .

• • •

ذبائح غير المسلم

السؤال : هل يجوز أكل ما في المعلبات من لحوم الدجاج والضأن والبقر وغيرها مما يستورد من الدول غير الإسلامية ، مع ملاحظة أننا لا نعرف حقيقة ذبحها ؟

الجواب :

يقول الله تبارك وتعالى في سورة الأنعام : « قُلْ لا أجدُ فيما أوحِيَ إليّ مُحَرَّماً عَلَى طاعمٍ يطعَمُهُ إلاّ أنْ يكونَ ميتةً أو دماً مسفوحاً أو لحمَ خنزيرٍ فانّهُ رِجْسٌ أو فسقاً أهلَّ لِغيرِ الله بِهِ ، فَمَنْ اضطُرَّ غَيْرَ باغٍ وَلاَ عادٍ فانَّ رَبّكَ غفورٌ رحيمٌ » . ومسفوحاً : أي مُراقا . ورجس : أي نجس وحرام . وأهل لغير الله به : أي ذُكر عند ذبحه غير اسم الله تعالى . وغير باغ : أي غير طالب للمحرَّم للذة . ولا عادٍ : أي غير متجاوز ما يسد الرمق .

ويقول الله تعالى في سورة المائدة : « اليومَ أُحِلَ لكمُ الطيباتُ وطعامُ الذينَ أوتُوا الكتابَ حِلٌ لَكُمْ ، وطعامُكُمْ حِلٌ لَهُمْ » . والذين أوتوا الكتاب هم النصارى واليهود ، ويقول الإمام أبو بكر بن العربي عن هذه الآية الكريمة : « هذا نص قاطع على أن الصيد وطعام الذين أوتوا الكتاب من الطيبات التي أباحها الله ، وهو الحلال المطلق » .

وقد ثبت في الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل من شاة قدمتها إليه امرأة يهودية ، كما روى البخاري والنسائي من حديث عائشة أن قوما قالوا : يا رسول الله ، إن قوماً يأتوننا باللحم ، لا ندري ذُكر اسم الله عليه أم لا ؟ فقال : سمُّوا أنتم وكلوا . وقد ذكر الإمام القرطبي أن جمهورَ الأئمة يقرر أن ذبيحة كل نصراني حلال ، وكذلك اليهود . وقرر غيره أن المسلم الآكل لذبيحة غير المسلم إذا لم يعلم أن الذابح قد ترك التسمية ، ولم يعلم أنه قد ذكر عليها اسما غير اسم الله ، فالأكل منها حلال .

وذكر الفقيه الحنفي محمد بن عابدين أن ذبيحة الكتابي حلال ، لأن الله تعالى يقول : « وطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الكتابَ حِلٌّ لَكُمْ »وطعامهم هنا هو ذبائحهم . كما جاء في « الفتاوي الهندية » أن ذبيحة الكتابي تؤكل إلا اذا شهد المسلم ذبح الكتابي للذبيحة ، ووجد أنه قد ذكر عليها غير اسم الله سبحانه .

وقال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه ، كما قال معه غيره : « اذا سمعت الكتابي يسمي غير الله فلا تأكل » وذلك لأن الله تعالى يقول : « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه » .

ويحرم الأكل من ذبيحة الوثني وهو عابد الوثن أو الصنم ، وكذلك يحرم الأكل من ذبيحة من لا يدين بدين إطلاقا .

ونفهم من البيان السابق أنه يجوز أكل ما في المعلبات المذكورة ، ما دامت واردة من بلاد أهلها من أهل الكتاب ، وبشرط أن يكون نوع اللحم الموجود فيها مباحا ، وأن لا يكون قد تطرق اليه الفساد ، ولا يجوز أكل ذبيحة رأى صاحبها أو علم علم اليقين أن ذابحها قد ذكر عليها شيئا غير اسم الله تعالى .

والله تبارك وتعالى أعلم .

• • •

الحُدُود



جريمة القتل

السؤال : **هل يجوز لمسلم أن يقتل أخاه المسلم متعمدا قاصدا سلبَ أمواله والاعتداءَ على عرضه ؟ وهل يجوز لمثل هذا أن يدَّعي أنه مسلم ؟ وما عقابه في الشرع الإسلامي ؟**

الجواب :

يقول الله تعالى : « إنّما المؤمنونَ إخوةٌ » . والواجب على الأخ أن يرعى حقوقَ أخيه ، وأن يدافع عنها لو اعتدى عليها أجنبي أو ظالم ، فلا يمكن أن يتصور الإسلام أخاً يستحل ويستبيح الاعتداء على مال أخيه وحياته وعرضه ، ثم يدعي لنفسه صفةَ الإسلام والإيمان ، والدينُ منه براء ، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « كل المسلم على المسلم حرام : دمُه وماله وعرضه » . أي لا يجوز أبداً أن يعتدي مسلم على حياة مسلم أو ماله أو عرضه ، وما حرمه الله لا يُحله إنسان .

والله تعالى يقول في سورة النساء : « وَماكَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِناً إلاّ خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً فتحريرُ رقبةٍ مؤمنةٍ وديةٌ مسلّمةٌ إلى أهْلِهِ إلا أن يصَّدَّقوا ، فإن كان من قوم عدولكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة ، وإنْ كانَ مِنْ قومٍ بينكُمْ وبينَهُمْ ميثاقٌ فَدِيَةٌ مَسَلّمَةٌ إلى أهله وتحريرُ رقبة مؤمنة فَمَن لَمْ يَجِدْ فَصِيامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللهِ وَكَانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً ، وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً متعمداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنّمُ خالداً فِيها وَغَضِبَ اللهُ عليهِ ولَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذاباً عظيماً » .

أي ما كان من شأن المؤمن ولا من صفته ولا من عمله أن يقتل أحداً من أهل الإيمان إلا بخطأ بغير إرادة ، وإن قتله خطأ فعليه كفارة هي عتق رقبة

مؤمنة ، أي عتق عبد مؤمن ، وعليه مع العتق دية يدفعها إلى أهل المقتول ، عوضاً عن دمه أو عن حقهم فيه ، وهي مائة بعير أو ثمنها ، إلا أن يعفو أهلُ القتيل ويتركوا الدية باختيارهم ؛ فان كان المقتول من أعدائكم وهو مؤمن فالواجب على القاتل عتق رقبة من أهل الإيمان ، ولا تجب هنا الدية ، وإن كان المقتول من قوم بينكم وبينهم معاهدة وميثاق فالواجب على القاتل دية يسلّمها إلى أهل المقتول مع عتق رقبة مؤمنة .

فإن لم يجد القاتلُ المخطىءُ العبدَ الذي يعتقه فعليه أن يصوم شهرين متتابعين وقد شرع الله هذا توبةً يتطهر بها القاتل الذي قَتل خطأً وكان الله علماً حكيما . ثم قال الله تعالى بعد.ذلك إن من يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه دخول جهنم خالدا فيها ، وغضب الله عليه ، وطرده من رحمته ، وأعد له عذابا أليما كبيرا .

وقد قال ابن عباس : إن القاتل المتعمد لا توبة له . وذكروا روايات كثيرة عن ابن عباس في عدم قبول توبته ، منها رواية سالم بن أبي الحق قال : كنا عند ابن عباس بعدما كُفَّ بصره . فأتاه رجل فناداه : يا عبد الله بن عباس .ما ترى في رجل قَتل مؤمنا متعمدا ؟ فقال : « فَجَزَاؤهُ جَهَنَّمُ خَالداً فِيها وَغَضِبَ اللهُ عَلَيهِ ولَعَنَهُ وأَعَدَّ لَهُ عذاباً عظيماً » . فقال الرجل : أفرأيتَ إن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى ؟ قال ابن عباس : ثكلته أمه ، وأنّى له التوبة ، فوالذي نفسي بيده لقد سمعتُ نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول : « ثكلته أمه رجلاً قتل متعمدا ، جاء يوم القيامة آخذا بيمينه أو بشماله تشخب (أي تسيل) دما من قِبَل عرش الرحمن ، يلزم قاتله بيده الأخرى ، يقول : سل هذا فيمَ قتلني» ؟ والذي نفس عبد الله بيده لقد نزلت الآية فما نسخها من آية أخرى حتى قُبض نبيكم صلى الله عليه وسلم ، وما نزل بعدها من برهان . وفي رواية أخرى : فما نبي جاء بعد نبيكم ، ولا نزل كتاب بعد كتابكم .

وعن سفيان الثوري أنه قال : كان أهل العلم إذا سُئلوا عن قاتل العَمْد

قالوا : لا توبة له : وجاء في « تفسير المنار » نقلا عن الشيخ محمد عبده أن القاتل المتعمد لا عذر له ، كما جاء في التفسير أن الإقدام على هذا القتل يكاد يكون ارتداداً عن الإسلام . ويقول : « إن المؤمن إنما يصح إيمانه ويكمل إذا كان يشعر بحقوق الإيمان عليه ، وهي حقوق لله ، وحقوق للعباد ، ومن حدود حقوق المؤمنين أن في القصاص حياة ، لما فيه من الزجر عن القتل ، فالمؤمن الصادق يشعر بهذا الحق وهذه الحياة ، وأنه إذا أخلّ بحقوق الدماء فقد استهزأ بحياة الأمة ، ولم يحترم أكبر حقوقها ، ولم يبال بما يقع فيه المؤمنون من الخطر ، فأمره معلوم ، فإنه باعتدائه على مؤمن قد هدم ركنا من أركان قوة الإيمان وحزبه ، وذلك آية عدم المبالاة بقوة الإيمان وقوامه ، والمؤمن غيور على الإيمان ، فلا يصدر منه ذلك . أي ليس من شأنه أن يصدر عنه » .

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « لزوال الدنيا أهون على الله من قتل امرىء مسلم » . ويقول : « إن هذا الإنسان بنيان الله ، ملعون من هدم بنيانه » . وقد جاء في كتابي « القصاص في الإسلام » عدد كبير من الأحاديث الدالة على القاتل المتعمد وعقابه [1] .

وفي السؤال الذي معنا نجد المجرم لم يكتف بالقتل العمد ، بل فعل القتلَ ، وسلبَ المال ، واعتدى على العرض ، ومثل هذا يخلده الله في العذاب الأليم العظيم ، ويعاقبه العقاب الملائم لاستهتاره وفجوره ، ولا يستحق مثلُ هذا صفةَ الإسلام والإيمان ما دام يستحل هذه الجرائم .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

---

١ – انظر كتابي « القصاص في الاسلام» ص٢٨ – ٣٢طبعة دار الكتاب العربي بمصر سنة ١٩٥٤م

قتل خطأ

السؤال : كنت أنظف مسدسا فانطلقت منه رصاصة أصابت شخصا عزيزا عليّ فقتلته ، ولكن الشهود غيروا وبدلوا ، قالوا إنني تعمدت قتله ، وبذلك حُكم عليّ بخمسة وعشرين عاما ، مع أني بريء ، فهل يعتبر هذا السجن تكفيرا عن ذنوب أخرى فعلتها ؟

الجواب :

إذا كان ما يذكره السائل حقيقةً مطابقة للواقع ، فإن هذه الحادثة تكون من قبيل القتل الخطأ ، والحكم فيه هو الكفارة ، وهي إعتاق عبد مؤمن ودفع الدية إلى أهل القتيل ، لأن الله تعالى يقول : « وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِناً إلا خَطَأً ، وَمَنْ قَتَلَ مُؤمِناً خَطَأً فَتَحْرِيرُ رقبةٍ مؤمنة ودية مسلمة إلى أَهْلِهِ إلاَّ أنْ يصَّدَّقوا ... »

ولا شك أن شاهد الزور قد ارتكب جريمة كبرى ، وذنبا فظيعا يعاقب الله عليه أشد العقاب . وربما كان هذا السجن نوعاً من الاختبار الإلهي ، والابتلاء الدنيوي ، وربما كان هذا السجن بسبب آثام وأخطاء وذنوب ارتكبها السائل من قبل ، لم ينل العقابَ عليها ، فالله سبحانه وتعالى يريد أن يطهره من هذه الآثام بهذا الابتلاء ، وإن لم يكن هذا ولا ذاك فلا شك أن رحمة الله تبارك وتعالى ستعوّضه خيرا عما فاته ، وستنصفه ولو بعد حين ، والله مع الصابرين .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

أخذ الثأر

السؤال : إذا أقدم شخص على قتل آخر أخذاً بالثأر فهل يعد آخذ الثأر بنفسه قاتلا ؟

الجواب :

لا يمكن للانسان أن يكون خصما وحكما في آن واحد ، ولذلك جعل الإسلام للناس إماما حاكما يرعى مصالحهم ، ويفصل في خصوماتهم ، وينفذ الحدود بينهم ، متقيدا في ذلك بحكم الله تعالى ، ولذلك قال القرآن : « يا أَيُّها الّذِينَ آمنوا أَطِيعُوا اللهَ وأَطِيعُوا الرَّسولَ وَأولِي الأمْرِ مِنْكُمْ » .

ولو أن الإسلام ترك لكل فرد أن يأخذ حقه وثأره بيده لكانت هناك الطامة الكبرى ، لأن الطرف في الخصومة لا يستبين الرشدَ في خطواته وتصرفاته لو جعل نفسه حاكما ؛ ولذلك اشترط الإسلام أن يفصل في الخصومات مَنْ لا يد لـه فيها ، واشترط للقاضي صفات وأخلاقا تجعله بعيدا عن الشكوك والريب .

وروي عن ابن عمر أن تنفيذ الحدود من اختصاص السلطان ، وعلى السلطان أن يبحث الجريمة حتى يتبين له القاتل ، ثم يهيىء السبيل لولي الدم أن يأخذ حقه إذا كان يحسن أخذه دون إسراف أو اعتداء ؛ لقوله تعالى : « وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطاناً فَلاَ يُسْرِفْ فِي القَتْلِ إنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً » .

وإذا كان الفقه لا يعتبر آخذَ الثأر كالقاتل من كل الوجوه ، فإن المتهجم على أخذ الثأر يعاقب بعقوبة تعزيزية « تأديبية » يقيمها الإمام الحاكم عليه ، لاعتدائه على حق السلطان في إثبات القصاص ، وفي الإذن بأخذه عند إحسانه [1] .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

بنيان الله

السؤال : **قرأت في بعض الكتب هذا الحديث : « من هدم بنيان الله فهو ملعون » . فما هو بنيان الله ؟ وما معنى الحديث ؟**

---

١ — انظر كتابي « القصاص في الاسلام » ص ٥١ — ٧٢ طبعة سنة ١٩٥٤م .

الجواب :

المراد ببنيان الله هنا هو النفس البشرية . لأن الله تبارك وتعالى هو الذي برأها وأنشأها، وهو الذي سوّاها وزكاها . وهو الذي ركبها ذلك التركيبَ البديع . ويشير القرآن الكريم إلى ذلك حين يقول : « يا أيُّها الإنسانُ ما غرَّكَ بربِّكَ الكريمِ الذي خلَقَكَ فسوَّاكَ فعدلَكَ . فِي أَيِّ صُورةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ » .

ومعنى الحديث أن من يقتل النفسَ الإنسانية اعتداءً فقد هدم البناء الذي بناه الله عز شأنه ، لأن هذه النفس هي بنيان الله وتركيبه . وقد رُوي الحديث برواية أخرى تقول : «إن هذا الإنسان بنيان الله . ملعون من هدم بنيانه » .

وهناك أحاديث كثيرة في تعظيم شأن النفس البشرية ، وتوعد المعتدي عليها بأشد العقاب وقد أوردت هذه الأحاديث في كتابي « القصاص في الإسلام » حيث تحدثنا عن عصمة النفس الإنسانية وبشاعة إزهاقها . ومما جاء في كتاب « القصاص في الإسلام » هذه العبارة :

لا جدال في أن كبرى الجرائم هي إزهاق النفس البشرية المعصومة التي كرمها الله وزكاها . وجعلها بنيانه في الأرض ، وتوعد باللعن والمقت مَنْ هدم هذا البنيان . وإذا كان قتل النفس المعصومة أكبرَ جريمة في نظر الشارع الحكيم ، فهي كذلك في نظر الناس ، لأن حب الحياة والبقاء فيها أقوى غرائز الإنسان على الإطلاق ، وحين يقف الإنسان موقف الدفاع عن حياته المتعرضة لخطر قريب مؤكد ، ينسى الكثيرَ مما حوله وممن حوله ، إن لم ينس جميع ذلك ، وينحصر أمره كله في الخلاص من هذا الخطر ، والنجاة بتلك الحياة .

فلا عجب إذا حاط الشارع هذه الحياةَ بالعناية والرعاية ، وصد عن مسها بأبلغ وسائل الردع والزجر ، وشرع لهادمِها عقوبةً مؤدبة له ومُرْهبة لسواه [1] .

والله تبارك وتعالى أعلم

• • •

١ — انظر كتابي « القصاص في الاسلام » ص ٧ .

حق الدفاع عن النفس

السؤال : **رجل قتل شخصا دفاعا عن النفس ، لأن هذا الشخص شرع في قتله ، فهل يعد المدافع عن نفسه في هذه الحالة قاتلا في نظر الشريعة ؟**

الجواب :

الإنسان لا يعد قاتلا في نظر الإسلام إذا كان في حالة دفاع عن نفسه ، واضطر إلى قتل المعتدي عليه الذي أراد قتله ، بشرط أنه لا يجد مفرا من قتله دفاعا عن حياته ، وفي الحديث النبوي أن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له : يا رسول الله . أرأيتَ إن جاء رجل يريد أخذَ مالي ، قال النبي : فلا تعطه . قال : أرأيت إن قاتلني . قال : قاتله . قال : أرأيت إن قتلني . قال : فأنت شهيد . قال : أرأيت إن قتلتُه ؟ قال : هو في النار . رواه الإمام مسلم في صحيحه .

ولا شك أن الدفاع عن النفس أهم شأنا من الدفاع عن المال ؛ وفي الحديث الآخر يقول النبي عليه الصلاة والسلام : « من قُتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قُتل دون دينه فهو شهيد . ومن قتل دون دمه فهو شهيد . ومن قتل دون أهله فهو شهيد » .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

حد السرقة عند التكرار

السؤال : **ما حكم القرآن في السارق إذا تعددت منه السرقة ؟**

الجواب :

يقول الله تبارك وتعالى في سورة المائدة : « والسَّارِقُ والسَّارِقَةُ فاقْطَعُوا أَيْدِيَهما جزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللهِ واللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ » . ومعنى هذا أن الله جل جلاله قد ذكر لنا في القرآن الكريم حكمَ السارق

والسارقة ، وهو أن تُقطع يد كل واحد منهما . أي إذا سرق الذكر تُقطع يده . وإذا سرقت الأنثى تقطع يدها ، بشروط مذكورة في كتب الفقه ، والمراد باليد . الكف إلى الزند ، وذلك القطع عقوبة من الله لمن سرق ، تأديبا له وزجرا ، وتحذيرا لغيره حتّى لا يفعل فعلته .

ويكون القطع إذا سرق السارق ما قيمته عشرة دراهم فأكثر . ولا قطع عند الحنفية في أقل من ذلك . وتثبتالسرقة بالإقرار مرة . وبشهادة شاهدين ، وتقطع يد السارق اليمنى إذا سرق أول مرة ، وإذا عاد إلى السرقة تُقطع رجله اليسرى ، فإن عاد لا يقطع له شيء . بل يحبس حتّى يتوب كما جاء في كتاب « الاختيار شرح المختار » . لابن مودود الحنفي ، وذلك لأن الأصل أن حدّ السرقة قد شرعه الله زاجراً لا متلفا . لأن الحدود شُرعت للزجر عن ارتكاب الكبائر . لا متلفة للنفوس المحترّمة ، فكل حد يتضمن إتلاف النفس من كل وجه ، أو من وجه لم يُشرع حدّاً ، وكل قطع يؤدي إلى إتلاف جنس المنفعة يكون إتلافا للنفس من وجه فلا يكون مشروعا .

وقطع اليد اليسرى والرجل اليمنى في المرتين السابقتين يؤدي إلى إتلاف جنس المنفعة ، وهي المشي والسعي والعمل ، ومزاولة الحرفة ، فلا يُشرع ذلك . ولقد قال الإمام علي رضي الله عنه في حالة كهذه : « إني لأستحي من الله ألا أدع له يداً يأكل بها ، ويستنجي بها ، ورِجْلا يمشي عليها » . وبهذا الجواب ردّ الإمام علي بن أبي طالب على مَنْ عارضه فأفحمه ؛ فكان ذلك إجماعا .

وعن عمر رضي الله عنه أنهم جاءوا إليه برجل قُطعت يده ورجله ، وقد سرق بعد ذلك وكان اسمه « سدوم » فأراد عمر أن يقطعه ، فقال له الإمام علي : إنما عليه قطع يد ورجل . أي تقطع يده اليمنى ورجلهاليسرى فقط ، ولا قطع بعد ذلك ولو عاد إلى السرقة ؛ فحبسه عمر رضي الله عنه ولم يقطعه ففتوى علي ، ورجوع عُمر من غير إنكار ، ولا مخالفة من غيرهما ، دليل على الإجماع عليه ، والخلاصة : أن السارق إذا كان بحال لو قُطعت يده

اليمنى لا ينتفع بيده اليسرى ، أو لا ينتفع برجله اليمنى ؛ لآفة كانت قبل القطع لا يقطع ، لأن فيه ضياع المنفعة .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

قطاع الطرق

السؤال : **ما حكم الله تعالى في عصابات قطع الطريق التي تخرج وتترصد الناس في طرقاتهم فتقتل من تقتل ، وتسلب ما تسلب .**

الجواب :

قطاع الطرق هم اللصوص المجرمون الذين يعترضون الناس في طرقاتهم ومسالكهم ، ويعتدون عليهم بالسلاح ونحوه ، ليغتصبوا منهم أموالهم وممتلكاتهم مجاهرةً ، ولا شك أن قطع الطريق من أفظع الجرائم التي تهدد سلامة المجتمع . وتوقد نارَ الفتنة والفساد ، ولذلك تهدد الله تعالى قطاع الطرق في كتابه ، وأنذرهم أوجع إنذار ، وشرع لهم من الحدود الزاجرة والعقوبة المؤدبة ما يردعهم عن غيهم ، ويصد سواهم عن متابعتهم في فسادهم . قال تعالى في سورة المائدة :

« إنّما جزاءُ الّذينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأرْضِ فَسَاداًأنْ يُقَتّلُوا أو يُصَلّبواأو تُقَطّعَ أيديهِمْ وأرجلُهُمْ مِنْ خلافٍ أو يُنْفَوا مِنَ الأرْضِ ، ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ » . فذكر الحق تبارك وتعالى في هذه الآية عدةَ عقوبات لهؤلاء المجرمين ، هي التقتيل والصلب وتقطيع الأيدي والأرجل من خلاف ، والنفي من الأرض ، ثم قرر سبحانه أن ذلك كله هو عقوبة الدنيا وخزيها ، ثم لهم بعد ذلك في الآخرة عذاب عظيم وجزاء أليم .

وقد رُوي عن ابن عباس أنه قال : « إذا قَتلوا وأخذوا المال قُتلوا وصُلبوا وإذا قتلوا ولم يأخذوا المال قُتلوا ولم يُصْلَبوا ، وإذا أخذوا المال ولم يقتلوا

قُطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف ؛ وإذا أخافوا السبيلَ – الطريق – ولم يأخذوا مالاً نُفوا من الأرض » . وهذا تفسير الآية ، وتعيين لكل عقوبة من العقوبات الواردة بها في موطنها ومناسبتها ، وهذا الرأي أخذ به الشافعي وأحمد ، ويقرب مما ذهب إليه الإمام أبو حنيفة .

وذهب آخرون إلى أن الإمام يجتهد في أمر قطاع الطريق ، فيطبق عليهم إحدى العقوبات المذكورة في الآية ، حسب اجتهاده ورعايته للمصلحة العامة ، كأن يقتل شخصا من قطاع الطرق لم يَقْتل ، لأن ذلك الشخص كان رئيسا لعصابته مطاعاً فيهم ، فشره أكثر من شر فرد آخر قَتَل وليست له رياسة أو طاعة ، ولا يكون أمر قاطع الطريق القاتل المستحق بذلك للقتل موكولا لورثة المقتول ، كما في حالة القتل لعداوة خاصة أو خصومة شخصية ، إن شاء الورثة اقتصوا ، وإن شاءوا عَفَوْا، وإن شاءوا أخذوا الدية .. لا .. بل أمره موكول للامام ، لأن الحد هنا حد الله ، وهو يتعلق بمصلحة الجماعة والناس ، والزجر واجب .

واختُلف فيما إذا كان قطاع الطرق جماعةً باشر بعضهم القتل والسلب ، و البعضُ الآخر لم يباشر ، فقيل : يقام القصاص على المباشر فقط ، ولكن جمهور الفقهاء على أن الجميع يُقتلون ، ولو كانوا مائة ، لأنهم فعلوا ذلك باجتماعهم وتعاونهم ورضاهم .

وإذا أخذ قطاع الطرق المالَ . ولم يعتدوا على الأرواح أو الأعراض ، فقد ذهب الشافعي وأبو حنيفة وأحمد وغيرهم إلى أن يُقطع من كل واحد يدُه اليمنى ورجله اليسرى ، لقوله تعالى : « أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف » . والحكمة في ذلك أننا نقطع اليد التي يبطش بها ، ونقطع الرجل التي يسعى عليها ، ويجب أن يُمنع سيلُ الدم بعد القطع بالزيت المغلي أو نحوه ، حتى لا يؤدي الحد إلى ضرر واسع ، وإذا استحق بعض هؤلاء القتل كان قتلهم بالسيف ، لأنه أسرع في العمل وأقل في الألم ، والرسول يقول : « إن الله كتب الإحسانَ على كل شيء ، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتلة ، وإذا

ذبحتم فأحسنوا الذِّبحة ، وليُحِدَّ أحدُكم شفرتَه ، وليُرحْ بهيمتَه » . وقال: « إن أعف الناس قتلةً أهلُ الإيمان » . ولا مانع أن يقتلوا بغير السيف إذا كان أسرع وأنجع .

ولا يقتصر هذا الحكم على قطاع الطرق الذين يقيمون في الأماكن النائية ، بل لو تألفت عصابة بمقربة من العمران أو داخله ، وقطعت الطريقَ فقتَلت وسلبت ، لجرى عليها حكم قطاع الطرق السابق ، بل ذهب بعضهم إلى أن هؤلاء يجب أن يلاقوا شدةً في العقوبة ، لأنهم لم يرعوا للجماعة الدانية حرمة .

هذا حكم الله سبحانه في قطاع الطرق ، وهو حكم فيه الردع والزجر ، وقد يتوهم متوهم أن في تنفيذه شدةً أو قسوة ، ولكن هذا وهم باطل وزور من القول ،لأن الحدود إنما شُرعت لكي تقطع دابرَ الفساد ، ولكي تزجر مَنْ تحدثه نفسه بالجريمة فيقل المجرمون ، والله الهادي إلى أقوم سبيل .

والله تبارك وتعالى أعلم .

• • •



أحكام الميت



مقر الأرواح بعد الموت

السؤال : أين تذهب الأرواح بعد الموت ، وبعد انفصالها عن الجسد ؟

الجواب :

ذكر الإمام ابن القيم أن الأرواح تختلف وتتفاوت في مستقرها بعد الموت، فمنها أرواح تكون في أعلى عليين في الملأ الأعلى ، وهي أرواح الرسل والأنبياء ، ومنها أرواح يجعلها الله تعالى في حواصل طير خُضْر ، تسرح في الجنة حيث شاءت ، كما جاء في الحديث النبوي ، وهي أرواح الشهداء إلا من كان عليه دَيْن يعوقه عن ذلك .

ومن الأرواح أرواح يحجزها الله في الأرض ، لا ترتفع إلى الملأ الأعلى ، لأنها لم ترتق إلى مستوى الأنفس السماوية العلوية ، ومنها غير ذلك .

فليس للأرواح مستقر واحد ؛ ولا شك أن الروح لها وضع آخر غير وضع البدن ، لأنها أسرع شيء حركةً وانتقالا ؛ وقد ذكروا كذلك أن للأرواح أربع دور ، الدار الأولى في بطن الأم ، والدار الثانية هي الدنيا ، والدار الثالثة هي دار البرزخ ، وهي دار أوسع من هذه الدار الدنيا وأعظم ، والدار الرابعة هي دار القرار ، وهي الجنة أو النار .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

حساب الميت

السؤال : إذا تأخر دفن الميت عدة شهور ، ثم دفن بعد ذلك ، هل يتعرض بعد هذه المدة لحساب الملكين في القبر ؟

الجواب :

سؤال الملكين للميت يكون بعد دفنه عادة ، ولكن إذا بقي الميت مدةً طويلة دون دفن ، فليس هناك ما يمنع من سؤاله ، لأن عدم دفنه لا يحول دون اقتدار الله على تمكين المَلَكين من سؤاله . ونحن لا نعرف حقيقة السؤال ، لأنه غائب عنا ، وإذا ما دفنوه بعد ذلك كان قبره له روضةً من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النار ، كما يستفاد ذلك من القرآن والحديث .

والله تبارك وتعالى أعلم .

• • •

تـاخير دفن الميت

السؤال : هل هناك مانع في انتظار أهل الميت لإقامة الصلاة عليه في حضورهم ، وإذا دفن هذا الميت قبل حضور أهله فما الحكم ؟

الجواب :

الأصل في الإسلام هو التعجيل بتجهيز الميت والصلاة عليه ودفنه ، لأن هذا إكرام للميت ، إذ أن تركه مدةً طويلة بعد موته يعرّضه لتغير رائحته ، وهذا هتك لحرمته من جهة ، وأذى للناس من جهة ثانية .

والأولى بالصلاة على الميت عند الإمام أبي حنيفة الوالي إن حضر ، ثم القاضي ، ثم إمام الجهة التي مات فيها ، ثم قريب الميت ، يقدَّم الأقرب فالأقرب .

فإذا كان أقارب الميت موجودين اشتركوا في الصلاة عليه ، وإذا كانوا غائبين وأمكن حضورهم بعد مدة قصيرة لا يتغير فيها الميت ، ولا يتأذى الناس من رائحته ، فلا مانع من انتظارهم ؛ ولكن إذا كان حضورهم سيستغرق وقتا طويلا ، فلا يبقى الميت لانتظارهم ، بل يصلي عليه أولى الناس بالصلاة عليه ممن حضروا .

ولقد دفن النبي صلى الله عليه وسلم رجلا من صحابته بالليل . ومات سيدنا

أبو بكر رضي الله عنه ليلا ، ودفنوه قبل أن يُصبح ، كما جاء في رواية البخاري .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الوفاة ليلة الجمعة

السؤال : **يقال إن الشخص الذي يموت في يوم الخميس – ليلة الجمعة – يعتبر في نظر الناس من ذوي الأعمال الطيبة ، فما رأي الدين الإسلامي في هذا ؟**

الجواب :

الأعمار بيد الله سبحانه ، وهي معلومة محدودة ، ولذلك يقول القرآن الكريم : « فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ ساعةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ » والأيام ما هي إلا ظروف زمنية للأعمال ، فمن عَمَّرَ هذه الأيامَ بالسعي المشكور والعمل الصالح المبرور ، كان له أجره وثوابه عند الله ، لأن الله تعالى يقول : « إنّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً » .

وهذا العمل مسجل مسطور عند الله : قليله وكثيره ، ولكل عمل من أعمال الخير مهما قلَّ ثوابٌ وأثر ، ولكل عمل من أعمال الشر عقاب وأثر ، والله تعالى يقول : « فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ » .

وعلى هذا نفهم أن الأيام كلها في نظر الإسلام فُرص لعمل الخير وتجنب الشر ، وليس هناك ارتباط بين نجاة الإنسان من التبعة ووفاته في يوم معين من أيام الأسبوع ، وإلا لرأينا خيار الأمة من سلفها الصالح يموتون في ليلة الجمعة ، وإذا كان هناك لون من التفاؤل في هذا المقام ، بأن الميت قد مات في ليلة يوم عظيم الشأن عاطر السيرة في الإسلام ، وهو يوم الجمعة ، فليس معنى هذا أن مجرد موته في هذا الوقت يجعله من ذوي الأعمال الطيبة ، إذا لم يكن هو في الحقيقة والواقع صاحب أعمال طيبة . والخير للمسلم هو أن يفهم

أن الأساس في شريعة الله تعالى هو الإيمان والعمل : «وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالمُؤْمِنُونَ » .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الدفن يوم الجمعة

السؤال : **إذا مات شخص يوم الخميس وأخّروا دفنه إلى يوم الجمعة ، على أنه يوم مبارك ، فهل هذا يخفف العذاب عن ذلك الميت؟**

الجواب :

إذا مات الميت كان الأحسن هو الشروع في تجهيزه وتكفينه ودفنه ، لأن دفن الميت فرض كفاية بالإجماع ، إذ ترك الميت دون دفن هتك لحرمته ، ويتأذى الناس من رائحته ، ولذلك كان تعجيل الدفن أولَى من تأخيره ، حتّى لا تتعرض جثة الميت للتغير ، وعلى ذلك عمل الناس من لدن آدم عليه السلام إلى يومنا هذا ، وكذلك تقول العامة : « إكرام الميت دفنه » .

وليس هناك وقت محدد للدفن ، لأنه جائز نهارا وليلا بلا كراهة ، ولقد مات أبو بكر ليلا ، ودفنوه قبل أن يصبح ، وهذا يُفهم منه أنهم كانوا لا يؤخرون الدفن .

ولا شك أن يوم الجمعة يوم عظيم ، وقد وردت في فضائله أحاديث وآثار ، ولكن تعجيل دفن الميت الذي مات قبل يوم الجمعة بيوم — كما في السؤال — أحسن من تأخيره .

وعمل الميت هو الأساس الذي ينفعه أو يضره ، « وأن ليس للانسان إلا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى » .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

النساء في الجنائز

السؤال : نرى في كثير من الأعيان نساء يسرن خلف الجنائز وهن يرتدين الملابس السوداء ، ويلطخن وجوههن وأيديهــن بالسواد ، ويصرخن ويولولن ، وتقودهن نائحة تثير فيهن الصراخ والعويل، فهل يرضى عن ذلك الدين ؟

الجواب :

ليس من الإسلام في شيء ما نراه من هذه المنكرات التي يرتكبها النساء أثناء تشييع الجنائز وإقامة المآتم ، ومن الواجب على ولاة الأمور منع هذه البدع التي لا يرضى عنها الدين ولا العقل . والتاريخ يحدثنا بأن أمير المؤمنين عمر ابن عبد العزيز رضي الله عنه كتب إلى بعض ولاته يأمره بأن يمنع مثل هذه المنكرات فقال له :

« أما بعد ، فإنه ذُكر لي أن النساء من أهل السفه والجفاء يخرجن إلى الأسواق عند موت الميت ناشرات رؤوسهن ، ينحن نياحة أهل الجاهلية ، ولعمري ما رُخِّص للنساء في وضع خُمُرهن منذ أُمرن أن يضربن بها على جيوبهن ، فانهَ عن هذه النياحة نهيا شديدا ، وتقدم إلى صاحب شرطتكم فلا يقرن نَوْحاً في دار ولا طريق ، فإن الله قد أمر المؤمنين عند مصائبهم بخير الأمرين في الدنيا والآخرة ، فقال : « الّذِينَ إذَا أصابَتْهُمْ مصيبةٌ قَالُوا: إنّا لله وَإنّا إليهِ راجعُونْ ، أولئكَ عليهِمْ صلواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وأولَئِكَ هُمُ المُهْتَدُونَ » .

كما يروي التاريخ عن الأوزاعي قال : بلغني أن عمر بن الخطاب رضوان الله عليه سمع صوت بكاء في بيت ، فدخل ومعه غيره ، فمال علهين ضربا ، حتى بلغ النائحة . فضربها حتى سقط خمارها ، وقال : اضرب ، فإنها نائحة لا حرمة لها ، إنها لا تبكي لشجوكم ، إنما تريق دموعَها على أخذ دراهمكم ، إنها تؤذي أمواتكم في قبورهم ، وأحياءكم في دورهم ، إنها تنهى عن الصبر الذي أمر الله به ، وتأمر بالجزع الذي نهى الله عنه .

ومن منكرات خروج النساء في تشييع الجنائز أنهن يختلطن **اختلاطا فاحشاً** بالرجال ، وتظهر منهن عورات ؛ وقد روى التاريخ عن أبي سلامة قال : انتهيت الى عمر وهو يضرب رجالا ونساءً في الحرم على حوض يتوضأون منه حتى فرّق بينهم ، ثم قال : يا فلان ؛ قلت : لبيك . قال : لا لبيك ولا سعديك ، ألم آمرك أن تتخذ حياضاً للرجال وحياضا للنساء ؟

وإذا كان عمر قد حرص على إبعاد النساء عن الرجال في الوضوء وفي الحَرَم ، فمن باب أولَى أن نمنع النساء عن الاختلاط بالرجال في تشييع الجنائز .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

القيام للجنازة

السؤال : **هل يجوز للمسلم إذا مرت عليه جنازة غير المسلم أن يقف لها حين مرورها عليه ؟ وما دليل ذلك إن كان جائزا ؟**

الجواب :

نعم يجوز للمسلم أن يقف لجنازة غير المسلم ، بل يسن له ذلك شرعا ، لأن المسلم حين يقف للجنازة لا يقف لصاحبها ، ولا يعظّم بقيامه عقيدةَ الميت التي تخالف عقيدة الإسلام ، ولكنه يقف إجلالا لموقف الموت الرهيب ، واتعاظاً بمشهد الرحيل من العالم الفاني إلى العالم الخالد الثاني واعتبارا برؤية نفس بشرية – أيّاً كانت – وهي تختم صفحاتها في دار العمل ، لتستقبل جزاءها في دار الحساب ، وأظن أن هذا الاعتبار يتعالى على النظر إلى الخلاف في العقيدة والدين ، لأنه اعتبار مجرد بعيد عن هذا الخلاف .

والدليل على سنة القيام لجنازة غير المسلم ما رواه الإمام أحمد في مسنده عن عثمان أنه رأى جنازة فقام إليها ، وقال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى جنازة فقام لها – أي دون سؤال عن دين الميت – وفي البخاري أن

جابر بن عبد الله قال : مرت بنا جنازة،فقام لها النبي صلى الله عليه وسلم ، فقمنا وقلنا : يا رسول الله إنها جنازة يهودي فقال : « إذا رأيتم الجنازة فقوموا » . وفي البخاري أيضا : وكان سهل بن حنيف وقيس بن سعد قاعدين بالقادسية ، فمروا عليهما بجنازة فقاما ، فقيل لهما : إنها من أهل الذمة . فقالا : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرت به جنازة فقام ، فقيل إنها جنازة يهودي ، فقال : « أليست نفسا ؟ » . وفي البخاري ومسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إذا رأيتم الجنازة فقوموا حتّى تخلفكم » — فعمّم ولم يفرّق بين جنازة المسلم وغيره — وأظن أن في هذا ما يكفي للاقناع والاقتناع .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الصلاة على المنتحر

السؤال : **هل تجوز صلاة الجنازة على الشخص المنتحر ؟**

الجواب :

إن الإسلام الحنيف قد شدد الانكار على من يقتل النفس البشرية ، وأنذر من يفعل ذلك بالعذاب الأليم والعقاب الشديد ، ولا شك أن قتل النفس يدخل في معناه الانتحار ، لأن المنتحر يقتل نفسه بنفسه ، ويزُهق روحَه بيده ، وهذا غاية في الشذوذ والانحراف ، وفوق هذا فإن الانتحار فرار من مواجهة الحياة ، ودليل على اليأس من رحمة الله ، وإذا كان قتل الإنسان لغيره جريمة كبرى ، فإن قتله لنفسه جريمة كبرى كذلك .

وقد وردت أحاديث صحيحة كثيرة رواها البخاري ومسلم وغيرهما في النهي عن الانتحار والوعيد عليه ، مثل قول النبي صلى الله عليه وسلم : « كان فيمن قبلكم رجل به جرح فجزع ، فأخذ سكينا فحزَّ بها يدَه ، فما رقأ الدم (أي سكن وانقطع) حتّى مات ، قال الله تعالى : بادرني (أي عاجلني)

عبدي بنفسه ، حرّمت عليه الجنة » . وقد ورد أن قاتل نفسه لا توبة له . وكذلك روى مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم جاءوا إليه برجل قَتَل نفسه فلم يصلِّ عليه .

وقال الإمام السعدي عن المنتحر : « الأصح عندي أنه لا يصلّى عليه ، لأنه لا توبة له » . وقد ذهب الى ذلك الإمام أبو يوسف من الحنفية ، إذ قال فيه : « إنه يغسل ولا يصلّى عليه » . ولكن جاء في حاشية ابن عابدين الحنفي أن من قتل نفسه ولو عمدا يغسل ويصلّى عليه ، قال : وبه يفتّى ، وإن كان المنتحر أعظم وزرا من قاتل غيره ، لأنه فاسق غير ساعٍ في الأرض بالفساد ، وإن كان باغيا على نفسه كسائر فساق المسلمين .

وجاء في الحاشية أيضا أن المنتحر إذا جرح نفسه أو طعنها يريد الانتحار ، وبقي حيا مدة من الزمن ، وتاب خلال ذلك ثم مات فينبغي الجزم بقبول توبته ، ولو كان مستحلا لذلك الفعل ، إذ التوبة من الكفر حينئذ مقبولة فضلاً عن المعصية ، ومقتضى هذا أنه يصلّى عليه في تلك الحالة .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

نقل عيون الموتى

السؤال : **يقوم بعض الأطباء بنزع عيون الموتى بعد وفاتهم مباشرة ، ونقلها إلى من فقدوا أبصارهم ، فما موقف الدين الإسلامي من هذا العمل ؟**

الجواب :

حرص الإسلام على تكريم الإنسان حيا أو ميتا ، فجعل له أثناء الحياة كرامةً وحرمة ، لا يجوز الاعتداء عليه في حسه أو نفسه أو ملكه ، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه » . وصانه بعد الموت من التمثيل به أو تشويه جسمه أو إهانته بصورة أخرى ، والقرآن الكريم يقرر مبدأ هذا التكريم بصورة رائعة حين يقول :

«ولقد كرمنا بني آدم ، وحملناهم في البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا» .

ولكن الضرورة قد تدعونا أحيانا إلى فحص جسم الشخص الميت ، أو قطع جزء من أجزائه ، ومن هنا أباح العلماء مثلا تشريحَ جسم الميت ، إذا كان هناك حاجة ماسة إلى ذلك . كإثبات جريمة ، أو تحديد تبعة ، أو معرفة داء ، كما أباحوا تشريح الجسم البشري لحكمة لها قيمتها ، كمعرفة أجزائه للانتفاع بذلك في البحث الطبي اللازم ، وقد اشترط العلماء في ذلك أن يكون مقصورا على قدر الحاجة ؛

ولا شك أن نقل عين الميت إلى آخر يراد منه منفعة لها قيمتها بالنسبة إلى الحي ، والميت لن ينتفع بعينه بعد وفاته ، ودفعُ الضرر عن المكفوفين أو المصابين في أعينهم مقصد جليل ، لا تأباه الشريعة التي دعت للتداوي والعلاج، والتي قررت أنه «لا ضَرَرَ ولا ضرار» وأن «الضرورات تبيح المحظورات» وأن «الضرر يُزال» .

ومن الواجب على الأمة الإسلامية أن يكون فيها من أبنائها من يمهر فنونَ الطب والعلاج ، حتى يستطيعوا أن يحققوا لأمتهم الانتفاع السليم بما في التداوي من خير ونفع . ومن هذا يتضح أن نقل عين الشخص الميت إلى آخر يحتاج إليها أمر جائز من الناحية الشرعية ، لأن قواعد الدين الكلية لا تعارضه .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الموتى وتصريف الأمور

السؤال : **هل هناك جلسات باطنية لتصريف الأمور ، وهل أرواح المشايخ موكّلة بقضاء الحاجات ؟ وهل تجب زيارتهم للتبرك وطلب الحاجات ؟ وهل الأرض مقسّمة بينهم لإدارتها ؟ وهل يصح أن ينذر المرء شيئا لله ويهب ثوابه لشيخ ميت ؟ وما رأيكم في زيارة الأضرحة وتقبيلها وتعفير الوجوه بترابها ، وغير ذلك مما نراه الآن شائعا بين جهلة المسلمين ؟**

الجواب :

هذا فيض من الأسئلة ، وإجابته تحتاج إلى كتاب مستقل لا إلى سطور في فتوى ، والحديث عن هذه الموضوعات مبسوط باستفاضة في كتب المحققين من علماء الملة السابقين والمعاصرين ، ومن الخير الرجوع إليها إذا أريد الوقوف على التفاصيل والفروع ، وحسبنا هذه اللمحة الوجيزة: الله جل جلاله هو رب الكون ومبدعه ومسيره ، وصاحب الكلمة الأولى والأخيرة فيه ، وهو الوهاب المعز المذل ذو القوة المتين ، وليس لأحد من عباده — كائنا من كان — أن يقدم أو يؤخر ، أن ينفع أو يضر إلا بإذن الله وهبة منه ، وحسبك قوله لرسوله أحبِّ خلقه إليه : « ليس لك من الأمر شيء » .

والإنسان في حياته عاجز فقير محتاج إلى ربه ، وهو بعد موته أكثر عجزاً وفقرا واحتياجا . وتستطيع أن تستبصر بهذه القاعدة المسلّمة ، فتحكم وأنت مطمئن القلب بأنه لم يثبت أن هناك جلسات من العباد لتصريف الأمور وشؤون الكون ، ولا أن أرواح المشايخ موكّلة بقضاء الحاجات أو متصرفة فيها ، وهي تعجز عن النفع والضر في حياتها ، فكيف بعد موتها ؛ ولا أن الكون موزّع بين أحياء أو موتى للتحكم في إدارته ، فكل هذه شطحات أو ظنون لم يقم عليها قاطع دليل أو يقين برهان .

نعم هناك الولاية والكرامة والإلهام ، وتفضيل بعض العباد على بعض في الدنيا والآخرة ، حسا ومعنى ، والشفاعة يوم الدين لمن أذن له الرحمن ، ولكل ذلك بيانٌ مفصل وشروط كثيرة مبسوطة في كتب الأقطاب من علماء الملة ، ولا بد من الرجوع إليها إذا أريد البحث والتمحيص .

والدعاء مستجاب بشروطه ، وصورُ استجابته كثيرة ، والحوائج قد تقضَى للداعي المقبول عاجلا أو آجلا ، فحسبه انعقاد النية ، والله عليم بذات الصدور ، وزيارة أضرحة الأولياء والصالحين غير ممنوعة ، إذا كانت للوفاء والتذكر والاعتبار ، ولم تصحبها وثنية أو إشراك أو مظاهر لا يقبلها الدين كالتقبيل والتعفير ، وسؤال الميت أن يقضي حاجته والعتاب عليه إذا لم يقضها ، وغير ذلك .

والله تبارك وتعالى أعلم .

الاستشفاءُ بزيارة القبور

السؤال : هناك أناس يطلبون شفاء مرضاهم عن طريق الطواف حول القبور ، وتقديم القرابين وإشعال الشموع ، ونحو ذلك ، فهل يجوز هذا في الإسلام ؟

الجواب :

من الأوهام الشائعة بين العامة اعتقادُهم في كثير من الأضرحة المقامة للأولياء والصالحين ، وظنهم أن لتلك القبور اختصاصاتٍ كاختصاصات الأطباء ، فمنهم من يذهب بالأطفال المرضى إلى بعض الأضرحة المشهورة ، ويمكثون بهم هناك مُدَداً معينة ، وفي أيام معينة ، كيوم الجمعة ، ويكررون الزيارة اعتقاداً منهم أن هذا يسبب الشفاء ، ويستعينون على ذلك أيضا بتقريب القرابين وإشعال الشموع ، ونحو ذلك .

وكل هذه ضلالات وأوهام لا أصل لها في الشريعة الغراء ، بل هي تشبه عقائدَ مضادة لعقيدة الإسلام ، ومن الواجب على المسلمين أن يقلعوا عن هذه الخرافات ، وأن يسلكوا الطريق السليم لعلاج الأمراض ، فإن الذي خلق الداء خلق الدواء، ولقد كان الرسول والصحابة والتابعون لهم بإحسان يتداوون بالدواء الملائم لشفاء المرض ، ولنا فيهم قدوة حسنة .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الاستعانة بالأموات

السؤال : هل يجوز شرعا أن نطلب تحقيق الأشياء أو قضاء الحاجات من النبي أو الولي ، وهل يجوز أن نطلب من الأموات المَدَدَ وشفاء الأمراض ونحو ذلك ، وهل من الحق ما يقال من أن النبي لم يمت ، وأنه حي في قبره كحياته في دنياه ؟

الجواب :

إن رسول الإسلام عليه أفضل الصلاة والسلام هو أفضل خلق الله تعالى وأكرم عباده ، وهو سيد المرسلين وخاتم النبيين ورحمة الله للعالمين ، وهو الرؤوف الرحيم ، والسراج المنير ، والبشير النذير ، وصاحب الخُلُق العظيم . وقائد الغر المحجلين ؛ وصفات الرسول الكريم لا تحصى هنا ، فهي كالمحيط الزاخر ؛ ولكن بعض الناس مع الأسف لا يفرِّق بين صفات الرسول الحسية والمعنوية والأخلاقية ، وبين وظيفته واختصاصه ، فمحمد نبي ورسول وهادٍ ومعلم وطهور ومعصوم ، وطراز كامل للانسانية في أرقى مجاليها ، ولكنّه ليس إلها خالقاً ، بل هو بشر يستوي مع الناس جميعا أمام الله سبحانه ، من ناحية مغايرته للحوادث واختصاصه بالإيجاد والإعدام ، وانفراده بحقيقة النفع والضر ، وما إلى ذلك ...

ولسنا نقول هذا القول ابتداعا أو تهجما أو متابعة لفرقة أو طائفة ، وإنما نأخذه من الدستور الأقدس وهو القرآن الكريم ، فالحق عزَّ من قائل يقول لرسوله : « لَيْسَ لكَ مِنَ الأمْرِ شَيْء » . ويقول له : « إنّكَ مَيِّتٌ وإنّهُم مَيِّتُون » ويقول له : « وَمَا رَمَيْتَ إذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى » ، ويقول عنه : « وَمَا مُحَمّدٌ إلاّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبلِهِ الرُّسُلُ ، أفَإنْ مَاتَ أوْ قُتِلَ انقلَبْتُمْ عَلَى أعقابِكُمْ ؟ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شيئاً ، وَسَيَجْزِي اللهُ الشّاكِرِينَ » . ويقول : « ما عَلَى الرَّسُولِ إلاَّ البَلاَغُ ، واللهُ يَعلَمُ ما تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ » ويقول : « وَمَا كَانَ لِرسُولٍ أنْ يأتِيَ بِآيَةٍ إلاّ بإذنِ اللهِ » . ويأمره قائلا : « قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي ، هَلْ كُنْتُ إلاّ بَشَراً رَسُولاً » .

ومن هنا نعلم أن الأمر كلّه بيد الله ، وأن الرسول عبد من عباد الله ، وهذا لا يمنع بطبيعة الحال أن يكون أعلى خَلْق الله وأقرب العباد إلى الله ، ولذلك يحسن إظهاراً للعبودية لله ، وتمجيداً لعقيدة التوحيد ، وإخلاصا لرب العالمين ، أن نطلب حاجاتنا منه لا من سواه ، فهو أكرم مسؤول وأكبر

مأمول . والرسول نفسه يعلّمنا هذا ، ويأمرنا به ، في حديثه الصحيح فيقول : « إذا سألتَ فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله » . وهو صلوات الله وسلامه وبركاته وتحياته عليه لا يرضيه أبدا أن نترك باب الله إلى أي باب غيره ، فماذا بعد الحق إلا الضلال ؟

وما دام هذا قد وضح بشأن الرسول الكريم العظيم ، فهو بشأن غيره أوضح ، فلا يجوز أن نطلب تحقيقَ الأشياء أو قضاء الحاجات أو شفاء الأمراض أو المَدَدَ من وليٍّ أو تقي : ميت أو حي ، بل الله وحده فاسأل ، ثم ذرهم في غيهم يعمهون .

والرسول قد مات وأبو بكر يقول عقيب موته : « من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت » ، وقد انتقل الرسول بذلك من دنياه إلى أخراه ، ولكنه برغم هذا حيٌّ في قبره ، لأنه أكثر فضلا وأعز شأنا من الشهداء الذين يقول فيهم القرآن الكريم : « وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أمواتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمِ يُرْزَقُونَ » . ولكن هذه الحياة لا ندري كنهها بالذات ، وهي ليست كحياتنا في الدنيا من كل وجه ، ولا يهمنا كثيرا أن نعرف حقيقتَها بالضبط ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

شعور الأموات بعمل الأحياء

السؤال : هل يشعر الأموات بأعمال أهليهم الأحياء ؟ وإذا كانوا يشعرون بها فهل يدعون لأهليهم بخير وهم في العالم الآخر ؟ وهل تستجاب هذه الدعوات فينتفع بها الأحياء ؟

الجواب :

تدل النصوص الدينية على أن الأموات يشعرون بأعمال الأحياء ، فيسرون للطيب الجميل منها ، ويألمون للخبيث الذميم ، ويستوي في هذا الشعور

الطائعون والعصاة من الأموات ، وهم ينتفعون بحسنات الأحياء كالصدقات والعبادات والدعاء ؛ ولا حَجْرَ على فضل الله أن يتيح لمقرَّب لديه فرصة الدعاء لأحد الأحياء ويستجيب له ، وقد أفاض الإمام الغزالي رضي الله عنه في حديثه عن الموت وأحوال الأموات ، والرؤى التي رآها صالحو الأحياء مع هؤلاء الأموات ، ومن هذا الحديث المستفيض ندرك أن هناك صلةً روحية معقودة بين العالم الدنيوي والعالم الأخروي ، وأن الأموات يدركون بأرواحهم ما يجري بيننا في هذا العالم ، ويتأثرون به غضباً ورضا ..

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

عذاب القبر

السؤال : هل في القبر عذاب إلى يوم القيامة ؟ وهل في القرآن الكريم أو السنة المطهرة ما يشير إلى وجود العذاب في القبر ؟

الجواب :

الثابت في الإسلام أن عذاب القبر حق ، وذلك بدليل قول الله سبحانه وتعالى عن آل فرعون في سورة المؤمن: « وحاقَ بآلِ فرعونَ سوءُ العَذابِ ، النارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْها غُدُوّاً وَعَشِيّاً ، وَيَوْمَ تَقُومُ السّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرعَوْنَ أَشَدَّ العَذَابِ » . أي أن العذاب السيء يحيق بآل فرعون ، وهو أنهم يُعْرَضون على النار في قبورهم صباحاً ومساءً قبل قيام الساعة، وهي القيامة ، فإذا قامت القيامة قيل لملائكة العذاب : أدخلوا آل فرعون أشدَّ العذاب ، وهو عذاب النار الأليم .

وكذلك قال الله تعالى عن الفاسقين الكافرين : « وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ العَذَابِ الأدنَى دونَ العذابِ الأكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يرجعُونَ » . فقد ذكر المفسرون أن العذاب الأدنى — أي الأقرب أو الأقل — هو عذاب القبر ، وأن العذاب الأكبر هو عذاب يوم القيامة .

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم في حديثه : « القبر إما روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حُفَر النار » . فقوله عليه الصلاة والسلام : « أو حفرة من حفر النار » دليل على أن عذاب القبر ثابت ودائم ، وإن لم نعرف الكيفية التي يكون عليها هذا العذاب .

وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم عن سؤال القبر جاء أن الكافر بعد أن يسأله المَلَكان فيسيء الإجابة ، يضربانه بمقامع من حديد معوجة الرؤوس ، ويتألم منها الكافر ويصيح ، وفي حديث آخر أن النبي صلى الله عليه وسلم لما توفيت بنتُه زينب رضي الله عنها وخرجوا بجنازتها حَزِنَ واكتأب ، ثم نزل قبرها عند دفنها ، وخرج منه وجهه يلتمع ، فسألوه عن سر ذلك ، فقال عن زينب ابنته : « إنها كانت امرأة مسقاما – أي كثيرة المرض – فذكرت شدة الموت وضغطة القبر ، فدعوت الله فخفف عنها » . وضغطة القبر فيها لون من العذاب في القبر .

وقد قال الإمام الرازي في تفسيره لآية سورة « المؤمن » السابقة ما نصه :

« احتج أصحابنا بهذه الآية على إثبات عذاب القبر ، قالوا : الآية تقتضي عرضَ النار عليهم غُدوا وعشيا ، وليس المراد منه يوم القيامة ، لأنه قال : « وَيَوْمَ تقومُ السّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرعَوْنَ أَشَدَّ العَذابِ » وليس المراد منه أيضا الدنيا ، لأن عرض النار عليهم غدوا وعشيا ما كان حاصلا في الدنيا ، فثبت أن هذا العرض إنما حصل بعد الموت وقبل يوم القيامة ، وذلك يدل على إثبات عذاب القبر في حق هؤلاء ، وإذا ثبت في حقهم ثبت في حق غيرهم ، لأنه لا قائل بالفرق ، فإن قيل : لم لا يجوز أن يكون المراد من عرض النار عليهم غدوا وعشيا عرض النصائح عليهم في الدنيا ، لأن أهل الدين إذا ذكروا لهم الترغيبَ والترهيب ، وخوّفوهم بعذاب الله فقد عرضوا عليهم النـــار .

ثم نقول : في الآية ما يمنع من حَمْلِه على عذاب القبر ، وبيانُه من وجهين الأول أن ذلك العذاب يجب أن يكون دائماً غير منقطع ، وقوله : « يُعْرَضونَ

عَلَيْها غُدُوّاً وَعَشِياً » يقتضي ألا يحصل هذا العذاب إلا في هذين الوقتين ، فثبت أن هذا لا يمكن حمله على عذاب القبر .

الثاني : أن الغدوة والعشية إنما يحصلان في الدنيا ، أما في القبر فلا وجود لهما ، ، فثبت بهذين الوجهين أنه لا يمكن حمل هذه الآية على عذاب القبر .

والجواب عن السؤال الأول أن في الدنيا عرض عليهم كلمات تذكرهم أمر النار ، لا أنه يعرض عليهم نفس الآية فعلى قولهم يصير معنى الآية : الكلمات المذكِّرة لأمر الناس كانت تعرض عليهم ، وذلك يُفضي إلى ترك ظاهر اللفظ والعدول إلى المجاز .

وأما قوله : الآية تدل على حصول العذاب في هذين الوقتين ، وذلك لا يجوز . قلنا : لم لا يجوز أن يُكتفَى في القبر بإيصال العذاب إليه في هذين الوقتين ، ثم عند قيام القيامة يلقى في النار ، فيدوم عذابه بعد ذلك ؟

وأيضا لا يمتنع أن يكون ذكر الغدوة والعشية كنايةً عن الدوام ، كقولهم: « ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا » .

أما قوله : إنه ليس في القبر والقيامة غدوة وعشية ، قلنا : لم لا يجوز أن يقال إن عند حدوث هذين الوقتين لأهل الدنيا يُعْرَض عليهم العذابُ ، والله أعلم » . انظر تفسير الفخر الرازي ج ٧ ص ٢٢١ .

وأظن أنه بعد ذكر هذا النص المفصَّل قد صار الجواب على سؤال السائل كافيا شافيا .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

ما ينفع بعد الموت

السؤال : هل هناك أعمال تفيد الأنسانَ بعد موته ؟ وما تلك الأعمال ؟

الجواب :

نعم هناك أعمال تفيد الإنسان بعد موته ، بتوفيق الله وفضله سبحانه ، وفي طليعة هذه الأعمال ما يتركه الإنسان خلفَه من علم نافع يقيِّده ويكتبه وينشره ، فيُحيي به سنةً أو يدعو به إلى هدى ، ولذلك روى مسلم وأبو داود والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه ، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام مَن تبعه ، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا » .

وكذلك روى مسلم والترمذي عنه أيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من سنَّ في الإسلام سنة حسنة فعُمِل بها بعده ، كتب له مثل أجر من عمل بها ، ولا ينقص من أجورهم شيء ، ومن سن في الإسلام سنة سيئة ، فعُمل بها بعده ، كتب عليه مثل وزر من عمل بها ، ولا ينقص من أوزارهم شيء » .

وعن عوف المزني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لبلال بن الحارث : اعلم ؛ قال : ما أعلم يا رسول الله قال : اعلم يا بلال . قال : أعلم يا رسول الله ؟ قال : « إنه من أحيا سنة من سنتي قد أميتت بعدي فإن له من الأجر مثلَ من عمل بها ، من غير أن ينقص من أجورهم شيئا ، ومن ابتدع بدعة ضلالة لا تُرضي اللهَ ورسوله ، كان عليه مثل آثام من عمل بها ، لا ينقص ذلك من أوزار الناس شيئاً » .

وهناك أعمال أخرى تنفع الإنسانَ بعد موته ، وقد أشار إليها حديثان نبويان ، أولهما رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي ، وفيه : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية (أي متصلة دائمة كوقف دار أو أرض على الخير) أو علم يُنتفع به (كالكتب) أو ولد صالح يدعو له » .

والحديث الآخر رواه ابن ماجة والبيهقي ، وهو يقول : « إن مما يلحق

المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علماً علمه ونشره ، وولدا صالحا تركه ، أو مصحفا ورثه ، أو مسجدا بناه ، أو بيتا لابن السبيل بناه ، أو نهرا أجراه ، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه من بعد موته » .

وقد أحصى بعض العلماء ما ورد في هذين الحديثين وغيرهما من الأعمال التي تفيد الميت بعد موته ، ونظمها في أبيات من الشعر قال فيها :

إذا مات ابنُ آدم ليس يجري   عليه من فعالٍ غيرُ عشرِ
علوم بثّها ، ودعاء نجْلٍ   وغرس النخل ، والصدقات تجري
وراثة مصحف ، ورباط ثغر   وحفر البئر ، أو إجراء نهر
وبيت للغريب بناه يأوي   إليه ، أو بناء محل ذكر
وتعليم لقرآن كريم   فخذها من أحاديث بحصر

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الروح عند الموت وبعده

السؤال : يقولون إن الإنسان بعد أن يموت يشعر ويسمع ما يدور حوله وهو على سرير الموت ، وكذلك وهو في النعش ، فهل هذا صحيح ؟

الجواب :

رُوي في السنة النبوية المطهرة أن الميت يعرف من يتولى تجهيزه ودفنه ، لاتصال جسده بروحه حينئذ ، فقد روى الإمام أحمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الميت يعرف من يحمله ، ومن يغسله ، ومن يدليه في قبره » . وفي رواية الطبراني : « إن الميت ليعلم من يغسله ، ومن يكفنه ، ومن يدليه في حفرته » .

وقد ورد كذلك في السنة المطهرة ما يفيد أن روح العبد الصالح تخرج من جسم صاحبها عند الموت ، ثم تعود إلى جسمه في قبره ، ويقول أبو موسى

الأشعري : « تخرج روح المؤمن أطيب من ريح المسك ، **فتنطلق بها الملائكة الذين** يتوفونه ، فتتلقاه ملائكة من دون السماء ، **فيقولون : هذا فلان بن فلان** ، فعل كيت وكيت بمحاسن عمله ، **فيقولون** : مرحباً بكم وبه ، **فيقبضونها** منهم ، فيُصْعَد به من الباب الذي كان يصعد منه عمله ، **فتُشْرق** في السموات ، ولها برهان كبرهان الشمس ، حتى يُنتهى بها إلى العرش » .

ويقرر العلماء أن الروح بعد مفارقتها جسدها تسمع السلام عليها ، وتعرف من يزور قبر صاحبها ، وتشعر بلذة النعيم ، وتشعر بألم العقاب ان كان هناك عقاب لها ، كما يقررون أن هناك اتصالا خاصا بأجساد أصحابها في قبورهم ، وبهذا الاتصال الخاص يكون إدراك الميت للأشياء ، والله جل جلاله هو وحده الذي يعلم حقيقة هذا الاتصال وكيفيته .

وينبغي أن نعلم أن الأرواح بعد الوفاة تكون مختلفة الأحوال والمراتب بحسب اختلاف أصحابها في مقاماتهم ومنازلهم ودرجاتهم عند الله تعالى ، فهناك أرواح في أعلى عليين ، وأرواح في حواصل طير خُضْر تسرح في الجنة حيث شاءت وأرواح محبوسة في الأرض ، وغير ذلك .

وصدق العلي الكبير حيث يقول في سورة الإسراء : « وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً » .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الصلاة على أكثر من ميت

السؤال : **هل يجوز أن يصلي الإمام على جنازتين معا ؟ وهل يجوز ذلك إذا كانت الجنازتان لذكر وأنثى ؟**

الجواب :

جرت العادة بين المسلمين أن يصلوا على ميت واحد ، ذكراً كان أو أنثى ، وإذا كان هناك أكثر من ميت فالأفضل أن يصلي الناس على كل ميت على

انفراد ، وفي هذه الحالة يُقدَّم أولا الأفضلُ فالأفضل في الصلاة عليه .

ولكن لا مانع شرعا من الصلاة على أكثر من ميت دفعة واحدة ، لأن الصلاة على الميت دعاء ورجاءُ مغفرة ورحمةٌ وفضل من الله عز وجل ، وهذا يتحقق في الصلا ة الواحدة المشتركة بين أكثر من ميت ، وبدل أن يقول المصلي صلاة الجنازة : اللهم اغفر لفلان أو فلان ، يقول : اللهم اغفــر لهؤلاء ... وهكذا .

وإذا حضر أكثر من ميت ، وأُريدَ الصلاةُ عليهم صلاةً واحدة مشتركة، فإن كان الموتى من نوع واحد ، بأن كانوا رجالاً فقط ، أو كانوا نساءً فقط ، فالأفضل أن يوضعوا واحداً بعد واحد مما يلي القبلة ، ليكون الإمام واقفا بحذاء الكل عند صلاة الجنازة ، ويُجعل أفضلُهم مما يلي الإمام ، لأن الرسول عليه الصلاة والسلام قد قال : « ليلني منكم أولو الأحلام والنُّهَى ، ثم الذين يلونهم » . أي : ليتبعني منكم أولا في صفوف الصلاة الكبراء والعقلاء

وكذلك رُوي أن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه صلى في موقعة صفين على عمار بن ياسر وهاشم بن عتبة ، فكان عمار أقربهما إلى الإمام علي رضوان الله على الجميع .

ولا مانع من جعلهم صفا واحداً ، كما كانوا يصطفون عند أداء الصلاة في أثناء حياتهم .

وأما إذا كان الموتى الحاضرون من النوعين : أي كانوا ذكورا وإناثاً ، فإنه من الجائز أن يصلى على كل نوع منهما على حدة ، فيصلى على الرجال معا ، ويصلى على النساء معا ؛ وقد رُوي أن عبدالله بن مغفل صلى على الرجال على حدة ، وصلى على المرأة على حدة ، ثم قال : هذا الذي لا شك فيه .

ويجوز أن يُصَلَّى على الرجال والنساء معا دفعةً واحدة ، حيث يوضع الرجال مما يلي الإمام ، ويوضع النساء خلف الرجال من جهة القبلة ، كما يكون الشأن في ترتيب الصفوف في الصلاة ؛ وقد أخرج البيهقي أنه كان في الشام طاعون مات فيه خلق كثير ، فكانوا يصلون على جنائز الرجال والنساء جميعا.

ولو وُجد من الموتى رجل وصبي وخنثى وامرأة وصبية ، يُجعل الرجل أولا مما يلي الإمام ، ثم الصبي ، فالخنثى ، فالمرأة ، فالصبية .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

التيمم لصلاة الجنازة

السؤال : **رجل أدركته الجنازة ولم يكن متوضئا ، ولم يكن بساحة المقبرة ماء ، وخاف إن توضأ بالماء أن تفوته صلاة الجنازة ، فهل يجوز له أن يتيمم ويصلي على الجنازة ؟**

الجواب :

الوضوء شرط من شروط الصلاة ، لأن الله تبارك وتعالى يقول في سورة المائدة : « يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق ، وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين » . والرسول صلوات الله وسلامه عليه يقول : « لا يقبل الله صلاة بغير طهور » .

والصلاة على الجنازة نوع من أنواع الصلاة — وإن كان أكثرها دعاء — فتأخذ حكم الصلاة ، وقد عدّ القرآن الكريم صلاة الجنازة من أنواع الصلاة ، حيث قال عن المنافقين في سورة التوبة : « ولا تصل على أحد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره » .

ولذلك اشترط الفقهاء الوضوء بالماء لصلاة الجنازة ، وقال الإمامان مالك والشافعي إنه لا يجوز التيمم لخوف فوات صلاة الجنازة مع وجود الماء .

ولكن هناك جماعة من الفقهاء ، معهم سفيان الثوري والأوزاعي يقولون بجواز التيمم لمن خاف أن تفوته صلاة الجنازة إذا استعمل الماء في الوضوء ، فيباح له حينئذ أن يتيمم ويصلي صلاة الجنازة .

وقد استدلوا على ذلك بأن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما حضرته جنازة وهو غير متوضىء ، فتيمم وصلى على الميت ، وكذلك رُوي عن عبد الله بن

عباس رضي الله عنهما ، أنه قال : « إذا فجأتك الجنازة وأنت على غير وضوء فتيمم » . وهذا لا يمكن أن يقال بالرأي ، فلا بدّ له من سند وأصل .

وردّ هؤلاء المجيزون على من منعوا التيمم بقولهم إن صلاة الجنازة خصت بجواز التيمم لمن خاف فواتها إذا استعمل الماء ، فكان هذا كالاستثناء .

هذا ، وإذا كان المصلي لصلاة الجنازة هو ولي الميت ، فإنه لا يصح له التيمم مع وجود الماء اتفاقا ، لأن الدين أعطى وليّ الميت الحقّ في إعادة الصلاة على ميته بعد صلاة غيره عليه ، ولذلك لا يوجد في حقه خوفُ فوات الوقت لهذه الصلاة .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

القرآن الكريم والتفسير

فهم العرب للقرآن

السؤال : **هل كان أهل مكة ويثرب يفهمون القرآن حين نزوله على النبي صلى الله عليه وسلم بدون تعليم ، أو كان النبي يقوم بترجمته وشرحه للناس؟**

الجواب :

لقد نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين ، وقال الله تبارك وتعالى عنه : « إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً » . وقد نزل هذا الكتاب الإلهي المجيد على قوم هم فُرْسان البلاغة وأمراء البيان ، ولذلك كانوا يفهمون عبارتَه ، ويعرفون المرادَ منها ، وإن كانت بعض الآيات تحتاج إلى تفسير وتحديد . فكان الرسول صلى الله عليه وسلم عند التطبيق لأحكام القرآن أو التعليم لآياته يفسر المراد من هذه الآيات ، لأن القرآن الكريم فيه آيات عامة تحتاج إلى تخصيص وبيان، وأما الذين لا يعرفون اللغة العربية فكانوا يحاولون تعلُّمَ هذه اللغة ، لكي يفهموا بها كتاب الله تعالى ، أو يُتَرْجم معنى الآية لهم حتى يفهموه ، وقد جاء في الحديث النبوي الشريف تفسيرٌ لطائفة من آيات القرآن الكريم وألفاظه، وفي تفسير الإمام ابن جرير الطبري ما يشير إلى ذلك في مواطن كثيرة .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

العناية بلغة القرآن

السؤال : **سمعتك كثيرا في خطبك المذاعة ، وقرأت لك أكثر من مرة تتحدث عن العناية باللغة العربية وتقول إن العناية بها أمر يدعو إليه الدين ، فكيف ذلك واللغة تتعلق بالناحية القومية ، والدين يتعلق بالعقيدة ؟**

الجواب :

نعم إن العناية باللغة العربية أمر يدعو إليه الإسلام ويحض عليه ، ذلك لأن العناية بها عنايةٌ بدستور الإسلام الأول ، وهو القرآن الكريم ، لأن الله تبارك وتعالى قد أنزل هذا القرآنَ عربيا مبينا ، وهو نمط من البلاغة العربية لا يجارَى ولا يبارَى ، وفهمُ هذا القرآن يحتاج إلى معرفة اللغة العربية ، ولو جهلنا العربيةَ لما استطعنا فهم القرآن ، ولذلك وجب على المسلمين أن يعنوا بلغة القرآن .

وحسبي أن أسوق إليك هذه العبارة التي ذكرها أبو منصور الثعالبي النيسابوري في صدر كتابه « فقه اللغة » ، وفيها يتحدث عن مكانة اللغة العربية ، فيقول : « من أحبَّ اللهَ تعالى أحبَّ رسولَه محمدا صلى الله عليه وسلم ، ومن أحب الرسولَ العربي أحبَّ العرب ، ومن أحبَّ العربَ ، أحب العربيةَ ، التي نزل بها أفضلُ الكتب ، على أفضل العجم والعرب ، ومن أحب العربية عُنِيَ بها ، وثابر عليها ، وصرف همتَه إليها .

ومَنْ هداه الله للاسلام ، وشرح صدره للايمان ، وآتاه الله حسنَ سريرة فيه ، اعتقد أن محمدا صلى الله عليه وسلم خير الرسل ، والإسلامَ خير الملل ، والعربَ خير الأمم ، والعربية خير اللغات والألسنة ، والإقبال على تفهمها من الديانة ، إذ هي أداة العلم ، ومفتاح التفقه في الدين ، وسبب إصلاح المعاش والمعاد ، ثم هي لإحراز الفضائل والاحتواء على المروءة ، وسائر أنواع المناقب كالينبوع للماء ، والزند للنار . ولو لم يكن في الإحاطة بخصائصها ، والوقوف على مجاريها ومصارفها ، والتبحر في جلائلها ودقائقها ، إلا قوة اليقين في معرفة إعجاز القرآن وزيادة البصيرة في إثبات النبوة ، التي هي عُمدة الإيمان ، لكفى بهما فضلا يحسن فيهما أثره ، ويطيب في الدارين ثمره ... فكيف وأيسرُ ما خصَّها الله عز وجل به من ضروب الممادح ، يكل أقلام الكتبة ، ويتعب أنامل الحسبة » .

أرأيت ؟ ليتنا نعرف واجبنا نحو اللغة العربية : لغة القرآن ونؤديه كما ينبغي . إذن لكسبنا في ميدان العقيدة وميدان القومية معا فليت قومي يعلمون

ثم هذا هو السيد محمد رشيد رضا يتحدث في كتابه « الوحي المحمدي » عن لغة القرآن فيقول : « وما زال الحكماء الباحثون في مصالح البشر العامة يتمنون لو يكون لهم لغة واحدة مشتركة ، يتعاونون بها على التعاون والتآلف ومناهج التعليم والأدب ، والاشتراك في العلوم والفنون والمعاملات الدنيوية ، وهذه الأمنية قد حققها الإسلام بجعل لغة الدين والتشريع والحكم لغة جميع المؤمنين به ، والخاضعين لشريعته ، إذ يكون المؤمنون مسوقين باعتقادهم ووجدانهم إلى معرفة كتاب الله وسنة رسوله ، لفهمهما والتعبد بهما ، والاتحاد بإخوتهم فيهما ، وهما مناط سيادتهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة ، ولذلك كرر في القرآن بيان كونه عربيا وحكما عربيا ، وكرر الأمر بتدبره والتفقه فيه ، والاتعاظ والتأدب به ، وأما غير المؤمنين فيتعلمون لغة الشرع الذي يخضعون لحكمه ، والحكومة التي يتبعونها لمصالحهم الدنيوية ، كما هي عادة البشر في ذلك ، وكذلك كان الأمر في الفتوحات الإسلامية العربية كلها .

وقد فصلت في المنار والتفسير مسألة وجوب تعلم اللغة العربية في دين الإسلام ، وكونه مجمعا عليه بين المسلمين ، كما قرره الإمام الشافعي رضي الله عنه في رسالته ،وهو الذي جرى عليه العمل في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين ، ثم خلفاء الأمويين والعباسيين ، إلى أن كثر الأعاجم وقل العلم وغلب الجهل ، فصاروا يكتفون من لغة الدين بما فرضه الله في العبادات من القرآن والأذكار »[1] .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

أجر قراءة القرآن

السؤال : هل تجوز تلاوة القرآن بالأجر ؟ وهل في الشريعة دليل على ذلك ؟

---

١ - انظر كتابي « وسائل تقدم المسلمين » ، ص ١٢٨ - ١٣٠ مطبعة دار العالم العربي سنة ١٩٥٩م .

الجواب :

الأصل أن قراءة القرآن الكريم عبادة يتقرب بها الإنسان من ربه ، لأن قراءة القرآن مفتاح لمعرفة أحكام الله سبحانه وتعالى ، والعبادة لا يأخذ عليها الإنسان أجرا . وإنما يكون له ثوابه عليها من الله جل وعلا ، وقد رُوي عن عبد الرحمن بن شبل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اقرأوا القرآن ، واعملوا به ، ولا تجفوا عنه (أي لا تعرضوا) ولا تغلوا فيه ؛ (أي لا تسرفوا) ولا تأكلوا به ، ولا تستكثروا به » . وقد أخرج هذا الحديث الطبراني والبزار والبيهقي . وهو يدل على نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن أخذ أجرة على قراءة القرآن الكريم ، لأن قوله صلى الله عليه وسلم : « ولا تأكلوا به ، ولا تستكثروا به » يفيد النهي عن أخذ الشيء من المال مقابل القراءة .

ولذلك قال السادة الحنفية إنه لا يجوز أخذ الأجرة على قراءة القرآن ، وقالوا أيضا إن القارىء إذا قرأ شيئا من القرآن بأجر ، ووهب ثواب هذه القراءة لميت ، فإن ثوابها لا يصل إلى هذا الميت ، ويكون الآخذ للأجرة ، والمعطي لها آثمين قد ارتكبا ذنبا .

وقد جاء في حديث آخر . « أحق ما أخذتم عليه أجرا كتاب الله » . ولكن الحنفية قالوا إن هذا الحديث خاص بموضوع الرُّقْية .

ولكن إذا كان الشخص القارىء معلّما للقرآن ، يعلّم الصبيان آياته ، ويكررها لهم ليحفظوها ، ويضبط لهم قراءتهم حتى تستقيم ، فإن هذا الشخص يجوز له أخذُ الأجر في مقابل التعليم ، لا في مقابل مجرد القراءة ، ما دام الشخص متفرغا لذلك التعليم ، ويتخذه سببا من أسباب الرزق .

والله تبارك وتعالى أعلم .

• • •

المعراج في القرآن

السؤال : **نعلم أن ذكر الإسراء قد ورد في القرآن ، فهل ورد فيه ذكر للمعراج ؟**

الجواب :

جاء ذكر الإسراء في أول سورة الإسراء ، حيث يقول الله تبارك وتعالى : « سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إِلى المَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ » .

وجاء ذكر المعراج في أول سورة النجم حيث يقول الله تبارك وتعالى عن النبي صلى الله عليه وسلم وجبريل : « عَلَّمَهُ شَدِيدُ القُوَى ، ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ، وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى ، ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ، فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَو أَدْنَى ، فأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ ما أَوْحَى ، مَا كَذَبَ الفُؤَادُ مَا رَأَى ، أَفَتُمَارُونَه عَلَى مَا يَرَى ، وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ، عِنْدَ سِدْرَةِ المُنْتَهَى ، عِنْدَهَا جَنَّةُ المَأْوَى ، إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ ما يَغْشَى ، مَا زَاغَ البَصَرُ وَمَا طَغَى ، لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الكُبْرَى » .

وإذا رجعنا إلى تفسير ابن جرير الطبري في هذه الآيات وجدنا معناها بالإجمال هو ما يلي : « إن الذي علم محمدا صلى الله عليه وسلم بأمر الله ووحيه هو جبريل القوي الشديد القُوى ، السليم من الآفات ، لقد ارتفع جبريل ومعه محمد إلى الأفق الأعلى ، وذلك حين إسراء النبي ، حيث ارتفعا في المعراج إلى مطلع الشمس وهو المراد بقوله الأفق الأعلى .

ثم دنا جبريل من محمد صلى الله عليه وسلم وقرب منه ، وقد روى أنس أن جبريل في ليلة الإسراء عرج بالنبي إلى السماء السابعة ، ثم علا به بما لا يعلمه إلا الله ، حتى جاء سدرةَ المنتهى ، ودنا الجبار رب العزة فتدلى ، حتى كان منه قابَ قوسين أو أدنى ، فأوحى الله إليه ما شاء ، فأوحى إليه فيما أوحى خمسين صلاة ، على أمته كل يوم وليلة . وقيل إن معنى قاب قوسين

هو قدر ذراعين ، وقوله : « أَفَتُمارُونَهُ عَلَى ما يَرَى » موجه للكفار ، ومعناه أنه لا يليق بكم أيها الكافرون أن تجادلوا النبي صلى الله عليه وسلم فيما رآه . فإنه صادق فيما رآه . ولقد رأى النبي جبريلَ مرة أخرى عند سدرة المنتهى ، وهي الشجرة التي ينتهي إليها علم الخلائق ، وعندها أيضا الجنة التي هي مأوى الشهداء .

وإن بصر النبي أثناء المعراج لم ينحرف يمينا ولا شمالا ، بل رأى ما أراد الله له أن يراه فقط ، والذي رآه كثير وعظيم ، ولذلك يقول الله تعالى : « لَقَدْ رَأَى مِنْ آيات رَبِّه الكُبْرَى » .

والخلاصة أن هذه الآيات الكريمة تشير إلى المعراج .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

القرآن والرسول

السؤال : **أيهما أفضل : القرآن الكريم أم الرسول عليه الصلاة والسلام ؟**

الجواب :

لا تصح المفاضلة بين القرآن الكريم والرسول صلى الله عليه وسلم ، لأن المقارنة إنما تكون بين شيئين من جنس واحد ، والقرآن هو كلام الله تبارك وتعالى ، الهادي إلى الحق وإلى صراط مستقيم ، والرسول بشر ، عصمه ربه ، وبعثه إلى الناس مبشرا ونذيرا ، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا .

هذا ولقد ذكر السيوطي في كتابه « الإتقان في علوم القرآن » أن الدارمي قد أخرج من حديث عبد الله بن عمر مرفوعا : « القرآن أحبُّ إلى الله من السموات والأرض ومن فيهن » . وهذا تمجيد للقرآن من غير شك ، وقد جاء في الحديث الصحيح كذلك : « وفضل كلام الله تعالى على سائر الكلام كفضل الله على خلقه » . وذلك لأن القرآن كلام الله العزيز المجيد .

والرسول صلوات الله وسلامه عليه له مكانته ومنزلته ، والقرآن يقول عن الرسول : « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ » . وفي الحديث يقول

النبي : « إن الله خلق الخلق فجعلني من خيرهم » . ويقول : « أنا سيد ولدِ آدم يوم القيامة » .

وينبغي للمسلم أن يصرف نفسَه عن مثل هذه المقارنات التي لا يترتب عليها فائدة ، وليشغل نفسه بما يفيده في دينه ودنياه ، والله ولي التوفيق .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

القرآن والمخترعات

السؤال : هل نستطيع أن نقول إن المخترعات التي نشاهدها الآن مستنبطة من القرآن الكريم ؟

الجواب :

القرآن الكريم هو كتاب الله عز وجل ، وقد جعله الله سبحانه سببَ هداية للناس ، ومفتاحَ سعادة لهم ، وبابا لتعليمهم وتقويمهم ، ولذلك يقول الله تبارك وتعالى عن القرآن المجيد : « ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ » . ويقول في آية أخرى : « قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نورٌ وَكِتابٌ مُبِينٌ ، يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ ، وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إلى النُّورِ بِإِذْنِهِ ، وَيَهْدِيهِمْ إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ » .

والقرآن مقصده الأساسي أن يبين للناس عقيدتَهم وشريعتهم ، كما يبين لهم الأخلاق والآداب الفردية والجماعية التي يجب أن يتحلى بها عباد الله الذين يرجون رحمتَه ويخشون عذابه ، فالقرآن إذن كتاب هداية وإرشاد ، وإصلاح للأفراد والجماعات ، وتنظيم لشؤون الفرد والمجتمع ، كما أراد العليم الخبير .

فلا يلزم — والحالة هذه — أن يشتمل القرآن الكريم صراحة على كل صغيرة

وكبيرة من مسائل العلوم المادية والمخترعات الحديثة وما شابهها ، وهذا لا يمنع أن القرآن الكريم قد جاءت فيه مجموعة من الحقائق ، أو إشارات إلى حقائق علمية ، أراد أن يثير العقولَ والأفكار نحوها ، ليبحث الناس في رحاب الدنيا ، حتى يكتشفوا ما فيها من حقائق وطاقات ، والله تعالى يقول : « سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الآفاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ ، حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ ، أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ » .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

قصة التحريم

السؤال : **ما سبب نزول الآيات الأولى من سورة « التحريم » التي بدأها الله بقوله : « يا أيُّها النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ » ؟**

الجواب :

ثبت في صحيح الإمام مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمكث عند زوجته زينب بنت جحش ، ويشرب عندها عسلا ، لأنه كان يحب العسل ، فغارت من ذلك حفصة وعائشة زوجتا الرسول ، وكانتا صديقتين ، فاتفقتا على أن يقولا للرسول عقب خروجه من عند زينب : إنا نشم منك رائحةَ المغافير (وهي بقلة حلوة الطعم خبيثة الرائحة) . وقالتا له ذلك فعلا ، الواحدة بعد الأخرى حسب اتفاقهما .

وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يحب الرائحةَ الطيبة ويحرص عليها ، ويكره كرها شديدا أن يشم أحد منه ريحا غير طيبة ، فلما قالت له حفصة ذلك قال لها : « بل شربتُ عسلا عند زينب بنت جحش ، ولن أعود إليه » . وأمرها أن تكتم ذلك ولا تذكرهُ لأحد ، ومعنى هذا أن النبي حرَّم على نفسه شربَ العسل ، مع أنه حلال ، فأنزل الله سبحانه في أول سورة التحريم :

« يا أيُّها النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ما أَحَلَّ اللهُ لَكَ ، تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أزواجِك وَاللهُ غَفُورٌ رَحيمٌ » .

ثم أخبره الله في الآيات التالية أنه قد شرع تحليل الأيمان بالكفارة ، وأن الله هو مولى المؤمنين وهو العليم الحكيم ، ثم قال الله ما معناه : واذكر حين أسرَّ النبي إلى بعض أزواجه — وهي حفصة — حديثا ، وهو تحريم العسل على نفسه ، وقال لها : لا . تفشيه ، فذهبت وأفشته ، بأن أخبرت عائشة به ، ظنا منها أنه لا حرج في ذلك ، وأطلع الله نبيّه على ما حدث ، فذكر لحفصة بعض ما أعلمه اللهُ به ، وترك البعضَ تكرما منه ، فلما نبأها بذلك تعجبت ،

وربما ظنت أن عائشة هي التي أخبرته وسألته : من أنبأك هذا ؟ فقال لها : نبّأني العليم الخبير ، وهو الله تعالى .

ثم قال الله تعالى : إن تتوبا يا حفصة وعائشة ، فقد مال قلباكما ، وإن تتعاونا على النبي فيما يكرهه فإن الله تعالى هو ناصره وجبريل وخيارُ المؤمنين ، والملائكة بعد نصر الله ونصر المذكورين ، أعوان له في نصره عليكما .

ثم قال الله تعالى تأديبا لنساء النبي : إن طلقكن النبي بسبب أعمالكن ، فإن الله قادر على أن يبدله خيرا منكن ، زوجات مسلمات مخلصات ، مطيعات تائبات عابدات صائمات ، ثيبات وأبكارا .

هذه خلاصة الرواية التي ذكرها الإمام مسلم في صحيحه ، وقد أضفنا إليها تفسير الآيات الأولى من سورة التحريم المتعلقة بشأن هذه القصة ، وقد ذكر الإمام القرطبي في تفسيره « الجامع لأحكام القرآن » أن هذه الرواية السابقة هي أصح الأقوال المروية في هذا المقام .

وهناك رواية ثانية في هذه القصة ، إذ قالوا أن الحادثة تتعلق بمارية القبطية ، لا بزينب بنت جحش ، ومارية هذه هي الجارية التي أهداها المقوقس حاكم مصر أو ملك الإسكندرية إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، حينما أرسل إليه النبي يدعوه للدخول في الإسلام . وكانت مارية من بلدة في الصعيد تسمى « حفن » تابعة لمدينة على شرقي النيل تسمى « أنصنا » .

وقد تزوج الرسول بمارية هذه ، بعد أن أسلمت ، وقد ولدت له ابنه إبراهيم الذي سماه باسم أبي الأنبياء إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، وكان إبراهيم هو الابن الوحيد الباقي للرسول ، ولكنه لم يعش طويلا ، إذ استأثر الله به فمات ، وهو ما زال في سن الرضاع ، فحزن الرسول لموته حزنـا شديدا ، ولكنه تجلد واسترجع ، وقال : « تدمع العين ، ويحزن القلب ، ولا نقول إلا ما يُرضي الرب ، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون » .

واتفق أن كسفت الشمس يوم مات إبراهيم ، فقال بعض الناس : إن الشمس كسفت لموت إبراهيم ابن النبي ، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يترك هذه القولةَ تسير في الناس ، بل جمعهم وخطب فيهم فقال : « إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله عز وجل ، لا ينكسفان لموت بشر ، فإذا رأيتم شيئا من ذلك ، فصلوا حتى تنجلي » .

وفيما يتعلق بقصة مارية جاء في تفسير الكشاف للزمخشري وتفسير الرازي ما خلاصته : ان النبي صلى الله عليه وسلم خلا بمارية القبطية ، وكان ذلك في بيت حفصة ، وفي اليوم المخصص لعائشة ، وعلمت بذلك حفصة ، فقال لها النبي ليرضيها ويزيل ما بنفسها من طبيعة الغيرة : « اكتمي عليَّ ، وقد حرمتُ ماريةَ على نفسي (مع أنها حلال له لأنها جاريته وأم ولده) وأبشِّرك أن أبا بكر وعمر يملكان بعدي أمرَ أمتي » (أي يكونان خليفتين من بعدي) .

فذهبت حفصة وأخبرت عائشة بذلك ، وكانتا متصادقتين ، وعلم النبي بالخبر فطلقها أو نوه بطلاقها ، واعتزل نساءه في بيت مارية ، ومكث تسعة وعشرين يوما ، حتى نزل جبريل بمغفرة الله لحفصة ، وقال للنبي : « راجعها فإنها صوَّامة قوَّامة ، وإنها من نسائك في الجنة » . وأعلم الله نبيه بما كان هناك من تفصيل الحديث بين حفصة وعائشة ، فذكر النبي بعضَ ذلك لحفصة تعريضا بما فعلت ، وأعرض عن ذكر البعض الآخر ، وهو إخبارها لعائشة بأن أبويها سيكونان الخليفتين من بعده ، فتعجبت حفصة من ذلك ، وسألته : مَنْ أنبأك هذا ؟ قال : نبأني العليم الخبير .

وهذه القصة رواها النسائي والطبراني بسند صحيح ، ورواها الخطابي ،

ورجحها الحافظ ابن حجر . ويقول القرطبي في تفسيره : «أكثر المفسرين على أن الآية نزلت في حفصة لما خلا النبي صلى الله عليه وسلم في بيتها بجاريته مارية» .

وقد روى الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره «جامع البيان» القصة بالعبارة التالية :

«كانت حفصة وعائشة متحابتين ، وكانتا زوجتي النبي صلى الله عليه وسلم ، فذهبت حفصة إلى أبيها ، فتحدثت عنده . فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى جاريته ، فظلت معه في بيت حفصة ، وكان اليوم الذي يأتي فيه عائشة ، فرجعت حفصة فوجدتهما في بيتها ، فجعلت تنتظر خروجها ، وغارت غيرة شديدة ، فأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم جاريته ، ودخلت حفصة فقالت : قد رأيتُ من كان عندك ، والله قد سؤتني .. فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «والله لأرضينك ، فإني مُسِرٌّ إليك سرا فاحفظيه» . قالت : وما هو ؟ قال : إني أشهدك أن سريتي (جاريتي) هذه عليَّ حرام رضاً لك . وكانت حفصة وعائشة تتظاهران على نساء النبي صلى الله عليه وسلم ، فانطلقت حفصة إلى عائشة ، فأسرت إليها : أن أبشري ، إن النبي صلى الله عليه وسلم قد حرم عليه فتاتَه . فلما أخبرت بسر النبي صلى الله عليه وسلم أظهر الله عز وجل النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله على رسوله لما تظاهرتا فيه : «يا أيُّها النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ما أَحَلَّ اللهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزواجِكَ ...» إلى قوله : «وَهُوَ العَلِيمُ الحَكِيمُ» .

هذا وقد أورد الإمام ابن جرير الروايات الكثيرة التي وردت في هذا الموضوع ، ثم قال بعد ذلك : «والصواب من القول في ذلك أن يقال : كان الذي حرمه النبي صلى الله عليه وسلم على نفسه شيئا ، كان الله قد أحله له ؛ وجائز أن يكون ذلك كان جاريته ، وجائز أن يكون ذلك كان شرابا من الأشربة . وجائز أن يكون كان غير ذلك ، غير أنه أيُّ ذلك كان ، فإنه كان تحريمَ شيء كان له حلالا ، فعاتبه الله على تحريمه على نفسه ما كان له قد أحله وبيّن له تحلةَ يمينه» .

ولعل هذا القول الأخير هو القول الأسلم البعيد عن الخلاف والتفاصيل ، ولذلك يحسن الرجوع إليه .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

إخراج الحي من الميت

السؤال : ما معنى قول القرآن الكريم : «تُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ ، وَتُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ» ؟

الجواب :

قيل في تفسير ذلك : إنشاء الحيوان من النطفة ، والنطفة من الحيوان ، لأن النطفة من الحيوانات الحية الدقيقة .

وقيل إن المراد بذلك هو خلق آدم من طين ، وآدم حي ، والطين ميت ؛ ولكن هذا التفسير لا يناسب الآية الكريمة ، لأنها تدل على تكرر الخَلْق ، وخصوصا أن صدر الآية هو : «تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ ، وتُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيلِ» .

والأقرب إلى الفهم أن المراد هو إخراج الحي من الميت ، كما نرى ذلك يوميا من أن الحي ينمو وتزداد حياته بأكل الأشياء التي لا حياة فيها ، وهي ألوان الغذاء المختلفة ، وتحويل هذه الألوان إلى عناصر ومواد من نوع جسم الإنسان ، بحيث ينمو جسمه ويزداد .

ويخرج الميت من الحي ، وهو إفراز الشيء الميت من الجسم الحي ، كإفراز اللبن ، فإنه سائل ليس فيه شيء حي .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

خلق الله بالحق

السؤال : يقول الله تعالى : « وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأرضَ بِالحَقِّ » . فما معنى قوله : « بالحق » ؟

الجواب :

وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة تشير إلى خلق الله للسموات والأرض بالحق . يقول الله تعالى في سورة العنكبوت : « خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ والأرضَ بالحَقِّ » . وفي سورة الأنعام : « وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السمواتِ والأرضَ بالحقِّ » . وفي سورة إبراهيم : « أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ خَلَقَ السمواتِ والأرضَ بالحقِّ » . وفي سورة الحجر : « وَمَا خَلَقْنَا السمواتِ والأرضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إلاَّ بِالحَقِّ » . وفي سورة الروم : « ما خَلَقَ اللهُ السموات والأرضَ ومَا بَيْنَهُما إلا بالحقِّ » . وفي سورة الجاثية : « وخَلَقَ اللهُ السّمواتِ والأرضَ بالحقِّ » . وفي سورة الزمر : « خلقَ السمواتِ والأرضَ بالحقِّ » . وفي سورة الأحقاف : « وَمَا خَلَقْنَا السمواتِ وَالأرضَ وما بَيْنَهُمَا إلاَّ بالحَقِّ » . وفي سورة التغابن : « خَلَقَ السمواتِ والأرضَ بالحقِّ » .

وجاء في كتاب « مفردات القرآن » للراغب الأصفهاني أن أصل الحق هو المطابقة والموافقة ، وأن كلمة الحق لها عدة معان ، فالحق تقال لموجِد الشيء بسبب ما تقتضيه الحكمة ، وهو الله سبحانه وتعالى ؛ وقد يراد بالحق الشيء الذي أوجده الله تعالى بحسب مقتضى الحكمة ، وفعل الله تعالى كله حق ، ومن ذلك قوله تعالى : « ما خَلَقَ اللهُ ذَلِكَ إلاَّ بالحقِّ » . وقد يراد بالحق اعتقاد الشيء المطابق لما عليه ذلك الشيء في نفسه كقولنا : « الاعتقاد في البعث حق » . وقد يراد بالحق العمل الذي يقع بحسب ما يجب ، وبقدر ما يجب ، وفي الوقت الذي يجب ، كقولنا : « فعل هذا حق ، وقول هـذا حق » ... إلخ .

وقد جاء في تفسير القرطبي عند قوله تعالى : « وَهُوَ الّذِي خَلَقَ السموات والأرضَ بالحقِّ » . أي بكلمة الحق . يعني قوله : « كن » ، وذلك إشارة إلى قوله تعالى : « إنّما أمرُهُ إذَا أَرادَ شيئاً أَنْ يقولَ لَـهُ كُنْ فَيَكُون » .

وجاء في تفسير « المنار » عند تفسير الآية ما نصه : « أي خلقهما بالأمر الثابت المتحقق ، وهو آياته القائمة بالسنة المطردة ، والمشتملة على الحكمة البالغة الدالة على وجود صفاته الكاملة ، فلم يخلقهما باطلاً ولا عبثا ، فاذًا لا يترك الناس سدى ، بل يجزي كل نفس بما تسعى » .

وجاء في تفسير الطبري أن المفسرين اختلفوا في معنى كلمة «بالحق» فقال بعضهم : معنى ذلك أن الله تعالى خلق السموات والأرض حقا وصوابا ، لا باطلا وخطأ ، وقال آخرون إن المعنى أنه خلق السموات والأرض بكلامه وهو حق واستشهدوا بقوله تعالى : « وَهُو يقولُ كُنْ فيكونُ قَوْلُهُ الحقُّ » .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

أوائل سورة النور

السؤال : أرجو التفضل بشرح الآيات الثلاث من سورة النور مع خالص التحية والشكر .

الجواب :

يقولُ الله تعالى في أول سورة النور : « سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيها آياتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُم تَذَكَّرُونَ ، الزَّانِيَةُ والزَّانِي فَاجْلدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُما مائةَ جَلْدَةٍ ، ولاَ تَأْخُذْكُمْ بِهِما رأفَةٌ فِي دِينِ اللهِ إنْ كُنْتُمْ تؤمنونَ باللهِ واليَومِ الآخِرِ ، ولْيَشْهَدْ عَذَابَهُما طائِفَةٌ مِنَ المؤمِنِينَ ، الزانِي لا ينكِحُ إلاَّ زانيةً أو مُشْرِكَةً

والزَّانيةُ لا ينكِحُها إلاَّ زانٍ أو مُشْرِكٌ ، وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى المؤْمِنِينَ » .

ومعنى هذه الآيات الثلاث أن الله تبارك وتعالى يقول إن سورة النور هذه سورة أنزلناها عليكم ، وكأن هذا دليل على عناية الله بما فيها من أحكام وتعاليم ؛ وفرضناها عليكم وعلى مَنْ بعدكم، فيجب أن تطيعوا ما فيها من أوامر ، وتجتنبوا ما فيها من منهيات ؛ وكذلك فصلنا فيها الحلال والحرام والحدود ، وأنزلنا فيها أيضا آيات مفسرات واضحات ، لكي تتذكروا وتتدبروا وتتعظوا وتطيعوا ربكم في أوامره .

وإذا ثبت أن شخصا زنى بامرأة وجب أن يُجْلَد كل منهما مائة جلدة ، وهذا هو حكم الإسلام في الزاني إذا كان بِكْرا ، أي لم يتزوج ، وأما المُحْصَن وهو الذي قد تزوج وهو حر بالغ عاقل — فإن عقوبته هي الرجم حتى يموت — ويرى الإمام أبو حنيفة أن الإمام إذا رأى من المصلحة تغريبَ الزاني البكر لمدةٍ غرَّبه ، وإن شاء لم يغرِّبْه ، وذلك بعد الجلد طبعا .

ولقد روى الإمام مالك أن عمر بن الخطاب قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« أما بعد أيها الناس ، فإن الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق، وأنزل عليه الكتاب ، فكان فيما أنزله عليه آية الرجم فقرأناها ووعيناها ، ورجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورجمنا بعده ، فأخشى أن يطول بالناس زمان فيقول قائل : لا نجد آيةَ الرجم في كتاب الله ، فيضلوا بترك فضيلة قد أنزلها الله ، فالرجم في كتاب الله حقٌ على من زنى إذا أحصن من الرجال ومن النساء ، إذا قامت البينة أو الحَبَل أو الاعتراف » . روى ذلك البخاري ومسلم .

ثم أمر الله المسلمين بألا تأخذهم رأفة أو ضعف حين تنفيذ حكم الجلد في الزانيين ، أو لا تجعلهم هذه الرحمةُ يتركون تنفيذَ الحد في الزاني ، ولذلك يقول الحديث : لَحَدٌ يقام في الأرض خير لأهلها من أن يُمْطَروا أربعين

صباحا » . ولا تأخذكم بهما رأفة ، لأن هذا حكم الله ، وهذا دين الله الذي يجب أن تحترموه وتطيعوه وتنفذوه ، ما دمتم مؤمنين بالله ربكم ، ومؤمنين بيوم القيامة الذي تلاقون فيه ربكم فيثيبكم على طاعته ، ويعاقبكم على عصيانه ؛ ويجب أن يحضر تنفيذَ الحكم في الزانيين جماعةٌ من المسلمين ، ثلاثة فأكثر ، حتى يكون ذلك أبلغَ في زجرهما ، وأوقع في ردعهما ، ويكون تقريعا وتوبيخا لهما ، وهذا يقتضي أن يكون تنفيذ الحكم علنا ليراه الناس فيتعظوا به ويرتدوا عن المعصية .

ثم قال الله تعالى إن الزاني لا يطأ إلا زانية أو مشركة ، أي لا يطاوعه على مراده من الزنا إلا زانية عاصية أو مشركة لا ترى حرمةَ ذلك ، وكذلك الزانية لا ينكحها إلا زانٍ ، أي عاصٍ بزناه ، أو مشرك لا يعتقد تحريمه ، وكان تزوجُ البغايا والزانيات شيئا محرَّماً على المؤمنين . وقد روي أن رجلا استأذن النبي صلى الله عليه وسلم في امرأة يتزوجها يقال لها : « أم مهزول » ، وكانت تزني ، واشترطت له أن تنفق عليه فرفض النبي ذلك ، وقرأ عليه الآية « الزَّانِي لا ينكِحُ إلاَّ زانيةً أو مُشرِكةً ، والزَّانِيَةُ لا يَنكِحُها إلاَّ زانٍ أو مُشرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى المُؤمِنِينَ » .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

معنى العالمين

السؤال : يقول القرآن الكريم : « الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ » فكَمْ عالم هناك ؟ وما معنى كل منها ؟

الجواب :

ذكر الإمام القرطبي في كتابه « الجامع لأحكام القرآن » عند تفسير قول الله تعالى : « الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ » جملةَ أقوال في معنى كلمة « العالمين » . ومنها أن العالمين جمع عالَم ، وهو كل موجود سوى الله تبارك

وتعالى ، وقيل : أهل كل زمان يسمّون عالَما ، وقيل هم الجن والإنس والملائكة والشياطين ، وقيل كل ذي روح دَبَّ على الأرض . وذكر القرطبي قول أبي سعيد الخدري : « إن لله أربعين ألف عالَم الدنيا من شرقها إلى غربها عالم واحد » .

وذكر بقية الأقوال ، ثم قال : إن القول الأول أصح هذه الأقوال . وهو أن العالمين كل موجود سوى الله تعالى . وإنما سمي العالَم عالَماً لأنه كالعلامة التي تدل على أن الكون له خالق ومدبِّر .

وذكر الإمام الرازي في تفسيره لهذه الآية أن كل ما سوى الله تعالى هو المسمّى بالعالَمين ، وسبب تسمية كل قسم منها بالعالَم أن كل شيء سوى الله يدل على وجود الله تعالى . ومن العالَمين عالم الأجسام العلوية ، كالأفلاك والكواكب ، وعالم الأجسام السفلية كالتراب والماء والهواء والنار والنبات والمعادن والحيوان ، ومن العالَمين عالَم الأرواح العلوية كالأرواح الفلكية والأرواح المطهرة المقدسة ، ومن العالمين عالم الأرواح السفلية ، وهي إما من جنس الخير كصالحي الجن ، وإما شريرة خبيثة كالشياطين .

يقول الإمام الرازي : « والله تعالى إله العالمين من حيث إنه هو الذي أخرجها من العدم إلى الوجود ، وهو رب العالمين من حيث إنه هو الذي يبقيها حالَ دوامها واستقرارها » .

ومن هذا البيان يتضح المراد بكلمة العالمين ، ومعنى العالَم .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

بين آية ومَثَل

السؤال : ثار بيننا جدال عنيف حول التفضيل والمقارنة بين قول الله تعالى : « وَلَكُمْ فِي القِصَاصِ حَيَاةٌ » وقول العرب : « القَتْلُ أَنْفَى للقتل » .

ونريد في الموضوع قولا شافيا ، فتفضل به مشكورا .

الجواب :

اختلف العلماء والباحثون في المَثَل المذكور : « القتل أنْفَى للقتل » . فقال بعضهم إنه جاهلي قيلَ قبل الإسلام ، وعارض بعضهم هذا فقال إنه مثل مولّد وُضع بعد نزول القرآن الكريم ، وأريد به تقليد الآية المذكورة : « وَلَكُمْ فِي القصاصِ حَيَاةٌ » . وذهب بعض ثالث إلى أن عبارة : « القتل أنفى للقتل » مترجَمة عن الفارسية ، ونسبها الثعالبي في كتابه « الإيجاز والإعجاز » إلى أزدشير ، وهناك بعض رابع يذهب إلى أنها حكمة مصرية قديمة ، وهناك بعض خامس يجزم بأنها لم تعرف في اللغة العربية إلى أواخر القرن الثالث الهجري .

ومهما يكن أصل هذه العبارة فإن العلماء القدامى والمحدّثين قد أفاضوا القول في المقارنة بين الآية الكريمة والمثل العربي ، وأبانوا فضلَ الآية عليه بأساليب مختلفة ، وأوجدوا بينهما من الفروق ما بلغ العشرات .

ونحن في مجال محدود كمجالنا نقتصر على وجيز القول في المقارنة بينهما ، فنقول إن الآية تَفْضُل المثلَ من عدة وجوه منها أن أصل المعنى قد جاء في الآية مصورًا بكلمتين هما « القصاص حياة » والمثل كلمات ثلاث ، والأقل في اللفظ أجمل وأحسن من الكثير ، عند تساوي المعنى والغرض . ومنها أن « القتل أنفى للقتل » فيه كلمة « أنْفَى » وهي أفعل تفضيل يحتاج إلى تقدير مفضَّل عليه ، لأن الأصل : القتل أنفى للقتل من غير القتل ، وبذلك طال الكلام واحتاج إلى التأويل والتقدير ، والقاعدة أن مالا يحتاج إلى تقدير أحسن مما يحتاج .

ومنها أن نفي القتل في المثل لا يستلزم وجود الحياة ، إذ لم يَنُصّ عليها فيه . والآية الكريمة تنص على هذه الحياة ، فهي أوفى بالغرض والمطلوب من هذا المثل .

ومنها أن الآية وردت فيها كلمة « حياة » منكَّرة ، وهذا التنكير حسب

قواعد العربية يفيد التعظيم مع التنويع ، حتّى يشمل كلّ ألوان الحياة ، وليس كذلك كلمة « القتل » المعرّفة . ومنها أن الآية مطردة الحكم ، لأن كل قصاص مشروع ، وكل قصاص رادع عن الجريمة ، ومؤدٍ إلى الحياة ، وليس كذلك القتل ، لأن هناك القتل الذي يدفع إليه البغيُ والظلم ، وهذا القتل لا ينفي القتل ، بل هو يدفع إلى الأخذ بالثأر ، إلى إشعال نيران الفتن . ومنها أن الآية الكريمة خالية من تكرار أحد ألفاظها ، والمثل فيه تكرار كلمة « القتل » . وفي هذا المجال يذهب بعض الباحثين إلى التدقيق في فروق لفظية وحرفية وصوتية لا نرى أنفسنا في حاجة إلى عرضها بعد أن نهجنا منهج الإيجاز والاختصار [1] .

ومن وجوه الفضل في الآية على المثل أن الآية فيها لون من البديع هـو « المطابقة » ، لأنها قابلت القصاصَ بضده وهو الحياة ، وإنها لروعةٌ أن يكون القصاص مؤديا إلى نقيضه وضده وهو الحياة ، بل عبر القرآن بقوله : « في القصاص حياة » فاستعمل كلمة « في » التي تدل على أن القصاص منبع لضده وهو الحياة ، مشتمل عليه ، ولذلك كان فيه .

ومنها أن الآية الكريمة بدأت حكمَها بكلمة تأنس بها النفوس ولا تنفر منها وهي « القصاص » ، لأن القصاص شرعة العدالة والقسطاس ، بينما طالعنا المثل في أوله بكلمة مرهبة مرعبة تخافها النفوس وتعافها الأسماع وهي كلمة : « القتل » .

ومنها أن المثل لا يكاد يفهم إلا بعد أن نفهم أو نسمع الآية ، لأننا عند سماعنا لقولهم : « القتل أنفى للقتل » سنفكر في أي الأنواع من القتل هو الذي ينفي القتل ، ولا نزال نفكر حتى نصل إلى أن القتل المراد هنا هو ما كان على وجه القصاص فنعود إلى الآية ، فكأن الآية هي الأصل والمثل جاء ذيلا تابعا لها ، وتبدو أهمية هذا الوجه إذا لاحظنا ما جزم به بعضهم من أن المثل مولّد قيلَ بعد نزول القرآن الكريم بزمن طويل .

---

١ — تحدثت عن كل هذه الفروق في كتابي « القصاص في الاسلام » ص ١٩٨ — ٢٠٦ .

ومنها أن المثل قد يفهمه كثير من الناس على غير المراد منه ، لكون هذا المراد خفيا مبهما ؛ فقد يفهم الكثيرون أن المراد من المثل هو : اقتل غيرك قبل أن يقتلك .. وتغدَّ بالناس قبل أن يتعشّوْا بك ، ويساعد على هذا الفهم الخاطىء ما كان معروفا عن أهل الجاهلية من بغي وطغيان ومسارعة إلى الظلم والعدوان ...

ومنها أن الآية الكريمة تحث على حفظ النفس والأعضاء ، لأن القصاص يشمل قصاص النفس وقصاص الأعضاء : النفس بالنفس ، والعينْ بالعين ، والأنف بالأنف ، والأذن بالأذن ، والسن بالسن ، والجروح قصاص ؛ والحياة كذلك تشمل حياة النفس وحياة الأعضاء ، لأن بقاء العضو حياةٌ له ، وزواله نقص يشبه الموت الجزئي .. وأما المثل فإنه لم يتعرض إلا لحالة واحدة من حالات الحياة ، وهي الحياة العامة للنفس ، ولا شك أن النص كلما كان أعمَّ وأشمل كان أحكم وأفضل .

هذا ويستطيع من يريد التبسط في الموضوع أن يراجع الواسع من كتب التفسير الكبرى ، كما يراجع الكتب الخاصة بالكلام في القرآن الكريم وعلومه ، وهناك سيجد القارىء فيضا من الحديث عن الآية والمثل ؛ مما حاولنا تلخيصه في هذه السطور [1]

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

فسق المترفين

السؤال : **أرجو أن تتفضلوا بتفسير قول الله سبحانه وتعالى : « وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا القَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً » .**

---

١ — في كتابي « القصاص في الاسلام » تفصيل واسع للمقارنة بين الآية والمثل انظر ص ١٥٥ — ٢١٠ طبع دار الكتاب العربي بمصر ١٩٥٤ م.

الجواب :

هناك قراءة في الآية بتشديد الراء من كلمة « أمرنا » أي جعلناهم أُمراء ، ويكون معنى الآية : إنه إذا حقت كلمةُ العذاب على بلدة أو جماعة قضى الله تهيئةً لذلك بأن يكون رؤساؤها وكبراؤها من المترفين المُفْرِطين في النعيم، المسرفين في الشهوات ، فيفسقوا عن أمر ربهم ، ويخرجوا على هدى خالقهم، ويعيثوا في دنياهم فسادا ، فيستوجبوا بذلك نقمةَ العزيز القهار ، فيدمر الله البلادَ والعباد ، جزاءً وفاقا للترف المسرف المبيد ، والفسق الفاحش الفاجر ، سنةَ الله في خلقه ، ولن تجد لسنة الله تبديلا .

ويجوز أن يكون معنى الآية : إنه إذا حقت كلمة العذاب والنقمة على بلدة من البلاد أمرنا مترفيها بأوامرنا ، وكلفناهم بتكاليفنا ، ودعوناهم إلى صراطنا ، فأبوا وأعرضوا ، وفسقوا وعثوا ، فوجبت عليهم النقمة، فدمر الله بلدتَهم تدميرا ، وأهلكها إهلاكا ، ويكون الكلام من باب الحذف والإيجاز في العبارة ، وذلك من وجوه البلاغة ، فأصل : « أَمَرْنَا مُتْرَفِيها فَفَسَقُوا » هو « أمرناهم بالخير فلم يطيعوا ففسقوا » وكذلك كما تقول : أمرتك فعصيتني فهلكتَ ، فإن المعنى : أمرتك بالاستقامة فعصيتني واعوجَّ سيرُك فهلكتَ ، ولا يصح أن يكون المعنى هنا : أمرتك بأن تعصيني فعصيتني فهلكت ، ومثل هذا يقال في الآية الكريمة على ذلك التوجيه .

والتفسير الذي يطمئن إليه القلب ، ولا نحتاج معه إلى تأويل أو تقدير ، هو أن معنى كلمة « أَمَرْنَا مُتْرَفِيها » هو : كثّرنا مترفيها وزدنا في عددهم حينما استوجبت بلادُهم نقمةَ ربهم . وفي اللغة أَمِرَ كفرح كثروتَمَّ . وأَمِرَ الرجل كثرت ماشيتُه ، وأَمَرَه الله كنصره كثّر نسلَه وماشيته ، ويقال أمرهم الله فأَمِروا أي كثروا ، ومنه الحديث : « خير المال مهرة مأمورة ، وسكة مأبورة » ، أي فرس كثيرة النسل والنتاج والولد ، وطريق صالحة الزرع ؛ وكذلك منه حديث أبي سفيان إذ يقول عن النبي صلى الله عليه وسلم: « لقد أَمِرَ أَمْر ابن أبي كبشة » أي كثر وارتفع شأنه ، ومنه حديث ابن مسعود : « كنا نقول في الجاهلية قد أَمِرَ بنو فلان أي كثروا » .

والمعنى على ذلك أن الله سبحانه إذا رأى بحكمته بلدةً تستحق الإهلاك كثّر فيها الأمراء والرؤساء والكبراء الذين لا تهمهم إلا شهواتهم ، ولا يعنيهم إلا هواهم ، فيفسقون ويعربدون ، ويسكرون ويقامرون ، فتحق عليها كلمة العذاب ، فيهلكها الله ويدمرها تدميرا .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

آيتان متشابهتان

السؤال : كنتُ في احتفال ديني ، واستشهد أحد الخطباء بالآية : « إنَّ هَٰذِهِ أمَّتُكُمْ أمَّةً واحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُم فَاعْبُدُونِ » ، فاعترض عليه أحد الحاضرين ، وقال إن الصواب هو : « فاتقون » فتمسك الأول برأيه ، وثار نزاع لم نتبين فيه وجهَ الصواب ، فما صحة الآية مع الشكر ؟

الجواب :

يوجد طائفة من الآيات المتشابهة في القرآن الكريم ، ولا يحيط بها الا المتفرغ للحفظ والتجويد والتلاوة . والواجب في مثل هذه الأحوال التأني والتثبت ، ولا يعيب الخطأ هنا ، ولكن يعيب الإصرارُ عليه أو عدم تصحيحه ، ويجب الرجوع إلى الحافظ الثقة ، أو إلى المصحف ، وفوق كل ذي علم عليم .

وهناك في القرآن آيتان متشابهتان ، والتشابه بينهما كان هو السبب في هذا النزاع المذكور في السؤال . فالآية الأولى منهما هي الآية الثانية والتسعون من سورة الأنبياء ونصها : « إنَّ هذهِ أمَّتكُم أمَّةً واحدةً وأنا ربُّكُم فاعبدونِ » فليس في أولها واو ، ويوجد في آخرها كلمة : « فاعبدون » . والآية الأخرى هي الآية الثانية والخمسون من سورة المؤمنون ، ونصها : « وإنَّ هَٰذِهِ أمَّتكُم أمَّة واحِدة وأنَا رَبُّكُمْ فاتقونِ » . فأولها واو ، وفي آخرها كلمة « فاتقون » .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

فواتح السور

السؤال : نشرت الصحف برقية عالمية جاء فيها أن أحد الباحثين وُفّق لحل رموز ما لم تُعرف حقيقَتُهُ من فواتح السور في القرآن الكريم، مما يوشك أن يكون ثورة في تاريخ تفسير القرآن ، ويعتقد هذا الباحث أن هذه الحروف التي بدأت بها السور ، والتي ظلت غامضة منذ نزولها إلى اليوم ، تشير إلى أرقام ، وأنها البديل الهجائي من بعض الأرقام فما رأي فضيلتكم في الموضوع

الجواب :

نسارع أولا فنقول : إن هذا الكشف شيء قديم منقول في كتب الأولين ، ففي كتاب « مفاتيح الغيب » للرازي أن بعضهم جادل الرسول في أن تكون هذه الابتداءات رموزا لبعض الأرقام ، وجاء في تفسير الآلوسي أن عليا رضي الله عنه استخرج وقعة معاوية بحساب الأرقام من قوله تعالى : « حمعيسق » واستخرج أبو الحكم في تفسيره فتح بيت المقدس سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة من قوله تعالى : « ألم غُلبَتِ الرومُ » .

ثم نقول : إن القرآن الكريم كتاب أنزلت آياته من لدن الحكيم الخبير ، ليكون دستور هداية وتقويم للأخلاق وتطهير للنفوس وإصلاح للجماعة ، ولا يضير جلالَه وإعجازه أن لا يستفيض حديث العلم والبحوث الفنية فيه ، فما ذاك من أصول هدفه ، ولذلك يخطىء أولئك الذين يسرفون في تفسير الآيات تفسيرا علميا أو رياضيا أو فنيا ، وتحميلها من هذه المعاني ما تطيق وما لا تطيق ، وذلك لأن النظريات العلمية عرضة للخطأ والتغير ، وللتهذيب وللزيادة أو النقص ، وكلام الخالق أجلُّ من ذلك .

نعم ورد في القرآن حديث عن الأرض والسماء ، والكواكب والنجوم ، والشمس والقمر ، والنبات والرياح اللواقح ، والجبال والبحار والأنهار ، وتكوين الجنين ، وبسط الأرض ودَحْوِها ، وتكوير الليل على النهار ؛ ولكن هذا الحديث لمحات كلية وإشارات عامة ، لا تتدخل في التفاصيل ، وكأنها تحريض على البحث والتنقيب في الملكوت ، ومع هذا فالقرآن لا يصادم

حقيقةٌ علمية ثابتة ثبوتَ الحقائق العلمية الممحصة ، التي لا تقبل التجريح أو التعديل .. وكم نحب من المولَعين بالإسراف في التماس الخصائص القرآنية العلمية أو النفسية أو الطبية أو الفلسفية أو الصوفية ، أن يخففوا من غُلَوائهم في هذا الميدان .

وبعد ، فالآراء في فواتح السور مثل (ألم – ألر – حم – يس – طه – طسم – ن – ق ...) كثيرة جدا ، فمن العلماء من فوّضوا العلمَ إلى الله ، فقالوا إن هذه الابتداءات من الأشياء التي استأثر الله بعلمها ، ولم يجعل من حق الناس أن يعلموها ، وهذا القول مردود بأن القرآن كتاب عربي مبين ، جاء آية في البلاغة والإفصاح ، ووجود ما لا يُفْهَم فيه يتعارض مع ذلك ... وقال بعضهم ان هذه الفواتح أسماء السور ، وهذا القول مردود بأن هذه السور لها أسماء أخرى غير هذه الفواتح ، فكيف تكرَّر الأسماء وهي أعلام ؟

وكذلك نرى أن بعض الفواتح مثل (ألم – ألر – حم) قد تكرر في سور كثيرة ، فكيف تتشابه الأسماء ...

وقال بعضهم إن هذه الفواتح أدوات قَسَمٍ أقسم بها الحق سبحانه وتعالى على ما بعدها ، وروي عن ابن عباس في ذلك أنه قال : أقسم الله بهذه الحروف وقد يُرَدُّ على ذلك الرأي الغريب بأن العرب لم تألف هذه الحروف للقَسَم ، فكيف يخاطبون بما لا يعرفون ؟ وأيضا لا يتضح القسم في كثير من الفواتح .

وقيل إن هذه الحروف أوائلُ أسماءِ الله ، فالألف مثلا إشارة إلى « أحَد » ، واللام إلى « لطيف » والميم إشارة إلى « مجيد » وهكذا ، وقد يُرَدّ على هذا الرأي أيضا بأن الاسم المشار إليه غير متعين ، بل نحن نعيّنه بالاجتهاد أو الاختيار ، وهذا يفتح بابا واسعا للاختلاف .

وقيل إن هذه الحروف قد قُصد بها الإغراب واستثارة الأفهام واسترعاء القلوب والأسماع ، وذلك لأنه أسلوب غير مفهوم ، فيستلفت الأسماع والبصائر لمعرفة كنهه ، ولكن يُرَدّ على ذلك الرأي بأن الغرابة تبطل بالتكرار ،

إذ كان الأمر غريبا في أول استعمال لهذه الحروف ، فلما تكررت وتكرر سماعها عُرِفَت وأُلفت ، وبذلك زالت الاستثارة .

وقيل إن وجه الإغراب والتعجيز واستثارة الفكر بذكر هذه الحروف إنما كان لمجيء هذه الفواتح من أمي لا يقرأ ولا يكتب ، وهو الرسول ، وذلك لأن الأميين من العرب لا يعرفون النطق بأسماء هذه الحروف ، وإن نطقوها ذاتها وسط كلامهم ، وإلى هذا تشير الآية : «وما كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ ، إذاً لارتابَ المُبْطِلُونَ» . ويُرَدّ على ذلك بأن القرآن بمحتوياته أشد من ذلك إعجازاً وتحدياً حين يأتي به ذلك الرسول الأمي .

والرأي المشهور الذي تطمئن إليه النفس ، ويقنع به الباحث المنصف ، أن هذه الحروف قد ذُكرت ليقول الله للعرب وهم فرسان البلاغة وأمراء البيان : إن هذا القرآن مُؤلَّف من هذه الحروف ، وهي من حروفكم التي تتكلمون بها ، فإن كنتم في ريب من أن القرآن إلهي ، فأتوا بمثله ، فقد توافرت لكم الوسائل ، وتكرر معكم التحدي والتعجيز ، ولذلك نرى أن الحروف في الغالب يتبعها حديثٌ عن القرآن ومنزلته ومكانته واشتماله على الهدي المبين .

وعلى كل حال فليس هناك من يقطع برأي في الموضوع ، لأن هذا كلام الخالق ، نفهم منه ما نستطيع بحسب الدلائل والاستنتاج ، والله أعلم بمراده ، وفوق كل ذي علم عليم .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

سجود المخلوقات وتسبيحها

السؤال : ما معنى قوله تعالى : « والنجم والشجر يسجدان » ؟ وما معنى تسبيح الكائنات الجامدة لله ؟

الجواب :

النجم هو النبات الصغير الذي لا ساق له ، والشجر هو الذي له ساق ، ومعنى سجودهما لله هو انقيادُهما لله وخضوعهما له فيما خُلقا من أجله ، فلمّا كان هذان الصنفان داخلين تحت قدرة الله ، خاضعين لها ، شبّهها القرآن الكريم بالساجد لله ، لأن السجود فيه منتهى الخضوع .

هذا وقد جاء في القرآن قوله تعالى : « تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وإنْ مِنْ شَيْءٍ إلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ، ولَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً » . وقد قال السلف إن التسبيح هنا بلسان المقال ؛ وهذا إن ظهر فيما ينطق فهو خفيٌّ فيما لا ينطق من الجمادات وأشباهها . وقال آخرون إن التسبيح هنا بلسان الحال ، وخاصة فيما لا ينطق ، لأن هذه المخلوقات فيها من الأدلة والبراهين ما يجعل المتدبر المتفكر يسبح ربّه ويمجده ، ولكن أكثر الناس لا يفقهون ، لأنهم لا يتدبرون ولا ينظرون ، ولما كانت هذه الأشياء سبباً للتسبيح نُسب إليها التسبيح على ضرب من التجوز ، ولله در القائل :

وفي كل شيء له آية　　　　تدل على أنه الواحد

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

قراءة القرآن في المرحاض

السؤال : رجل يقضي حاجته وهو يرتل القرآن فهل يحل له هذا ؟

الجواب :

قضاء الحاجة هو التخلص من فضلات قذرة تضر الجسم إذا بقيت فيه ،

وعند قضاء الحاجة ينكشف الجسم وتبدو العورة وتسوء الرائحة ، وتسود الغفلة ، وتبعد الصلة بين الانسان وعبادة الذكر والتلاوة ، وقضاء الحاجة عمل يضطر إليه المرء اضطرارا ، ولا يجد من نفسه رغبة في إطالة مدته ولا هو يستمتع به ولا يرتاح إلى تكراره ، لأنه عمل يتصل بما يستقذر ، ولذلك يقول المرء عند الانتهاء منه : الحمدلله الذي أذهب عني الأذى وعافاني .. ومن هنا رأينا في الفقه الإسلامي عدةَ آدابٍ لقاضي الحاجة ، منها الإبعاد والاستتار ، وعدم استقبال معظّمٍ كالقبلة والصمت وعدم التلفظ إلا لضرورة وفي سنن أبي سعيد قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يخرج الرجلان يضربان الغائط كاشفين عن عورتهما يتحدثان ، فإن الله يمقت ذلك » . وروي عن ابن عمر أن رجلا مرَّ على الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يقضي حاجته فسلّم عليه فلم يرد الرسولُ السلام عليه ، ثم تيمم النبي وردَّ السلام ، وفي رواية « فلم يرد عليه حتى توضأ ثم اعتذر إليه فقال : إني كرهت أن أذكر الله تعالى ذكره الا على طهارة » .

ومن هذا نستطيع أن نفهم أن مكان قضاء الحاجة وزمانه ليسا لتلاوة أو عبادة أو ذكر ، أو أداء عمل عادي ، بل هما للتخلص من الأذى ، ولذا نهى الدين عن قراءة القرآن عند الغائط ، حتى قال الفقهاء : لا يشمِّت العاطس ، ولا يحمد الله إذا عطس ، أو يحمده سرا بلا تلفظ ، ولا يجيب المؤذن ؛ والنهي هنا كما قالوا نهي كراهةٍ لا تحريم على الظاهر ، وقالوا يجوز لقاضي الحاجة الكلام إذا دعت اليه الضرورة ، كإرشاد أعمى سيقع في بئر أو حفرة ، أو رؤية نحو عقرب تقصد إنسانا ، بل قد يكون الكلام حينئذ واجبا ، ولعل من هذا القبيل أيضا ما إذا اشتد بالمرء الخوفُ عند قضاء الحاجة فتمتم بآيةٍ لدفعه .

وحكي عن إبراهيم النخعي وابن سيرين : أنه لا بأس بالذكر حال قضاء الحاجة ، ولعلهما استندا في ذلك إلى قول عائشة : « كان رسول الله صلى الله

عليه وسلم يذكر الله تعالى على كل أحيانه » . مع أن العلماء استثنوا من هذا وقتَ قضاء الحاجة للتوفيق بين النصوص .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

رسالة القرآن

السؤال : هل يوافق الإسلام على ما نراه من بعض الناس الذين يقرأون القرآن في الشوارع ووسائل المواصلات ويستجدون بقراءته من الناس ؟

الجواب :

إن الله تبارك وتعالى قد أنزل القرآن الكريم ليكون وثيقة إلهية أبدية خالدة، وكتابَ هداية وتشريع ومعاملات ، فيكون هدايةً للفرد في نفسه ، وللفرد مع الفرد ، وللفرد مع مواطنيه ، وللفرد مع الإنسانية كلها ، بل مع الحياة جميعها .

وقد جعل الله القرآن بيانا للأسباب التي يتخذها الإنسان ، فيبلغ شفاءَ الحس والنفس ، ومتعةَ العقل والقلب ، وما تدبر القرآنَ متدبر بصدق وإخلاص إلا تأثر به أبلغ التأثر ، ولذلك يقول الله تبارك وتعالى : « إنَّ هَـٰذا القُـرآنَ يَهْـدِي لِلَّتِي هِيَ أقْوَمُ » . ويقول عنه : « قَدْ جاءَ كُمْ مِنَ اللهِ نورٌ وكِتَابٌ مُبِينٌ ، يَهدي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضوانَهُ سُبُلَ السَّلامِ ، وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظلماتِ إلى النُّورِ بإذنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ » .

ويشير إلى أثره البليغ في النفوس والعقول والقلوب فيقول : « لَوْ أنْزَلْنا هَـٰذا القُرآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ، وَتِلْكَ الأمثالُ نَضْرِبُها للنّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ » . ويقول : « وَلَوْ أنَّ قرآناً سُيِّرت بِهِ الجِبَالُ أوْ قطعتْ بِهِ الأرضُ أو كُلِّمَ بِهِ المَوتى » أي لكان القرآن يفعل ذلك من قوة تأثيره .

هذه هي رسالة القرآن الأساسية ولكن الطريق اعوج بعد هذا بكثيرمن المسلمين في ناحية الانتفاع بالقرآن المجيد ، فبدلاً من أن يقرؤوه ويتدبروه ويتخذوه هدايةً وإماما ، جعلوه وسيلةً لكتابة التعاويذ والتمائم والأحجبة ، واكتفوا بتلاوته تباهياً وتفاخراً فى المآتم ، وعلى الأموات في القبور ، بدل أن يقرأوه على المحتاجين إليه من الأحياء في مجالات الحياة ، واتخذوه وسيلةً للتسول والشحاذة وبابا للتغني والتمطي والتطريب ، وتنافسوا في ذلك تنافسا واضحا تُراد به الدنيا أكثر مما تراد به الآخرة .

ونحن لا نريد بهذا أن نمنع الناس من تلاوة القرآن ، بل إننا نطالب بتلاوته آناء الليل وأطراف النهار ، ولا نريد أن نمنع أصحاب الأصوات الحسنة أو الحناجر القوية الصافية من قراءة القرآن ، ولكنا نحارب الخروجَ بالقرآن الكريم عن رسالته وجلاله ووقاره ، ونطالب بأن يتأثر القارىء بما يقرأ أولا ليتأثر سامعُه بقراءته بعد ذلك ، والرسول عليه الصلاة والسلام يقول : « أحسن الناس صوتا بالقرآن أخشاهم لله » . ويقول أيضا : « اقرأوا القرآن وابتغوا به وجهَ الله عز وجل ، من قبل أن يأتي قوم يقيمونه إقامةَ القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه » . أي من قبل أن يأتي أناس يتخذون القرآن وسيلةً للكسب العاجل وللتجارة السريعة ، بدل أن يطلبوا به الأجر عند الله وهو أجل وأعظم ، والظاهر أن هؤلاء القوم قد جاءوا وكثروا كما أخبر الرسول منذ قرون .

وقد جاء في تفسير المنار أنه « لا يجوز لقارىء أن يقرأ القرآن على قوم لا يستمعون له » ج ٩ ص ٥٥٣ .

وقد نهى فقهاءُ الإسلام عن قراءة القرآن في بيت تدور فيه « الرحى » ، وعللوا ذلك بقولهم : « لئلا يعلو صوتٌ غير صوت القرآن عليه ، لأن الحق يعلو ولا يُعْلَى عليه . فكيف إذا كانت قراءة القرآن في الترام أو العربة أو القطار ، أو الشارع ، حيث تتكاثر أصوات العجلات والأبواق والمناداة على السلع والبضائع والخضروات ومختلف الحاجات .

القرآن الكريم هو كتاب الله العلي الكبير ، وهو كتابُ رفعة وعزة وسمو ،

وهو الذي يقول : « وَلِلَّهِ العِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ » . ويقول : « وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ » .

والرسول صلى الله عليه وسلم قد طالبَ بالعمل ونهى عن الشحاذة ، فقال : « لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه » . والتسول في حد ذاته عمل لا يرتضيه الإسلام . ما دام صاحبه قادرا على العمل في أي وجه من وجوه العمل المشروعة ، فماذا تكون الحال من السوء إذا استغل هذا المتسولُ أعظمَ كتابٍ وهو القرآن الكريم في تسوله واستجدائه ؟ ألاَ إن هذه إهانة أي إهانة لكتاب الله عز وجل ، يجب أن ننزهه عنها ، وأن نردع هؤلاء المستجدين عما يفعلون ، لنحفظ للقرآن جلالَه وهيبته .

وحبذا لو تذكرنا هنا أن الرسول عليه الصلاة والسلام قد قال : « يقرأ القرآن ثلاثة : مؤمن ومنافق وفاجر » . ولقد سأل بشير الخولاني الوليدَ بن قيس : ما هؤلاء الثلاثة ؟ فأجاب : « المنافق كافر به ، والفاجر يتأكل به (أي يكتسب منه) والمؤمن يؤمن به » .

وهناك أقاويل كثيرة تتردد عن فضائل معينة للسور ، أو خصائص للآيات في شفاء الأمراض ، وقضاء الحاجات ، وعن « عدية يس » و « عدية الصمدية » أو « عدية قل هو الله أحد » أو غير ذلك من « العديات » ، وكل هذا في الحقيقة والواقع خروج بالقرآن الكريم عن الهدف الأساسي الأصيل الذي جاء من أجله ، وهو هداية البشر إلى أسباب الحق والعدل والعمل الصالح في هذه الحياة .

إننا ندعو الناس جميعاً إلى الإقبال على القرآن ، والتدبر له ، والاغتراف من ينبوعه الطهور ، ونذكرهم بقول الرسول : « خيركم من تعلم القرآن وعلّمه » . ولكننا لا نرتضي أن يتخذ الجهلاءُ أو المرتزقة هذا الكتابَ الإلهي المجيد العظيم الجليل الهادي إلى خير سبيل ، وسيلة للاستجداء ، أو التسول ، أو التغرير بالسذج ، أو التكسب الممقوت في هذه الحياة ، وصدق الله العلي

الكبير إذ يقول : « كتابٌ أنزلناهُ مباركٌ ليدَّبّروا آياتِه ولِيتذكّرَ أُولو الألْبابِ » . وإذ يقول : « وَكذلِكَ أوحيْنا إليْكَ روحاً مِنْ أمرِنا ، ما كُنتَ تَدْرِي ما الكتابُ ولا الإيمانُ ، ولكِنْ جعلْناهُ نوراً نَهْدِي به مَنْ نَشاءُ مِنْ عِبادِنا ، وإنّكَ لتهدي إلى صراطٍ مستقيمٍ ، صراطِ اللهِ الذي لَهُ ما في السمَواتِ وما في الأرْضِ ألا إلى اللهِ تَصيرُ الأمُورُ » .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

مكان وضع المصحف

السؤال : **شخص كان يضع القرآن على منضدة ، فقال له صديقه : إنه يجب دائماً وَضْعُ المصحف في مكان يحاذي الجزء الاعلى من الجسم ، فما رأي الفقه الإسلامي في ذلك ؟**

الجواب :

لا شك أن القرآن المجيد هو كلام الله عز وجل ، وهو فوق كل كلام والمصحف الذي يحوي كلام الله يجب توقيره واحترامه وعدم تعريضه للاهانة والاحتقار . ولذلك قال « خامس الراشدين عمر بن عبدالعزيز » : « لا تكتبوا القرآن حيث يوطأ » . وقد روى ذلك الامام جلال الدين السيوطي في كتاب « الإتقان في علوم القرآن » .

ولذلك كره الفقهاء أن يكتب القرآن في الأماكن التي تتعرض لوطء الاقدام ولو من فوقها كالسقوف كما ذكر بعض العلماء انه يستحب جعل المصحف على كرسي ، ويحرم جعله تحت رأس الانسان في اثناء نومه ، وكذلك يحرم مد الرجلين نحوه ، وقد ذكر ذلك الامام الزركشي . ولكن لم نجد ما يوجب جعل المصحف في مكان يحاذي الجزء الاعلى من الجسم ، ويكفي أن

يكون في مكان عال محترم ، والا يوضع عليه شيء من الأشياء .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الجوائز على حفظ القرآن

السؤال : **تعقد وزارة الأوقاف في مصر من حين لحين امتحانا للفتيان الذين يحفظون القرآن الكريم ، وتخصص للحافظ مكافأة مالية ، فهل حدث في تاريخ السلف مثل ذلك العمل ؟**

الجواب :

هذه سُنة حسنة من وزارة الأوقاف تستحق التنويه والتقدير ، لأن فيها تحريضا على حفظ كتاب الله الكريم ، وحفزا على العناية به ، ونحن في أشد الحاجة إلى هذا الحفز ، لأن عادة الحفظ للقرآن قد تقلصت ، والعجيب أن إعطاء الجوائز على حفظ القرآن الكريم كان موجودا في تاريخ هذه الأمة المسلمة ، ومما يذكره التاريخ في سيرة عبد الله بن المبارك الذي توفي سنة اثنتين وثمانين ومئة ، وكان عالم دهره وزاهد وقته ، أنه كان في مدينة « الرقة » ولما جاء هارون الرشيد لزيارة المدينة زار عبدَ الله بن المبارك في بيته .

ولما هم الرشيد بالانصراف من الزيارة قال له ابن المبارك : « يا أمير المؤمنين ، إني أخشى أن يكون العلم قد ضاع قِبَلَكَ كما ضاع عندنا» . فأجابه الرشيد : « أجل ، إنه ما قلت » .

ولما قدم الرشيد العراق كان أول ما فعله أن كتب إلى الولاة في الأمصار ، وإلى أمراء الأجناد يقول : « أما بعد فانظروا من التزم الأذان عندكم فاكتبوه في ألف من العطاء ، ومن جمع القرآن (أي حفظه) وأقبل على طلب العلم ، وعمرَ مجالسَ العلم ومقاعد الأدب ، فاكتبوه في ألفي دينار من العطاء ، ومن

جمع القرآن وروى الحديث وتفقه في العلم واستبحر ، فاكتبوه في أربعة آلاف دينار ، وليكن ذلك بامتحان الرجال السابقين لهذا الأمر من المعروفين به من علماء عصركم وفضلاء دهرهم ، فاسمعوا قولهم ، وأطيعوا أمرهم ، فإن الله تعالى يقول : « أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسولَ وأُولي الأمرِ مِنْكُمْ » وهم أهل العلم .

قال عبد الله بن المبارك بعد ذلك : فما رأيت عالما ولا قارئا للقرآن ولا سابقا للخيرات ولا حافظا للحرمات في أيام بعد أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيام الخلفاء والصحابة ، أكثر منهم في زمن الرشيد وأيامه » .

ومن هذا الشاهد التاريخي نفهم أن إعطاء الحفاظ للقرآن جوائزَ مالية كان شيئا معروفا في تاريخ المسلمين ، وينبغي لنا أن نشجع هذا الاتجاه ، وأن نشكر القائمين به ، والله يجزي العاملين .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

كتابة المصحف

السؤال : **ألاحظ أن كتابة المصحف متعبة في قراءتها ، وخاصة على المبتدئين وغير الحفاظ ، فهل يجوز لنا أن يُطبع المصحف حسب الإملاء المعروف حتى تسهل قراءته على الجميع ؟**

الجواب :

أنزل الله القرآن المجيد ليكون دستورا للعالمين ، وليكون ميسّرا للكبير والصغير ، ولكن الرسم المأثور والذي نرى المصحفَ عليه الآن متعب عسير ، ففيه ألفات محذوفة ، وحروف زائدة لا يُنْطق بها ، وأحوال مخالفة للاملاء المعروف ، ولا مانع شرعا من أن يُطبع المصحف بالإملاء المعروف ، تيسيرا على متعلميه والراغبين في حفظه ، كتلاميذ المدارس الذين يلاقون الشدائدَ من

هذا الرسم القديم ؛ والذين يمنعون كتابة المصحف بالإملاء المعاصر يخشون فتحَ باب التصرف في المصحف ، ولكن الرأي العام الإسلامي قوي ، ومن الممكن الإبقاء على الرسم القديم للحافظين والمختصين ، وطبع نسخ جديدة من المصحف بالإملاء الحاضر للتلاميذ ، والله الموفق للرشاد .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

كتابة المصاحف أيضاً

السؤال : **ذكرتم في فتوى لكم أنه لا مانع شرعا من كتابة مصاحف بالإملاء العصري المعروف ليستطيع التلاميذ أن يحفظوا منها ، على أن نحتفظ بمصاحف الرسم العثماني للحفاظ والمختصين من القراء ، وللرجوع إليها ، فما هو سندكم في هذه الفتوى ، وذلك لخطورة الموضوع ؟**

الجواب :

القرآن كتاب الرحمن أنزله للعالمين ، ويسّره للذكر ، وطالب بتدبره ووعيه ، وحرَّض على التمسك به والرجوع إليه ، ولا يتيسر ذلك إلا بأن يكون القرآن روضةً مفتّحة الأبواب لكل طامع في ثمارها وأزهارها ، ولو أبقيناه على رسمه المأثور لتعسرت قراءته على البادئين ، بل وعلى كثير من المتعلمين ، كما هو ملاحظ في كثير من المطالعين للقرآن ، إذ يلحنون ويخطئون ويتعثرون ، والسبب في ذلك راجع غالبا إلى صعوبة الرسم المأثور ، إذ فيه زيادات مربكة ، ونص في الحروف محير ، وطرق في الإملاء مجهولة ، فهذا سند عقلي يجعلنا نقول بإباحة طبع مصاحف للتلاميذ فقط بالرسم المألوف ، ما دام النص القرآني لا يزيد ولا ينقص ، وما دام المختصون سيحتفظون بنسخ لا عِدّاد لها من الرسم السلفي المأثور .

وعندنا دليل منقول ، فقد روى أشهب أن سائلا سأل الإمام مالكاً رضي الله عنه : أرأيتَ من استكتب مصحفا اليوم ، أترى أن يُكتب على ما أحدث

الناس من الهجاء ؟ فتخوف الإمام من فتح الباب للزيادة والنقص ، فقال : لا أرى ذلك ، ولكن يكتب على الكتبة الأولى . فسأله السائل : هل ينقط القرآن ؟ فقال : أما الإمام من المصاحف فلا أرى أن ينقط ، ولا يزاد في المصاحف ما لم يكن فيها ، وأما المصاحف التي يتعلم فيها الصبيان ، فلا أرى بذلك بأسا ... فأنت ترى أن الإمام مالكا أجاز النقط للصبيان تسهيلاً لتعليمهم وإذا كان قد منع من كتابة المصاحف بالإملاء المستحدث فذلك شدة احتياط منه ، والقرآن قد أدخل عليه بعد الكتبة الأولى النقطُ والشكل وفواصل الآيات وأرقامها ، وعلامات الأرباع والأحزاب والأعشار والسجدات وفواصل السور بأشكالها الزخرفية ، وإشارات الوصل والوقف وما أكثرها ، وعلامات التجويد ؛ فإذا كنا قد فعلنا ذلك وتقبلناه فلم لا نقبل كتابة القرآن بالإملاء المعروف لنا ، دون أي تحريف للألفاظ أو العبارات ، بل نقتصر على حذف الحروف الزائدة والإتيان بالحروف اللازمة فحسب ؟ وقد ذهب الإمام العز ابن عبد السلام إلى عدم كتابة المصاحف بالرسم القديم المأثور ، لأنه يوقع المتعلمين في الاضطراب ، ولأنه يوقع في تغيير من الجهال لصعوبته وقبوله وجوهاً كثيرة من النطق . والخلاصة ان القرآن كتاب للعالم ، فيجب أن يكون ميسّرا بحيث يقرؤه العالم ، لا أن يكون أحاجي وألغازا .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

المساجد لله

السؤال : ما معنى قوله تعالى : « وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً » .

الجواب :

اختلفوا في المراد بكلمة « المساجد » في الآية الكريمة ، فقيل إنها المساجد المعروفة المخصصة للصلاة والعبادة ، وقيل إنها المسجد الحرام لأنه قِبْلة المساجد وملتقاها، فكأنه هي بجميعها ، وقيل إنها الأرض كلها ، لأن الأرض

كلها جُعلت للرسول وأمته مسجدا ، وقيل إنها أعضاء السجود ؛ والصحيح القول الأول ، ومعنى الاية أن المساجد قد خُصصت لعبادة الله ، ووُسمت باسمه ، فيجب أن تكون له خالصة ، لا تستعمل لأي غرض آخر من الأغراض التي تنافي هذا الغرض الإلهي ، ويجب أن لايذكر فيهاالا اسمُ الله،ولا يَعَظّم فيها غير الله ، ولا تستخدم إلا فيما شُرعت له ، ولقد درج الصالحون من السلاطين والأمراء والولاة على توقير المساجد وتنزيهها عن كل ما يغاير ذكر الله وحمده ، والتعالي بها عما سوى الله مهما كان جليلا أو عظيما .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

معنى مكر الله

السؤال : ما معنى قول الله تعالى في سورة آل عمران : «وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الماكِرِينَ» ؟ وهل يصح نسبة المكر إلى المولى سبحانه وتعالى ؟

الجواب :

أرسل الله نبيه عيسى عليه السلام بالبينات والهدى إلى بني إسرائيل وهم اليهود ، وأيده بالمعجزات الباهرة كإبراء الأعمى والأبرص ، واحياء الموتى وخَلْق الطير من الطين ، كل ذلك بإذن الله وأمره ، ثم دعاهم عيسى إلى تقوى الله وإطاعة رسوله ، والاستواء على الصراط المستقيم ، ولكنهم أبوا وأعرضوا ، وأحس عيسى منهم الكفر وعاينه ، فتركهم وأخذ يعبد ربه مع حوارييه وأنصاره وصفوته ، ولكن اليهود الخاسرين أرادوا أن يمكروا بعيسى ويكيدوا له ، فدبروا مؤامرةً خسيسة لاغتياله وقتله ، وبذلوا في ذلك وسعهم فخيب الله سعيهم ، وردَّ لهم العقابَ في نحورهم إذ ألقى شبهَ عيسى على من كان سيقتله ، فأخذ ذلك المجرم وقتل ، وهم يظنون أنه عيسى ، فكان ذلك من الله جزاء وفاقا لمن غدر . ومن هذا البيان يتضح معنى الآية ، فيكون هكذا والله أعلم : ومكر بنو إسرائيل ، أي كادوا لعيسى ودبروا المؤامرة لقتله

غيلة وغدرا، ومباغتة في ظلام الحسة والدناءة (وَمَكَرَ اللهُ) أي أبطل مكرهم بتدبير منه أعلى وأقوى ، بأن رفع عيسى إلى السماء ، وألقى شبهه على من أراد اغتياله حتى قُتل (واللهُ خَيْرُ الماكِرِينَ) أي أقواهم تصرفا وأنفذهم إرادة على العقاب من حيث لا يشعرون . ولا يراد هنا وصف الله بالمكر المعروف ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، ولكنه عبّر بكلمة : (ومَكَرَ اللهُ) وهو يريد وقدَّر الله أو تصرف الله ، لوجود قوله (وَمَكَرُوا) ، وهذا يسمى بالمشاكلة ، حتى يكون التعبير كله من جنس واحد ، وذلك مثل قول الشاعر :

قالوا : اقترح شيئا نُجِدْ لك طبخَه ، قلت اطبخوا لي جبةً وقميصاً .

أراد (خيطوا لي) ، ولكنه قال (اطبخوا) لقولهم (نُجِد لك طبخه) ؛ فالمكر المنسوب إلى الله هنا ليس مراداً منه المعنى اللغوي الأصلي ، بل المراد منه الإرادة والاقتدار ومجازاة الأسرار بما يخاف لهم سواء القرار .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

تكرار لفظ « سبعة » في القرآن

السؤال : **نرجو من فضيلتكم أن تبينوا لنا لماذا تكرر في القرآن الكريم لفظ « سبعة » مع الإشارة إلى تلك المواضع ، حتى نعرف الحكمة في إكثار القرآن من ذكر هذا العدد دون سواه ؟**

الجواب :

لكل أناس في لغاتهم ومحادثاتهم وتعبيراتهم اصطلاحات يرددونها ويألفونها ، وتصبح ذات دلالة خاصة تتميز بها بينهم ، بعد اشتهارها فيما استعملت فيه من مواطن ، والعرب من قديم الزمن قد كثر بينهم استعمالُ رقم « سبعة » ومضاعفاته للدلالة على الكثرة ، وانتهاء العدد إلى درجة لافتة للنظر مثيرة للفكر ، والغالب أنهم آثروا ذلك لأسباب تتصل بالطبيعة أو البيئة أو ظروف الحياة المختلفة ، والقرآن الكريم كتاب عربي مبين ، نزل على قوم عرب أبيناء ، فكان من الحكمة وفصل الخطاب أن يجاريهم في أساليبهم ،

وأن يخاطبهم على قدر عقولهم ، حتى يفهموا منه ويستجيبوا له ، أو ينقطع عنهم طريقُ الاعتذار إذا لم يؤمنوا به بعد طول الإنذار وتعدد الإعذار .

ومن هذه المجاراة أن القرآن الكريم راعى اصطلاحهم في استعمال رقم « سبعة » فأكثر من ذكره للدلالة على زيادة العدد وكثرته ، مع اختلاف في المواقف بطبيعة الحال : فذكر لنا القرآن أن السموات سبع فقال : « ثُمَّ استَوَى إلى السَّماءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ » . وقال: « وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرائِقَ وَمَا كُنَّا عَنْ الخَلْقِ غافِلِينَ » . وذكر أن الأرض سبع أيضا فقال : « اللهُ الذي خَلَقَ سَبْعَ سمواتٍ وَمِنَ الأرض مِثْلَهُنَّ » . وذكر لنا أن جهنم المخيفة المرعبة لها «سبعة أبواب» ، فقال : « لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم» . وجعل فاتحةَ الكتابَ وهي المثل في قلة الآيات مع كثرة الدلالات ، حتى قيل إنها أم الكتاب جعلها سبع آيات فقال : « وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سبعاً مِنَ المثاني وَالقرآنِ العظيمِ » . وضرب المثل في الكثرة بالسبعة فقال متحدثا عن النعم الإلهية والآيات الربانية التي لا تنفد : « ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام ، والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ، إن الله عزيز حكيم » . وضرب مضاعفات هذا العدد مثلاً للنفقة الطيبة وأجرها العظيم فقال : «مَثَلُ الذينَ يُنْفِقُونَ أمْوَالَهُمْ في سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ في كُلِّ سُنبلة مائَةُ حَبَّةٍ (أي سبعمائة) واللهُ يُضاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ ، وَاللهُ واسعٌ عَلِيمٌ » . وصور بمضاعفة هذا العدد هولَ نوع من العذاب فقال عن الكافر : « خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ، ثُمَّ الجَحِيمَ صَلُّوهُ ثُمَّ في سِلْسِلَةٍ ذَرْعُها سَبْعُونَ ذِرَاعاً فاسْلُكُوهُ » . وموسى عليه السلام حينما اختار وفداً من قومه ، ليذهبوا معه إلى ميقات ربه ، اختار سبعين : « واختارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقاتِنا » ، وجعل القرآن مضاعفات هذا العدد أيضا غاية الكثرة في العدد المطلق فقال لرسوله : «استَغْفِرْ لَهُمْ أوْلا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ » . هذا

ما يمكن أن يقال في مثل هذا المجال المحدود .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

سنسمه على الخرطوم

السؤال : **ما معنى قوله تعالى في سورة القلم :«سَنَسِمُهُ عَلَى الخرطُومِ » ؟**

الجواب :

المعنى الحرفي للآية الكريمة هو : سنميّزه ونُعْلمه ونكويه على أنفه . ولبيان السر في اختيار هذا اللون من العذاب ، دون سواه من الألوان ، يجب أن نعرف أن القرآن الكريم كتاب عربي مبين ، نزل يخاطب عربا بُلغاء ، والعرب قوم يعتزون بكرامة أبدانهم ، كما يعتزون بكرامة نفوسهم ويرون إهانةَ أجسادهم لوناً من الذل ، لا يقبله العربي العادي ، فكيف بالعربي السيد المطاع في قومه ، أو المستبد في ناديه . وقد نزلت هذه الآية مع سوابق لها في الوليد ابن المغيرة المخزومي الذي كان غنيا طاغيا عيابا ظلوما ، وقد توعده الله في هذه الآية بوَسْمه وكيِّه بمكاو من حديد منصهر ونار ملتهبة يوم القيامة ، بحيث يظل هذا الوسم أثرا باقيا وعلامةً دائمة ، وهذا منتهى الإهانة والإذلال ، لأن الجسم عند العربي كريم مصون ، والوجه أكرم شيء في هذا الجسم ، والأنف أكرم عضو في الوجه ، لارتفاعه وتقدمه ، والعربي يجعل الأنف مكانَ العزة والحمية والكرامة ، لذلك اشتقوا منه كلمة « الأنفة » . ويقولون عن السيد العزيز « مرتفع الأنف شامخ العرِنين » ويقولون عن الذليل المهان : « جدع أنفه ورغم أنفه » . فكيف بالعربي المتغطرس لو أجبر على أن يُوسَمَ خرطومه وهو أنفه بهذه السِّمة ؟ وعبر القرآن بالخرطوم وهو يريد الأنف تشويها لصاحبه ، وتشبيها له بالفيل ، وهو الحيوان الغليظ الذي يسام الخسفَ والهوان .

والله تبارك وتعالى أعلم .

من عناد الكافرين

السؤال : **ما معنى هذه الآية الكريمة : « ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون » .**

الجواب :

لكي نفهم معنى هذه الآية الكريمة ينبغي أن نذكر ما اقترن بها من آيات ، لأنها تتصل بالمراد منها . يقول الله تبارك وتعالى في سورة الحِجْر مخاطباً رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم : « وَلَقَدْ أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ في شِيَعِ الأوَّلِينَ ، وَما يَأتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إلاَّ كانُوا بِهِ يَسْتَهزِئُونَ ، كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ في قُلوبِ المُجْرِمِينَ ، لا يؤمنونَ بِهِ ، وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الأوَّلِينَ ، وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ باباً مِنَ السَّماءِ ، فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ، لَقَالُوا إنَّما سُكِّرَتْ أَبْصَارُنا ، بَلْ نَحْـنُ قَوْمٌ مَسْحُورونَ » .

وفي هذه الآيات مفردات تحتاج إلى تفسير ، قبل ذكر المعنى العام :

شيع الأولين : الشيع جمع شيعة ، وهي الأمة والطائفة من الناس .

يستهزئون : يسخرون منهم استخفافا بهم .

نسلكه : السّلك هو إدخال الشيء في الشيء ، كإدخال الخيط في الإبرة .

خلت سنة الأولين : أي مضت وسبقت عادة الأولين .

فظلوا : أي مكثوا واستمروا .

يعرجون : يصعدون نحو السماء .

سكرت أبصارنا : سُدت عيونهُم بالسحر ، فهي لا تبصر .

والمعنى العام هو : ولقد أرسلنا رسلاً كثيرين من قبلك يا محمد ، إلى الأمم القديمة السابقة ، وكلما جاء رسول إلى هذه الأمم كذّبه الكافرون المعاندون ، وسخروا منه ، كما سلكنا الضلالَ في قلوب الأولين من المكذبين المتمردين ، جزاء عنادهم واستبدادهم ، نفعل ذلك في قلوب المجرمين المشركين من

قومك ، فهم لا يؤمنون مهما أنذرتهم ، وذلك مثلما فعل أسلافهم من المكذبين .

ويجوز أن يكون المعنى : إننا نوصل إليهم القرآن ودعوةَ الإيمان حتى يسمعوها وتبلغ نفوسهم ، ولكنهم مجرمون معاندون ، فهم لا يؤمنون ولا يستجيبون ، كما فعل أسلافهم الآثمون . ولو أننا استجبنا لمقترحاتهم السخيفة ، وفتحنا أمام أبصارهم بابا من السماء ، يرون منه الملائكة وهم ينزلون بإذن الله تعالى كما طلبوا ، لاستمروا في عنادهم ولم يؤمنوا ، ولقالوا : إن أبصارنا مخدوعة مأخوذة ، أو قد صار فوقها غشاءٌ وغطاء ، فهي محبوسة عن الرؤية والنظر .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الختم على قلوب الكافرين

السؤال : **ما معنى قوله تعالى : « ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم » ؟**

الجواب :

يقول الله تبارك وتعالى في سورة البقرة : « إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ، خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ » .

والخَتْم معناه تغطية الشيء والاستيثاق منه حتى لايدخله شيء ، ولا يختلط به غيره ، وذلك مثل ختم الباب والغلاف وما يشبه ذلك ، والختم يكون محسوسا في الأشياء الحسية ومعنويا في الأشياء المعنوية ، والمراد بالختم هنا في الآية الكريمة هو الختم المعنوي ، لأن المقصود هو عدم قبول الكافرين ما يدعوهم الله إليه ، وعدم استماعهم إلى الحق بفهم أو إنصاف .

وهذه الآية الكريمة المسؤول عنها قد نزلت في شأن الكافرين المعاندين المصرّين على البقاء في الباطل ، الذين يدعوهم الرسول صلى الله عليه وسلم مرة بعد مرة بلا جدوى ، فكلما دعاهم الرسول إلى الحق أعرضوا عنه ، وأصروا على الكفر ، واستكبروا استكبارا ، فكأنه لا فائدة مطلقا من تضييع الوقت أو الجهد معهم .

ولذلك يقول العلماء أن قول القرآن الكريم : « خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِم وَعَلَى سَمْعِهِمْ. » إشارة الى ما جرت به العادة من أن الإنسان إذا تباهى في الكفر ، وأسرف في العناد ، وأصر على الباطل ، وتعود ارتكاب المعصية بلا وازع ولا رادع ، ولا تكون فيه أي أستجابة للحق ، فإن ذلك التمرد المستمر يورث الإنسان هيئة تعوده استحسان المعاصي ، وكأنه قد فقد الأهلية أو القابلية للاستجابة إلى الإيمان ، وكأنه معدوم الإدراك والإحساس ، فهو كالمطبوع على قلبه وسمعه ، لأنه لا ينتفع بهما في الاهتداء ، وذلك تصوير لشدة الإجرام الذي تعوده الكافر وأصر عليه .

ويقول بعض المفسرين ما خلاصته : إن هذا التعبير القرآني الكريم بيان لحالة من تمكن الكفر من قلوبهم حتى فقدوا الدواعي والأسباب التي توجههم إلى النظر في آيات الله جل جلاله ، والتفكر في دلائل الإيمان ، فكأن الله قد ختم على قلوبهم ، فلا يدخلها غير ما رسخ فيها ، وأصروا هم عليه ، وختم على أسماعهم » فلا يسمعون آيات الله البينات سماع من يتأمل ويتدبر . وقد نسب القرآن الكريم الختم على القلوب والأسماع الى الله سبحانه ، لأن ذلك بيان لسنة الله في أمثالهم وأشكالهم ، وهذا لا يدل على أنهم مجبورون على الكفر ، ولا على أن الله سبحانه قد صدهم عن الإيمان بالإرغام والقهر ، وإنما هو تصوير لإصرارهم على الكفر ، وعنادهم في الحق ، وانصرافهم المستمر عن دعوة الله عز وجل .

وكذلك عبر القرآن بأن الله ختم على قلوب الكافرين وسمعهم لأنهم لم ينتفعوا بقلوبهم انتفاعا سليما قويما في إدراك الحق ، وكذلك لم ينتفعوا بأسماعهم

في الإستماع الى كلام الله استماع تفقه وتدبر ، والله تعالى يذكر أن من شأن المؤمنين أنهم الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله ، وأولئك هم أولو الألباب .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

قراءة « اهدنا الصراط المستقيم »

السؤال : يقول الله تعالى في سورة الفاتحة : « اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ » وقد وجدت حرف الألف في كلمة « اهدنا » بغير تشكيل في بعض المصاحف، ووجدتها وعليها فتحة في بعض المصاحف ، ووجدتها وتحتها كسرة في بعض المصاحف ، فما سر ذلك ؟ وما معنى طلب المسلمين الهداية من ربهم ؟

الجواب :

عند تلاوة الآية الكريمة : « اهدِنا الصِّراط المستقيمَ » في المصحف نجد في بعض المصاحف رأس حرف « الصاد » موجوداً فوق الألف المسؤول عنها، وهذه العلامة ليست حركة من الحركات ، وليست فتحة كما ظن السائل ، بل هي علامة للدلالة على أن ألف « اهدنا » ألف موصولة ، وليست ألفا مقطوعة، فهي ليست كالألف في كلمة « أخذنا » مثلا .

وفي بعض المصاحف توجد كسرة تحت ألف « اهدنا » للدلالة على أنها يُنطق بها مكسورةً عند الابتداء بها ، لأن الألف الموصولة تظهر عند الابتداء

وفي بعض المصاحف تُركت ألف « اهدنا » دون تشكيل ، لملاحظة قراءة الوصل ، لأن هذه الألف في النطق إذا كان ما قبلها موصولا بها في التلاوة ، أي إذا وُصلت كلمة « اهدنا » بكلمة « نستعين » التي قبلها : « إيَّاكَ نَعْبُدُ وإيّاكَ نَسْتَعِينُ اهْدِنا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ » .

وقول المسلمين لربهم : « اهدِنا الصِّراط المستقيمَ » فيه دعاء ورجاء ورغبة من المربوبين إلى ربهم جل جلاله أن يتفضل عليهم بالهداية . والمعنى : دُلّنا

يا ربنا على الطريق المستقيم المعتدل الموصل إلى الخير والسعادة ، وأرشدنا اليه ، وأرنا طريق هدايتك الموصلة إلى رضاك وقربك .

والصراط المستقيم هو دين الله تعالى الذي لا يقبل من العباد غيره ، والذي دل عليه رسوله محمد صلى الله عليه وسلم .

والهداية أربع هدايات : هداية الوجدان الطبيعي والإلهام الفطري ، كما يشعر الطفل بالحاجة إلى الغذاء ، فيصرخ طالبا له بفطرته ، وحينما يرى ثدي أمه يلتقمه ويمتص منه اللبن . وهداية الحواس والمشاعر كإدراك الأصوات والمشمومات ، وهداية العقل الذي يصحح خطأ الحواس ، وهداية الدين من الله رب العالمين ، وهذه الهداية الأخيرة هي قمة الهدايات .

فإن قيل : كيف يسأل المسلمون من ربهم الهداية وهم مهتدون ، فالجواب على ثلاثة أقوال: أولها أن المعنى : اهدنا لزوم الصراط المستقيم، وثانيها أن المعنى : ثبتّنا على الهدى ، لأن العرب تقول للقائم : قم حتّى آتيك ، أي اثبت على حالك . وثالثها أن المعنى : زدنا هدى .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

قراءة « أَكْرَمَنِ » و « أَهانَنِ »

السؤال : **في كلمتي « أكرمن » و« أهانن » في سورة الفجر نجد القارىء يأتي أحياناً بياء في آخرهما ، مع أنه لا توجد هذه الياء فيهما في كتابة المصحف ، وأحيانا نجد القارىء يقف على الكلمتين بالسكون ، مع أنه توجد تحتهما كسرة في كتابة المصحف ، فهل هذه القراءة صحيحة ؟ ومن المراد بالإنسان هنا ؟**

الجواب :

يقول الله تبارك وتعالى في سورة الفجر : « فأمّا الإنسانُ إذَا ما ابتلاه رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ ونعّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ، وَأَمّا إذا ما ابتلاه فَقَدَرَ عَلَيهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أهانَنِ » .

والقراء طرق في ياء كلمتي أهانني وأكرمني، فبعضهم يثبتهما وصلاً ووقفا ، وبعضهم يحذفهما وصلا ووقفا ، وبعضهم يثبتهما وصلا ويحذفهما وقفا .

وقد قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو : « أكرمنيَ » و« أهانـنيَ » بفتح الياء فيهما ، وقرأ البَزّي وابن محيص ويعقوب الياء من الكلمتين ، لأنها اسم فلا تحذف .

وأثبت المدنيون الياء في الكلمتين ، في الوصل دون الوقف اتباعا للمصحف ، وخيّر ابو عمرو في إثباتها في الوصل أو حذفها ، لأنها رأس آية ، وحذفها في في الوقف لخط المصحف .والباقون بحذفها لأنها وقعت في الموضعين بغير ياء .

وقد جاء في « تفسير الكشاف » لجار الله الزمخشري أنه قُرىء « أكرمنْ » و« أهاننْ » بسكون النون في الوقف ، فيمن ترك الياء في الدرج مكتفيا فيها بالكسرة » .

وعلى هذا نفهم أنه يجوز إثبات الياء عند القراءة في كلمتي « أكرمن » و « أهانن » ، وكذلك يجوز الوقوف على الكلمتين بالسكون،وقد عرفنا أنه قد وقع خلاف بين القراء في قراءة الكلمتين .

وأما المراد بالإنسان المذكور في الآيتين ، فقيل إنه عتبة بن ربيعة ، وأبو حذيفة بن المغيرة ، وقد رُوي هذا عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، وقيل إنه ابي بن خلف ، وهذا مروي عن السائب ، وقيل إنه أمية بن خلف ، وهذا مروي عن مقاتل ، وقيل إنه الكافر الذي لا يؤمن بالبعث ، وهذا القول الأخير هو الأقرب إلى القبول . وذلك لأن الصفة المذكورة هنا هي — كما يقول القرطبي في تفسيره — صفة الكافر الذي لا يؤمن بالبعث ، فالكرامة عنده والهوان بكثرة الحظ في الدنيا وقلته : فأما المؤمن فالكرامة عنده أن يكرمه الله تعالى بطاعته وتوفيقه المؤدي إلى حظ الآخرة ، وإن وسّع الله على عبده المؤمن في الدنيا حمده وشكره .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

قراءة « مالك يوم الدين »

السؤال : قال الله تعالى في سورة الفاتحة : « مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ » وقد رأيت مَدَّةً موضوعة في المصحف على حرف الميم في كلمة « مالك » وليس بعدها ألف ، وقد سمعت بعض القراء يقرأ الكلمة هكذا « مَلِك » دون ألف ، فهل هذه القراءة صحيحة ؟

الجواب :

لقد وردت عدة قراءات في كلمة : « مالك » من قول الله تعالى : « مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ » . فقد قرأ عاصم والكسائي وخلَف ويعقوب : « مالك » بألف بعد الميم ، وبكسر الكاف في آخر الكلمة : « مالكِ يومِ الدِّينِ » .

وقرأ ابن السميقع وابن أبي عيلة كذلك ، إلا أنّهما نصبا الكاف في آخر الكلمة : « مالكَ يوم الدين » .

وقرأ أبو هريرة وعاصم الجحدري : « مَلْكِ يومِ الدِّينِ » من غير ألف مع كسر الكاف .

وقرأ أبو عثمان والشعبي : « مَلِكَ يومِ الدِّينِ » من غير ألف بعد الميم ، وبكسر اللام ، وبنصب الكاف .

وقرأ سعد بن أبي وقاص وعائشة ومورِّق العجلي : « مَلِكُ يومِ الدِّينِ » برفع الكاف .

وقرأ أبي بن كعب وأبو رجاء العطاردي : « مليكِ يومِ الدِّينِ » بياء بعد اللام ، مكسورة الكاف ، من غير ألف بعد الميم .

وقرأ عمرو بن العاص : « مليكُ يومِ الدِّينِ » بضم الكاف .

وقرأ أبو حنيفة وأبو حيوة : « مَلَكَ يومَ الدينِ » على أن « مَلَكَ » فعل ماض ، وبنصب كلمة « يوم » .

وقال ابن الجوزي : « والمشهور في القراءة عن أبي عمرو وجمهور القراء : « مَلِكِ يوم الدين » بفتح الميم مع كسر اللام ، وهو أظهر في المدح ، لأن كل ملك مالك ، وليس كل مالك ملكا » .

ويقول القرطبي : « اختلف العلماء أيهما أبلغ : ملك أو مالك ؟ والقراءتان مرويتان عن النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر ، ذكرهما الترمذي ، فقيل : « ملِك » أعم وأبلغ من « مالك » ، إذ كل مَلِك مالك ، وليس كل مالك ملكاً ، ولأن أمر الملك نافذ على المالك ، حتى لا يتصرف إلا عن تدبير الملك ، قاله أبو عبيدة والمبرد . وقيل : « مالك » أبلغ ، لأنه يكون مالكا للناس وغيرهم ، فالمالك أبلغ تصرفا وأعظم ، إذ إليه إجراء قوانين الشرع ، ثم عنده زيادة التملك » اهـ.

ثم ذكر القرطبي أنه لا يجوز أن يتسمى أحد بهذا الاسم ، ولا يدعى به إلا الله تعالى ، فقد روى البخاري ومسلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « يقبض الله الأرض يوم القيامة ، ويطوي السماء بيمينه ، ثم يقول : أنا الملك ، أين ملوك الأرض » ؟ والحديث الآخر يقول : « إن أخنع اسم (أي أوضع اسم) عند الله رجل تسمى ملك الأملاك ، لا مالك إلا الله عز وجل » .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

تعلم السحر

السؤال : ما معنى الآية الكريمة التي جاء في أولها قول الله تعالى : « واتَّبَعُوا ما تتلو الشياطينُ على مُلْكِ سليمانَ ، وما كَفَرَ سليمانُ ، ولكنَّ الشَّيَاطِيْنَ كَفَرُوا ... » .

الجواب :

يقول الله تبارك وتعالى في الآية الثانية بعد المائة من سورة البقرة: « واتَّبَعُوا ما تَتْلُو الشياطينُ على مُلْكِ سُلَيمانَ ، وَمَا كَفَرَ سُلَيْمانُ ، ولكنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا ، يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ، وَمَا أُنزِلَ عَلَى المَلَكَيْنِ ببابِلَ هارُوتَ ومارُوتَ ، ومَا يعلمان مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إنَّما نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ، فيتعلَّمونَ مِنْهُما ما يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ المرءِ وزَوْجِهِ

وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ ، وَيَتَعَلَّمُونَ ما يضرُهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ ، وَلَقَدْ عَلِمُوا لمن اشتراهُ مَا لَهُ في الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ ، وَلَبِئْسَ ما شَرَوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ » .

ومعنى الآية في إيجاز وإجمال أن الذين نبذوا كتاب الله التوراة – وهم اليهود – قد أعرضوا عن طريق الهدى والرشاد ، وابتغوا طريق الضلال والإفساد ، فاتبعوا ما تفتريه الشياطين وتتقوله على ملك سليمان – عليه السلام – وعلى نبوته وعصمته ، حيث زعموا أن ركوب سليمان البحر ، وتسخيره الهواء والطير والشياطين كان سحرا ، وقالوا : إن علم سليمان سحر ؛ والمراد بالشياطين في الآية إما شياطين الجن ، أو شياطين الإنس المتمردون في الضلال والإفساد .

وما كفر سليمان بربه ، ولا سحر في عمله ، فقد كان نبيا من أنبياء الله المعصومين المؤيدين بعون الله وفضله ، ولكن هؤلاء الشياطين هم الذين كفروا بافترائهم وتضليلهم واستعمالهم السحر ، وتعليمهم الناس هذا السحر إغواءً وتضليلا .

ولقد أرسل ملكان أحدهما يسمى هاروت ، والآخر يسمى ماروت ، وكانا في بلدة بابل ، وهي من سواد الكوفة في العراق ، وأنزل عليهما ما أنزل ، وهذان الملكان هما اللذان قاما بتعليم الناس ابتلاءً من الله تعالى للناس ، وتمييزاً لهم بين السحر والمعجزة ، وكانا يقولان لكل إنسان يعلمانه شيئا من السحر : إنما نحن فتنة فلا تكفر بربك ، ولا تتبع السحر . يقول المفسر البيضاوي : « ما يعلمان أحداً حتى ينصحاه ويقولا له : إنما نحن ابتلاء من الله ، فمن تعلم منا وعمل به كفر ، ومن تعلم وتوقى عمله ثبت على الإيمان ، فلا تكفر باعتقاد جوازه والعمل به ، وفيه دليل على أن تعلم السحر ، وما لا يجوز اتباعه ، غير محظور ، وإنما المنع من اتباعه والعمل به » .

فيتعلم منهما الناس من فنون السحر ما يفرّق بين الزوج وزوجته ، ولكن الذين يشتغلون بالسحر لا يستطيعون أن يضروا به أحداً من الناس ، إلا بإذن

الله عز وجل وإرادته وقضائه ، وهم يتعلمون ما يضرهم في الآخرة ، وإن أخذوا به نفعا قليلا زائلاً في الدنيا ، ولقد علم هؤلاء علما أكيدا أن الذي يستخدم السحر ، ويترك هدى الله ، ويعصي أمره ، ليس له في الآخرة نصيب ، ولبئس ما باعوا به أنفسهم لو كانوا يعلمون علم تدبر وتفكير .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

علامات الوقف في المصحف

السؤال : هناك علامات موجودة فوق بعض الكلمات في المصحف ، مثل حرف (م) وحرف (ج) وكلمة (صلى) وكلمة (قلى) فما معنى هذه الحروف ، وما المراد منها ؟

الجواب :

لقد عُني المسلمون عناية كبرى بشأن كتاب الله تبارك وتعالى ، فتلقوه خلفا عن سلف ، وكتبوه ونشروه ، وحفظوه وتفهموه وتدبروه ، ولا عجب في ذلك فهو كتاب ربهم ، ودستور دينهم ، ورائد طريقهم ، وهو الذي يقول فيه رب العزة والجلال في سورة الحشر : « لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا القُرآنَ عَلَى جَبَلٍ لرأيتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ، وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُها للنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ » ٢١ .

ومن مظاهر هذه العناية الإسلامية بالقرآن الكريم أن المسلمين ضبطوا الآيات في المصحف الشريف بالشكل وبعلامات يستعان بها في طريقة التلاوة وما يتعلق بالحروف من إظهار أو إخفاء ، ومن إدغام أو فك ، ومن إمالة أو مد ، ومن إشمام أو غنة أو تسهيل ، إلى آخر الأحكام المتعلقة بالتلاوة والتجويد .

والحروف المسؤول عنها هنا تتعلق بأحكام الوقف والوصل عند التلاوة ، فحرف الميم في المصحف الشريف علامة على الوقف اللازم ، فيلزم الوقوف على الكلمة التي وُضع حرف الميم في آخرها ، وذلك كما في قول الله تعالى

مثلا في سورة الأنعام : « إنّما يستجيبُ الذينَ يسمعونم ، والموتى يبعثهُمُ اللهُ ، ثم إليهِ يرجعونَ » فالميم موضوعة هنا على كلمة « يسمعون » فيلزم الوقف عليها .

وحرف الجيم علامة على الوقف الجائز جوازاً مستوي الطرفين ، كما في قول الله تبارك وتعالى في سورة الكهف : « نَحْنُ نَقُصُ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالحقج ، إنّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ » فحرف الجيم موضوع هنا على كلمة « بالحق » فيجوز للقارىء أن يقف عليها ، ويجوز له أن يصلها بما بعدها ، ويستوي الوصل والوقف في مثل هذا .

وعلامة « لا » هي علامة الوقف الممنوع ، وكأن معناها : لا تقف . كما في قول الله تبارك وتعالى في سورة النحل: « الذين تتوفاهُمُ الملائكةُ طيبين لا يقولونَ سلامٌ عليكُملا ادخلوا الجنّةَ بما كنتمْ تعمَلونَ » فعلامة « لا » موضوعة في هذه الآية الكريمة على كلمة « طيبين » وكلمة « عليكم » فالوقف عليهما ممنوع ، ويلزم وصلهما بما بعدهما .

وعلامة « صلى » هي علامة الوقف الجائز مع كون الوصل أولى ، مثل قوله تعالى في سورة القصص : « وَمَا أوتيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينتُهاصلى وَمَا عِنْدَ اللهِ خَيرٌ وَأبقىصلى أَفَلاَ تَعْقِلُونَ » فعلامة « صلى » موضوعة في هذه الآية على كلمتَي « زينتها » و« أبقى » فيجوز الوقف عليهما ، ولكن وصلهما بما بعدهما أولى وأحسن .

وعلامة « قلى » هي علامة الوقف الجائز مع كون الوقف أولى ، مثل قوله تعالى في سورة العنكبوت : « قُلْ سِيرُوا في الأرضِ فانظروا كَيْفَ بدأ اللهُ الخَلْقَ ثُمَّ اللهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الآخرةقلى إنَّ اللهَ على كلٍّ شيءٍ قَدِير » فعلامة « قلى » موضوعة في هذه الآية على كلمة « الآخرة » فيجوز الوقف عليها ، ويجوز وصلها بما بعدها ، ولكن الوقف أولى .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الظالم لنفسه

السؤال : **ما معنى قول الله تعالى : « فمنهم ظالم لنفسه » ؟ وكيف يظلم الإنسان نفسه ؟**

الجواب :

يقول الله تبارك وتعالى في سورة فاطر : « ثُمَّ أورثْنَا الكِتابَ الذينَ اصطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا ، فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ، وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ ، وَمِنْهُمْ سابقٌ بالخَيْرات بِإذْنِ اللهِ ، ذَلِكَ الفَضْلُ الكَبِيرُ » .

وظلم الإنسان لنفسه هو حرمانه إياها من الخير والثواب والتوفيق، بسبب ارتكاب المعاصي ، أو ترك الطاعات ، وقد أورد الإمام النيسابوري في « غرائب القرآن » جملةَ أقوال في تفسير الظالم لنفسه ، والمقتصد ، والسابق بالخيرات ، وهي المراتب الثلاث التي وردت في الآية الكريمة المذكورة ، وهذه الأقوال هي :

الأول : الظالم مَنْ ظاهرُه خيرٌ من باطنه، والمقتصد الذي تساوَى ظاهره وباطنه ، والسابق مَنْ باطنُه خيرٌ وأفضل .

الثاني : الظالم مرتكب الكبيرة ، والمقتصد مرتكب الصغيرة ، والسابق الذي لا يرتكبهما .

الثالث : الظالم الراجح السيئات ، والمقتصد هو المتساوي الحسنات والسيئات والسابق الزائد في الحسنات .

الرابع : الظالم هو الظالم بمعصيته ، والمقتصد هو التائب ، والسابق هو المحب لربه سبحانه .

الخامس : الظالم الذي يقرأ القرآن الكريم دون علم به أو عمل بما فيه ،

والمقتصد الذي يقرأ القرآن ويعلمه ولا يعمل به ، والسابق هو الذي يقرأ القرآن ويعلمه ويعمل به .

السادس : الظالم هو الجاهل ، والمقتصد هو المتعلم ، والسابق هو العالم .

السابع : الظالم هو من يحاسَب فيدخل النار ، فهو من أصحاب المشأمة ، والمقتصد من يحاسَب فيدخل الجنة ، وهو من أصحاب الميمنة ، والسابق هو من يدخل الجنة بغير حساب .

الثامن : الظالم من خالف أوامر الله جل جلاله ، وارتكب مناهيه ، والمقتصد هو المجتهد في أداء التكاليف وإن قصر ، لأنه قصد الحق واجتهد ، والسابق هو الذي لم يخالف تكاليف الله بتوفيقه؛ ولعل هذا هو السر في قول الآية الكريمة : « وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالخَيْرَاتِ بِإِذنِ اللهِ » .

فالسابق إذا عرف الخير سارع إليه قبلَ وسوسة النفس ، والمقتصد يتردد ، والظالم يستجيب للوسوسة . وبعبارة أخرى يقال : من غلبته النفس الأمارة بالسوء ، واستجاب لها وأطاعها فهو ظالم لنفسه ، حيث لم يردعها ولم يقمعها عن السوء ، ومن جاهد نفسَه فغلبته تارةً ، وغلبها تارة أخرى فهو المقتصد ، ومن قهر نفسه وسيطر عليها فهو السابق .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

النَّبي
والحَديث الشريف



يوم مولد النبي

السؤال : **قرأتُ في بعض الكتب اختلافا في تحديد اليوم الذي وُلد فيه الرسولُ صلى الله عليه وسلم ، فهل يمكن تحديد ذلك اليوم بالضبط ؟ وكيف وُلد ؟**

الجواب :

لقد اختلف السابقون واللاحقون في تحديد اليوم الذي وُلد فيه النبي عليه الصلاة والسلام ، فمن قائل إنه اليوم الثاني عشر من ربيع الأول ، وذلك هو الذائع المشهور ، ومن قائلٍ إنه اليوم العاشر ، ومن قائل إنه الثامن ، ووراء ذلك اختلافاتٌ وأقوال أخرى هي من الضعف والشذوذ بحيث لا يقام لها ميزان . ونستطيع بعد جولة بين نصوص المتقدمين وبحوث المعاصرين ، من مسلمين ومتعربين ، وتحقيقات المتأخرين من حاسبين ومقارنين ، أن نستنتج أن الرسول ولد في صبيحة اليوم التاسع من شهر ربيع الأول ، وذلك لكثيرٍ من الأدلة ذكروها وبسطوها ، وأهمها أن خلافهم محصور في الأيام الواقعة بين الثامن والثاني عشر ، ولكنهم مجمعون على أن يوم الميلاد النبوي يومُ اثنين ، وليس في هذه الأيام — بحسب الاستقصاء التاريخي الحسابي — يوم اثنين إلا اليوم التاسع ، وقد بسط البحثَ في هذا المرحومُ محمود باشا الفلكي في كتابه المفيد : « نتائج الأفهام في تقويم العرب قبل الإسلام » .

وقد اتفق المؤرخون على أنه — صلوات الله وسلامه عليه — وُلد في عام الفيل على عهد كسرى أنو شروان ، في فصل الربيع ، وكان الميلاد بعد طلوع الفجر ، ليكون مولدُه فجراً أكبر وأزهر دونه الفجر ، في الدار التي ملكها فيما بعد محمدُ بن يوسف أخو الحجاج ، وذلك ببطحاء مكة ، في الليلة المسفرة .

ويقابل تاريخ الميلاد النبوي العربي يوم ٢٢ من إبريل سنة ٥٧١ من التاريخ المسيحي ، وهذا كاف في معرفة أن الرسول ولد في فصل الربيع ، في شهر ربيع الأول ، في النصف الأول منه ، في يوم الاثنين ، والأقرب إلى الضبط الحساني أنه اليوم التاسع ، في صبيحة الليلة الواقعة بين الثامن والتاسع .

ومهما قيل من خلاف بعد هذا فلن يضيرنا في شيء ، فالتاريخ تتعدد فيه الأقوال ، وخصوصا في أوقات الولادات والوَفَيات ، لتطاول الزمن واضطراب النقل ، وتفاوت الاعتبار والتقدير ، ومهما يكن من شيء فقد صار شهر ربيع الأول شهرَ الرسول صلوات الله عليه وسلامه ، ما يكاد يبدو هلاله حتى يبدو معه سنا النبوة ونفحات الرسالة ؛ وذكريات محمد عاطرة متجددة ، وما تكاد تغمرنا هذه الذكريات بفيضها حتى نؤمن كرأي العين أن ميلاد الرسول كان ميلاداً للوجود ، وأن إشراقه على الدنيا بوجهه وشريعته كان ربيعا دونه الربيع :

يقول لنا لسانُ الحال منه : وقولُ الحق يعذُب للسميع :
فوجهي ،والزمان، وشهر وضعي ربيعٌ في ربيعٍ في ربيعِ

والله تبارك وتعالى أعلم .

• • •

حول مولد الرسول

السؤال : هل قراءة مولد الرسول صلى الله عليه وسلم بدعة ؟ ويقال إن المال الذي نصرفه عليها لو صرفناه للفقراء لكان أحسن ، فهل هذا صحيح ؟

الجواب :

لم تكن قراءةُ المولد معروفةً عند المسلمين الأولين بالصورة التي نشاهدها الآن ، وما كان الأولون يفكرون في تعيين زمن خاص لقراءة المولد النبوي ، أو للاحتفال بمولد الرسول صلى الله عليه وسلم ، لأن عظمة النبي كانت تشغل

قلوبهم وعقولهم على الدوام ، ولكن المسلمين تعارفوا فيما بعد على الاحتفال بذكرى مولد النبي في شهر ربيع الأول من كل عام ، كما تعارفوا على قراءة قصة المولد في شهر ربيع وغيره من الشهور عند المناسبات السارة . والقارىء للمولد النبوي يذكر في قصته عادة أوصاف الرسول الجسمية ، والأوضاع التي كان عليها عند الولادة ، إلى غير ذلك من الأمور .

وعلى الرغم من أن قراءة قصة المولد النبوي بدعة لم تكن معروفة عند المسلمين الأولين ، فإنها لا بأس بها إذا خلت من المنكر والكذب ، ولم يصاحبها أمر غير مشروع ، وذلك لأن حياة النبي صلى الله عليه وسلم فيها من العبر والعظات ما يحيي موات النفوس ، ويأخذ بها إلى طريق الخير والبر ، والله تبارك وتعالى يقول : « وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ » .ويقول: « لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ » . ويقول : « نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ » . وقصة حياة محمد فيها الكثير من العظات والعبر ، فإن تلوناها على الناس كان في ذلك تذكير وتوجيه .

والمهم هو ألا نذكر في القصة النبوية شيئا من الخرافات أو الأباطيل ، بل نقتصر فيها على الثابت الصحيح من هذه القصة ، حتى لا نكون عرضة للعذاب والعقاب ، والرسول يقول : « من كذب عليَّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » .

وإعطاء أجر للشخص الذي يقوم بقراءة القصة ليس حراما ، وأما كون إعطاء هذا الأجر للفقراء أفضل ، فهذا أمر يختلف باختلاف الأحوال والظروف ، فقد يستطيع الشخص أن يجمع بين إعطاء الفقراء وإعطاء القارىء.

وإذا احتاج الفقراء في جهة ما ، ولم يجدوا من يدفع عنهم غائلة الفقر ، وتعينت معونتهم على أهل جهتهم ، لزم أن يأخذ الفقراء مثل هذا المال ، فهم أولى به من صاحب القراءة ، ولو أدى ذلك إلى عدم القراءة . وهكذا يرجع الحكم في مثل هذا إلى مقتضى الحالة القائمة .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

النبي المصارع

السؤال : هل ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم صارعَ أحداً في عصره ؟ وماذا كانت نتيجة هذه المصارعة إذا كانت قد وقعت حقيقةً ؟

الجواب :

تروي كتبُ السيرة قصةَ المصارعة التي وقعت للنبي صلى الله عليه وسلم بروايات مختلفة يمكن مراجعتها وتقصيها بالاطلاع على هذه المصادر ، وقد ذكر القصةَ الإمام الشوكاني في الجزء الثاني من كتابه « نيل الأوطار في شرح منتقى الأخبار » وأورد لها روايتين نسوقهما فيما يلي :

ساق الشوكاني أولا طائفةً من الأحاديث التي تدل على جواز المسابقة على الأقدام والمصارعة واللعب بالحراب ، ومن بين هذه الأحاديث الحديث المروي عن محمد بن علي بن ركانة : أن ركانة صارعَ النبي صلى الله عليه وسلم ، فصرعه النبي صلى الله عليه وسلم ، رواه أبو داود .

وروى أبو داود في المراسيل عن سعيد بن جبير قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبطحاء ، فأتى عليه يزيد بن ركانة — أو ركانة بن يزيد — ومعه عير له ، فقال له : يا محمد ، هل لك أن تصارعني ؟ فقال : ما تسبقني (أي لا تستطيع) ، فقال ركانة : شاة من غنمي (أي أعطيها لك إن سبقتني) .. فصارعه النبي فصرعه ، وأخذ منه الشاة . فقال ركانة : هل لك في العودة ؟ ففعل ذلك مرارا . فقال ركانة : يا محمد ، ما وضع جنبي إلى الأرض أحد ، وما أنت بالذي تصرعني (أي لا بد أن الله هو الذي أعانك على ذلك) . فأسلم ركانة ، ورد النبي إليه ما أخذه من غنمه .

وعن عبد الله بن الحارث قال : صارع النبي صلى الله عليه وسلم أبا ركانة في الجاهلية ، وكان شديدا ، فقال : شاة بشاة .... فصرعه النبي صلى الله عليه وسلم . فقال أبو ركانة : عاودني في أخرى . فصرعه النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : عاودني ؛ فصرعه النبي صلى الله عليه وسلم الثالثةَ .

فقال أبو ركانة : ماذا أقول لأهلي ؟ شاة أكلها الذئب ، وشاة نشزت ، فماذا أقول في الثالثة ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ما كنا لنصرعك ونغرمك خذ غنمك .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

أفضل الخَلْق

السؤال : **كنا في مجلس ، وتباحثنا في أفضل الناس من ناحية الأفراد أو الجماعات ، وتعددت الآراء في هذا الموضوع ، فرأينا أن نعرف فيه وجه الصواب .**

الجواب :

سئل الإمام ابن تيمية مثلَ هذا السؤال أو قريبا منه ، فأجاب بالعبارة التالية التي تجدها في كتاب « مختصر الفتاوي المصرية لابن تيمية » :

« أفضل الخَلْق النبيون ، ثم الصدِّيقون ، ثم الشهداء ، ثم الصالحون ، وأفضلُ كلِّ صنف أتقاهم ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأبيض على أسود ، ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى . » هذا في الأصناف العامة .

وأفضل الخَلْق في الطبقات القرنُ الذين بُعث فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم الذين يلونهم . وأما في الأشخاص فأفضلُهم النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم إبراهيم عليه السلام . فتبينَ أن الشرف ليس لبني هاشم خاصة ، بل يتنوع بحسب عُرف المخاطبين ومقاصدهم » .

وبعد أن تحدث عن خصائص قريش قال :

« وبكل حال فهذه الخصائص لا توجب أن يكون الرجل بنفسه أفضلَ من غيره لأجل نسبه المجرَّد ، بل التفاضل عند الله بالتقوى ، كما قال صلى الله عليه وسلم

عليه وسلم : (إن آل بني فلان ليسوا لي بأولياء ، إنما وليي الله وصالح المؤمنين) . فمن كان في الإيمان والتقوى أفضلَ كان عند الله أفضلَ ممن هو دونه في ذلك ، وأولاهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن كان غيره أقربَ نسبا منه ، فإنه لا شك أن الولاية الإيمانية الدينية أعظم وأوثق صلةً من القرابة النسبية والله أعلم » .

والجزء الأخير من كلام ابن تيمية جدير بالعناية والتدبر ، وصدق العلي الكبير حيث يقول : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

تأثر الرسول بالقرآن

السؤال : **هناك حديث يقول : « شيّبتني هود وأخواتُها » ، فما معنى هذ الحديث ؟ وما أخوات هود المشار إليها في هذا الحديث ؟**

الجواب :

كان الرسول صلوات الله وسلامه عليه يتأثر تأثرا شديداً بالقرآن الكريم ، لما فيه من عبر وعظات ، وقد روى البخاري ومسلم ، عن عبد الله بن مسعود ، أنه قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقرأ عليَّ القرآن . فقلت : يا رسول الله ، أأقرأ عليك وعليك أنزل ؟ قال : إني أحب أن أسمعه من غيري . فقرأتُ عليه سورةَ النساء ، حتى جئت إلى هذه الآية : « فَكَيْفَ إذا جئنا مِنْ كُلِّ أمةٍ بشهيدٍ وَجِئنا بكَ عَلى هؤلاءِ شَهيداً » . قال لي : حسبك ، فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان .

وحديث « شيبتي هود وأخواتها » قد رواه الترمذي وحسّنه ، والحاكم وصحّحه ، من حديث ابن عباس ، ومعناه أن النبي صلى الله عليه وسلم قد تأثر بما في سورة هود وأخواتها من إنذار وتخويف ، وحديث عن الحساب والعقاب والمَثُلات التي أصابت الآخرين ، فعجّل ذلك شيبَه .

وأخوات هود هي : سورة « الواقعة » ، وسورة « التكوير » التي في أولها : « إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ » وسورة « النبأ » التي أولها : « عَمَّ يَتَسَاءلُونَ » .

وقد قال الإمام الغزالي في كتابه « إحياء علوم الدين » هذه العبارة : « وهو صلى الله عليه وسلم يقول : شيبتي هود ، وأخواتها سورة الواقعة ، وإذا الشمس كورت ، وعم يتساءلون ، فقال العلماء لعل ذلك لما في سورة هود من الإبعاد : « أَلاَ بُعداً لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ » ، « أَلا بُعْداً لِثَمُودَ » ، « أَلا بُعْداً لِمَدْيَنَ كَمَا بعدَتْ ثَمُود » مع علمه صلى الله عليه وسلم بأنه لو شاء الله ما أشركوا إذ لو شاء لآتى كلَّ نفس هداها .

وفي سورة الواقعة : « لَيْسَ لِوَقْعَتِها كَاذِبَةٌ ، خَافِضَةٌ رافِعَةٌ » أي جفَّ القلم بما هو كائن ، وتمت السابقة حتى نزلت الواقعة ، إما خافضةً قوما كانوا مرفوعين في الدنيا ، وإما رافعة قوما كانوا مخفوضين في الدنيا

وفي سورة التكوير أهوال القيامة وانكشاف الخاتمة وهو قوله تعالى : « وَإِذَا الجَحِيمُ سُعِّرَتْ ، وَإِذَا الجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ، عَلِمَتْ نَفْسٌ ما أَحْضَرَتْ » .

وفي سورة عم يتساءلون : « يَوْمَ يَنْظُرُ الإنسانُ ما قدَّمَتْ يَدَاهُ » الآية ، وقوله تعالى : « لا يَتَكَلَّمُونَ إلا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَاباً » .

والله تبارك وتعالى أعلم

* * *

رؤية النبي لربه في المعراج

سؤال : هل رأى النبي ربه في ليلة المعراج بعينه المجردة ؟

الجواب :

جاء في بعض الأحاديث أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى ربّه وكلمه ليلة المعراج ، وكان السلف الصالح من رجال هذه الأمة يقررون رؤيةَ النبي لربه في هذه الليلة المذكورة ، فإذا سألهم سائل عن كيفية ذلك توقفوا ، وذكروا أن الرؤية قد وقعت ، ولكن الكيفية مجهولة لنا ، والله بها أعلم ، وأظن أن هذا القدر يكفينا ، ولسنا مطالَبين بما وراءه .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الدين والمعجزة

السؤال : **هناك فريق من الذين لم ينالوا ثقافةً دينية يقولون : إنه ليست هناك معجزات في الإسلام ، وليست هناك معجزات للرسول صلى الله عليه وسلم غير القرآن ، فما رأي الإسلام في هذا ؟**

الجواب :

الدين رسالة من الله إلى الناس ، والذي ينقل هذا الدين عن الله هو أحد الملائكة « جبريل » الذي جعله الله سفيراً له إلى أنبيائه ، ولا بدّ من وجود الرسل الذين يتلقون عن هذا المَلَك الرسالة ، ليبلغوها بدورهم إلى الناس ، إذ لا يستطيع الناس أن يتفاهموا إلا مع أبناء جنسهم . ودعوى الرسالة دعوى خطيرة جليلة ، لا بد لها من دليل وتأييد ، فهي تحتاج إلى المعجزة لتؤيدها وتعضدها ، والمعجزة هي الأمر الخارق للعادة ، الخارج عن طاقة البشر ، المقرون بتحدي الغير أن يأتي بمثلها ، والأديان السماوية منذ أقدم العصور قد صحبتها هذه المعجزات ، فنوح ، وهود ، وصالح ، ولوط ، وموسى ، وعيسى ، لهم معجزاتهم ، وقد تحدث عنها القرآن وغيرُه من كتب الله :

والمعجزة في العادة تكون من جنس ما برع فيه القوم ، فحينما برع قوم موسى في السحر كانت معجزته الكبرى عصا تلقف ما يصنعون ، ولما برع

قوم عيسى في الطب كانت معجزة عيسى أن يبرىء الأكمه والأبرص وأن يحيي الموتى بإذن الله .

والواضح أن الأساس في هذا الدين الإسلامي هو هذا القرآن المعجز الخالد، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وقد نزل هذا البيان المعجز الخالد على نبي أمي لا يقرأ ولا يكتب ، وفي بيئة تسودها الأمية وقلة التعليم ، فكان هذا القرآن أقوى المعجزات وأوضح الدلائل على أنه كلام الله ، وأن الذي جاء به رسول من الله ، ولذلك جاء في الحديث الصحيح المتفق عليه قول النبي : « ما من الأنبياء من نبي الا أُتي من الآيات، مامثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة » .

لكن ليس معنى هذا أن القرآن الكريم هو معجزة الإسلام الوحيده — وإن يكن هو معجزته الكبرى — فهناك معجزات غيره ذكرها القرآن أو ذكرتها السنة ، فقد حدثنا القرآن عن معجزات إمداد الله المؤمنين بالملائكة ، وإنزال المطر لسقي المسلمين دون المشركين في غزوة بدر ، وتثبيت الأقدام التي كانت تسيخ في الرمال ، وإلقاء النعاس أمنَةً ليلةَ المعركة ؛ كما حدثنا الإسلام عن معجزات غزوة الأحزاب ، كالعاصفة التي خلعت الخيام وقلبت القدور وأشعلت النيران ، وفي غزوة تبوك عن إنزال الغيث على معسكر المسلمين ، بفضل دعاء الرسول بعد الظمأ الشديد في الحر الشديد ... ويظهر أن العناد خُلُق قديم في نفوس المنحرفين ، فإنه لما دعا الرسول في إحدى الغزوات ربّه لينزل عليهم الغيثَ واستجاب الله لرسوله قال المنافقون : « إننا مُطرنا بتأثير النَّوْء لا بدعاء محمد » .

وقد وردت الأحاديث الصحيحة ، وكثير منها في البخاري ومسلم ، بمعجزات أخرى للرسول ، كنبع الماء من بين أصابعه ، وتكثير الماء والطعام القليلين ، والإخبار بالمستقبل بأمر الله تعالى . ولكننا نلاحظ أن قوما قد غَلَوْا في أمر الذات النبوية ، فنسبوا إلى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه

ما لم يصح ، فجعلوه أول خَلْق الله حقيقة ، وأنه من أجله كان الخَلْق ، وأن من نوره خُلقت الأشياء ، وهناك آخرون غَلَوْا في التطاول على مقام الرسول صلى الله عليه وسلم ، فجرّدوه مما ثبت له ؛ والخير هو الوسط ، فمحمد صلى الله عليه وسلم نبي كريم ورسول صنعه الله تعالى على عينه ، وصانه من السوء ، وعصمه بعصمة الرسالة ، وهو بشير نذير ، داع إلى الله بإذنه ، سراج منير ، رؤوف رحيم ، على خلق عظيم .. الخ .

والرسول بشر : « قُلْ إنّما أنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ » . ولكنه مع هذا نبي ورسول ، مؤيَّد بقوة الله في دينه ودعوته ، قد يجري عليه في الدنيا ما يجري على الناس ، ولا يلزم أن يحيطَ بكل أمور هذه الدنيا ، وقصةُ تأبير النخل مشهورة ، وقد قال الرسول فيها : « أنتم أعلم بأمور دنياكم » . وفي رواية : « إنما أنا بشر ، إذا أمرتكم بشيء من أمر دينكم فخذوا ، وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر » ...

وهناك معجزة أخرى في تاريخ الإسلام ... ففي نحو نصف قرن انتشر هذا الإسلام في أكثر من نصف الكرة الأرضية ، وبأيدي جماعة غير كبيرة من الدعاة والمجاهدين ، وليس بأيديهم من الأسلحة أنواع رهيبة ولا ألوان غريبة ، وليس معهم من وسائل الوعد أو الوعيد ما يغري أو يخيف ، وليسوا بمفاجئين في حروبهم التي كانت دفاعية أو تأمينية أو انقاذية ، بل هم يعرضون دينهم ، ويبسطون دعوتهم ، ويدعون إلى المسالمة والأمان ، ثم ينبذون على كلمة سواء ، بعد الإعذار والإنذار ، واستنفاد وسائل المسالمة والمهادنة .

وقد لقي الإسلام وهو في مكة ما لقي من العناد المشرك ، والعنت الكافر ، والاضطهاد الفاجر ، والتعذيب السافر ، والتطاول الساخر ؛ وقد ظل المسلمون ثلاثة عشر عاما وهم في مكة يذوقون سوءَ العذاب وطعومَ الاعتداء وكأن الله أراد لهذا الدين أن يبتلي أهله بهذا الابتلاء ، ثم يمتد بعد هذه الفترة العصيبة امتدادَ الفاتح الواسع العجيب في زمن يسير ، ليرشدنا الله إلى أن الإسلام الذي لقي ما لقي من حرب وكيد ، من ورائه يد الله تؤيده وتسنده ، وتكرمه وتمجده « وَمَا رَمَيْتَ إذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى » .

ويحسن أن نلاحظ أن الإسلام صاحبته في البلاد التي فتحها باسم الله أديان أخرى ، وبقي أهلوها بحريتهم في عقائدهم ، مع هذا لم تستطع تلك الأديان بسَبْقها ولا بقدمها ولا بكثرة حيلها ، ولا بالحرية الممنوحة لها أن تصد تيارَ الإسلام ، أو تقلل من سطوع أضوائه ؛ أليس هذا ركنا من أركان المعجزة يزيد فيها ويجليها .

فالذين ينكرون المعجزات قد ضاقت آفاقهم أو انحرف تفكيرهم ، ولا يضير الحقَّ الساطعَ أن يتنكر له من يكابر أو يداور : « سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفاقِ وفِي أَنْفُسِهِمْ ، حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ ، أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ شَهِيد » ؟

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

انشقاق القمر

السؤال : **يقال إن النبي صلى الله عليه وسلم شقَّ القمرَ قطعتين بإشارته ، فهل هذا صحيح ؟**

الجواب :

يقول الله تبارك وتعالى في أول سورة القمر : « اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ (أي يوم القيامة) وَانْشَقَّ القَمَرُ » . ومعنى انشقاقه كما قال المفسرون أن بعضه انفصل عن بعض ، وصار فرقتين ، وذلك على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، قبل الهجرة بنحو خمس سنين ، فقد روى البخاري ومسلم وابن جرير ، عن أنس أن أهل مكة سألوا النبيَّ صلى الله عليه وسلم أن يُريهم آية ، فأراهم القمر شقتين ، حتى رأوا جبلَ حراء بينهما .

وكذلك جاء في البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود أن القمر انشق على عهد الرسول فرقتين ، فرقة على الجبل ، وفرقة دونه ، فقال رسول الله : اشهدوا ... ومن هنا قال العلماء إن انشقاق القمر منصوص عليه في القرآن

الكريم والحديث الشريف ، وأما ما يقال من أن النبي صلى الله عليه وسلم أشار إلى القمر بإصبعه فانشق ، فقد ذكر الآلوسي في تفسيره إن ذلك لم يجده في خبر صحيح .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الرسول والعرب

السؤال : كنا في مجلس ، وذكر أحدُ المتحدثين أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه قد مجّد العرب ونوه بشأنهم ، فرد عليه آخر بأن النبي قد أرسل رحمة للعالمين ، ولا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى ، فكيف يمجد النبي العربَ مع هذا ؟ فما رأي فضيلتكم في هذا الموضوع ؟

الجواب :

لا تعارض بين إرسال النبي للعالمين ، وتنويهه بشأن العرب ، وذلك لأن العرب هم حَمَلة الدّين الأوائل ، وقد أعز الإسلام العروبةَ حين اختار منها نبيا ولغة ودارا وحملةً أوائل نقلوه للناس في المشارق والمغارب ، كما أن العرب قد وجدوا عزَّهم الأكبر ومجدهم الأعلى في الإسلام ، والقرآن يشير إلى ذلك حين يقول : « وإنه لذكر لَكَ – أي شرف ومجد – ولِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ » . والرسول حينما مجَّد العرب قد مجد العرب المستجيبين المؤمنين ، الذين استجابوا لله والرسول ، ونهضوا بعقيدة اليقين والإيمان ، ونشروا في الأرض قواعد العدالة والأخوة الإنسانية .

وهناك أحاديث كثيرة جاء فيها تمجيد من الرسول صلى الله عليه وسلم للعرب وتنويه بشأنهم . فقد روى أبو يعلى في مسنده عن جابر الحديث الصحيح الذي يقول : « إذا ذلّ العرب ذل الإسلام » . وروى الطبراني عن ابن عباس أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « بغض بني هاشم والأنصار كفر ، و بغض العرب نفاق » . وروى الترمذي عن العباس بن عبدالمطلب

عن النبي أنه قال : « إن الله تعالى خلَقَ الخَلْق فجعلني في خير فرقهم ، ثم تخير القبائل فجعلني في خير قبيلة ، ثم تخير البيوت فجعلني في خير بيوتهم، فأنا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا » . وروى ابن سعد عن يحيى بن يزيد السعدي في الحديث الصحيح المرسل أن النبي قال : « أنا أعربكم ، أنا من قريش ، ولساني لسان سعد بن بكر » . وروى الحاكم عن أنس الحديثَ الصحيح : « أنا سابق العرب ، وصهيب سابق الروم ، وسَلْمان سابق الفرس ، وبلال سابق الحَبَش » . وروى الطبراني والحاكم والبيهقي الحديثَ الصحيح : « أحبُّوا العرب لثلاث : لأني عربي ، والقرآن عربي ، ولسان أهل الجنة عربي » . وروى الطبراني عن أبي سعيد أن النبي قال : « أنا أعربُ العرب ، ولدتني قريش ، ونشأت في بني سعد بن بكر ، فأنّى يأتيني اللحن » ؟ وروى الحاكم عن أبي هريرة في الحديث الصحيح أن النبي قال : « أحبوا الفقراء وجالسوهم ، وأحِبَّ العربَ من قلبك ، وليردك عن الناس ما تعلم من نفسك » . وروى الطبراني عن سهل بن سعد أن النبي قال : « أحبوا قريشا فإن مَنْ أحبهم أحبه الله » . وأظن أن هذه الطائفة من الأحاديث النبوية الكريمة كافية في الدلالة على أن رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام كان يعرف العرب المؤمنين المناضلين قدرَهم ، ويرفع ذكرهم ، وهذا لا يتعارض مع عموم رسالته ، لأن هؤلاء عاونوه على تعميم هذه الرسالة بين الناس . وينبغي أن نعلم أن العروبة وعاء الإسلام . وأن الإسلام روح العروبة .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الخلافة وآل محمد

السؤال : كنا نتحدث في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، فسأل سائل عن السبب في أن الخلافة الإسلامية انتقلت بعد موت الرسول إلى غير بيته ، فلم أعرف الجوابَ على ذلك ، فما هو مع الشكر ؟

الجواب :

قرأتُ لشيخ الإسلام الإمام ابن القيم في كتابه « بدائع الفوائد » عبارة حولَ هذا الموضوع وأعتقد أن ذكر هذه العبارة كافٍ في الإجابة على السؤال المشار إليه . قال ابن القيم في الجزء الثالث من كتابه المذكور :

« السر والله أعلم في خروج الخلافة عن أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم إلى أبي بكر وعُمر وعثمان أن عليا لو تولى الخلافةَ بعد موته لأوشك أن يقول المبطلون إنه مَلِكٌ ، ورَّث مُلْكَه أهلَ بيته ، فصان الله منصبَ رسالته ونبوته عن هذه الشبهة . وتأمل قول هرقل لأبي سفيان – عن النبي –: هل كان في آبائه من مَلَكَ ؟ قال : لا . فقال : لو كان في آبائه مَلِكٌ لقلت رجل يطلب ملك آبائه .

فصان الله منصبَه العلي من شبهة المُلْك في آبائه وأهل البيت ، وهذا – والله أعلم – هو السر في كونه لم يُورِّثْ هو والأنبياء ، قطعا لهذه الشبهة ، لئلا يظن المبطل أن الأنبياء طلبوا جمعَ الدنيا لأولادهم وورثتهم ، كما يفعله الإنسان من زهده في نفسه وتوريثه مالَه لولده وذريته ، فصانهم الله عن ذلك ، ومنعهم من توريث ورثتهم شيئاً من المال ، لئلا تتطرق التهمة إلى حجج الله ورسوله ، فلا تبقى في بيوتهم ورسالتهم شبهة أصلا . ولا يقال : فقد وليها علي وأهل بيته . لأن الأمر لما سبق أنها ليست بملك موروث (أي بتولّي أبي بكر وعمر وعثمان لها أولا) وإنما هي خلافة نبوة تُسْتَحَقُ بالسبق والتقدم كان علي في وقته هو سابق الأمة وأفضلها ، ولم يكن فيهم حين وليها أولَى بها منه ولا خير منه ، فلم يحصل لمبطلٍ بذلك شبهة ، والحمد لله » .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

هل هذا حديث

السؤال : سمعتُ بعض الناس يقول : إن النبي صلى الله عليه وسلم يقول في

حديث له : « لو اعتقد أحدكم في حجر لنفعه » فهل هذا صحيح ؟

الجواب :

هذه العبارة ليست بحديث نبوي ، وقد قال الإمام ابن حجر إن هذا القول لا أصل له في الأحاديث ، وقال الإمام ابن تيمية إنه كذب ، وقال الإمام ابن القيم : هذا من كلام عُبّاد الأصنام الذين يحسنون ظنّهم بالأحجار .

والله تبارك وتعالى أعلم .

• • •

لو تكاشفتم ما تدافنتم

السؤال : ما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم : «لو تكاشفتم ما تدافنتم » ؟

الجواب :

ذكر الإمام ابن الأثير هذا الحديث في كتابه « النهاية في غريب الحديث والأثر » وذكر في معناه أنه لو علم بعضُكم سريرةَ بعض ، لاستثقل تشييعَ جنازته ودفنه ، وهذا يفيد أن هناك جوانب مستورة في صدر كل إنسان ، لو اطلع عليها غيرُه لتألم منها وضاق بها وبصاحبها ، ولما استطاع أن يعيش معه ، أوْ يبقى على مصاحبته .

وبعضُهم يروي الحديث هكذا : « لو تكاشفتم ما تعايشتم » أي لو أظهر كلُ واحد منكم ما طوته نفسُه لغيره ، لما استطاع أحد أن يعيش مع غيره ويذكّرني هذا المعنى ببيتين لأبي العتاهية يقول فيهما :

أحسن الله بنا أن الخطايا لا تفوحُ

فإذا المستور منّا بين ثوبيه فضوح

ومن فضل الله على الناس أنه لا يؤاخذهم بما تحدّثهم به نفوسهم ، أو يخطر على قلوبهم ما لم يعملوا به .

والله تبارك وتعالى أعلم .

• • •

جامع كتب الحديث

السؤال : **طالعت أن هناك شخصا اسمه رزين بن معاوية جمع الأحاديث النبوية ، فأريد أن أعرف شيئا عن تاريخ هذا الرجل ؟**

الجواب :

ورد ذكر رزين بن معاوية في عدة مصادر ، منها كتاب « شذرات الذهب » لابن العماد الحنبلي ، وكتاب « الصلة » لابن بشكوال ، وكتاب « طبقات المالكية » لابن مخلوف ، وكتاب « كشف الظنون » لحاجي خليفة ، وكتاب « الديباج المذهب » لابن فرحون ، وكتاب « العقد الثمين » للفاسي ، وكتاب « الأعلام » للزركلي ، وغيره .

وخلاصة ترجمته أنه الشيخ إمام الحرمين أبو الحسن رزين بن معاوية بن عمار العبدري السرقسطي الأندلسي . وهو منسوب إلى مدينة « سرقسطة » من بلاد الأندلس ، جاور بمكة شرّفها الله تعالى زمنا طويلا بلغ عدةَ أعوام ، وصار إمام المالكية بمكة ، وحدّث بها عن ابن مكتوم عيسى بن ذر الهروي الشيخ الصالح الفاضل العالم بالحديث وغيره ، وروى عنه كتاب البخاري كما روى كتابَ مسلم عن الحسين الطري ، كما روى عن غيرهما .

وذكره السلفي فقال : « شيخ عالم ، ولكنه نازل الإسناد » . وقال عنه ابن بشكوال : « وكان رجلا فاضلا عالما بالحديث وغيره » . وله تصانيف ومؤلفات حسانٌ منها كتاب في أخبار مكة ، وكتاب يسمى « التجريد للصحاح الستة » أو « تجريد الصحاح الستة في الحديث » . وقد جمع في هذا الكتاب الأحاديثَ التي وردت في الكتب الستة وهي كتاب البخاري ، ومسلم ، وأبي داود ، والترمذي ، والنسائي ، وموطأ الإمام مالك .

وقد تُوفي رزين في شهر المحرم سنة خمس وثلاثين وخمسمائة هجرية (١١٤٠م) وقيل سنة أربع وعشرين وخمسمائة وقيل سنة خمس وعشرين

وخمسمائة ، والأول أصح ، رحمه الله رحمة واسعة .
والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

أولو العزم من الرسل

السؤال : من هم أولو العزم من الرسل ؟ وما عددهم ؟ ولماذا وَصَفَهم الله بهذا الوصف ؟

الجواب :

يقول الله تعالى في سورة الأحقاف : « فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ » أي فاصبر كما صبر الرسل المُجِدُّون المجتهدون ، في تبليغ الوحي ، الذين لا يصرفهم عنه صارف ، والصابرون على أمر الله تعالى فيما عهده سبحانه وتعالى إليهم ، أو قضاه إليهم ، أو قضاه وقدره عز وجل عليهم .

وقد ورد أكثر من رواية في عددهم ، فقال البعض انهم ثمانية عشر ، وهم المذكورون في قول الله تعالى في سورة الأنعام : « وَتِلْكَ حُجَّتُنا آتيناها إبراهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجاتٍ مَنْ نَشاءُ ، إنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ، وَوَهَبْنا لَهُ إسْحَقَ وَيَعْقُوبَ كُلاً هَدَيْنا ، وَنُوحاً هَدَيْنا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ داودَ وَسُلَيْمانَ وَأَيُّوبَ وَيوسُفَ وموسى وهارون وكَذَلِكَ نَجْزِي المُحْسِنِينَ ، وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كُلٌ مِنَ الصَّالِحِينَ ، وَإسماعِيلَ واليسع وَيُونُسَ ولُوطاً وكلاً فَضَّلْنا عَلَى العَالَمِينَ » .

وقيل إنهم تسعة : نوح عليه السلام صبر على أذى قومه طويلا ، وإبراهيم عليه السلام صبر على الإلقاء في النار ، والذبيح إسماعيل عليه السلام صبر على ما أُريد به من الذبح ، ويعقوب عليه السلام صبر على فقد ولده ، ويوسف

عليه السلام صبر على البئر والسجن ، وأيوب عليه السلام صبر على البلاء ، وموسى عليه السلام قال له قومه : « إنا لمدركون » ، فقال : إن معي ربي سيهدين » ، وداود عليه السلام بكى على خطيئته أربعين سنة ، وعيسى عليه السلام لم يضع لبنة على لبنة ، وقال عن الدنيا « إنها معبرة فاعبروها ولا تعمروها » .

وقيل إنهم سبعة : آدم ونوح وإبراهيم وموسى وداود وسليمان وعيسى عليهم السلام ، وقيل إنهم خمسة : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ، قال السيوطي والآلوسي : إن هذا القول الأخير هو أصح الأقوال .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

اعمل لدنياك

السؤال : سمعتك تستشهد بهذه العبارة : « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا » . وقلت عن هذه العبارة إنها أثر إسلامي مع أني أعرف أنها حديث نبوي ، فما رأيكم ؟ وما معنى هذه العبارة ؟

الجواب :

أحب أن أقول أولا إن العلماء اصطلحوا على أن كلمة « الأثر » تشمل الحديث المروي عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتشمل غيره من قول الصحابة ، فلا تعارض بين قولي عن العبارة المذكورة إنها أثر ، وكونها حديثاً نبوياً إذا صح أنها بالفعل حديث نبوي .

والواقع أن هذه العبارة وردت تارة في بعض المصادر على أنها حديث ، وتارة على أنها من قول الصحابي ، ففي كتاب « تفسير غريب القرآن » لابن قتيبة ص ٣٩٢ هذه العبارة :

« من كان يريد حرث الآخرة ، أي عمل الآخرة ، يقال : فلان يحرث للدنيا ، أي يعمل لها ويجمع المال ، ومنه قول عبد الله بن عمرو : « احرث لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا » . وفي الجزء الثامن عشر من تفسير القرطبي وردت نسبةُ هذه العبارة إلى عمر رضي الله عنه .

وفي الجزء الأول من كتاب « النهاية في غريب الحديث » لإبن الأثير رُويت هذه العبارة على أنها حديث نبوي ، ورويت هكذا : « احرث لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا » وفسّر كلمة : احرث بكلمة : اعمل .

ومن هذا البيان نفهم أن العبارة وردت في بعض المصادر على أنها حديث مرفوع ، وفي بعض المصادر الأخرى على أنها من قول عبد الله بن عمرو ، أو قول عمر بن الخطاب ، وإذا قلنا عنها إنها « أثر » فإن كلمة الأثر أعم من الحديث وقول الصحابى .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

في مدح الرسول

السؤال : **أريد أن أفهم قولَ الشاعر :**

يا خيرَ من جـاء الوجودَ تحيـة من مرسلين إلى الهدى بك جاءوا

الجواب :

هذا البيت من شعر أمير الشعراء أحمد شوقي ، وهو في قصيدة « الهمزية النبوية » الطويلة التي بلغت مائةً وثلاثين بيتاً ، وهي موجودة بأكملها في الجزء الأول من كتاب « الشوقيات » . وقد اختير من هذه القصيدة الجليلة بضعة أبيات للغناء وكثير من الناس يحسب أن ما يغنّى هو كل ما في القصيدة ، مع أن الإنسان لا يستطيع أن يحكم على القصيدة حكما صحيحا كاملا إلا إذا

قرأها كاملة ، وأما البتر فتشويه وتمويه ، والدليل القريب على ذلك هو البيت المسؤول عنه هنا ، فمعه في القصيدة أبيات توضّح معناه ، وتجلّي مغزاه ، وسنذكر هذه الأبيات بعد قليل .

وبعض الناس يفهم البيتَ على معنى أن الشاعر يقول للرسول مناديا : يا أفضل من جاء إلى الحياة ، نُهدي إليك تحيةً كريمة ، وهذه التحية آتية من الأنبياء المرسلين ، الذين جاءوا قبلك لهداية الناس ، وبشّروا بك قبل مجيئك . وهذا المعنى قد يحتمله اللفظ ، ولكن السياق يوحي بسواه ، ويفضّل غيره ؛ وهو أن الشاعر ينادي رسولَ الإسلام عليه الصلاة والسلام بالصفة التي يستحقها ويستأهلها ، وهي أنه أفضل الأنام وأكرم بني آدم ، وأعظم من شهد هذا الكون ، ثم يقول الشاعر يا رسول الإسلام ، أنت خير تحية جاءت من الله لتكريم هذا الوجود ، وأنت التحية المختارة ، لا من بين عامة الناس ، بل من بين صفوة الخلق وعصارة البشرية وهم الأنبياء المرسلون الذين سبقوك في الزمان ، وسبقتهم في المكانة والرتبة : « تلك الرسل فضّلنا بعضهم على بعض ، منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات » وهؤلاء المرسلون قد بشروا بك ، وجاءوا أيضا بشرائعهم وهدايتهم .

وبتعبير آخر : يا محمد ، لقد حيا الله الناسَ تحايا كثيرة ممثّلة في الرسل الأكرمين ، فجاءوا إلى الناس بنورهم وتوجيههم ، كما جاءوهم بوصفك والتبشير بك ، وأنت خير من جاء الوجودَ من هؤلاء المرسلين المبشّرين بك .

ويحسن بعد هذا أن نذكر البيت المسؤولَ عنه وبعده الأبيات التي توضّح المعنى المختار . وفي هذه الأبيات إشارة إلى بيت الأنبياء الذي تختار أعضاؤه بعلم اللطيف الخبير : « والله أعلم حيث يجعل رسالته » . وإلى أن آدم وحواء استخلصا الفضل دون الأنام لمحمد ، وأن العزة كلها في الشأن والمكانة له ، إلى آخر ما يؤكد المعنى الذي اخترناه ، وهذه هي الأبيات :

يا خير من جاء الوجودَ تحيـةً ... من مرسلين إلى الهدى بك جاؤوا
بيت النبيين الذي لا يلتقـي ... إلا الحنائف فيه والحنفـاء

خير الأبوة حازهم لك آدم	دون الأنام وأحرزتْ حــواء
هم أدركوا عزَّ النبوة وانتهت	فيهــا إليك العزةُ القعــساءُ
خُلقت لبيتك ، وهو مخلوق لها	إن العظائم كفؤهــا العظمــاء
بك بشّر الله السمــاءَ فزُيِّنت	وتضوعت مسكاً بــك الغبراء
وبــدا محيــاك الذي قسماتُه	حق ، وغرتُه هدى وحيــاء
وعليه من نور النبوة رونــق	ومن الخليل وهديــه سيمــاء
أثنى المسيحُ عليــه خلفَ سمائه	وتهللت واهتزت الــعــذراء

هذا ، وفهم الشعر أذواق ، والمشارب في إدراكه تختلف ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

زوجات الرسول

السؤال : ما عدد زوجات النبي صلى الله عليه وسلم ؟ ومن هن ؟

الجواب :

كانت زوجات النبي صلوات الله وسلامه عليه تسعَ زوجات ، وهــن زوجاتُه في الدنيا والآخرة ، وهن أمهات المؤمنين أيضا في الدنيا والآخرة ، وقيل : كان جميع من تزوج الرسول ثلاثَ عشرة . واولاهن السيدة خديجة بنت خويلد ، تزوجها قبل البعثة ، وهو في الخامسة والعشرين ، وهي في الأربعين زوَّجَهُ إياها خويلد بن أسد ، وولدت للرسول جميعَ أولاده ، إلا إبراهيم فإنه من مارية القبطية ، وكانت خديجة ذاتَ بعل قبل الرسول ، كانت قبله عند أبي هالة ، وكانت قبل أبي هالة عند عتيق بن عابد .

ثم تزوج الرسول السيدة عائشة بمكة ، وبنى بها في المدينة ، وهي بنت عشر سنين ، ولم يتزوج الرسول بكراً غيرها ، وتولى تزويجَها له والدها أبو بكر الصديق رضي الله عنه . وتزوج الرسول السيدة سودة بنت زمعة ،

وتولى تزويجَه إياها سليط بن عمرو ، وكان صداقها أربعمائة درهم ، وكانت ذات بعل قبل ذلك ، كانت عند السكران بن عمرو بن عبد شمس . وتزوج النبي السيدة زينب بنت جحش الأسدية ، زوَّجه إياها أخوها أبو أحمد بن جحش ، وكانت قبل ذلك عند زيد بن حارثة مولاه ، وقصتهما مشهورة مذكورة في سورة الأحزاب ، فذلك حيث يقول الله تعالى : « وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ : أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ ، وتخفي فِي نَفْسِكَ ما اللهُ مُبْدِيهِ ، وتَخْشَى النَّاسَ واللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ... » .

وتزوج الرسول السيدة أم سلمة بنت أبي أمية ابن المغيرة المخزومية ، واسمها هند ، وقد تولى تزويجَها ابنُها سلمة بن أبي سلمة ، وكان صداقها فراشا حشوه ليف وقدحا وصحفة ورحى ، وكانت قبل ذلك عند عبد الله أبي سلمة بن عبد الأسد ، فلما مات عنها طيَّب النبي خاطرَها بزواجه منها ؛ وتزوج الرسول السيدة حفصة بنت عمرَ بن الخطاب ، وتولى تزويجَها أبوها ، وكان صداقها أربعمائة درهم ، وكانت قبل ذلك عند خنيس بن حذافة السهمي . وتزوج النبي السيدة أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان ، وتولى تزويجَها خالد بن سعيد بن العاص ، وكانا بأرض الحبشة حينذاك ، ودفع النجاشي صداقها نيابةً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أربعمائة دينار ، وهو الذي خطبها للنبي صلوات الله وسلامه عليه ، وكانت قبل ذلك عند عبيد الله بن جحش الأسدي . ثم تزوج النبي السيدة جويرية بنت الحارث الخزاعية ، وهي التي كانت في سبايا بني المصطلق ، ثم صارت من نصيب ثابت بن قيس الأنصاري ، فكاتبها فجاءت النبيَّ راجيةً أن يعينها في فكِّ رقبتها ، فقال لها : هل لك في خير من ذلك ؟ قالت : وما هو ؟ قال : أقضي عنك كتابتَك وأتزوجك ، فقالت : نعم . فتزوجها . ويروى أنها لما أسرت جاء أبوها بإبل ليفتديها ، ثم أخفى من الإبل جملين في الطريق استحسانا منه لهما ، فلما أتى النبيَّ قال : أصبتم ابنتي ، وهذا فداؤها . فقال له الرسول :

فأين البعيران اللذان غيّبْتَ بالعقيق في شِعْب كذا وكذا ؟ فقال أبوها : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله صلى الله عليك ، فوالله ما اطلع على ذلك إلا الله تعالى . وأسلم الحارث وأسلم ولداه وفريق من قومه . وأحضر البعيرين للرسول ، وأخذ ابنته جويرية فأسلمت ، فخطبها النبي من أبيها ، وأعطاها أربعمائة درهم ، وكانت قبل ذلك عند ابن عم لها اسمه عبد الله .

وتزوج الرسول السيدة ميمونة بنت الحارث ، وزوجه إياها العباس بن عبد المطلب ، وكان صداقها أربعمائة درهم ، وكانت قبل ذلك عند أبي رهم ابن عبد العزى ، ويروى أنها هي التي وهبت نفسَها للنبي ، وذلك أن الرسول خطبها وهي على بعيرها ، فقالت : البعير وما عليه لله ورسوله . وفي ذلك جاء قوله تعالى : « وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي » . ثم تزوج النبي السيدة زينب بنت خزيمة ، وهي التي كانت تسمى « أم المساكين » لكثرة رحمتها بهم ، وإشفاقها عليهم ، وقد زوجها إياه قبيصة بن عمرو الهلالي ، وكانت قبله عند عبيدة بن الحارث ، وكانت قبل عبيدة عند جهم بن عمرو .

وقد جاءت الأخبار بأن النبي صلوات الله وسلامه عليه قد بنى بإحدى عشرة امرأة ، ومنهن اثنتان لم يدخل بهما ، وهما أسماء بنت النعمان الكندية ، وجد فيها النبي برصاً ، فردها إلى أهلها بعد أن متّعها ، وأعطاها شيئا تنتفع به ، وعمرة بنت يزيد الكلابية ، يقال إن الرسول دعاها فقالت : إنا قومٌ نُؤتَى ولا نَأْتي . فردها النبي إلى أهلها . وقد مات من هؤلاء في حياة الرسول اثنتان هما خديجة بنت خويلد ، وزينب بنت خزيمة ، وتوفي النبي عن تسع وهن اللواتي قد تحدثنا عنهن سلفاً ، وبذلك نوفق بين الأقوال ، فقد ماتت اثنتان في حياته ، ورد اثنتين ، فالمجموع ثلاث عشرة ، فلا خلاف إذن ، والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

ما حُبِّبَ إلى الرسول

السؤال : سمعنا منك خطبةً ورد فيها حديثُ الرسول صلى الله عليه وسلم : « حبب إليَّ من دنياكم الطيب والنساء ، وجُعلت قرة عيني في الصلاة » . وقد اختلفنا في ذلك الحديث ، وفي معناه ، وتجادلنا في مصدره وصيغته ونصه ، فمن الذي رواه وما معناه ؟

الجواب :

العناية بحديث الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم أمر واجب ، ودليل من أدلة الغيرة على الإسلام والحرص على أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام . والمهم هو ألا تقف العناية عند الأقوال والنصوص ، بل تتعداها إلى التطبيق والتنفيذ ، وإلا فلا خير في قول بدون عمل ، ولا في نص بدون تطبيق .

والحديث المسؤول عنه قد رواه الإمام أحمد في مسنده ، والنسائي في سننه ، والحاكم في المستدرك ، والبيهقي في السنن ، وهو حديث حسن ، وقد أشار إلى ذلك الإمام السيوطي في كتابه « الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير » في الجزء الأول تحت رقم ٣٦٦٩ . وهو مروي عن أنس ، ونصه في الجامع كالآتي : « حبب إليَّ من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة » . ولم ترد فيه كما رأيت كلمة « ثلاث » .

وكذلك رواه الإمام الشوكاني في كتابه « نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار » ونصه : « وعن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حبب إلي من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة ، رواه النسائي » . وقال الشوكاني ما نصه : « وأخرجه أيضاً أحمد ، وابن أبي شيبة ، والحاكم من حديثه ، وفي إسناده في سنن النسائي سيار بن حاتم وسلام بن مسكين ، ومن طريق سيار رواه أحمد في الزهد ، والحاكم في المستدرك » .

ثم أخذ يتحدث عن رجاله ودرجاتهم ، وبعد سطور قال : « قال الحافظ في التلخيص إن إسناده حسن ، وقال في تخريج الكشاف والتلخيص : ليس

في شيء من طرقه لفظَ ثلاث ، بل أوله عند الجميع : (حبّب إليَّ من دنياكم النساء) الحديث ؛ وزياده (ثلاث) تفسد المعنى ، بل ان الإمام أبا بكر بن فورك شرحه في جزء مفرد بإثباتها ، وكذلك أورده الغزالي في الإحياء ، واشتهر على الألسنة . انتهى . وإنما قال : إن زيادة لفظ ثلاث تفسد المعنى ، لأن الصلاة ليست من حب الدنيا ، وقد وجّه ذلك السعد في حاشية الكشاف فقال : وقرة عيني مبتدأ قصد به الإعراض من حب الدنيا وما يحب فيها ، وليس عطفاً على الطِّيب كما سبق إلى الفهم ، لأنها ليست من حب الدنيا ، ووجّه ذلك بعضُهم بأن « من » بمعنى « في » قال : وقد جاءت كذلك في قوله تعالى : « ماذا خلقوا من الأرض (أي في الأرض) وردّه صاحب الثمرات بأنه قد حبب إليه أكثر من ذلك ، نحو الصوم والجهاد ونحو ذلك من الطاعات» . انتهى نص الشوكاني .

ويظهر أن الذين أثبتوا كلمة (ثلاث) أرادوا بها توضيح المذكور في الحديث من الأشياء ، لا على معنى الحصر والاستقصاء . ومعنى الحديث : أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه يحب — أو قد حبب الله إليه — الطِّيبَ ، وهو كل رائحة طيبة يتزكى بها الإنسان ، وهذا يشير إلى الطهارة والنظافة والاناقة وحسن المظهر ، لأن الله جميل يحب الجمال ، نظيف يحب النظافة ، طيِّب يحب الطيب ، وكذلك حببت النساء إلى الرسول ، فهو يعطف عليهن ، ويُعنى بهن ، ويرق لهن كرما منه ونبلا وإحسانا ، لأنهن خُلقن من ضلع أعوج ، ولأن الرجال أشد منهن حسا وطبعا ، فيجب أن يضرب الرسول المثلَ في إكرام المرأة والعناية بها ، ليتبعه في ذلك أهلُ ملته . وكانت قرة عين الرسول هو سعادة نفسه وبهجة قلبه في الصلاة لأنها دعاء ومناجاة ، ولأنها موطن القرب من الله ؛ وأي لذة تعدل لذة الصلة بالله عند رسول الله ، عليه صلوات الله ، وفوق كل ذي علم عليم .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

استغفار الرسول لنفسه

السؤال : **أمر الله رسولَه في القرآن بأن يستغفره ، وورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه كان كثير الاستغفار ، فكيف يتفق هذا مع أن الرسول معصوم لا يعصي ربه ؟**

الجواب :

أذكر أني كتبت في مثل هذا الموضوع في غير هذا المقام ، ولا مانع من العودة إليه بكلمة مختصرة ، فقد ذهب المفسرون في تعليل أمر الرسول بالاستغفار لنفسه مذاهب شتى ، كلها أو جلها لا يبعد عن القبول ، فمنهم من قال : إن الرسول كان يستغفر لأنه كان يَحْدث منه ما هو خلاف الأولَى بمرتبته العليا ، مما يحسن من سواه أو يُقبل ؛ على حد قولهم : « حسنات الأبرار سيئات المقربين » . وقيل: كان يستغفر مما يحدث من سهو أو نسيان مما لا يتصل بقواعد الدين ؛ وقيل : كان يستغفر لا لنفسه وإن كان الظاهر ذلك ، بل لتعليم أمته ؛ وقيل : إن الله حين يخاطب رسولَه آمراً إياه بالاستغفار يريد منه أن يستغفر لأمته ، فإذا قيل له : « استغفر الله » فمعناه : « استغفر الله لأمتك لأنك هاديها والحريص على خيرها » .

وهناك رأي في المسألة تطمئن إليه النفس ، وتراه مناسباً لمقام الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ، فلا شك أن رسول الله نموذج البشرية الأعلى وطرازها الأسمى ، ولكنه أمام ربه فرد من الأفراد ، يجري عليه ما يجري على غيره من نواميس الكون وأمور الحياة ، وهو حقيقةً خيرُ العابدين وسيد الصالحين ، ولكنَّ حق الله لا يؤديه كاملا أيُّ إنسان ، ومدارج الصعود في التقوى لا تقف عند حد ، ونِعَمُ الله لا تنتهي ، فشكرها لا ينتهي ، والرسول أعلم الناس بهذا الجلال الإلهي ، ولذلك كان أخشى الناس لربه ، وأشدَّهم مراقبةً له ، وهو كلما أنهك قوته ، وجاهد في سبيل الله ما استطاع ، نظر وراءه وأمامه فاستصغر ما قدَّم وهو جليل ، واستقل ما فعل وهو كثير ،

فرأى – أو رأى له ربه – أن المناسب لمكانته ومنزلته أن يستغفر لما يُحس به من تقصير

وهكذا كلما ترقى الرسولُ صلى الله عليه وسلم في المحاسبة والخشية منزلة أعلى من المنزلة التي كان عليها بالأمس ، أحسَّ في صميم نفسه بأنه كان مقصرا بالأمس ، ولذلك يحسن به الاستغفارُ . وذلك مجال لا يدرك كنهَه إلا أمثال رسل الله عليهم الصلاة والسلام ، وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم ان العظائم كفؤها العظماء .

وكأن الإمام الآلوسي أراد هذا المعنى في تفسيره لسورة « النصر » حين قال :

« وأنت تعلم أن كل أحد مقصِّر عن القيام بحقوق الله تعالى كما ينبغي ، وأدائها على الوجه اللائق بجلاله جل جلاله ، وعظمته سبحانه ، وإنما يؤديها على قدر ما يعرف ، والعارف يعرف أن قدر الله عز وجل أعلى وأجل من ذلك ، فهو يستحي من عمله ، ويرى أنه مقصر ، وكلما كان الشخص بالله تعالى أعرَف كان له سبحانه وتعالى أخوَف ، وبرؤية تقصيره أبصر ، وقد كان « كهمس » يصلي كل يوم ألف ركعة ، فاذا صلّى أخذ بلحيته ثم يقول لنفسه : قومي يا مأوى كلِّ سوء ، فوالله ما رضيتُك لله عز وجل طرفةَ عين . فيمكن أن يكون استغفاره صلى الله عليه وسلم لما يعرف من عظيم جلال الله تعالى وعظمته سبحانه ، فيرى أن عبادته – وإن كانت أجلَّ من عبادة جميع العابدين – دون ما يليق بذلك الجلال وتلك العظمة التي هي وراء ما يخطر بالبال ، فيستحي ويُهْرع إلى الاستغفار . وقد صحَّ أنه صلى الله عليه وسلم كان يستغفر الله في اليوم والليلة أكثر من سبعين مرة ... وللإشارة إلى قصور العابد عن الإتيان بما يليق بجلال المعبود – وإن بذل المجهودَ – شُرع الاستغفار بعد كثير من الطاعات ، فذكروا أنه يُشرع لمصلٍّي الصلاة المكتوبة أن يستغفر عقبها ثلاثا ، وللمجتهد في الأسحار أن يستغفر ما شاء الله تعالى ، وللحاج أن يستغفر بعد الحج ، فقد قال الله تعالى : « ثم أفيضوا من

حيث أفاض الناس ، واستغفروا الله إن الله غفور رحيم » . وروي أنه يشرع لختم الوضوء ، وقالوا يُشرع لختم كلّ مجلس ، وقد كان صلى الله عليه وسلم يقول إذا قام من مجلس : « سبحانك اللهم وبحمدك ، أستغفرك وأتوب إليك » .

فأنت ترى من هذا بوضوح أن استغفار الرسول لنفسه لا يتنافى مع أنه سيد الأنبياء وخير المرسلين ، وصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين ، ومن دعا بدعوة كتابه إلى يوم الدين .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

أسلحة الرسول

السؤال : **هل كان للرسول سلاح أو أدوات حربية خاصة ؟ وما أنواعها ؟ وما موقف الإسلام من الأسلحة الحربية الحديثة ؟**

الجواب :

كان الرسول صلوات الله وسلامه عليه هاديا وداعيا ، وسراجا منيرا ؛ ومع ذلك كان مجاهدا ومقاتلا ، لأن المشركين لما لجُّوا في عنادهم وطغيانهم ، وتعنتهم في معاملتهم لرسول الله ، وأخرجوا المسلمين من ديارهم وأموالهم ، لم يكن هناك بد من محاكمتهم إلى السيف ، ومن لم تُقنعه الحجةُ والبرهان ، كان إقناعه عن طريق الرمح والسنان .

ولذلك كان للرسول أدوات حربية وأسلحة خاصة يستخدمها في المعارك والغزوات ، فكان عنده عدة سيوف أوصلها المؤرخين إلى عشرة سيوف ، منها سيف يقال له « مأثور » ورثه من أبيه وقدم به المدينة ، وسيف يسمّى « العَضْب » أهداه إليه سعد بن عبادة يوم بدر ، وسيف يسمى « ذا الفقار » وكان في وسطه فقرات كفقرات الظهر ، وقد غنم الرسولُ هذا السيف في

غزوة بدر ، واصطحبه في حروبه كلها ، وسيف يسمى « الصمصامة » وهو سيف عمرو بن معد يكرب وكان مشهورا .

وكانت له عدة دروع ، منها ذات الفضول ، وسميت بذلك لطولها ، ومنها ذات الوشاح ، وذات الحواشي ، والبتّراء . وكانت له حراب ، منها حربة كبيرة اسمها البيضاء ، وحربة صغيرة أقل من الرمح وتشبه العكاز ، ويقال لها العنزة .

وكانت له أقواس منها الروحاء ، والزوراء ، والكَتوم ، وسميت الأخيرة كتوما لأن صوتها كان منخفضاً إذا رمى بها . وكانت له جعبة وهي الكنانة التي تجمع فيها النبال والسهام . وكان عنده ترس أُهدي اليه ، وكان عليه بعض التماثيل ، ولكن الرسول محاها من فوقه .

وكانت له عدة رايات ، منها راية سوداء مربعة ، يقال لها « العقاب » ، وراية بيضاء ، يقال لها « الزينة » . وروي أنه كانت له راية صفراء ، وروي أن لواءه كان مكتوبا عليه في أعلاه : « لا إله إلا الله ، محمد رسول الله » . وكان له مخصرة تسمى العرجون ، وقضيب يسمى الممشوق .

وكان صلوات الله وسلامه عليه يعتّم عمامة يقال لها « السحاب » وكان له أيضا مغفر .

هذه هي الأدوات التي كان يستعملها الرسول ، مما يتصل بالحرب والقتال ، ولا شك أنها أدوات وأسلحة تناسب عصره وزمانه ، ولو أنه عرف غيرها مما يفيد وينفع لما تأخر عن استخدامها واستعمالها ، لأن المهم هو اتخاذ الأهبة وإعداد العدة للدفاع أو الهجوم عند اللزوم ، فالله سبحانه وتعالى يقول : « وَأَعِدُّوا لَهُمْ ما اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ » . فقد أمر جلّ وعلا باتخاذ كل وسائل القوة ، ولم يحدد وسائلَ هذه القوة ، لأنها تختلف باختلاف البيئات والعصور ، وإذا كان قد أشار إلى « رباط الخيل » فإن السبب في ذلك هو أن الخيل كانت يومئذ أهمَّ وسائل الدفاع والحراسة ، ولا تزال تطلق كلمة « الخيّالة » في أغلب

الجيوش الحديثة على القوات الخفيفة الحركة ، فلا مانع أن يراد برباط الخيل اليوم كل قوة خفيفة تستطيع أن تسرع في النجدة والغوث .

وكذلك نجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ألا إن القوة الرمي » . وساق كلمة « الرمي » عامةً شاملة ، وهي تضم تحت جناحيها كلَّ سلاح تندفع منه قوة تحمي الذمار ، أو تحطم طغيان العدو ، فكل آلة حربية أو سلاح من الأسلحة المؤثرة فيه قوة الرمي ، تختلف عن غيرها سعةً وضيقاً ، لكنها على كل حال قوة من الرمي .

وأعتقد أن رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام لو عاش في عصرنا هذا لما تردد في استخدام وسائل الدفاع والهجوم الحديثة من الطائرة ، والدبابة ، والبارجة ، والقنبلة الخ ... يستخدمها عند الضرورة لإحقاق الحق وإزهاق الباطل « إن الباطل كان زهوقاً » ، لأنه بغير القوة لا يستقيم للأمة أمر ، ولا يتوفر للدولة عزة ، « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون » .

ومن هذا يتبين لنا أنه يجب على الأمة الإسلامية أن تسلح نفسها بكل سلاح ، وألا تقتصر على القديم من أدواتها وأجهزتها ، بل تحذر وتحسب للمفاجآت حسابها ، وتسبق غيرها في الاستعداد ولا تكون قوة بغير سلاح .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الشباب في الهجرة النبوية

السؤال : سمعت الكثير عن الهجرة النبوية ، ولكني لم أسمع ما يشفيني عن مواقف الشباب فيها ، مع أنني سمعت ذات يوم من عالم كبير أن الشباب قاموا في حادث الهجرة بأعظم الجهود ، فما هي أدلة ذلك ؟

الجواب :

إن حادث الهجرة من المواقف العالمية الخالدة ، التي لا تزال تنبض بالحياة

والقوة والحركة ، كأن وقائعها حين تُتلى تنبعث من جديد ، فيشهدها المرء حساً ، وإن كانت رواية وكلاماً ؛ ولقد كان للشباب نصيب كبير في هذا الموقف الفذ ، ولا عجب في ذلك ، لأن الشباب دائماً هم ربيع الأمة ، وعصب الحياة ، وعدة الكفاح ، ورجاء المستقبل ، وهذا جوته يقول : إن مصير أية أمة ـ في أي دور من أدوار حياتها يتوقف على أفكار شبابها الذين تقل أعمارهم عن خمسة وعشرين عاماً ، ويقول لبريه : « أقبلوا أيها الفيلق المبارك ، يا شباب الأيام التي لم ينفرط عنها عقد الأيام بعد ، أقبلوا كالفجر الطالع ، واملأوا آفاق الورى بالنور »[1] .

وإن المتدبر لوقائع الهجرة ليستطيع أن يرى أقدام الشباب الطاهرة المباركة، تخطو خطواتها ، وتؤثر آثارها ، وتشارك في الهجرة ، من لدن مقدماتها إلى نهايتها . فمن مقدماتها مثلاً نرى أبا الحيس أنس بن رافع يقدم من المدينة إلى مكة في فتية حاجين ومتاجرين ، فتعرض لهم الرسول عليه الصلاة والسلام قبيل الهجرة ، ودعاهم إلى الإسلام ، وطلب منهم النصرة ، فتقدم منهم شاب حَدَث ، هو إياس بن معاذ ، وترجم عن حسن استقبال الشباب للحق ، وكريم تلقي الفتيان البررة لكلمة الصدق ، فقال لرفاقه ، وهو يحرضهم على قبول الدعوة ، ونصرة النبوة : يا قوم ، هذا والله خير مما جئنا له ...

وكاد إياس الشاب ينجح في دعوته قومه إلى الهدى ، لولا أن الشيخوخة المتجبرة ذات السلطة المطلقة والنفوذ الطاغي استبدت لتحول بين الشباب والنور ، فجاء أبو الحيس الشيخ ، وهو زعيم القوم ، فانتهر الشاب وضربه ، وأرغمه على السكوت . وفي هذه الحادثة يتمثل أول موقف من مواقف الشباب في مقدمات الهجرة .

وها هو ذا العباس عم الرسول يخرج معه إلى بيعة العقبة ، وهي الأساس الأول في الهجرة ، ليقابلا جمعاً من الأنصار أهلِ المدينة ، فيتخوف العباس من هؤلاء الغرباء ويقول : يا ابن أخي ، ما أدري ما هؤلاء القوم الذي

---

(١) نظر كتابي « واجب الشباب العربي » ، ص ٧١ . الطبعة الأولى . مطبعة الرسالة بالقاهرة سنة ١٩٤٨م .

جاؤوا ؟ إني لذو معرفة بأهل يثرب ... وتذهب الظنون بالعباس كلّ مذهب . ولكنه ما يكاد يرى هؤلاء الأنصار ، ويرى أنهم شباب ،ويشهد في وجوههم سمات الطهارة والبراءة ، حتى يغيّر رأيه ، ويقول : إن هؤلاء قوم غير مَن نعرف ؛ إن هؤلاء أحداث (أي شباب) . ويبايع هؤلاء الاحداث رسولَ الله على الموت في سبيل الحق ، وعلى نصرة الرسول إذا جاءهم يوماً مهاجرا ؛ وكان المبايعون نحو السبعين ، ثم يقوم من بينهم أسعد بن زرارة ، وقد كان أحدث هؤلاء الشباب ، وأصغرهم سنا ، فيؤكد البيعةَ ، ويلفت أقرانه إلى تبعاتها ومطالبها ، حتى يكونوا على بيّنة من أمرها ، فلا يتخونوها فيما بعد ، ويصفها بأنها بيعة خطيرة ، فيها عداوة العرب والتعرضُ للسيوف وقتل الخيار ، فيعود القوم الشبابُ إلى تأكيد البيعة والترحيب بها ، في حماسة الفتوة ، وحرارة الشباب ، ثم يختار الرسول أسعد بن زرارة وهو أصغر الشباب كما عرفنا ليكون بين نقباء القوم ، فيجعله نقيبا على بني النجار ، فيكون ذلك تقديراً من الرسول الحكيم لجهود الشباب في نصرة الدعوة ، وتكريماً لبراعمها الناضرة .

وبينما كانت قريش الكافرة تسوق الشباب الضالين إلى مهواة مُهْلكة ، وتحاول أن تتخذ منهم أدوات صماء وآلات عمياء تسيّرها كما تشاء ، بأن تختار من كل قبيلة شابا جَلْدا نهدا قويا ، ليشتركوا في قتل محمد الأعزل ، فيتفرق دمه في القبائل ، كانت هناك صورة كريمة مناقضة لهذه الصورة اللئيمة ، كان هناك « علي » وسنه لا تبلغ الخامسة والعشرين ، يبيت في موضع لرسول ، وينام على فراشه ، ويتغطى ببرده الحضرمي الأخضر ، وهو يعلم أنه سيكون محطّ الخطر وهدف السيوف الطائشة الجائعة ، فيضرب بذلك المثلَ العالي في الفدائية القويمة الكريمة العظيمة [1] ، ويجعل هذه التضحية موقفا خالدا من مواقف الشباب في الهجرة .

* * *

(١) انظر كتابي « الفداء في الإسلام » ، الطبعة الثانية ، دار المعارف بالقاهرة، صفحة ٤٢ و٤٣ .

ويخرج الرسول من بيته إلى بيت أبي بكر ، ليتفق معه على الخطة النهائية للهجرة . وهذا سر جليل وأمر خطير يجب أن يحفظ ويصان ، ولذلك يأمر النبي أبا بكر بأن يُخْرِجَ مَنْ في بيته ، فيخبره بأنه لا أحد ، ولكن الرسول يسمع حسا وحركة ، فيسأل ، فيجيبه أبو بكر : إنما هما ابنتاي يا رسول الله ... فيطمئن الرسول ويدخل ، ويتحادث مع الصّديق في أخباره وأسراره وأسماء وعائشة بنتا أبي بكر تسمعان ، ولا يحدث منهما إفشاء أو إظهار ، مما يدلنا على أن الشبيبة المؤمنة ممثلة في ذكورها وإناثها كانت موضعَ الثقة ومحل الاطمئنان ، وهذا تكريم للشباب أي تكريم .

ودخل الرسول وصاحبه الغار ، وانقطعت عنهما الأخبار ، وهما يريدان بأي ثمن أن يقفا على أخبار قريش وخططها ووسائل تعقبها لهما ، فمَنْ يقوم بنقل الأنباء واستقصائها وإحصائها ؟ يقوم بهذا الواجب الجليل الخطير شاب مسلم أيضاً ، هو عبد الله بن أبي بكر ، فقد كان كما تحدثنا كتب السيرة شابا ثَقِفاً لَقِفاً ، كان يقضي نهارَه في مكة بين قريش ، يسمع ويشاهد ، ويحصي ، ويتدخل في المجتمعات والأندية والأسمار ، ويعي كلَّ ما يقال أو يحدث ، حتى إذا توسط الليل خرج حذرا يترقب إلى الغار ، ونقل إلى الرسول وصاحبه كلَّ ما عرف ، ثم يعجّل بالعودة إلى مكة عند السحر ، حتى يصبح وكأنه لم يغادر مكة أثناء الليل ، ولا شك أن هذا عمل شاق خطير ، ولكن همة الشباب جعلته يسيرا قريبا .

والرسول وصاحبه في حاجة إلى شراب يزيلان به هذا الظمأ ، ويرويان به العروق ، فمن أين لهما بالشراب ، وهما في بقعة صحراوية قاحلة ؟ فليقم بهذا أيضاً شاب من الشباب ، هو عامر بن فهيرة ، وقد كان غلاماً فتيا يرعى الغنم لأبي بكر ، فكان يتنقل بغنمه هنا وهناك ، حتى يبلغ الغار ، فيسقي النبي وصاحبه لبناً مصفى من ضروع الشاة ، ويشارك أيضاً في نقل الأخبار والأنباء .

وللمهاجران الكريمان في حاجة إلى الطعام ، فمن أين يأتيهما ؟ فلتأت به إليهما الشابةُ المؤمنة ، والفتاة المسلمة : أسماء بنت أبي بكر ، فكانت تنقل إليهما الطعام كل يوم ، وتتعرّض لأخطار الطريق وفجاءاته ، وما أكثرها ،

ثم تحتم جهودها الشابة في هذا الحادث بأن تشق نطاقها نصفين ، لتربط به أمتعة المهاجرين حين مغادرتهما الغار ، فيطلق عليها ذلك الوصف السامي : « ذات النطاقين » .

* * *

وبينما الهجرة تتهيأ بمقدماتها ووقائعها للتمام والبلوغ ، كان الشباب الذين آمنوا بالمدينة يشاركون في تهيئة الجو المسلم النقي من الشرك والوثنية للرسول المهاجر ؛ ومن أمثلة ذلك أن عمرو بن الجموح كان مشركا ، وكان له صنم يعظمه ، فكان الفتيان المسلمون من بني سلمة يأتون ليلاً ويرمون الصنم منكسا في مباءة أقذار الناس ؛ فإذا أصبح عمرو بحث عن (إلهه) حتى يجده ملطخاً بالأقذار ، فيغسله ويطهره ويطيبه . فـإذا جاء الليل كرر الفتيان سخريتهم الواعظة الزاجرة ، فجاء عمرو بن الجموح بسيف فوضعه في عنق الصنم وخاطبه ، كأنه يفهم عنه ما يقول ، فقال له : إني لا أعلم من يصنع بك هذا ، فدافع عن نفسك ، وهذا هو السلاح معك .

ولما جاء الليل أقبل الشباب فنزعوا السيف ، ونكسوا الصنم ، وعلقوا في رقبته كلبا ميتا ، وألقوه في البئر مملوءة بالغائط والأقذار ، ونهض عمرو عند الصباح وهو يظن أن إلهه قد بطش بأعدائه ، ولكنه بعد البحث وجده ملقى بين الأقذار ، والكلب الميت معلق برقبته ، والسيف ليس معه ... حينئذ علم أن هذا الصنم لا يضر ولا ينفع ، وأنه كان مخبولا حين عبده ، فاهتدى إلى الطريق الحق ، وذهب إلى الأنصار المسلمين فأسلم ، وذلك بفضل الله ، ثم بفضل هؤلاء الشباب الذين كانوا خير رائد سبق هجرة الرسول .

وما وصل الرسول إلى المدينة حتى خرج الشبان والفتيان والغلمان وهم يهتفون : هذا رسول الله ... وهذا هتاف يدل على أنهم عالمون بوصف الرسول الحقيقي الذي سيكون سبب الهداية للعالمين ، كما خرج فريق آخر من الفتيات كما في بعض الروايات ، يستقبلن الرسول الكريم بهذه الأبيات الجميلة :

طلـع البـدر علينـا   من ثنيـات الوداع

وجب الشكر علينــا	ما دعــا لله داع
أيهــا المبعوث فينــا	جئت بالأمــر المطاع
جئت شرفت المدينة	مرحبــا يا خير داع

* * *

وكما بدأت الهجرة بالشباب وسارت يحدوها الشباب لا بد أن تختم أيضاً بالشباب ، فإن ناقة الرسول حين دخلت المدينة رفضت أن تبرك أمام دار أحد من الأنصار ، وفيهم الكبار والأغنياء ، ولكنها بركت في مكان يجفف فيه التمر ويسمى المربد ، وهو لغلامين يتيمين من غلمان المدينة ، فاشترى الرسول من هذين الشابين مربدهما ، وبنى فيه مسجده العظيم ، ليكون مقر القيادة ومركز النصرة في تاريخ الإسلام المجيد .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الجالس وسط الحلقة

السؤال : ما معنى الحديث النبوي الذي يقول : « الجالس وسط الحلْقة ملعون » ؟ وهل هو حديث حقا ؟

الجواب :

هذا الحديث قد ذكره الإمام ابن الأثير ، وذكر علةَ اللعن هنا ، وهي أنه إذا جلس الشخص في وسط الدائرة استدبر بعضَ الجالسين بظهره ، فيؤذيهم بذلك ، فيسبونه ويلعنونه ، ويكون هذا معنى قول الحديث : « ملعون » . وليس من آداب الجلوس في القديم ولا في الحديث أن يأتي الشخص فيجلس بين قوم قد تحلقوا واستداروا متواجهين ، فيكون ذلك الشخص نافراً عنهم ، شاذا بينهم ، إن واجه بعضَهم كان ظهره إلى الآخرين .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

النبي العربي

السؤال : في تركيا جملة شائعة هي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إنني عربي ، ولكن العرب ليسوا مني » . فهل هذا صحيح ؟

الجواب :

لم نجد أصلا لهذه الكلمة ، ولم نجد في مرجع من المراجع الحديث النبوي التي رجعنا إليها أن النبي قد قالها ويسهل أن يتصور العقل أن النبي قد قالها، وأراد بها الأمة العربية المؤمنة ، لأن الأمة العربية قد نزل القرآن الكريم بلغتها ، واختار الله دارَها لتكون منزلَ الوحي ، واختار رسولَه منها ، وجعل منها الخلفاء الراشدين وأوائلَ المسلمين ، وجعل منها الحملة الأوائل لرسالة الإسلام هنا وهناك . ولوفرضنا وتصورنا أن الرسول قال عبارة كهذه لكان المراد من كلمة « العرب » فيها أولئك الذين عاندوا الرسول ، وأصروا على كفرهم وعنادهم من العرب ، وما داموا لم يسلموا ولم يؤمنوا فليسوا من النبي في شيء ، لأن رابطة الإسلام هي أقوى الروابط بين المسلمين . وحين نراجع أحاديثَ الرسول عليه الصلاة والسلام نجد فيها طائفةً من الأحاديث التي تذكر العرب بالخير ، وترفع قدرهم ، وقد أوردت هذه الأحاديث في كتاب « وسائل تقدم المسلمين » [1] .

ومنها قول النبي عليه الصلاة والسلام : « إذا ذلَّ العرب ذل الإسلام » . وقوله : « أحبوا العربَ لثلاث : لأني عربي ، والقرآن عربي ، ولسان أهل الجنة عربي » . وفي الحديث أيضاً : « أحبَّ العربَ من قبلك » . وفيه كذلك : « بغض العرب نفاق » .

والرسول ينص في أكثر من حديث على عروبته ، وهذا تشريف للعرب

---

(١) اقرأ فصل « بين العروبة والاسلام » من كتابي « وسائل تقدم المسلمين » ص ١١٨ — ١٣٠ . مطبعة دار العالم العربي بالقاهرة ، سنة ١٩٥٩م .

وتمجيد لهم ، كقوله : « أنا أعربكم » . وقوله : « أنا أعربُ العرب » . وقوله : « أنا سابقُ العرب » .

ونرجح أن تكون هذه الكلمة قد أشاعها بعضُ الحاقدين على العرب ، مع أن الصلة بين العروبة والإسلام وثيقة متينة ، لأن العروبة وعاء الإسلام ، والإسلام روح العروبة ، وما وثقته يد الله تبارك وتعالى لا تستطيع أن تمزقه أيدي الحاقدين أو المفترين .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

شَعَرات الرسول

السؤال : سمعتُ أن الناس في تركية تعودوا أن يُخْرجوا شعرات الرسول عليه الصلاة والسلام في ليلة القدر ليتبركوا بها ، فمتى وزعوا هذه اللحية في المساجد ؟

الجواب :

جاء في كتاب « الآثار النبوية » لأحمد تيمور باشا ، أنه ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم حلق رأسه الشريف في حجة الوداع ، وقسّم شعره بين الصحابة : الرجال والنساء . وقال العلامة ابن حجر : « إنه يسن بل يتأكد التبرك بشعره صلى الله عليه وسلم وسائر آثاره » . ولقد قال محمد بن سيرين لبعض الناس فيما يرويه البخاري : « عندنا من شعر النبي صلى الله عليه وسلم ، أصبناه من قِبَل أهل أنس » . فقال : « لأن تكون عندي شعرة منه أحب إليَّ من الدنيا وما فيها » . ويروى أن خالد بن الوليد كانت له قلنسوة يلبسها في الحروب ، وقد ضاعت منه يوم معركة « اليرموك » فبحث عنها حتى وجدها ، وقال : « اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلق رأسه ، فابتدر الناسُ جوانبَ شعره ، (أي سارعوا) ، فسبقتُهم إلى ناصية فجعلتها في هذه القلنسوة ، فلم أشهد قتالا وهي معي الا رُزقت النصر » .

وقد ذكر صاحب كتاب (الآثار النبوية) الشعرات النبوية الموجودة في مكة وتونس وفلسطين ومصر وقال: «فما صح من الشعرات التي تداولها الناس بعد ذلك فإنما وصل إليهم مما قسم بين الأصحاب رضي الله عنهم، غير أن الصعوبة في معرفة صحيحها من زائفها».

ثم ذكر أن القسطنطينية — وهي استانبول — فيها من عهد السلطان رشاد ثلاث وأربعون شعرة نبوية محفوظة، وأنه أهدى منها إلى بعض المدن بالمملكة العثمانية أربعا وعشرين شعرة، وبقيت تسع عشرة شعرة، يرجّح أنها باقية إلى اليوم، وأن بعضها قد فرقوها على بعض المساجد هناك، وأن الاحتفال بإخراجها يكون في العام مرة واحدة في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان وهي الليلة التي اشتهر بين المسلمين أنها ليلة القدر، وفي الاحتفال يزور الناس هذه الشعرات بعد صلاة التراويح، فيقرأ القراء القرآن، ويصلّون على النبي صلى الله عليه وسلم، ويتبرك الناس بلمس اللفافات التي وضعت فيها الشعرات ثم تعاد الشعرات إلى مكان حفظها.

ومن الطريف أن الإمام ابن حجر سئل مرة عن شعرة كانت عند أخوين يزورهما الناس، فهل إذا مات الأخوان تقسَّم الشعرة بين ورثة الأخوين؟ فأجاب بقوله: «هذه الشعرة الشريفة لا تورَّث ولا تملك، ولا تقبل القسمة، فالمذكورون مستوون في الاختصاص بها والخدمة لها، لا تمييز لأحد منهم على أحد».

والله تبارك وتعالى أعلم.

* * *

دعاء جامع من الحديث

السؤال: أريد أن تدلني على دعاء طويل من الحديث النبوي، أردده في الأوقات التي أدعو فيها؟

الجواب :

روى الإمام الغزالي في كتابه « إحياء علوم الدين » الدعاء التالي منسوباً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو :

« اللهم إني أسألك رحمةً من عندك ، تهدي بها قلبي ، وتجمع بها شملي ، وتلم بها شعثي ، وترد بها الفتن عني ، وتصلح بها ديني ، وتحفظ بها غائبي ، وترفع بها شاهدي ، وتزكي بها عملي ، وتبيض بها وجهي ، وتلهمني بها رشدي ، وتعصمني بها من كل سوء .

اللهم أعطني إيماناً صادقاً ، ويقينا ليس بعده كفر ، ورحمةً أنال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة . اللهم إني أسألك الفوزَ عند القضاء ، ومنازل الشهداء ، وعيش السعداء ، والنصر على الأعداء ، ومرافقة الأنبياء . اللهم إني أنزل بك حاجتي وإن ضعف رأيي وقلت حيلتي وقصر عملي وافتقرت إلى رحمتك ، فأسألك يا كافي الأمور ، ويا شافي الصدور ، كما تجير بين البحور ، أن تجيرني من عذاب السعير ، ومن دعوة الثبور ، ومن فتنة القبور .

اللهم ما قصر عنه رأيي ، وضعف عنه عملي ، ولم تبلغه نيتي ، من خير وعدته أحداً من عبادك ، أو خيراً أنت معطيه أحدا من خلقك ، فإني أرغب إليك فيه ، وأسألك يا رب العالمين .

اللهم هذا الدعاء ، وعليك الإجابة ، وهذا الجهد وعليك التكلان ، وإنا لله وإنا إليه راجعون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم ، ذي الحبل الشديد ، والأمر الرشيد ، أسألك الأمن يوم الوعيد ، والجنةَ يوم الخلود ، مع المقربين الشهود ، والركّع السجود ، الموفين بالعهود ، إنك رحيم ودود ، وأنت تفعل ما تريد .

سبحان الذي لبس العز وقال به ، سبحان الذي لا ينبغي التسبيح إلا له ، سبحان ذي الفضل والنعم ، سبحان ذي العزة والكرامة ، سبحان الذي أحصى كل شيء بعلمه ، اللهم اجعل لي نورا في قلبي ، ونورا في قبري ، ونورا في سمعي ، ونورا في بصري ، ونورا في شعري ، ونورا في بشري ، ونورا في

لحمي ، ونورا في دمي ، ونورا في عظامي ، ونورا بين يدي ، ونورا من خلفي ، ونورا عن يميني ، ونورا عن شمالي ، ونورا من فوقي ، ونورا من تحتي ، اللهم زدني نورا ، وأعطني نورا ، واجعل لي نورا » .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الحديث المرسل

السؤال : ما معنى الحديث المرسل ؟

الجواب :

جاء في شرح « ألفية السيوطي في علم الحديث » عن الحديث المرسل ما يلي :

« الحديث المرسل هو ما رواه التابعي – صغيرا أو كبيرا – عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يذكر من حدّثه به ، وكذلك ما رواه من رأى النبي صلى الله عليه وسلم ، ولكنه كان غير مميز حين الرؤية ، كمحمد بن أبي بكر الصديق ، فإنه وإن كان يدخل في تعريف الصحابي ، إلا أن روايته مرسلة . وأما من سمع من النبي صلى الله عليه وسلم شيئا قبل إسلامه ، ثم أسلم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كالتنوخي رسول هرقل – وقيل رسول قيصر – فإنه وإن كان تابعيا ، إلا أن حديثه موصول ليس بمرسل ، لأن العبرة في كل هذا بالرواية . أعني أن هذا روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو يدرك الرواية ، وإن كان غير عدل حين التحمل ، ولكنه صار عدلا حين الأداء .

وأما غير المميز فإنه لم يكن أهلا للتحمل ، فروايته حقيقتها أنها عن غير النبي صلى الله عليه وسلم ، فكانت لذلك مرسلة » .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

حديث عن الشام

السؤال : شاع على ألسنة الناس هذا الحديث : « طوبى لمن كان في أول عمره في سائر البلدان ، وآخر عمره في الشام ، وويل لمن كان أول عمره في الشام ، وآخر عمره في سائر البلدان » . فهل هذا الحديث صحيح ؟

الجواب :

وردت في فضائل الشام أحاديث ، منها قول النبي صلى الله عليه وسلم : « اللهم بارك لنا في شامنا » . وقوله : « ستخرج نار من نحو حضرموت قبل يوم القيامة تحشر الناس . قالوا : يا رسول الله ، فما تأمرنا ؟ قال : عليكم بالشام » . وقال النبي : « طوبى للشام . فقالوا : لأي ذلك يا رسول الله ؟ قال : لأن ملائكة الرحمة باسطة أجنحتها عليها » . وقال النبي : « ستكون هجرة بعد هجرة . فخيار الناس هجرة إلى مهاجر إبراهيم عليه السلام » . وهو يقصد الشام .

وعن ابن حوالة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سيصير الأمر أن تكونوا جنودا مجندة : جند بالشام ، وجند باليمن ، وجند بالعراق » . فقال ابن حوالة : خِرْلي — أي اختر لي — يا رسول الله ، إن أدركتُ ذلك ، قال : عليك بالشام فإنها خيرة الله في أرضه ، يجتبي إليها خيرته من عباده ، فأما إن أبيتم فعليكم بيمينكم ، واسقوا من غدركم ، فان الله عز وجل توكل لي بالشام وأهلها » .

وأما ما تناقله الناس وهو : « طوبى لمن كان في أول عمره في سائر البلدان وآخر عمره في الشام ، وويل لمن كان في أول عمره في الشام ، وآخر عمره في سائر البلدان » . فلم أجد هذا الحديث في كتاب من كتب الحديث المعتمدة.

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

كتاب رياض الصالحين

السؤال : **أنا شاب نشأت نشأة مدنية ، وأحس بحاجتي إلى الدراسات الدينية الإسلامية ، وقد حاولت أن أطالع في كتب الأحاديث الضخمة القديمة ، فتعبت جدا لكثرة الأسماء وطول الروايات ، فهل يوجد كتاب مختصر سهل، يتيسر لي أن أطالع فيه الأحاديث اللازمة لمثلي ؟**

الجواب :

لعل أقرب كتاب في هذه الناحية يرد بالبال هو كتاب « رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين » ، تأليف العالم العارف بالله محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النواوي الشافعي ، فقد جمع فيه مؤلفه رحمه الله طائفةً من الأحاديث المطهرة تغلب فيها الصحة ، وقد ذُكرتْ هذه الأحاديث بدون السند المتعب ، ومعها شرح عاجل لغريب الألفاظ ، وقد قسمه مؤلفه إلى عدة أبواب وفصول ، تتناول شؤونَ العبادة والحياة ، والكتاب في مجلد متوسط الحجم ، وطبعاته كثيرة ، وثمنه زهيد .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

شفاعة الرسول

السؤال : **حين يتجلى غضب الله يوم القيامة ، هل يشفع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم للأمة كلها ؟ وإذا كان لا يشفع للكل فمن هم الذين يحرمون من شفاعته ؟**

الجواب :

يقول الله تبارك وتعالى مخاطبا رسوله عليه الصلاة والسلام : « عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مقاماً مَحْمُوداً » . وقال أكثر المفسرين أن « المقام المحمود» هنا هو مقام الشفاعة ، لأن أبا هريرة رضي الله عنه سأل الرسول صلى الله عليه

وسلم : « ما المقام المحمود يا رسول الله ؟ فأجابه النبي : « أرجو أن يكون هو المقام الذي أشفع فيه لأمتي » .

وجاء في الحديث الصحيح أن الناس يوم القيامة يسألون الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام الشفاعة ، فيتخلصون منها حتى ينتهوا إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فيقول : أنا لها . ثم يسجد سجدة ، ويلهمه الله ثناء يثني به على ربه ، فيقال له : ارفع رأسك ، وسل تعط ، واشفع تشفع .

فيقول النبي صلوات الله وسلامه عليه : « أمتي أمتي » . ثم يخرج بهذه الشفاعة من النار من لا يشرك بالله شيئا . ويقول فريق من العلماء إن الشفاعة تكون لمن يستحقون الثواب أو رفع الدرجات ، وليست لأهل الكبائر والذنوب ، وفريق آخر يقول : إن الشفاعة ستكون للأمة كلها ، بدليل قول النبي عليه الصلاة والسلام : « ادخرت دعوتي ، فجعلتها شفاعة لأمتي يوم القيامة » . وهذا الفريق يقول إن الشفاعة تكون لأهل الكبائر والصغائر معا ، واستدلوا على هذا بالحديث الذي رواه الترمذي وأبو داود بسند حسن : « شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي » . وفضل الله واسع ، وتكريمه لنبيه كبير .

ويقول المحققون من العلماء إن الشفاعة لا تزيد أعمال الإنسان ، بل إن الانسان يكافأ بعمله ويزيد الله جزاءه بالشفاعة ، فهي زيادة في الجزاء ، وليست زيادة في العمل .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

من تشبيهات الرسول

السؤال : ما معنى قول الرسول : « المؤمن كالكلب المأبور » . وكيف يستساغ تشبيه المؤمن بالكلب ؟

الجواب :

الذي أعرفه في هذا المجال هو قول الرسول عليه الصلاة والسلام « مثل

المؤمن مثل الشاة المأبورة » . أي التي أكلت الإبرة في علفها ، فشبت الإبرة في جوفها ، فهي لا تأكل شيئاً ، وذلك تصوير للمؤمن في خوفه وعزوفه عن لذة الدنيا وشهوتها وعدم ولوعه بها ، وحرصه على الانتفاع منها ، والله أعلم بمراد رسوله ، ولو صح ورود الحديث المذكور بالسؤال لأجيب عنه بأن علماء البلاغة يقولون : إن التشبيه لا يقتضي التماثل في سائر الوجوه ، بل في وجه الشبه المقصود ، وحينئذ لا يكون تشبيه المؤمن بالكلب – إن كان وارداً منصبا على الجهات المستقذرة من الكلب ، بل على كونه مصابا بإبرة فقط .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

كان خلقه القرآن

السؤال : **طالعت في بعض الكتب أن سعد بن هشام قال : دخلت على عائشة رضي الله عنها وعن أبيها فسألتها عن أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : أما تقرأ القرآن ؟ قلت : بلى . قالت : لقد كان خلقُه القرآن . أرجو توضيح هذا مع الشكر ؟**

الجواب :

لا جدال في أن الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام والتسليم كان أجمل الناس طبعا ، وأكملهم خلقا ، وأرقهم خصالا ، وقد وصفه القرآن المجيد نفسه بأنه على خُلُق عظيم ، وبأنه رؤوف رحيم ، وبأنه نور وسراج وبشير ورحمة للعالمين .

ولقد قال هو نفسه صلوات الله وسلامه عليه : « إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق » ، والذي بُعث ليتمم مكارم الأخلاق لا بد أن يكون كاملا في هذه المكارم حتى يكون لها إماما وإليها قائدا ، ولذلك كان رسول الله محمد ابن عبد الله مضرب الأمثال في الحلم والعفة والعدل والشجاعة والصبر والسخاء ، وغير ذلك من أمهات الفضائل .

وعندما قالت السيدة عائشة رضوان الله عليها إن خلق الرسول هو القرآن أرادت أنه صلوات الله وسلامه عليه كان صورةً عملية تطبيقية لما تضمنه القرآن الكريم من خلال وخصال ... فأنت ترى القرآن مثلا يقول : « وَشَاوِرْهُمْ في الأمر » . ويقول : « ادفَعْ بِالتِي هِيَ أحْسَنُ فَإذَا الذي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأنَهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ » . ويقول : « إنَّ اللهَ يَأمُرُ بِالعَدْلِ والإحسانِ وَإيتاء ذي القُربَى وَيَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنكَرِ وَالبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَكُم تَذَكَرُونَ » . ويقول : « واصْبِرْ عَلَى ما أصَابَكَ إنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأمُورِ » . ويقول : « خُذِ العَفْوَ وَأمُرْ بالعُرْفِ وأعرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ... » . وهذه كلها آداب دعا إليها القرآن ، وتمسك بها الرسول عليه الصلاة والسلام ، فكان خلقه هو القرآن .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

المجالس بالأمانة

السؤال : **طالعتُ في بعض الكتب هذا الحديث « المجالس بالأمانة » . فما معناه ؟**

الجواب :

قال ابن الأثير عند ذكره لهذا الحديث ما نصه : « هذا ندب إلى ترك إعادة ما يجري في المجلس من قول أو فعل ، فكأن ذلك أمانة عند من سمعه أو رآه » . وكأنه يريد أن يقول إن المرء يحسن به ، إن لم يجب عليه ، إذا حضر مجلسا من المجالس ، وسمع فيه كلاما أو رأى فيه شيئا ، أن يُسِرَّ ذلك ويطويه ، فلا يُطْلع عليه الناسَ ولا يُفشيه ، لأن هذه هي شرعة الوفاء والأمانة ، ومن قول الأدباء : إن مجالس الإخوان كبساط الشراب يُطْوَى على ما فيه .

لكن هناك مواقف يجوز لك فيها إن لم يجب أن تتحلل من هذا القيد ، وأن

تذكر ما جرى بالمجلس ، لما يترتب على ذكره من إصلاح أو دفع ضرر أو نصرة مظلوم أو حفظ دعاء ، وإلى مثل هذه المجالس أشار الحديث الشريف : « المجالس بالأمانة إلا ثلاثة مجالس : مجلس يسفك فيه دم ، ومجلس يستحل فيه فرج حرام ، ومجلس يستحل فيه مال من غير حله » .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

وقاية الحياء

السؤال : ما معنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « إذا لم تستح فاصنع ما شئت » ؟

الجواب :

الحياء – كما قيل – تغير وانكسار يصيب الإنسان عند خوف ما يعيبه أو يشينه ، والحياء في الدين هو الخلق الذي يمنعك من القبيح ويحثك على الصنع الجميل ، وقد وردت في الحياء أحاديث كثيرة كلها غرر : عن عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : الحياء لا يأتي إلا بالخير » . وعن النبي قال : « استحيوا من الله حق الحياء » ، قلنا : يا رسول الله إنا نستحيي والحمد لله ، قال : « ليس ذاك ، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى ، والبطن وما حوى ، ولتذكر الموت والبلى ، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا ، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء » . وعن أبي هريرة عن النبي قال : « الحياء من الإيمان ، والإيمان في الجنة والبذاء من الجفاء ، والجفاء في النار » . والبذاء – بوزن السماء – هو السفه وفحش القول . وعن أبي أمامة عن النبي قال : « الحياء والعي شعبتان من الإيمان ، والبذاء والبيان شعبتان من النفاق » . والمقصود بالعي هنا قلة الكلام مع كثرة العمل ، والمقصود بالبيان هنا كثرة الكلام بلا تصديقه بالعمل ، إلى غير ذلك من الأحاديث .

والحديث المسؤول عنه هنا رواه البخاري وأبو داود وأحمد ، ونصه : عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى : إذا لم تستح فاصنع ما شئت » .

ومعنى الحديث أن المرء إذا فقد الحياء فقد ضاع منه الرقيب والضمير والضابط ، وقد خلع برقعَ الحياء والأدب ، وكشف عن وقاحته بعد أن أسال ماء حيائه ، فليفعل إذاً كلَّ ما يريد من سيئات ومنكرات وكبائر ، فليس بعد ضياع الحياء ما يصده عن شيء من المآثم ؛ وذلك بطبيعة الحال لون من التهديد والوعيد والتحذير ، كقوله سبحانه : « اعملوا ما شئتم » . وكقوله : « فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » .

ويصح أن يكون معنى الحديث : إذا استوى سرك وعلانيتك ، وظاهرك وباطنك ، فلم تأت في السر ما تستحيي وتخجل منه في العلانية ، فأنت بمأمن من العيب واللوم ، وبعيد عن مهاوي المعصية ، لأنك مخلص في تقواك ، محسن في عبادتك ، طهور في جميع تصرفاتك ، تعبد الله كأنك تراه ، أو على الأقل وأنت متذكر أنه يراك ، وما دمتَ هكذا فاعمل ما تشاء ، فلن يكون منك إلا كل حميد ، ولن يصدر عنك إلا كل جميل مقبول .

ويقول الإمام ابن الأثير في كتابه « النهاية في غريب الحديث » عند تعرضه لشرح هذا الحديث ما نصه : « وله تأويلان ، أحدهما ظاهر ، وهو المشهور ، أي إذا لم تستح من العيب ، ولم تخش العار مما تفعله ، فافعل ما تحدثك به نفسُك من أغراضها : حسنا كان أو قبيحا ، ولفظُه أمر ومعناه توبيخ وتهديد ، وفيه إشعار بأن الذي يردع الإنسان عن مواقف السوء هو الحياء ، فإذا انخلع منه كان كالمأمور بارتكاب كل ضلالة ، وتعاطي كلِّ سيئة ؛ والثاني أن يُحمل الأمر على بابه ، ويقول : إذا كنت في فعلك آمنا أن تستحي منه لجريك فيه على سنن الصواب ، وليس من الأفعال التي يستحى منها ، فاصنع ما شئت » .

ولو أننا نظرنا إلى المجتمع ، وما فيه من فضائح وبلايا لوجدنا أن ضياع

الحياء كان السببَ الأكبر في وقوع هذه الجرائم الفردية والجماعية ، فالكثير قد نُزعت منه غريزةُ الحياء الطبيعية ، أو هو قد كتم أنفاسها بتوقحه ، ثم نُزعت منه صفة الحياء الدينية ، فلا وازع يزعه ، ولا رادع يردعه ، ولا ضمير يحاسبه ، ولا خوف عنده من حساب آجل أو عقاب عاجل ، وما دام الأمر كذلك فليفعل كل منهم ما يشاء ، فليس بعد الحياء وقاء .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الحال المرتحل

السؤال : **طالعتُ هذا الحديث : « سئل الرسول صلى الله عليه وسلم : أي الأعمال أفضل ؟ فقال : الحالّ المرتحل . قيل : وما ذاك ؟ قال : الخاتم المفتتح . فما معنى الحديث ؟**

الجواب :

ورد هذا الحديث في كتاب « الجامع للأصول » مرويا عن الترمذي بسند غريب على هذه الصورة : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رجل : يا رسول الله ، أي العمل أحب إلى الله ؟ قال : الحال المرتحل . قال : وما الحال المرتحل ؟ قال : الذي يضرب من أول القرآن إلى آخره ، كلما حل ارتحل . وعلق المؤلف على الحديث بقوله : « أي كلما أتم القرآن عاد لتلاوته من أوله . فالقرآن أفضل عبادة يتقرب بها العبد إلى ربه تعالى بعد الفرائض التي افترضها عليه . وحكي عن الإمام أحمد رضي الله عنه أنه رأى ربه في المنام عدة مرات فقال : والله إن رأيته مرة أخرى لأسألنه أي شيء يقرب العبد إلى ربه . فرأى ربه جل شأنه فقال : يا رب بأي شيء يتقرب العبد إليك ؟ قال : بتلاوة كلامي يا أحمد . قال : فَهِمَ المعنى أو لم يفهم يا رب ؟ قال : فهم المعنى أو لم يفهم » !

وذكر ابن الأثير في كتابه « النهاية » هذا الحديث برواية أخرى قريبة ،

هي : أنه سُئل أي الأعمال أفضل ؟ فقال : الحالّ المرتحل . قيل : وما ذاك ؟ قال : الخاتم المفتتح . ثم فسر ابن الأثير ذلك بقوله : « وهو الذي يختم القرآن بتلاوته ، ثم يفتح بتلاوته من أول . شبهه بالمسافر يبلغ المنزل فيحل فيه ، ثم يفتتح سيره أي يبتدئه . وكذلك قراء أهل مكة ، إذا ختموا القرآن ابتدأوا وقرأوا الفاتحة وخمس آيات من أول سورة البقرة إلى : وأولئك هم المفلحون » ثم يقطعون القراءة ، ويسمون فاعل ذلك الحال المرتحل ، أي الذي ختم القرآن وابتدأ بأوله ولم يفصل بينهما بزمان . وقيل : أراد بالحال المرتحل الغازي الذي لا يقفل من غزو إلا أعقبه بآخر » .

فأنت تفهم من هذا كله أن مراد الرسول صلوات الله وسلامه عليه بقوله « الحالّ المرتحل » هو القارىء للقرآن الكثير القراءة الذي يبدأ ثم يعود ، ويختتم ثم يفتتح ، وهكذا يواصل قراءته ويداومها ، بلا فترة طويلة أو انقطاع بعيد ، حتى يكون على صلة بالقرآن باقية . أو هو الغازي المكثر للغزو الذي لا يعود من غزوة حتى يرجع إلى مثلها ، جهاداً في سبيل الحق سبحانه . ولكن المعنى الأول أشهر .

والله تبارك وتعالى أعلم .

• • •

شخصيّاتٌ وجماعات



ابتلاء ابراهيم

السؤال : أريد أن أعرف الحكمة في أمر الله تعالى لنبيه إبراهيم عليه السلام بذبح ولده إسماعيل ؟

الجواب :

إن الابتلاء بالمتاعب في هذه الحياة لونٌ من ألوان التربية والتهذيب ، والله سبحانه وتعالى قد يبتلي عبادَه المؤمنين بتعريضهم لمواقف فيها متاعب وفيها تبعات ، حتى يتحملوا ويصبروا ، ويستفيدوا من التجارب ، ولذلك يقول الله تعالى في سورة البقرة : « وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ، الذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ » .

وكلما كان الرجل عظيماً في قومه كانت تبعاته أكثر ، ومتاعبه أشد ، ولذلك سئل النبي صلى الله عليه وسلم : أي الناس أشد بلاءً (اختباراً) ؟ فقال : « الأنبياء ، ثم الأمثل ، فالأمثل (أي الأفضل فالأفضل) يُبْتَلى الناس على قدر دينهم ، فمن ثخن (قوي) دينه اشتد بلاؤه ، ومن ضعف دينه ضعف بلاؤه ، وإن الرجل ليصيبه البلاء حتى يمشي على الأرض ما عليه خطيئة » . وذلك لأن الله يغفر له خطاياه لاحتماله .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن الله اذا أحب قوما ابتلاهم ، فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط » أي فله عقاب السخط .

ولا شك أن الأنبياء هم النماذج العليا للناس . ولذلك كان ابتلاؤهم أشدَّ من ابتلاء غيرهم ، وهذا شيخ الأنبياء إبراهيم عليه السلام ، يبلغ من العمر سنَّ الكبر ، ثم يرزقه الله ولدا عزيزا عليه هو إسماعيل ، ويخلق الله إسماعيل

هذا وفيه صفات الحلم والعلم ، وغير ذلك من الصفات الحميدة ، ولكن إبراهيم يرى في منامه أنه يذبح إسماعيل ، ويفهم إبراهيم أن هذه الرؤيا إشارة من الله له بالتضحية ، وهو مطيع لربه ، منفذ لأوامره ، والله يختبره بهذا ليعرف مبلغَ استجابته لله ، ومبلغ تضحيته في سبيل الله ، فلا يتأخر إبراهيم ولا يتردد ، بل يقدم على تنفيذ أمر الله ، ويخبر ابنه بذلك ، فيقبله ببطولة رائعة وتضحية عظيمة ، وبعد أن يقدم إبراهيم على ذبحه إقداما فعليا كاملا ، يرسل الله إليه فداء إسماعيل ، ويحفظ إسماعيل ، ويثيب إبراهيم ثوابا عظيما على تضحيته واستجابته لربه ، فهذه هي الحكمة العظيمة في أمر الله تعالى لنبيه إبراهيم بذبح ابنه إسماعيل ؛ وبسبب هذه القصة صارت التضحية في سبيل الله والواجب سنة المؤمنين من بعد ذلك. وصار تقديم التضحية وهي الذبيحة في عيد الأضحى شعار المسلمين .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

عمر عيسى عند رفعه

السؤال : كم كان عمر سيدنا عيسى بن مريم عليهما السلام حينما رفعه الله إلى السماء ؟

الجواب :

جاء في الجزء الأول من كتاب «تفسير القرآن العظيم» للإمام الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي أن سيدنا عيسى بن مريم عليهما السلام قد حفظه الله من أعدائه الذين أرادوا قتله ، ورفعه الله إليه ، وكان عمره حينما صعد إلى السماء ثلاثا وثلاثين سنة ، وقد جاء ذكر هذا في الحديث الصحيح . وقال ابن كثير : إن عمر عيسى عليه السلام قد ورد ذكره في حديث صفة أهل الجنة ، وهو يفيد أنهم سيكونون على صفة آدم ، وفي عمر عيسى حين رفعه ، وهو ثلاث وثلاثين سنة .

وروى الإمام مسلم أن عيسى عليه السلام حينما ينزل إلى الأرض يمكث فيها سبع سنوات ، وبذلك تكون جملة عمره أربعين سنة ، ثلاث وثلاثون سنة قبل رفعه ، وسبع سنين بعد نزوله ، ولعل هذا هو معنى قول من قال : « إن عيسى عليه السلام يمكث في الأرض بعد نزوله أربعين سنة ثم يتوفى ، ويصلي عليه المسلمون » ، إذ يكون المراد بالأربعين سنة مجموع إقامته في الأرض قبل رفعه وبعد نزوله .

ولقد روى ابن عساكر أن عيسى عليه السلام رُفع إلى السماء وله مائة .

والله تبارك وتعالى أعلم بحقيقة الأمر

* * *

علي والاسم الأعظم

السؤال : **يقال إن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان يقرأ دعاء الاسم الأعظم عندما يخوض المعركة ضد الكفار ، وكان يظفر ببركة هذا الدعاء ، فأين موضع هذا الدعاء من القرآن الكريم ؟**

الجواب :

جاء في تفسير ابن كثير عند تفسير قوله تعالى في قصة سليمان مع بلقيس وقصة عرشها : « قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ » أن الذي قال هذا كان يعلم الاسم الأعظم ، وروي عن وهب بن منبه أن هذا القائل قال لسليمان : أمدد بصرك فلا يبلغ مداه حتى آتيك به . فذكروا أنه أمره أن ينظر نحو اليمن التي فيها هذا العرش المطلوب ، ثم قام فتوضأ ودعا الله تعالى ، قال مجاهد إنه قال : « يا ذا الجلال والإكرام » .

وقال الزهري إنه قال : « يا إلهنا وإله كل شيء ، إلها واحدا ، لا إله إلا أنت ، ائتني بعرشها » .

وجاء في تفسير ابن جرير الطبري عن قتادة أن هذا القائل كان يعلم اسم الله الذي إذا دُعي به أجاب ، وفيه أيضاً أنه كان صديقا يعلم الاسم الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب ، وإذا سُئل به أعطى .

وأما ما أشار إليه السائل مما يتعلق بدعاء علي المذكور فإني لم أطلع عليه ، ولا أعرف أحداً صحح نسبتَه إليه ، وفوق كل ذي علم عليم .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

إمام العلماء

السؤال : قرأتُ في إحدى المجلات الأسبوعية هذه العبارة : « قال إمـــام العلماء : « اعلموا ما شئتم أن تعلموا ، فلن يؤجركم الله بعلمكم حتّى تعملوا » فمن هو إمام العلماء هذا ؟ أريد أن أعرف شيئا عنه .

الجواب :

إمام العلماء هو الصحابي الجليل أبو عبد الرحمن معاذ بن جبل بن عمرو الأنصاري ، الذي أسلم وهو ابن ثماني عشرة سنة ، وشهد بيعةَ العقبة الثانية مع سبعين من الأنصار ، ثم اشترك في الغزوات كلّها مع الرسول ، وتُوفي في طاعون « عَمْواس » بالشام سنة ثماني عشرة للهجرة ، وكان عمره نحو ثمان وثلاثين سنة .

والسبب في إطلاق هذا اللقب عليه هو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيه : « معاذ بن جبل إمام العلماء يوم القيامة برتوة أو رَتْوتين » والرَّتْوَة رمية بسهم أو بحَجَر [1] ، يعني أنه يسبقهم يوم القيامة بمقدار رمية بسهم أو رمية حجر . وقال فيه الرسول : « أعلم أمّتي بالحلال والحرام معاذ ابن جبل » .

---

(١) قيل إن الرتوة هي الخطوة ، وقيل الرتوة : الميل ، وقيل الرتوة : مدى البصر .

ويروى أن الرسول صلى الله عليه وسلم أخذ بيد معاذ بن جبل ، وقال : « يا معاذ ، والله إني لأحبك ، أوصيك يا معاذ ، لا تدعن في دبر كل صلاة تقول : اللهم أعنّي على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك » . وقال ابن مسعود رضي الله عنه : إن معاذ بن جبل كان أمة قانتا لله حنيفا . فقال له بعضهم : إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا . فقال ابن مسعود : ما نسيت ، هل تدري ما الأمة ، وما القانت ؟ فقال القائل : الله أعلم . فقال ابن مسعود : « الأمة الذي يعلم الخير ، والقانت المطيع لله والرسول ، وكان معاذ يعلّم الناس الخير ، ومطيعا لله ولرسوله » .

وكان معاذ إذا تهجد من الليل قال : اللهم قد نامت العيون ، وغارت النجوم ، وأنت حي قيوم ، اللهم طلبي للجنة بطيء ، وهربي من النار ضعيف ، اللهم اجعل لي عندك هدى تردده إلى يوم القيامة ، إنك لا تخلف الميعاد » . وقال له رجل : علّمني . فقال : وهل أنت مطيعي ؟ قال : إني على طاعتك لحريص . قال : صم وأفطر ، وصل ونم ، واكتسب ولا تأثم ، ولا تموتن إلا وأنت مسلم ، وإياك ودعوةَ المظلوم . وقال معاذ بن جبل لابنه : « يا بُني ، إذا صليتَ صلاة فصلِّ صلاةَ مودع ، لا تظن أنك تعود إليها أبدا ، وأعلم يا بنيّ أن المؤمن يموت بين حسنتين : حسنة قدّمها ، وحسنة أخرها » .

وقد أرسله النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمن ليعلم الناس ، ووعظه حين أرسله عظة رواها الحافظ الأصبهاني في كتابه « حلية الأولياء » . قال : « عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا معاذ بن جبل ، انطلق فأرحل راحلتك ، ثم ائتني أبعثك إلى اليمن » . فانطلقت فأرحلت راحلتي ، ثم جئت فوقفت بباب المسجد حتى أذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذ بيدي ثم مضى معي ، فقال : « يا معاذ ، إني أوصيك بتقوى الله ، وصدق الحديث ، والوفاء بالعهد ، وأداء الأمانة ، وترك الخيانة ، ورحمة اليتيم ، وحفظ الجار ، وكظم الغيظ ، وخفض الجناح ، وبذل السلام ، ولين الكلام ، ولزوم الإيمان والتفقه في القرآن ، وحب

الآخرة ، والجزع من الحساب ، وقصر الأمل ، وحسن العمل ، وأنهاك أن تشتم مسلماً أو تكذّب صادقا أو تصدّق كاذباً ، أو تعصي إماما لله حنيفا ؛ يا معاذ اذكر الله عند كل حجر وشجر ، وأحدثْ مع كل ذنب توبةً : السر بالسر ، والعلانية بالعلانية » .

ويروى أيضا أن معاذ بن جبل دخل على النبي فقال له : كيف أصبحت يا معاذ ؟ قال : أصبحتُ مؤمنا بالله تعالى . فقال النبي : إن لكل قول مصداقا ، ولكل حق حقيقة ، فما مصداق ما تقول ؟ قال : يا نبي الله ، ما أصبحت صباحا قط إلا ظننت أني لا أمسي ، وما أمسيت مساء قط إلا ظننت أني لا أصبح ، ولا خطوتُ خُطوة إلا ظننت أني لا أتبعها بأخرى ، وكأنني انظر إلى كل أمة جاثية تُدعى إلى كتابها ، معها نبيها ، وأوثانها التي كانت تعبدها من دون الله ، وكأني أنظر إلى عقوبة أهل النار ، وثواب أهل الجنة ، فقال له النبي : يا معاذْ ، عرفتَ فالزم .

وكان معاذ في مرض موته يناجي ربه فيقول : « اللهم إني قد كنت أخافك، فأنا اليوم أرجوك ، اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لجري الأنهار ، ولا لغرس الأشجار ، ولكن لظمأ الهواجر ، ومكابدة الساعات ، ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر » .

رضوان الله على معاذ بن جبل إمام العلماء .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

زين العابدين

السؤال : سمعت كثيرا باسم الإمام زين العابدين ، وسمعت أن الناس يزورون مقامه كثيرا ، فهل لي أن أعرف شيئا عن سيرة هذا الإمام ؟

الجواب :

لما أسَرَ المسلمون – على عهد عمر بن الخطاب – بنات « يزدجرد » بن

كسرى » أراد سيدنا عمر أن يعاملهن معاملةَ بقية السبايا ، فقال له سيدنا علي ابن أبي طالب : يا أمير المؤمنين ، إن بنات الملوك لا يعاملن كغيرهن من بنات السوقة ، فقال عمر : وماذا نصنع معهن ؟ فقال : يُقَوَّمن ويُغَالى في أثمانهن ، ثم يكون لهن الخيار ، يخترن من الرجال من يشأن .

وقبل عمر ذلك ، وهنا تقدمت إحداهن ، واسمها « شاه زنان » أي ملكة النساء ، فاختارت الحسين بن علي ، فقال له أبوه : يا أبا عبد الله ، لتلدن لك خيرَ أهل الأرض ؛ وما لبثت أن أسلمت ، وحسن إسلامها ، حين اتخذها الحسين زوجة له ، وأحسنَ معاملتها ، وكانت تُنَادَى بأسماء عربية منها « غزالة » و« سلافة » و« خولة » . وألحت ملكةُ النساء في رجاء ربِّها أن يكون لها من الحسين ولد ، فاستجاب الله لها ، وولدت ولداً سُمِّي « علي ابن الحسين » وهو زين العابدين . وتُوفيت أمه عقبَ ولادته ، إذ أصابتها حمى قضت عليها ، وتولت تربيتَه ورعايتَه مولاة له . وبالغت في حبه والعطف عليه ، وما كاد زين العابدين يبلغ العاشرة من عمره حتى سعى إلى مسجد رسول الله بالمدينة ، يطلب العلم ويسمع القرآن والحديث من أبيه ، ومن جابر بن عبد الله ، وابن عباس ، والمسور بن مخرمة ، وابن عمر .

وكان زين العابدين ذكيا حاذقا بصيرا فحفظ الكثير ، وأخذ الناس يسألونه في وجوه من العلم .

ولما تولى يزيد بن معاوية أنكر الحسين ذلك ، وخرج مع أولاده من المدينة ، وحدث أثناء الرحلة أن مرض زين العابدين مرضا شديدا ، ولقد سأله أبوه الحسين : أي بُني ، ماذا تشتهي ؟ اقترح . فقال زين العابدين : يا أبي ، أشتهي أن أكون ممن لا يقترح على الله أن يدبر أمرا . فأعجب الحسين بردِّ ابنه ، وقال : أحسنتَ يا بني ، إن إبراهيم الخليل عليه السلام سأله جبريل حاجةً يقضيها له ، فقال إبراهيم : إني لا أقترح على ربي ، بل هو حسبي ونعم الوكيل .

ودارت المعركة بين الحسين وخصومه ، وقُتل الحسين ، وسيق أولاده

إلى يزيد ؛ وفيهم زين العابدين ، وهناك كان جريئا مقداما ، أسمع يزيدَ من بليغ القول ما يكره على الرؤوس والأشهاد .

وتزوج زين العابدين بفاطمة بنت الحسن بن علي . وانقطع للعبادة والزهد، وجعل يتردد على مجالس العلم ، وبخاصة مجلس « زيد بن أسلم » الذي كان في أول أمره عبداً ثم صار حرا ، ولقد قال له نافع بن جبير : العجب لك ، أنت سيد الناس وأفضلهم ، وتذهب إلى هذا العبد فتجلس معه ؟ فقال علي : يانافع ، إنه ينبغي للعلم أن نذهب إليه حيث كان .

ويروى أنه كان يصلي في اليوم والليلة ألفَ ركعة ، يدعو بينها ويبكي ، ومن كثرة عبادته سماه القوم : « زين العابدين » ، ومن كثرة سجوده سَمَّوْه « السجاد » ، وسموه أيضاً « سيد العابدين » ، و« الزكي الأمين » وكان سعيد بن المسيب يقول عنه : ما رأيت قط أفضل من علي بن الحسين .

وقال فيه الزهري : ما رأيت أحداً أفقه من زين العابدين .

* * *

وعني زين العابدين عناية ملحوظة بمسألة الرقيق وتحرير العبيد ، فأعتق الكثيرين حتى بالغ البعض في التقدير فقال : إنه أعتق مائة ألف ؛ كان يشتري العبيد ويحررهم ، وكان يدعو إلى حسن معاملة الرقيق ، ويحرض على العتق بمختلف الوسائل ، حتى إنه يعد من محرري العبيد منذ أجيال وأجيال ، وكان العبيد يحتالون بكل حيلة لكي يدخلوا في ملك زين العابدين لعلمهم بأنه سيحسن معاملتهم ثم يعتقهم .

وكان عفوا حليما ، حتى شتمه شخص فأفحش ، فأجابه : لقد سببتَ بما علمتَ ، وما خفي عليك من أمرنا أكثر ، ألك حاجة نعينك عليها ؟ فسكت الشاتم ، فألقى عليه زين العابدين كساء ، وأمر له بألف درهم . وله في معاملة الرقيق أفضل ما يروى من الأخبار والأنباء .

ولما تولى عبد الملك بن مروان التقى بزين العابدين في الحرم ، فقال له : إن

كانت لك حاجة قضيناها لك . فقال علي : في بيت الله لا يُسأل غيره . ثم تعلق زين العابدين بأستار الكعبة ودعا فقال : أغلقت الملوك أبوابها ، وأقامت عليها حراسها ، وبابُك مفتوح للسائلين ، وقد جئتك لتنظر إلي » .

وحدث أن رأى هشام بن عبد الملك جموعَ الناس يحيطون بزين العابدين فسأل : من هذا ؟ فقال الفرزدق يجيبه من قصيدة طويلة :

هذا الذي تعرف البطحاءُ وطأتَه ... والبيتُ يعرفه والحل والحرمُ
هذا ابن خير عباد الله كلهم ... هذ التقي النقي الطاهر العلم
يكاد يمسكه .عرفانَ راحته ... ركنُ الحطيم إذا ما جاء يستلم
إذا رأته قريش قال قائلها ... إلى مكارم هذا ينتهي الكرم

ولما أرسل زينُ العابدين إلى الفرزدق ألفَ دينار على قصيدته رفضها وقال : إنها مدحة لله لا للعطاء . وألح زين العابدين على الفرزدق قائلا : إنا أهل البيت لا يرجع إلينا ما أعطيناه . فقبلها الفرزدق .

وبلغ زين العابدين من العمر ثمانيةً وخمسين عاما ، وتوفي سنة أربع وتسعين للهجرة .. رضي الله تعالى عنه وأدناه .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

بديع الزمان

السؤال : حدث خلاف حول معنى كلمة « بديع الزمان » فما معناها ؟ وما أصلها ؟

الجواب :

مادة « بدع » في لغة العرب تدل على ابتداء الشيء ، وصنعه على غير سابق مثال ، وقيل : الإبداع هو إنشاء صنعة بلا احتذاء أو اقتداء ، تقول :

أبدعت القولَ ، إذا لم تكن محاكيا فيه لأحد . وتقول : أبدعت هذا العمل ، إذا أنشأته وليس له سابقٌ مثال ، ويقال : ابتدع فلان هذه البئر ، إذا استنبط ماءها ولم يسبقه في ذلك أحد . والله سبحانه وتعالى هو بديع السموات والأرض ، لأنه خلقهما على غير مثال سابق ، فأنشأهما لأول مرة بقدرته وحكمته .

ويقول الراغب الاصفهاني في كتابه « مفردات القرآن » إن الإبداع إذا ما استعمل في حق الله تعالى فمعناه إيجاد الشيء بغير آلة ولا مادة ولا زمان ولا مكان ، ولا يكون ذلك إلا لله سبحانه .

وبعد هذا البيان اللغوي نقول إن المراد بكلمة « بديع الزمان » هو الشخص الذي أرادوا أن يصفوه بأنه يقول ويعمل ما لا يستطيع أبناء زمانه أن يقولوه أو يفعلوه ، وذلك بطبيعة الحال فيما يتعلق بالأعمال الداخلة في نطاق البشر ، وليس فيما يتعلق بالخلق وإيجاد الأشياء ، لأن هذا من اختصاص الخالق سبحانه وتعالى .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

البطل عمر المختار

السؤال : **أريد أن أعرف لمحة عن حياة البطل عمر المختار .**

الجواب :

عمر المختار هو شهيد المسلمين والعرب ، وبطل طرابلس الخالد ، الذي ضرب المثل الكريم في ساح النضال والكفاح من أجل العروبة والإسلام ، وقد وُلد سنة ١٨٦٢م من أصل كريم ومنبت طيب ، وسرعان ما ذاق طعمَ اليتم وهو صغير ، إذ مات والداه وهما في طريقهما إلى الحج .

ونشأ عمر المختار نشأة إسلامية ، فتربى في زاوية « جغبوب » ونال ثقة

السنوسيين ، وعينه السيد المهدي عام ١٨٩٧ شيخاً لزاوية القصور بالجبل الأخضر ، وكان داعية إسلامياً كبيرا ، يدعو إلى الإسلام وينشر فكرته بالإرشاد والتوجيه والقدوة ، وكان موهوبا بفطرته ، وآتاه الله القدرة على الفصل في الخصومات بين الناس بألمعية وبراعة .

وفي سنة ١٩٢٢م عمل عمر المختار على تأليف جبهة متحدة تضم البرقاويين والطرابلسيين للنضال ضد إيطاليا ، ثم قاد المجاهدين ضد الطليان ، وأنزل بهم خسائر فادحة ، ودوخهم في معارك كثيرة ، وحاولت إيطاليا استمالته بالمال وفنون الإغراء فلم تستطع ، فقد كان رجل عقيدة وإيمان .

وعمر المختار يعد من أعلام « الطريقة السنوسية » التي أسسها العالم العامل السيد محمد بن علي السنوسي المولود سنة ١٧٨٧ والمتوفى سنة ١٨٥٩م . وكان يعمل بهذه الطريقة على إحياء العمل بالكتاب والسنة ، ومحـاربة الجمود والابتداع ، وذلك عن طريق الوعظ وإنشاء الزوايا وإعداد الدعاة ، لبثهم هنا وهناك في سبيل نشر الإسلام ، وجعل السيد السنوسي مركز الدائرة في هذه الدعوة الزاوية الرئيسية التي أنشأها في « جغبوب » .

والسنوسية قد خدمت الإسلام ، إذ حثت على الفضائل ، وحاربت الرذائل ، وأدخلت الكثير من قبائل الزنوج في الإسلام ، وكان منهاجها إعداد المسلم إعداداً حربياً صالحاً للجهاد ، من جهة إتقان الرماية وإحسان فنون القتال .

وفي أواخر سبتمبر سنة ١٩١١ شنت إيطاليا الحربَ على طرابلس التي كانت تابعة يومئذ للدولة العثمانية ، فهب الطرابلسيين يدافعون عن بلادهم ، واشترك السيد عمر المختار في هذه الحرب عقب زيارته لشيوخ السنوسية وسماعه بأن الطليان نزلوا « بنغازي » ، وقاد عمر المختار السنوسيين في هذه الحرب فترة من الزمن ، وشكّل جيشا وطنيا كبد الأعداء خسائرَ فادحة وضحايا كثيرة .

وأراد الأخساء الدخلاء أن ينتقموا من عمر المختار ، وأن يتشفوا من البطل الصنديد ، فبذلوا كل ما استطاعوا حتى أوقعوه في الأسر ، وحاكموه محاكمة

صورية باغية في محكمة صورية سموها « محكمة الطيارة » . وكان ذلك في سبتمبر سنة ١٩٣١ م ، وكان جريئا شجاعا عند محاكمته ، وحكموا عليه بالإعدام فقال : « إنا لله وإنا إليه راجعون » .

ودفعوه إلى الموت فلم يفزع ولم يجزع ، ولم يرهب الموتَ وهو الذي سعى إليه أكثر من مرة في ميدان الشرف والكرامة ، ولم يلفظ كلمةً تدل على ضعف أو خور أو تردد ، وكيف وهو الأسد المصور :

الأسد تزأر في الحديد ، ولن ترى ... في السجن ضرغاما بكى استخذاء

ودفعوا الشيخ البطل وهو في التسعين من عمره إلى الجلاد ليزهق روحه الكريمة بحبل المشنقة ، فيا للخسة والدناءة .

وفي عمر المختار يقول شوقي رحمه الله :

دفعوا إلى الجلاد أغلب ما جدا ... يأسو الجراح ، ويطلق الأسَرَاء

ويشاطر الأقرانَ ذخر سلاحه ... ويصف حول خوانه الأعداء

وتخيروا الحَبْلَ المهين منية ... لليث يلفظ حوله الحَوْباء [1]

ولقد كان عمر المختار يستطيع أن ينعم بمتاع هذه الحياة ، وأن يحظى بالنعيم والجاه ، وأن يتقلب في مطارف الهدوء والراحة ، لو أنه استسلم أو سالم ، أو داهن في حقوق بلاده وحرية وطنه ، ولكنه أبى واستعصم ، واختار أن يظل مثلا للبطولة الإسلامية العربية في حياته ، وأن يكون بعد وفاته قدوةً للمجاهدين وسبّاقاً أمام الشهداء ، ورحم الله أحمد شوقي إذ يخاطبه بقوله :

خُيِّرت فاخترتَ المبيتَ على الطوى ... لم تبن جاهاً أو تلم ثراء

إن البطولة أن تموت من الظمَا ... ليس البطولة أن تعب الماء

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

---

(١) الحوباء : النفس .

عيون الأثر لابن سيد الناس

السؤال : نشرت إحدى الصحف الصباحية أن نائب مدير دار الكتب سينشر مخطوطة قديمة عمرها ٦٥٠ سنة ، واسمها « عيون الأثر » لابن سيد الناس ، وتناول فيها غزوات العرب ، وأحب أن أعرف شيئا عن هذه المخطوطة وصاحبها .

الجواب :

هذا الكتاب المشار إليه يسمى « عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير » ، وهو في سيرة الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم ؛ وغزوات النبي جانبٌ من جوانب هذا الكتاب . والحقيقة أن هذا الكتاب مطبوع ، وقد طُبع منذ أكثر من عشرين عاما ، وقد رجعت إلى هذا الكتاب أكثر من مرة .

وقد نشرته « مكتبة القدسي » سنة ١٣٥٦هـ ، وكانت هذه المكتبة في درب سعادة بباب الخلق بالقاهرة ، ونُشر مع الكتاب تعليقات تسمى « اقتباس الاقتباس لحل مشكل سيرة ابن سيد الناس » ليوسف بن عبد الهادي ، وكان هذا النشر عن نسخة الأمير طاهر حفيد الأمير عبد القادر الجزائري ، مع المقابلة على نسخة دار الكتب الظاهرية بدمشق ، ونسخ أخرى في دار الكتب المصرية . واشترك في مقابلة النسخ الأساتذة : عبد القادر المبارك ، وعز الدين التنوخي ، ورضوان محمد رضوان ، وعبد المجيد الحسني ، وحسام الدين القدسي .

والكتاب مطبوع في جزأين . الأول فيما يزيد عن ثلاثمائة صفحة ، والثاني فيما يزيد عن ثلاثمائة وخمسين صفحة . وأما مؤلفه فهو الإمام الحافظ المصنف الأديب الشاعر : أبو الفتح بن محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى ابن سيد الناس الشافعي المصري ، وُلد في أواخر سنة إحدى وسبعين وستمائة بالقاهرة ، وسمع من الكثيرين ، وأخذ علمَ الحديث عن والده ، وابن دقيق العيد ، ولازمه زمنا طويلا ، وتخرج عليه ، وقرأ عليه أصول الفقه ، وقرأ

النحو على ابن النحاس ، وولي الحديثَ بجامع الصالح ، وخطب بجامع الخندق ، وقال الشعر البديع ، كما برع في السيرة والتاريخ ، وحفظ المتون والأسانيد . وكان حلو النادرة ، لطيف المحاضرة ، وكان مستقيم العقيدة ، له كتب منها كتاب عيون الأثر الذي اختصره في كتاب سماه « نور العيون » وشرح جانبا من كتاب الترمذي ، وأتمه أبو الفضل العراقي ، وألف كتابا في منع بيع أمهات الأولاد . وتوفي رحمه الله في شعبان سنة ٧٣٤ هـ .

* * *

غسيل الملائكة

السؤال : من هو الصحابي الذي سماه الرسول « غسيل الملائكة » وما سبب تلك التسمية ؟

الجواب :

غسيل الملائكة هو الصحابي الجليل : حنظلة بن أبي عامر صيفي بن النعمان ابن مالك بن أمية بن صبيعة ، من سادات المؤمنين الصادقين ، وفضلاء الصحابة والمجاهدين ، استشهد في غزوة أُحد ، في منتصف شوال من السنة الثالثة بعد الهجرة . ومن العجيب أن والده أبا عامر كان من الكافرين المعاندين الذين أسرفوا في عداوتهم للمسلمين وتطاولهم على المؤمنين ، حتى إنه جعل يستنفر قريشاً ضد الرسول ، ويحرضها على قتاله ، وكان والده هذا يلقب في الجاهلية بلقب « أبو عامر الراهب » ولكن المؤمنين سموه بما يجدر به فأطلقوا عليه « أبو عامر الفاسق » . والسبب في هذا أنه كان من الأوس ، ولكن البغضاء جعلته ينحاز إلى قريش المشركة ليحارب معها الرسول ، وكان يقول لقريش إن قومه الأوس يطيعونه إذا ناداهم ، فلما حانت ساعة الجد نادى أبو عامر فقال : يا معشر الأوس ، أنا أبو عامر الراهب . فرد عليه الأوس المسلمون قائلين : « لا أنعم الله بك يا فاسق » وحملوا عليه ليقتلوه فهرب ، وكان معهم ابنه حنظلة الصحابي الجليل .

ومن العجيب أيضاً أن حنظلة هذا تزوج ابنةَ رأس النفاق : عبد الله بن أبي ابن سلول ، وكانت تسمى « جميلة » ، وكان زواجه بها في ليلة الجمعة التي أصبح بعدها يوم أحد ، فدخل حنظلة على زوجته في ليلته هذه ، وما هي إلا لحظات حتى دوّى نفير يدعو المجاهدين في سبيل ربهم ودينهم إلى ميدان الابتلاء ومضاجع الشهداء ، فخرج حنظلة مسرعا لا يلوي على شيء استجابةً للنداء ، قبل أن يهيء من أمره شيئا .. وبعد مغادرته لزوجته بقليل رأت في نومها كأن بابا في السماء قد فُتح لزوجها فدخله ، ثم أغلق عليه ، فعلمت أنه سيموت في المعركة ، فاستدعت بعضَ أهلها لتشهدهم على دخوله بها خشية أن يحدث نزاع في ذلك .

خرج حنظلة الى غزوة أحد ، وجاهد جهاداً كريماً ، ثم شاهد أبا سفيان في المعركة ، فأدركه وعلاه ليقتله ، فخاف منه أبو سفيان وجعل يصيح : « يا معشر قريش ، أنا أبو سفيان بن حرب » وذلك لينجده أحدهم ، فسمعه شداد بن الأسود ، فأقبل من خلف حنظلة وضربه فمات حنظلة ، وفرح أبو سفيان بموته فرحَ الجبناء ، وكان له ولد اسمه حنظلة بن سفيان قتل مع الكافرين يوم بدر ، فقال أبوسفيان : حنظلة بحنظلة .

وبعد قليل جاء والد حنظلة وهو أبو عامر يمر على قتلى المسلمين ومعه أبو سفيان ، ويتحدثان عن كل شهيد ، فلما وصلا إلى جثة حنظلة تأثر أبو عامر كثيرا وقال : يا أبا سفيان ، أتدري من هذا ؟ قال أبو سفيان : لا . قال أبو عامر : هذا أعز مَنْ هنا عليَّ ، هذا حنظلة بن أبي عامر .. ثم خاطب أبو عامر ابنَه مستعبرا متأثرا فقال : ولدي ، إن كنتُ لأحذرك من هذا المصرع ، والله إن كنت لبرًّا بالوالد ، شريف الخلق في حياتك ، وإن موتك لمع سراة أصحابك ، وأشرافهم ، وإن جزى الله هذا القتيلَ – حمزة – خيرا ، أو أحدا من أصحاب محمد ، فجزاك الله خيرا . ثم نادى بأعلى صوته : « يا معشر قريش ، حنظلة لا يُمَثَّل به ، وإن خالفني وخالفكم ، فلم يأل لنفسه فيما يرى خيرا » . فأطاع المشركون أمره ، ولم يقتربوا من جثة حنظلة بتمثيل .

وبعد برهة جاء الصحابة يبحثون عن شهدائهم ، فرأوا حنظلة يقطر الماء من رأسه ، وليس بقربه ماء ، فعجبوا من ذلك ، ولكن الرسول قال لهم : « إن صاحبكم قد غسّلته الملائكة » . وفي رواية قال : « رأيت الملائكة تغسله في صحاف الفضة ، بماء المُزْن بين السماء والأرض » .

وأراد المسلمون أن يعرفوا سرّ هذا الغسل ، ولماذا غسلت الملائكة حنظلة بمفرده ، دون غيره من الشهداء ؟ ولماذا يُغَسّل وهو شهيد ؟ وبعثوا إلى زوجته يسألونها لعل عندها خبرا ، فقالت وقد سمعت ما حدث لزوجها : لقد خرج من عندي بعد أن دخل بي ؛ خرج وهو جنب حينما سمع الهاتفة (أي النداء للحرب) .

الله أكبر ، هذا مسلم يسمع النفير إلى الحرب المقدسة ، فلا يشغله عنها أهل ولا ولد ، ولا لذة أو راحة ، بل يسارع إليها ، وهو لم يتطهر من جنابة فراشه ، وما ذلك إلا لأنه صدق ما عاهد الله عليه ، فأبى إلا أن يعوضه عن غسل الدنيا غسلا طهورا ، بأيدي سَفَرة كرام بررة ، يغسلونه في صحاف الفضة الغالية ، في مكان رفيع سام بين السماء والأرض ، وهكذا إذا أخلص العبد نيتَه لخالقه ستر الله عيوبه وغفر ذنوبه ، وأحال أمره إلى أحسن مآل .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

مجاب الدعوة

السؤال : سمعت أن سيدنا سعد بن أبي وقاص كان مجاب الدعوة دائما ، فهل هذا صحيح ؟ وما الدليل ؟

الجواب :

سعد بن أبي وقاص هو الصحابي الجليل فارس الإسلام أبو اسحاق بن أبي مالك بن وهب القرشي ، وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله ، ومن السابقين إلى الهجرة ، ومن العشرة المشهود لهم بالجنة ، ومن الستة الذين جعل عمر أمرَ

الخلافة بعده إليهم ؛ وشهد الغزوات والمشاهد كلها ، وأبلى فيها بلاء حسنا ، وخاصة يوم أحد ، يوم قال له الرسول : « ارم فداك أبي وأمي » . وكان أمير الجيش الذي هزم الفُرس بالقادسية ، وهو الذي فتح المدائن ، وبنى الكوفة ، وهو سابع سبعة في الإسلام ، أسلم بعد ستة ، وعمره تسع عشرة سنة ، ومات النبي وهو عنه راضٍ ، واعتزل سعد الفتنةَ بعد مقتل عثمان ، فلم يشترك في شيء من تلك الحروب ، بل اعتزل في قصر بناه بحمراء الأسد ، وأمر أهله ألا يخبروه من أخبار الناس شيئا حتى يجتمعوا على إمام ، ولما قربت منه الوفاة دعا بجبة صوف له قديمة وقال : « كفنوني فيها ، فإني كنت لقيتُ المشركين فيها يوم بدر ، وهي عليّ ، وإنما كنت أخبئها لهذا » . ثم مات رضي الله عنه على الصحيح سنة خمس وخمسين ، في قصره بالعقيق على بعد عشرة أميال من المدينة ، وحُمل على أعناق الرجال إلى المدينة ، وصُلِّيَ عليه بها ، ودفن في البقيع .

وأما إجابة دعوته فقد قال عنها أبو زكريا النووي في كتابه « تهذيب الأسماء واللغات » ما نصه : « وكان مجاب الدعوة ، وحديثه في دعائه على الرجل الكاذب عليه من أهل الكوفة وهو أبو سعدة ، وأُجيبت دعوته فيه في ثلاثة أشياء ، مشهور في الصحيحين » .

وقال عنها صلاح الدين الصفدي في كتابه « نكت الهميان » ما نصه : « وكان مجاب الدعوة ، تُخاف دعوتُه ، مشهورا بذلك ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال فيه : « اللهم سدِّد سهمه وأجب دعوته » . وقال عنها ابن العماد الحنبلي في كتابه « شذرات الذهب » ما نصه « وما دعا قــطُّ إلا استجيب له » .

وقد رُويت مواقف كثيرة عن استجابة دعوته، بفضل دعاء الرسول له ، وبفضل صلاحه وتقواه ، وقد افترى عليه رجل من أهل الكوفة بقوله : إنه كان لا يعدل في القضية ، ولا يقسم بالسوية ، ولا يسير بالسرية . فدعا عليه سعد قائلا : اللهم إن كان كاذبا فأعم بصره ، وأطل عمره ، وعرِّضه للفتن .

فما مات الرجل حتّى أصابه العمى ، وكان يلتمس الجدران ، وافتقر حتّى سأل الناس ، وأدرك فتنَة المختار بن أبي عبيد فقُتل فيها .

وقال عنه عبد الملك بن عمير : فأنا رأيته بعد يتعرض للإماء في السكك ، فإذا سئل : كيف أنت ؟ يقول : كبير مفتون أصابتني دعوة سعد .

وحدث في حرب القادسية أن أُصيب سعد بجرح ، فلم يستطع أن يشهد فتحها ، فلما فتحت عَرَّضَ به رجل من بجيلة قائلا :

ألم تر أن الله أظهر دينه وسعد بباب القادسية معصم
فأبنا وقد آبت نساء كثيرة ونسوة سعد ليس فيهن أيِّم

فدعا سعد قائلا : اللهم اكفنا يده ولسانه ؛ فأصابه بعد ذلك سهم فخرس ويبست يده .

وسمع سعد رجلا يسب عليا وطلحة والزبير ، فنهاه عن ذلك فلم ينته ، قال مستخفا بسعد : يتهددني كأنما يتهددني نبي . فقال سعد : اللهم إن كنت تعلم أنه سبَّ أقواما قد سلف لهم منك سابقة ، وأسخطك سبه أياهم ، فأره اليوم آية تكون للعالمين .. فخرجت عليه بعد قليل ناقة شاردة نادَّة ، أصابته فمات .

واطلعت عليه امرأة فرآها فنهاها عن ذلك فلم تطع ، فدعا عليها قائلا : شاه وجهك . فالتوت رقبتها ، فعاد وجهها في قفاها .

وقد كان خيار المسلمين يعرفون استجابةَ الله لدعوة سعد ، فكانوا يحذرون غضبه .. وروي أنه خرجت جارية لسعد فكشفتها الريح ، ورآها عمر ، فثار غضبه وعلاها بالدرة ، وجاء سعد ليمنعه من ضربها ، فتناوله هو الآخر بالدرة ، فأخذ سعد يدعو على عمر ، فسارع عمر وناوله الدرة وقال له : اقتصَّ مني ... وما زال به حتّى عفا سعد ورضي .

والمهم هو أن نلاحظ أن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه فيما ينسب إليه من دعوات لم يتطاول على أحد ، ولم يدع على غير مستحق ، بل كان دعاؤه

إما على كاذب ، أو على متطاول بالتعريض ، أو على سابٍّ خبيث اللسان ، أو على متجسسة عنيدة . فإذا تذكرنا بركةَ دعوة الرسول باستجابة دعوته ، ثم منزلة سعد في الصلاح والتقوى ، ثم اخلاصه في دعوته وصدقه والتجائه إلى ربه ، ثم حقه في هذه الدعوات ؛ إذا تذكرنا ذلك كله وأضفناه إلى ما يستوجبه الذين دعا عليهم بهذه الدعوات المؤدية جزاء ما فعلوا ، أدركنا لماذا كان سعد رضي الله عنه مجاب الدعوة على الدوام .

ولك أن تقول بعد هذا كله ، أو مع هذا كله : ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

وصايا ذي النون

السؤال : **طالعت عبارة تشير إلى وصايا ذي النون المصري،فمن هو ذو النون المصري ؟ وما هي تلك الوصايا المشار إليها ؟**

الجواب :

ذو النون المصري علَم من أعلام الصوفية ، وقد عاش في القرن الثالث الهجري ، وهو من أهل أخميم في صعيد مصر ، وقد تُوفي في الجيزة سنة ست وأربعين ومائتين ، أو سنة خمس . أو سنة ثمان ، كما ذكر ذلك الاختلاف ابنُ خلكان في كتابه « وفيات الأعيان » . وكنيته أبو الفيض واسمه ثوبان ابن إبراهيم ، وكان أبوه نوبيا ، وكان ذو النون نحيلا تعلوه حمرة ، وكان في أول أمره مشتغلا بالعلم ، ثم غلب عليه التصوف ، وأنكر الناس عليه هذا ، فاتّهموه بالزندقة ، وشكاه بعضهم إلى الخليفة المتوكل في بغداد ، فأحضره مقيّدا بالسلاسل والأغلال ، ومشى خلفه طائفة تريد أن تشهد عليه زورا ؛ ولكن ذا النون قال للمتوكل ما أقنعه ، ففك وثاقه ، وخيب آمال المفترين ، ولقد قال الرضي : سمعت ذا النون وفي يده الغل ، وفي

رجله القيد ، وهو يساق إلى المطبق (السجن تحت الأرض) والناس يبكون حوله ، وهو يقول : هذا من مواهب الله تعالى ومن عطاياه ، وكل فعاله عذب حسن طيب ، ثم أنشد :

لك من قلبي المكان المصونُ ... كلُّ لوم عليَّ فيك يهونُ
لك عهد بأن أكون قتيلا ... فيك ، والصبر عنك ما لا يكون

وكان ذو النون يهيج حينما يسمع الغناء والألحان ، وربما سقط على وجهه من شدة التأثر . ولذي النون كلام في التصوف والتهذيب منه روائع . فمن ذلك قوله : « إياك أن تكون للمعرفة مدعيا ، أو بالزهد محترفاً ، أو بالعبادة متعلقا ، وفرَّ من كل شيء إلى ربك » وقوله : « لَحَنّا في العمل ، وأعربنا في الكلام ، فكيف نفلح » .

* * *

وقد نُسبت إلى ذي النون كرامات كثيرة ، أثناء حياته وعند دفنه ، والله أعلم بحقيقة الأمر فيها . وأما الوصايا المسؤول عنها ، فهي النصائح التي كان ذو النون المصري يوجهها إلى سائليه وطلابه ورواد حلقته ، وهذه الوصايا كثيرة منبثة في التراجم التي كتبها السابقون عن ذي النون ، ومن أمثلة هذه الوصايا قوله :

« ليس بذي لب من كَاسَ (عَقَلَ) في أمر دنياه ، وحمق في أمر آخرته ، ولا من سفه في موطن حلمه ، وتكبر في مواطن تواضعه ، ولا من فقد منه الهوى في مواطن طمعه ، ولا من غضب من حق إن قيل له ، ولا من زَهِدَ فيما يرغب العاقل في مثله ، ولا من رغب فيما يزهد الأكياس في مثله ، ولا من استقل الكثير من خالقه عز وجل ، واستكثر قليلَ الشكر من نفسه ، ولا من طلب الإنصافَ من غيره لنفسه ، ولم ينصف من نفسه غيره ، ولا من نسي الله في مواطن طاعته ، وذكر الله في مواطن الحاجة إليه ، ولا من جمع العلمَ فعُرف به ثم آثر عليه هواه عند متعلمه ، ولا من قل منه الحياء من الله على جميل ستره » إلخ .

ومن وصاياه أيضا قوله : « من نظر في عيوب الناس عمي عن عيوب نفسه ، ومن اعتنى بالفردوس والنار شُغل عن القيل والقال ، ومن هرب من الناس سلم من شرهم ، ومن شكر المزيد زِيدَ له » .

ومن نصيحته لأخ له أدركته علة : « سألتني أن أدعو الله لك أن يزيل عنك العلة ، واعلم يا أخي أن العلة مجازاة يأنس بها أهل الصفاء والهمم والضياء ، من لم يعد البلاء نعمةً فليس من الحكماء ، ومن لم يأمن الشفيق على نفسه فقد أمن أهل التهم على أمره ، فليكن معك يا أخي حياء يمنعك عن الشكوى ، والسلام » .

ووصاياه غالبا من هذا النوع المذكِّر بالله ، الداعي إلى التعلق بأسبابه واللجوء إلى حماه .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

السيد عبد الله النديم

السؤال : سمعت متحدثا يثني ثناء عظيما على السيد عبدالله النديم ، وأريد أن أعرف تاريخه ، فمن هو ؟

الجواب :

يعد السيد عبد الله النديم من رجالات مصر البارزين في القرن الثالث عشر الهجري ، وله مكانه الملحوظ بين أدباء هذا القرن وخطبائه ، وإن كانت ترجمته لم تأخذ حتى الآن حقها من العناية والاهتمام .

ولقد كان والده مصرياً من مديرية الشرقية بالوجه البحري بمصر ، ثم نزح إلى الإسكندرية ، وأقام بها ، وكان رجلا رقيق الحال من الناحية المادية ، يشتغل نجارا ويصنع السفن ، وبعد أن ظل في هذه الصناعة رَدَحاً من الزمن تركها وفتح مخبزا ، وهذا يدلك على فقره وقلة ثروته ، ولكن الفقر دائما مدرسة النابغين من العصاميين . وقد وُلد السيد عبد الله في الاسكندرية ، في

هذا الوسط الشعبي المتواضع ، ودرج حياته كما يدرج باقي أبناء الفقراء ، ولكنه لما شب عن الطوق ظهر عليه الميل الشديد إلى المطالعة ، والتهام كتب العلم والأدب ، وكوّن هذا الاتجاهُ الثقافي عنده مزاجا أدبيا استطاع به أن يكتب المقالة ، وينظم القصيدة ويصنع الزجل .

وأراد عبد الله أن يتعلم حرفة يكسب منها قوته ، فتعلم فن الإشارات التلغرافية ، واشتغل في وظيفة بمكتب التلغراف ، بمدينة بنها ، ثم انتقل إلى القصر العالي في معية والدة الخديوي إسماعيل ، وهناك وجد نوعا من الراحة واليسار ، وتفرغ لدراسة الأدب والتعرف إلى الأدباء ، ولكنّ خيانات القصر ومكائده جعلته يخرج من القصر مطرودا مهانا .

وبعد أن قضى السيد فترة عصيبة ذاق فيها مرارة العيش ، أقام حينا مع أسرة « أبي سعدة » في إحدى قرى مديرية الدقلهية ، يعلّم أطفالها ويسامر رجالها ، ولكنه اختلف مع الأسرة فتركها ، وافتتح محلا تجاريا بالمنصورة ، ولكنه لم ينجح فيه لسوء تصرفه المالي ، وتقلبت به الأحوال القاسية حتى اتصل بشاهين باشا كنج مفتش الوجه البحري الذي أعجب بالسيد ، فأكرم ضيافته ورعايته .

وكان السيد عبد الله النديم يعيش في عهد إسماعيل ، والأحوالُ المصرية في منتهى السوء ، والمظالم لا تنتهي ولا تقف عند حد ، والشعب كالعبيد يساق سَوْق الماشية ، فرجع عبد الله حينئذ إلى الاسكندرية ليجد فيها فريقا من الشباب ، قد ألفوا جمعية سرية سموها « مصر الفتاة » فانضم إليها : يجاهد لفكرتها ، ويضحي بكل شيء في سبيلها ، ثم اشترك في تأسيس « الجمعية الخيرية الإسلامية » ، وأدار مدرستها الأولى ، وبرع في الكتابة والخطابة والتأليف ، ووضع قصصا منها « العرب » و« الوطن وطالع التوفيق » . وأصدر مجلته الشهيرة «التنكيت والتبكيت » وملأها بالنقد الساخر والتعريض بالمفاسد .

ولما ظهرت الثورة العرابية اشترك فيها ببيانه وقلمه في حماسة وإخلاص ،

وانتقل من أجلها إلى القاهرة ، ليكون على مقربة من أحداثها ، ولما فشلت الثورة العرابية ، وصودرت حريات رجالها ، وحكم على الكثيرين منهم بالعقوبات الشديدة ، اختفى السيد عبد الله النديم في مصر ، وجعل يغيّر ملامحه ومظهره ، وينتقل من مكان إلى مكان ، ويأوي إلى صديق ثم يتركه إلى صديق ، وهكذا ... وتزوج خلال ذلك أكثر من مرة ، وأصدرت الحكومة يومئذ قرارا بنفيه من القطر المصري طيلة حياته . ولكن السيد ظل تسع سنوات مختفيا في مصر ، لا يوقَف له على أثر ، برغم الجهود المضنية التي بذلت لذلك ، والسبب هو براعته في الاختفاء ، مع وفاء أصدقائه وحُماته الذين تستّروا عليه ، وعلى الرغم من كل هذا لاقى السيد إبان تلك الفترة كثيرا من الأهوال ، وأخيرا أرشد إليه جاسوس ، فقُبض عليه ، ونفي إلى يافا ، وظل بعيدا عن مصر حتى توفي الخديوي إسماعيل وتولى عباس باشا ، فسمح له بالعودة إلى مصر فعاد ، وأخذ الاستعمار الإنجليزي يُسفر عن مخازيه وبلاياه ، فأصدر السيد عبد الله مجلة « الأستاذ » يهاجم بها السياسة البريطانية في مصر بعنف وشدة ، فنفوه إلى الخارج مرة أخرى ، فخدمه الغازي أحمد مختار باشا ، بأن جعله من موظفي ديوان السلطان عبد الحميد ، وظل هناك حتى أدركه المرض الخبيث مرض الصدر ، فلم يسلم منه حتى مات به غريبا شريدا ، رحمه الله بقدر جهاده لبلاده .

* * *

إيمان الفرزدق

السؤال : **سمعت أن الفرزدق يوصَف بأنه « شر الناس » ، لأنه كان يقذف المحصنات ، ويكشف في شعره عن العورات ، ويتحدث عن المنكرات ، فهل يحكَم عليه بالكفر وعدم دخول الجنة ؟**

الجواب :

الغيب يعلمه الله ، والعقيدة في صدر الإنسان من أسرار الله تبارك وتعالى ،

فقد يتظاهر الإنسان بعقيدة الإيمان وهو منافق كذاب ، وقد تبدر من الإنسان بدرات تدل على خطئه أو تمرده ، وهو منطوي القلب على العقيدة الصحيحة والإيمان السليم ؛ وقد يسرف المرء على نفسه حينا من الزمان ثم يهيء له الله تبارك وتعالى فرصةً من فرص التوبة الصادقة ، فإذا هو مستقيم معدود في الناجين . ولذلك لا نستسهل الحكم بالكفر على أحد من الناس ، فذلك مدخل صعب وعر ، ولقد كان أسلافنا رضي الله عنهم يتحرزون أشد التحرز من الحكم بالكفر على من قال : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، مهما كثرت ذنوبه . ومن الأليق بالمسلم أن يترك أمر دخول الجنة وعدم دخولها إلى الخالق للجنة ، المتصرف فيها ، المتسلط عليها وهو ربُّ العزة والجلال .

والفرزدق هو همام بن غالب بن صعصعة التميمي البصري الشاعر . وكان جده صعصعة يُحْيي الموءودة، وقد وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد سمع الفرزدق الحسين بن علي وأبا هريرة وأبا سعيد الخدري وعرفجة ابن أسعد ، وجماعة .

ولقد نظر أبو هريرة إلى قدمي الفرزدق وقال : يا فرزدق ، إني أرى قدميك صغيرين ، فاطلب لهما موضعا في الجنة . فقال الفرزدق : إن ذنوبي كثيرة . قال أبو هريرة : لا بأس ، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن بالمغرب بابا مفتوحاً للتوبة ، لا يغلق حتى تطلع الشمس من مغربها » .

فما رأيك في هذا الموقف المشتمل على الخوف من الفرزدق ، والتطمين من أبي هريرة ؟ ولقد دخل معاوية بن عبد الكريم على الفرزدق فإذا في رجليه قيد ، فقال له : ما هذا ؟ قال : حلفتُ ألا أنزعه حتى أحفظ القرآن . فما رأيك في رجل يفعل هذا السجنَ الاختياري بنفسه حتى يحفظ كتاب الله تبارك وتعالى ؟

وروى الرواة أن « النوار » امرأة الفرزدق ماتت ، وقد أوصت أن يصلي عليها الحسن البصري ، ففعل الحسن ذلك ، وسار أعيان البصرة ووجهاؤها

في جنازتها ، وفيهم الحسن على بغلته ، والفرزدق على بعيره ، فقال الحسن للفرزدق : ماذا يقول الناس ؟ فأجاب الفرزدق : يقولون : شهد الجنازةَ اليوم خيرُ الناس (يقصدونك) وشر الناس (يقصدونني) . فقال له الحسن البصري : يا أبا فراس ، كذبوا ، لستُ أنا بخير الناس ، ولا أنت بشرّ الناس . وبعد قليل عاد الحسن فسأل الفرزدق عن يوم الموت قائلا : ماذا أعددتَ لهذا اليوم ؟ قال : شهادة لا إله إلا الله منذ ثمانين سنة .

إذن فالفرزدق يطوي صدره على الإيمان بالله طيلة هذا العمُر الطويل فكيف نحكم عليه بالكفران ؟

ولما وصلت جنازة « النوار » إلى قبرها أنشد الفرزدق أبياتا تدل على إيمانه وخوفه من حساب ربه . قال :

أخاف وراء القبر إن لم يعافني أشدّ من القبر التهابا وأضيقا
إذا جاء في يوم القيامة قائد عنيف، وسوّاق يسوق الفرزدقا
لقد خاب من أولاد دارم من مشى إلى النار مغلول القلادة أزرقا
يساق إلى نار الجحيم مسربلا سرابيلَ قطران لباسا مخرّقا
إذا شربوا فيها الصديدَ رأيتهم يذوبون من حرّ الصديد تمزقا

فلما انتهى الفرزدق من الإنشاد بكى الحسن البصري — ولا تنس أنه الإمام الحسن البصري — ثم احتضن الفرزدق وقال : لقد كنتَ من أبغض الناس إليّ ، وإنك اليوم من أحب الناس إليّ . وهذا موقف غني عن التعليق .

وأما عن قذف المحصنات ، فتلك من غير شك جريمة ، وأمرها إلى الله مفوّض ، ولقد قال له بعض الناس : يا فرزدق ، ألا تخاف من الله في قذف المحصنات ؟ فأجاب : والله ، للهُ أحب من عيني اللتين أبصر بهما ، فكيف يعذبني ؟

مهما يكن من تفريط المرء وخطئه ، فلا يصح أن نتسرع بالحكم عليه بالكفران ما دام ينطق بكلمة التوحيد ، ويُظهر الإيمان ، ولنا الظاهر ، والله أعلم بالسرائر .

* * *

طاليس الحكيم

السؤال : **أريد أن أعرف شيئا عن حياة طاليس الحكيم ، ولماذا لقبوه بلقب « الحكيم » ؟**

الجواب :

طاليس الحكيم هو الفلكي العظيم ، والعالم القديم ، الذي قال عنه أهل بلده (إنه أحكم البشر في كل المعارف) . وقد وُلد في مدينة (مليتس) بآسيا الصغرى ، سنة ستمائة وأربعين قبل الميلاد ، وهو فينيقي الاصل ، رحل آباؤه من الشام إلى اليونان ، فراراً من ظلـــم الولاة في ذلك الزمان ، ولذلك يعد طاليس سوري الأصل ، وإن كان معدودا في مقدمة حكماء الزمان .

وقد نشأ طاليس نشأة عادية ، واشتغل بالبحوث الكهربائية حتّى نبغ فيها ، وعده الكثيرون الزعيمَ الأول للباحثين في تلك الناحية ، وهو أول من نسب قوة الجذب الكهربائية إلى روح كامنة في الكهرباء والمغناطيس ، ونظر طويلا في هذا الموضوع ، وحاول تعليله .

واشتغل طاليس بالسياسة حينا ، ثم اشتغل بالحكمة والفلسفة ، ويقال إنه اشتغل بالتجارة أيضا ، إذ كان الاتجار على عهده معدودا من ضروب الحكمة ، لأن التجارة تجلب الخيرات ، وتقرِّب من العظماء ، وتفتح مغاليق الخبرة والمعرفة ، وما أراد طاليس من اشتغاله بالتجارة مجرد الربح أو الاكتساب ، والدليل الساطع على ذلك أنه كان فقيرا ، ولم يجمع من عمله مالاً ذا بال ، ولقد لامه بعضهم على فقره مع كثْرة علمه وحكمته، فعكف طاليس سنةعلى استثمار كروم الزيتون ، حتى كسب مالا كثيرا ، ثم عاد فردَ المال على أصحابه ، بعد أن أثبت أنه غير عاجز عن الكسب .

ولقد سأله ذات مرة أحد تلاميذه : بأي شيء أكافئك على أياديك البيضاء الكثيرة نحوي ؟ فقال له طاليس : إذا صرتَ يا بني مدرسا ، وذكرت لتلاميذك شيئاً من أقوالي ، فانسبه إليَّ ، وقل لهم هذا قول طاليس ، فإنك إن فعلت

ذلك أظهرتَ وفاءك وأمانتك وتواضعك وجزيتني أفضل جزاء .

* * *

ويروى أن طاليس قدم إلى مصر ، وأخذ الحكمة عن كهنتها ورهبانها ، ودرس علم الهندسة فيها ، وعرف ارتفاع الأهرام من قياس ظلها ، ثم نقل تعلمه من الهندسة في مصر إلى بلاد اليونان ، وزاد كثيرا من النظريات والقواعد وتعلم طاليس الفلك من الكلدانيين ، وبرع فيه بشكل عجيب ، حتى استطاع في ذلك الزمن السحيق أن ينبيء عن كسوف الشمس الذي حدث في أواخر القرن السادس قبل الميلاد ، وكان هذا الإنباء قبل وقوع ذلك الكسوف بزمن طويل ، فلما وقع كما أنبأ طارت شهرته في بلاد اليونان ، واستحق منهم لقب (الحكيم) وهو في السادسة والسبعين من عمره .

ولقد أجاب طاليس عن أسئلة وُجهت إليه فقال : « الأقدم هو الله لأنه غير مخلوق ، والأوسع هو الفضاء لإنه يحيط بكل شيء ، والأحكم هو الوقت ، لأنه يكشف الغوامض ، والأشيع هو الرجاء ، لأنه ملك من لا ملك له ، والأنفع هي الفضيلة ، لأنها تصلح كل شيء ، والأضر هي الرذيلة ، لأنها تفسد كل شيء ، والأقوى هي الحاجة لأنها لا ترد ، وأسعد المدن هي المدينة التي يكون سكانها بين الغنى والفقر ، وأفضل البيوت هو الذي لا يتعب صاحبه » . وسئل طاليس مرة : من السعيد ؟ فأجاب : الصحيح الجسم ، الكثير الرزق ، المثقف العقل . وسئل : من الفاضل ؟ فقال : من لا يفعل ما يلوم غيرَه على فعله . وقال مرة : لا فرق بين الحياة والموت . فقيل له : فلماذا لا تقتل نفسك إذن ؟ فأجاب : لأنه لا فرق بين الحياة والموت . ومن نصائحه في الصداقة : « اذكر صديقك وهو غائب ، كما تذكره وهو حاضر »

ومما يروى عنه أنه لما طعن في الشيخوخة أخذت أمه بيده ، وخرجت به ليرقب النجوم ، فعثرت قدمه ، وسقط في حفرة ، فقالت : عجبا لمن يرصد النجوم في السماء وهو لا يرى ما تحت قدميه .

* * *

الحطيئة : مسلم أم كافر

السؤال : **هناك شاعر يسمى « الحطيئة » ، فلماذا سمي بهذا الاسم ؟ وهل هو مسلم أم كافر ؟**

الجواب :

« الحطيئة » هو لقب لشاعر مخضرم ، أي أدرك الجاهلية والإسلام ، واسمه جرول بن أوس بن مالك ، ويروى أن نسبه غير معروف ، كأنه كان من أولاد الزنا ، وكان ينتسب كل حين إلى قبيلة من القبائل ، وسأل أمّه عن أبيه ، فخلّطت في كلامها ، فغضب عليها وتركها ، ويقال إنه هجاها ومن ذلك قوله :

جزاكِ الله شرا من عجـــوز ... ولقّاك العقوقَ من البــنينا

وقوله :

تنحيْ فاجلسي مــني بعيـــــدا ... أراح اللهُ منـــك العالمينـــــا

أغربالاً إذا استــودعتِ ســــرا ... وكـــانونا عـــلى المتحدثينـــا

ويقول فيه أبو الفرج الأصفهاني : « وكان الحطيئة جشعا سؤولا ملحفا ، دنيء النفس ، كثير الشر قليل الخير ، بخيلا قبيح المنظر ، رث الهيئة ، مغمور النسب ، فاسد الدين » .

ويروى أن الحطيئة أسلم ثم ارتد . ومن العجيب أن هذا الرجل الذي ارتد وسار في حياته سيرةَ اللؤم والخسة ، كما يحكي الرواة والمؤرخون ، هو الذي قال البيت المشهور :

من يفعل الخيرَ لا يعــدم جوازيـــه ... لا يذهب العرفُ بين الله والناس

وهو الذي قال في التقوى الأبيات التالية . فقد روي أنه لما حضرت عبيدَ الله بن شداد الوفاةُ ، دعا ابنه محمدا فأوصاه وقال له : يا بني أرى داعيَ الموت لايقلع ، ومن مضى لا يرجع ، ومن بقي فإليه ينزع . يا بني ، ليكن

أولى الأمور بك تقوى الله في السر والعلانية ، والشكر لله ، وصدق الحديث والنية ، فإن للشكر مزيدا ، والتقوى خير زاد ، كما قال الحطيئة :

ولست أرى السعادةَ جمع مـــال   ولكن التقيَّ هو السعيـــــدُ
وتقوى الله خير الـــزاد ذخـــرا   وعنـــد الله للأتقى مـــزيد
ومـــا لا بـــد أن يأتي قريـــــب   ولـــكنَّ الـــذي يمضي بعيد

هذا ولله في خلقه شؤون .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

موقع السد

السؤال : **أين موقع السد الذي بناه ذو القرنين ، وجاء ذكره في القرآن الكريم؟**

الجواب :

جاء في تفسير « جامع البيان » للامام ابن جرير الطَّبري — وهو شيخ المفسرين — : أن السد الذي بناه ذو القرنين كان بين جبلين ، والجبلان في أرمينية وأذربيجان .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

المزدكيون

السؤال : **أريد أن أعرف شيئا عن المزدكيين ، وهل هم على باطل ؟**

الجواب :

المزدكيون هم أتباع « مزدك » الذي ظهر في أيام قباذ والد « أنو شروان » ملك العجم ، وكان « المزدكيون » يقولون كفرقة المانوية : إن العالَم مصنوع

مركب من أصلين قديمين ، أحدهما النور والآخر الظلام ، وأن النور يفعل بالقصد والاختيار ، والظلام يفعل على الخبط والاتفاق .

ودعا مزدك في مذهبه الضال المضل إلى إباحة النساء والأموال ، وجعل الناس شركة فيهما . وقد تفرقت من المزدكية فرق مختلفة انتشرت في بلاد العجم ، وقد أشار إليها الشهرستاني في كتابه « الملل والنحل » .

وقد استجاب « قباذ » لدعوة مزدك حينما دعاه إلى مذهبه ، ولكن « أنو شروان » اطلع على افترائه وباطله ، فقبض عليه وقتله .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

من هم الهيكسوس

السؤال : **يقال إن الهيكسوس من أصل عربي ، فهل هذا صحيح ؟ وما معنى هذه الكلمة ؟**

الجواب :

يروي بعض المؤرخين أن الهيكسوس من القبائل العربية القديمة ، وأنه كان بينهم وبين الحثيين روابط قرابة ، وأنهم افتتحوا مصر وسورية والعراق في الزمن القديم ، ولكن هذه الرواية ينقصها القطع واليقين .

وأما كلمة (هيكسوس) فيقال إنها مكوَّنة في الأصل من كلمتين هما (هيق) و(سوس) ، فأما كلمة (هيق) فمعناها ذَكَر النعام ، والهيق من الرجال هو الطويل جدا ، وقد جاء في كتاب « لسان العرب » في حديث « أحد » أن عبد الله بن أبي انخذل في كتيبة كأنه هيق ، يقدمهم « أي كأنه يسرع في انخذاله كالنعامة» .

و« سوس » معناها الخيل ،ولا تزال هذه الكلمة مستعملةً في اللغة العبرية بهذا المعنى . وأما في اللغة العربية فلا يوجد هذا المعنى لهذا اللفظ ، وإن كان

يوجد ما يتعلق بالخيل ، وهو كلمة « سائس » ، أي الذي يسوس الخيل ويقودها ، وعلى هذا يكون معنى كلمة « هيكسوس » : إما ملوك الخيل ، أو أصحاب نعام الخيل . ويقال إنهم كانوا فرسانا ، وأدخلوا الخيول إلى مصر بعد فتحها ، وبذلك كثرت الخيول في مصر .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

طائفة المرجئة

السؤال : **أريد أن أعرف شيئا عن طائفة المرجئة من ناحية الاعتقاد والشرع ؟**

الجواب :

المرجئة إحدى الطوائف الضالة المضلة ، التي لا يجوز في الإسلام إقرارها ، ولا يليق من المسلم الاغترار بها ، وكلمة « المرجئة » مأخوذة من مادة « الإرجاء » . والإرجاء يكون بمعنيين ، المعنى الأول هو الإمهال والتأخير ، كما يقال : أرجأ فلان هذا العمل إلى الغد ، أي أخّره عن وقته ، وطائفة المرجئة تؤخر العمل عن النية ، أي تقول إن الإيمان يتحقق ويكمل بدون عمل ...

والمعنى الثاني للارجاء هو إعفاء الرجل من العمل ، وطائفة المرجئة عندهم هذا المعنى ، لأنهم يقولون : « لا تضر مع الإيمان معصية » . ويقولون بأن صاحب الكبيرة – أي مرتكب الذنب الكبير الخطير – « لا نقضي عليه بحكم ما في الدنيا ، فلا يقال إنه من أهل الجنة ، أو إنه من أهل النار ، بل يؤخّر حكمه إلى يوم القيامة » .

وأول من قال بهذا المذهب هو « عيلان الدمشقي » وأصحابه ، ومن المرجئة طائفة تسمى « اليونسية » نسبة إلى « يونس بن عون » . وهؤلاء يقولون : « إن الطاعة ليست من الإيمان ، ولا يضر تركها حقيقة الإيمان وإن المؤمن يدخل الجنة بإخلاصه ومحبته ، لا بعمله وطاعته » .

ومن المرجئة طائفة « العبيدية » نسبة إلى رجل يسمى « عبيد المكتئب » وكانت تقول : « إن العبد إذا مات على توحيده لا يضره ما اقترف من الآثام ، واجترح من السيئات » . وتزعم – لعنها الله – أن الله على صورة إنسان ، تعالى الله عن قولهم هذا علواً كبيرا .

ومن المرجئة طائفة « الغسانية » نسبة إلى « غسان بن أبان الكوفي » ، وكانت تقول : « إن الإيمان هو الإقرار بما أنزل الله ، وبما جاء به الرسول في الجملة، لا في التفصيل » .

والواجب على المسلم ألا يلتفت إلى هذه الطوائف الضالة ، ذات المذاهب الفاسدة ، بل يرجع إلى هدي القرآن والسنة ، وإلى اتباع السلف الصالح رضي الله عنهم : « ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم » .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الرأي في معاوية

السؤال : **هناك أقوال كثيرة في حق معاوية بن أبي سفيان ، فهل نعده خيرا للاسلام أم عدوًّا له ؟**

الجواب :

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « اللهَ اللهَ في أصحابي ، الله الله في أصحابي ، لا تتخذوهم غرَضاً بعدي » . أي اتقوا الله في أصحابي ، لا تتخذوهم موضعاً للسب والشم . وقال : « لا تسبوا أحداً من أصحابي » وقال : « إذا رأيتم الذين يسبون أصحابي فقولوا : لعنة الله على شراركم » .

وقد قرر العلماء أنه يحرم على المسلم أن يتناول أحدا من الصحابة بذم أو شتم ، وعليه أن يترك أمرَ اختلافهم فيما بينهم إلى الله ، يحكم فيه بعلمه الواسع وعدله المطلق ، ولقد أصيب المسلمون كثيرا بسبب هذه المجادلات التي ثارت

حول تفضيل بعض الصحابة على بعض ، وحول الطعن في بعض الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، بسبب ما كان بينهم من مواطن اختلاف .

ومعاوية بن أبي سفيان قد ذكره الإمام ابن حجر في كتابه « تقريب التهذيب » وقال إنه « الصحابي الخليفة » ، وأنه أسلم قبل الفتح ، وإنه كتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم . وذكر الإمام النووي في كتابه « تهذيب الأسماء واللغات » ترجمةً وافية لمعاوية ، وجاء فيها أنه أسلم يوم الحديبية ، وكتم إسلامه عن أبيه وأمه ، وشهد مع النبي غزوة حنين . وكان أحد كُتّاب الوحي للرسول صلى الله عليه وسلم ، وروى عن النبي مئةً وثلاثة وستين حديثاً ، اتفق البخاري ومسلم على أربعة منها ، وانفرد البخاري بأربعة ، ومسلم بخمسة ، وروى عن جمع من الصحابة ، كابن عباس ، وأبي الدرداء وابن عمر ، وابن الزبير ، وروى عنه جمع من التابعين .

وولاه أبو بكر أميراً على الشام ، ولما استخلف عمر أبقاه مكانه ، ثم أقره عثمان ، وبقي على الشام في عهد علي ، ويصفه النووي بالخليفة ، ويقول إن خلافته استمرت نحو عشرين سنة ، وقد دعا له النبي صلى الله عليه وسلم وقال : « اللهم اجعله هاديا مهديا » . رواه الترمذي وقال : حديث حسن . وقال عنه عبد الله بن عباس : « إنه فقيه » .

ولما حضرته الوفاة أوصى أن يكفنوه في قميص كان النبي كساه إياه ، وكان عنده قلامة أظفار النبي صلى الله عليه وسلم ، فأوصى أن تسحق وتجعل في عينيه وفمه ، وقال : « افعلوا ذلك ، وخلوا بيني وبين أرحم الراحمين » ولما نزل به الموت قال : « يا ليتني كنت رجلا من قريش بذي طوى (اسم مكان) وأني لم أتولَّ من هذا الأمر شيئاً » . يعني الحكم .

واللائق بالمسلم أن يعد معاويةَ أحدَ الصحابة ، وأن يترك الحكم له أو عليه إلى صاحب الحكم أولا وأخيرا ، وهو الله سبحانه وتعالى ، ولقد جاء في كتابي « خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز » أن سائلا سأله عن الحروب التي وقعت بين علي ومعاوية ، فقال عمر : « تلك دماء طهر الله أيدينا منها

فلا نخوض فيها بألسنتنا » . ونِعْمَ ما قال .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

أَهل الصُّفَّة

السؤال : **من هم أهل الصفة ؟ وكيف كانت معاملتهم في الإسلام ؟**

الجواب :

أهل الصّفّة هم فقراء المهاجرين على عهد الرسول عليه الصلاة والسلام، ومن لم يكن له منزل يسكنه ، ولا تجارة يتجر فيها ، ولا عمل يزاوله ، فكانوا يأوون إلى موضع مظلّل في مسجد المدينة ويسكنونه ، وهذا المكان يسمى « الصُّفّة » . وقد أشار إلى ذلك ابن الأثير في كتابه « النهاية في غريب الحديث » .

وكذلك ذكر صاحب « القاموس المحيط » أن أهل الصفة كانوا أَضياف الإسلام ، وكانوا يبيتون في الصفة من مسجد الرسول ، وفي موضع مظلّل من المسجد ، وقد قيل في بعض الروايات إن طائفة الصوفية منسوبة إلى أهل الصفة ، لأنهم كانوا أمثلةً في الزهد والتخفف من متاع الحياة .

وكان عدد أهل الصفة — كما يذكر الطوسي — أكثر من ثلاثمائة ، ليس لهم تجارة ولا ضرع ولا مال ، حتى روي عن أبي هريرة ما يفيد أن ثيابهم كانت قصيرة رخيصة بالية ، وكان طعامهم لا يكاد يخرج عن التمر والماء .

ورُوي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يؤانسهم ويجلس معهم ويؤاكلهم ، ويحث الناسَ على إكرامهم ومعرفة فضلهم ، ويقال إن النبي كان لا يقوم من مجلسه إذا جلس أهل الصفة حوله حتى يقوموا ، وكان إذا صافحهم لم ينزع يدَه من أيديهم قبلهُم ، وكان أحيانا يحرض أغنياء أمته على أن يتكفلوا بطعام هؤلاء الفقراء ، فكان الغني منهم ينهض بتبعة الثلاثة أو

الأربعة أو الخمسة ، وكان سعد بن معاذ أكثرَ القوم تكفلا بإطعام هؤلاء ، فربما أخذ الثمانين منهم إلى بيته فأطعمهم .

وقد جاء في كتاب « اللمع » أن أهل الصفة هم المقصودون بقول الله تعالى في سورة البقرة: « للفقراء الذينَ أحصِرُوا في سبيل الله لايستطيعونَ ضرباً في الأرض ، يحسبهُمُ الجاهلُ أغنياءَ مِنَ التعفّفِ تعرفُهُم بسيماهُمْ لايسألونَ الناس إلحافا » . وقوله تعالى في سورة الكهف : « واصبرْ نفْسَكَ مَعَ الذينَ يدعونَ ربّهُمْ بالغَدَاةِ ، والعشِيِّ يُريدونَ وَجْهَهُ ، ولا تَعْدُ عَيناكَ عَنْهُمْ تُريدُ زينَةَ الحياة الدُّنْيَا ، ولا تُطِعْ مَنْ أغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنا وَاتّبَعَ هَوَاهُ وَكانَ أمرُهُ فُرُطاً » . وقوله تعالى في سورة الأنعام : « ولا تَطْرُدِ الذينَ يدعون ربّهُمْ بالغَدَاةِ والعشِيِّ يريدونَ وَجْهَهُ ، ما عَلَيكَ مِنْ حسابِهِمْ مِنْ شيء ، وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ ، فتطردَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظّالِمِينَ » .

وكان هؤلاء إذا طولبوا بواجب نهضوا به ، ولا يقصرون في فروض دينهم وإذا دعاهم داعي الجهاد جاهدوا واجتهدوا .

ومن أهل الصفة الصحابي المشهور عبد الله بن أم مكتوم ، الذي عاتب الله فيه نبيه ، بقوله : « عَبَسَ وَتَوَلّى ، أنْ جَاءَهُ الأعْمَى ، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلّهُ يَزّكّى » . وكان النبي بعد ذلك العتاب إذا رأى ابنَ أم مكتوم رحّب به وقال له : « مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ، هل لك من حاجة فأقضيها » .

ونستطيع أن نراجع كتاب « حلية الأولياء » لأبي نعيم ، لنطالع فيه طائفة من تراجم أهل الصفة ، فنتعرف إلى الكثير من خصالهم وأخلاقهم وأحداث حياتهم ، وكيف مثلوا جانب الورع والزهد في هذه الحياة .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

جورجي زيدان والتاريخ الإسلامي

السؤال : **ما رأي فضيلتكم في روايات جورجي زيدان التي تتعرض للتاريخ الإسلامي ، وتصوره في قصص وحكايات ، ويقبل عليها القراء بصورة واسعة ؟**

الجواب :

إن هذه الروايات لا تليق بالمسلم قراءتُها ، لأنها وُضعت لتشويه التاريخ الإسلامي ، وتحريف حوادثه ، وقلب أموره رأسا على عقب ، والنيْل من جلاله وجماله ، وكأنما كانت هذه الروايات نتيجةً لخطة أريد بها مسخ التاريخ الإسلامي في أنظار أهليه ، حتى يفقدوا اعتزازَهم بما فيه ، ولسنا نرسل القول ارسالا بلا دليل ، بل بين أيدينا أدلة وبراهين . فهذه الروايات أولا تشتمل في كثير من مواقفها على حوادث مصطنعة وأمور مختلقة ، ولعل صاحبها يوهم قراءه بأن هذا من قواعد الفن القصصي ، لجذب القراء وإثارة الاهتمام ؛ ولكن هذا إذا صح في القصة الخيالية ، فإنه لا يصح بحال من الأحوال في القصة التاريخية ، لأن التاريخ له حرمته وله مكانته ، وهو تراث السابقين للاحقين ، وصور الأجداد بين أيدي الأحفاد ، ولو فرضنا ووجدنا من يتجرأ باسم الفن ، ويبيح هذا الاختلاق ، في القصة التاريخية ، فإنه لا يجوز أن يكون في التاريخ الإسلامي ، لأن تاريخ المسلمين وثيق الصلة بعقائدهم ومبادئهم ، ومن هنا نراه يستظل بلون من الحرمة أو القداسة فيجب أن يكون ءأمنا من تحريف المبطلين وتشويه المغرضين .

ومن مكايد هذه الروايات أنها تصبغ حوادثَ الأبطال وأعمال الرجال بصبغة غرامية تتمثل في الهيام بالمرأة والخضوع لها والحرص عليها ، وكأن العظماء المسلمين في نظر هذا الكاتب لم يكونوا إلا مجانين تسيِّرهم العاطفة ، ويستبد بهم الهوى ، مع أننا حين نراجع تاريخ هؤلاء الأبطال لا نجد في حياتهم متسعا للغرام الرخيص والهوى العابث . فقد شغلهم القرآن والدين والكفاح في ميادين الشهادة ، عن التفرغ لحياة اللهو واللعب ، وبذلك خلّفوا

وراءهم صفحات مشرفات من البطولة ، ولكن المؤلف أبى إلا أن يملأ حياة هؤلاء الغُر الميامين بالصبوات والصبابات ، فأبعد في الاختلاق والافتراء .

ونجد في هذه الروايات أن صاحبها يدس في كل واحدة منها راهبا من الرهبان ، يصوره بصورة البطولة ، ويظهره بمظهر البطل الذي يدافع عن الحريات ، أو يدعو إلى المكرمات ، أو يعاون في إتمام الجلائل من الأعمال ، فإن لم يختلق راهبا اختلق دَيْراً يصوره على أنه معقل الجنود المسلمين الهاربين ، وحصن المجاهدين المطارَدين المضطَهَدين ، وكأن المؤلف يهدف من وراء ذلك إلى أن يجعل لغير المسلمين دوراً في نصرة المجاهدين المسلمين ، أو معاونتهم في إتمام مهماتهم ، وأحياناً يسرف المؤلف في تشويهه ، فيرجع الفضلَ في فتح بعض الأقطار ، كالأندلس مثلا ، إلى جهود غير المسلمين ومن لف لفهم .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الرجل الذي قتله موسى

السؤال : كم كان طول الرجل الذي قتله سيدنا موسى عليه السلام ؟ وفي أي مكان قُتل ؟ ويقال إنهم بنوا من عظمه جسرا على نهر النيل ؟ فهل هذا صحيح ؟

الجواب :

أشار القرآن الكريم إلى حادثة القتل التي وقعت من سيدنا موسى عليه السلام ، وقد جاء في التفسير أن موسى عليه السلام دخل مدينة « مصر » على عهده ، في وقت لا يعتاد الدخول فيه ، فوجد بها رجلين يتقاتلان ، وأحدهما من قوم موسى الذين آمنوا به واتبعوه ، والآخر من أعدائه الذين حاربوه وعارضوه ، فلما رآه الرجل الذي هو من قومه استغاث به لينصره على من

يقاتله ، فأقبل موسى ليدفع عنه هذا العدو . وضربه بيده ضربةً كان فيها موته ، وندم موسى على موت الرجل ، واعتبر هذا الخطأ من عمل الشيطان ، واستغفر ربه ، فغفر له .

والقرآن المجيد يشير إلى هذا بقوله عن موسى : « وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا ، فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلاَنِ ، هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ ، وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ ، فاستغاثَهُ الذي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الذي مِنْ عَدُوِّهِ فوكزَهُ موسى فَقَضَى عَلَيْهِ ، قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ، قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » . ولم يذكر التاريخ شيئا مقطوعا به فيما يتعلق بطول هذا الرجل ، وإن كان مكان قتله معروفاً ، وهو مدينة مصر كما ذكر المفسرون . وكذلك لم يثبت بوجه قاطع أنهم بنوا على نهر النيل جسراً من عظام هذا الرجل ، ولعل هذا من قصص الإسرائيليات

ومن الخير ألا نشغل أنفسنا كثيراً بمثل هذه الأمور لأنها لا تفيد شيئا له قيمة في ديننا أو دنيانا ، وسبحان من لو شاء لهدى الناس جميعا إلى سواء السبيل .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

أحاديث عن اليمن

السؤال : **هل وردت أحاديث نبوية في شأن اليمن على عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ؟**

الجواب :

روى الراغب الأصفهاني في كتابه « مفردات القرآن » أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « إني لأجد نَفَسَ ربكم من قبل اليمن » . وقد روى ابن

الأثير هذا الحديث في كتابه « النهاية في غريب الحديث » برواية أخرى هي : «إني لاجد نَفَس الرحمن من قبل اليمن » . وقيل : عنى به الأنصار ، لأن الله تبارك وتعالى نفّس بهم الكربَ عن المؤمنين ، وهم يمانون ، لأنهم من الأزد والأزد من قبائل اليمن .

وروى ابن الأثير أيضا الحديثَ التالي : « أتاكم أهل اليمن ، هم أرق قلوبا ، والين أفئدة » . وفي الحديث أيضا : « الإسلام يمان والحكمة يمانية » .

* * *

دعابة الشعبي

السؤال : **سمعت أحد الأشخاص يمازح جماعة من أصدقائه ويداعبهم ، فأخذ يقص عليهم (نكتا) عن شخص يسمى الشعبي ، ولما سألته : من هذا الشعبي قال : إنه كان إماما من أئمة المسلمين المشهورين ، فهل هذا صحيح ؟ وكيف يكون أحد الأئمة مزاحا ؟**

الجواب :

لم يخلق الله الحياة لنشقى فيها ، بل لنسعد بها ، وما يريد الله لعباده إلا أن يكونوا أصحاء أغنياء أبرياء أقوياء أنقياء ، وهذا لا يتعارض مطلقا مع كونهم علماء أتقياء أولياء ، وما يريد الله لعباده أن يكونوا محزونين أشقياء ، بل يريدهم مبتهجين سعداء ، فلا مانع مطلقا أن يضحك الإنسان ، ويبتسم للحياة ، ويداعب أهله وأصدقاءه بما لا يسوء من الطرف والملح والدعابات .

وقد داعب الرسولُ ومزح ، وتبسَّم وضحك ، وقد نُسب الضحك في القرآن إلى أنبياء وأتقياء وعظماء ، والمعروف عن أئمة الأمة وفقهائها وعلمائها أنهم كانوا برغم ورعهم وزهدهم ويقينهم ، يحسنون الدعابةَ الحلوة والطرفة الجميلة ، ولم يعبهم في ذلك إلا قصير أو عليل .

والشعبي الذي نتحدث عنه هو الإمام البحر الحَبْر العلامة العَلَم أبو عمرو عامر بن شراحيل بن معبد الشعبي ، مضربُ المثل في العلم واليقين ، والفهم والتقوى ...

ومن كلامه الحلو الجميل قوله : « إنما الفقيه من تورع عن محارم الله ، والعالم من خاف الله تعالى » . وقوله : « تعايَشَ الناس بالدين زمنا طويلا حتّى ذهب الدين ، ثم تعايشوا بالمروءة زمنا طويلا حتّى ذهبت المروءة ، ثم تعايشوا بالحياء زمنا طويلا حتّى ذهب الحياء ، ثم تعايشوا بالرغبة والرهبة (أي بالطمع والخوف) وسيأتي بعد ذلك ما هو أشد منه » .

والمُلَح التي تروى عن الشعبي لا نعدم فيها عظة فوق ما فيها من تنفيس ...

روي أن الشعبي كان مع امرأته في بيته ، فدخل عليهما رجل ، وسأل : أيكما الشعبي ؟ فأشار الشعبي إلى امرأته وقال : هذه ...

وذكر مرة في وعظه أنه ورد في الأثر : « تسحروا ولو أن يغمس أحدكم إصبعه في التراب ويلعقه » . فسأله أحد السامعين : أي إصبع يا مولانا ؟ فرفع إبهام رجله بيديه وقال : هذا ...

وذكر في وعظه مرة أنه يسن تخليل اللحية بالأصابع عند الوضوء ، فقال أحد السامعين : أخشى ألاّ يصل الماء إلى منابت شعر لحيتي . فقال له الشعبي : إذن انقعها في الماء من أول الليل ...

فأنت ترى في هذه المداعبات وأشباهها ضيقا بالجهل الفاضح ، وتعريضا بالضلال المطبق ، ولفتا للأبصار إلى ما يحسن أن يكون ، وما لا يحسن أن يكون ، فرضوان الله على الشعبي ، وعلى كل مداعب ظريف لا يجرح بدعابته الدين أو الأخلاق .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

بين عثمان وأبي ذر

السؤال : لماذا غضب سيدُنا عثمان على الصحابي المشهور أبي ذر الغفاري ؟ وهل من الصحيح أنه نفاه ، وكيف حدث هذا ؟

الجواب :

كان الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري رضي الله عنه وأرضاه ، وكرَّم بين الأتقياء مثواه ، رجلا زاهدا متقشفا ، يخلص العمل لله وحده ، ويرغب عن الدنيا وزينتها ، وكان يؤمن بأن المال كله لله ، وأن الفضل كله بيد الله ، وأن أمة محمد عليه الصلاة والسلام يجب أن تعيش متكافلة متضامنة متساوية .

ولما رأى رضوان الله عليه أن الدنيا قد أقبلت بخيراتها على بعض الناس ، وأن هؤلاء بدأوا يجمعون الأموال ، ويحتفظون بها مقتصدين أو مكاثرين ، خاف عواقبَ ذلك ، وخشي نتائج الإفراط فيه ، والتعلق به ، والإصرار عليه ، فأخذ يحارب كنزَ المال في شدة وصرامة ، وجعل يطوف في الأحياء والمجامع محذِّرا ومذكرا ، وساخرا بالكانزين ومهددا لهم ، وكان يردد قوله تعالى : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ، يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » .

وكان الخليفة يومئذ هو عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وكان رجلا مسالما هادئا ، فتراءى له أن دعوة أبي ذر الاشتراكية القوية ستسبب له متاعبَ ومشاغل .

وفي الوقت نفسه حرضه معاوية على نفي أبي ذر ، فاستجاب عثمان لذلك ، وقرر نفي أبي ذر إلى قرية « الرَّبَذَة » ، وهي بلدة قريبة من المدينة المنورة ، وأصدر عثمان قرارا بألا يخرج أحد لتوديع أبي ذر ، أو السلام عليه أو محادثته ، وكلف مروانَ بن الحكم بأن يصحب أبا ذر ، ليمنع الناس عن الاختلاط به أو القرب منه ، وخاف الناس فابتعدوا ، وخرج أبو ذر مع حارسه مروان ، وهنا تبعه علي بن أبي طالب وأخوه عقيل وابناه الحسن

والحسنين وعمار بن ياسر ، ودنا الحسن من أبي ذر يكلّمه ، فاعترضه مروان قائلا : إيها يا حسن ، ألا تعلم أن أمير المؤمنين قد نهى عن كلام هذا الرجل ؟ فإن كنت لا تعلم فاعلم ذلك .

فأقبل عليّ عندما سمع ذلك ، وضرب دابة مروان بالسوط وقال : « تنح لحاك الله إلى النار » . فرجع مروان مغضبا إلى عثمان ، وأخبره الخبر ، فتأثر عثمان من عليّ لذلك .

ومن رائع ما يروى هنا أن الإمام عليا حينما هم بمفارقة أبي ذر حين نفيه ، وَعَظَه عظةً بليغة خالدة ، قال فيها :

« يا أبا ذر ، إنك غضبت لله فارجُ مَنْ غضبت له ، إن القوم خافوك على دنياهم وخفتهم على دينك ، فاترك في أيديهم ما خافوك عليه ، واهرب بما خفتهم عليه ، فما أحوجهم إلى ما منعتهم ، وما أغناك عما منعوك ، وستعلم مَن الرابح غداً والأكثر حُسّداً ، ولو أن السموات والأرض كانتا على عبد رتقا ثم اتقى الله لجعل الله له منهما مخرجاً ، لا يؤنسك إلا الحق ، ولا يوحشنك إلا الباطل ، فلو قبلت دنياهم لأحبُّوك ، ولو قرضتَ منها لأمنوك » رضوان الله على الجميع .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

حول المهدي المنتظر .

السؤال . ما رأيك فيما ذاع أخيرا من ادعاء بعض الفتيات أن جبريل عليه السلام ينزل عليها ، وينبئها بأنها ستلد المهدي المنتظر ؟ وما موقف الدين الإسلامي من ذلك الادعاء ؟

الجواب :

جبريل عليه السلام هو سفير الرحمن من السماء بأمر ربه ، كان يحمل

رسالاته ووحيه إلى أنبيائه ورسله ، وقد خُتمت النبوات والرسالات بمحمد عليه الصلاة والسلام ، ومن ثَمّ انقطع نزول الوحي ، وكفّ جبريل عليه السلام عن النزول إلى الأرض كما كان ينزل حين سفارته بين الله ورسله .
وإذا اتضح لنا هذا عرفنا كلمة الإسلام فيما تدعيه هذه الفتاة ، ومن رأيي أن مثل هذه الأمور لا يحسن علاجها بنشر تفاصيلها في الصحف والمجلات ، ثم التعليق عليها من المختصين في سرعة وعجلة ، بل لا بد من التأني والتمهل ، والإقبال على مثل هذه الحوادث الشاذة المثيرة بالدراسة المحيطة والتعمق الواسع فقد يكون الأمر ادعاء باطلا ، أو توهما خادعا ، أو مرضا نفسيا مزلزلا ، وكلٌ من هذه الأحوال يحتاج إلى اليد الخبيرة الآسية التي تختبر ثم تشخص ثم تعالج ، ولو أننا سلكنا مثل هذا الأسلوب الحكيم فيما يجد علينا من الحوادث والأحداث ، لجنبنا أنفسنا كثيرا من المواقف المثيرة التي قد يضل فيها العقل ، أو يشتط التفكير ، أو يجمح اللسان .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الحواريون

السؤال : من هم الحواريون ، ولماذا سُمُّوا بهذا الإسم ؟

الجواب :

يقول الله سبحانه في سورة المائدة : « وَإِذْ أَوْحَيْتُ إلى الحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا واشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُون » . ويقول جل جلاله في سورة الصف : « يا أيُّها الذينَ آمنوا كونوا أنصارَ اللهِ كمَا قالَ عيسى بنُ مريمَ للحوَا ريِّينَ مَنْ أنصاري إلى اللهِ قالَ الحواريُّونَ نَحْنُ أنصارُ اللهِ فآمَنَتْ طائفةٌ مِنْ بَنِي إسرائيلَ وكَفَرَتْ طائفةٌ فأيّدْنا الّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فأصبحوا ظاهرين » ١٤ .

و« الحواريون » جمع مفرده « الحواريّ » . والحواري في اللغة هو من أخلص لك في السر والجهر . وذلك لأن مادة هذه الكلمة تدل على البياض والصفاء والنقاء . وقد قال بعض العلماء إن الحواريين عموما هم صفوة أتباع الأنبياء الذين أخلصوا في إيمانهم وطاعتهم لأنبيائهم .

والمراد بالحواريين المذكورين في الآيات السابقة هم أنصار عيسى عليه السلام . أي أنصار دينه الذي جاء به من عند ربه تبارك وتعالى ، وهذا النصر لا يشترّط أن يكون بالقتال ، لأن الإيمان بالدين ، والعمل به ، والدعوة إليه كما رسم الله سبحانه ، كل هذا يعد من ألوان النصر والتأييد .

وقيل إن هؤلاء الحواريين المخلصين كانوا ينظفون الثياب للناس ، وقيل إنهم كانوا صيادين ، وفسر بعض العلماء هذا بأنهم كانوا يصطادون نفوس الناس من الحيرة ، ويدعونهم إلى الحق ، أو بأنهم كانوا يطهرون نفوس الناس بإفادتهم الدين والعلم . والقرآن الكريم لم يحدد لهؤلاء الحواريين عددا معينا ، فليس بلازم لنا أن نبحث عن عددهم .

وإنما ينبغي لنا أن نتذكر أن القرآن وصف هؤلاء الحواريين بأنهم آمنوا وقالوا نحن أنصار الله ـ أي أنصار نبيه ودينه ـ وأنهم شهدوا على أنفسهم بالإسلام ، أي بالخضوع لله والإخلاص في الإيمان . كما أخبرنا القرآن الكريم بأن هؤلاء من أهل اليقين الذين يستحقون النصر والتأييد من الله رب العالمين .

ولقد قال سيدنا رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام عن الصحابي الجليل الزبير بن العوام رضي الله عنه : « الزبير ابن عمّي وحواريّ » وفي حديث آخر قال : « لكل نبي حواريٌّ ، وحواريَّ الزبير » أي هو نصير مخلص لي ولدعوتي .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الجهاد



إذن الأبوين في الجهاد

السؤال : **أراد شاب أن يشترك في كتائب التحرير لإنقاذ الوطن من أعدائه ، ولكن أبويه رفضا ذلك ، فما الحكم ؟**

الجواب :

لا شك أن الجهاد فريضة مكتوبة ، وأصلٌ من اصول الإسلام ، فقد قال القرآن الكريم : « انفروا خِفافاً وثِقالاً ، وَجَاهِدُوا بأموالِكُمْ وَأَنْفُسِكُم في سَبِيلِ اللهِ » . وقال : « لا يَسْتَوِي القاعِدُونَ مِنَ المؤمنينَ غيرُ أولي الضَّرَرِ وَالمُجاهِدُونَ فِي سَبِيلِ الله » .وقال : «وَالذينَ هاجَرُوا وَجَاهَدُوا في سَبِيلِ اللهِ أولَئِكَ يَرْجُونَ رحمةَ اللهِ » . وقال « وَجَاهِدُوا في الله حقَّ جِهادِهِ » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَغدوة أو روْحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها » . وقال : « من اغبرت قدماه في سبيل الله حرَّمه الله على النار » . وقال :«إن الجنة تحت ظلال السيوف » . وقال : « رباطَ يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها ، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها ، والروحة يروحها العبد أو الغُدوة خير من الدنيا وما عليها » .

وبر الوالدين أيضا فريضة معلومة ، وأمر واجب ، فالقرآن المجيد يقول : « وَقَضَى رَبُّكَ ألاَّ تَعْبُدُوا إلاَّ إيّاهُ وَبِالوالِدَيْن إحْسَاناً » . وقال عن الوالدين : « وَصَاحِبْهُما فِي الدنْيَا مَعْرُوفاً » . وقدَّمت بعضُ الأحاديث برَّ الوالدين على الجهاد ، كما في الحديث المروي عن ابن مسعود قال : « سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم : أي العمل أحب إلى الله ؟ قال : الصلاة على وقتها ، قلت ثم أيّ ؟ قال : بر الوالدين . قلت : ثم أي ؟ قال : الجهاد في سبيل الله . حدَّثني بهن ، ولو استزدتُه لزادني » .

وعقوق الوالدين ـ أو مخالفتهما ـ كبيرة من كبائر الذنوب ، يستحق فاعلُها غضبَ الرب ولعنتَه ، ولذلك كان واجبا على الولد أن يحسن معاملة والديه ، حتى ولو كانا كافرين ، على ألا يتعارض ذلك مع طاعة الله سبحانه ، لأن طاعة الله فيما أوجبه وصرح به مقدَّمة على طاعة الناس ، وصدق الرسول صلوات الله وسلامه عليه إذ يقول : « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » .

وقد وردت أحاديث كثيرة يستفاد منها أنه يجب على الولد أن يستأذن أبويه قبل خروجه إلى الجهاد ، ومن هذه الأحاديث ما رُوي عن عبد الله بن عمر قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فاستأذنه في الجهاد ، فقال : أحيٌّ والداك ؟ قال : نعم . قال : ففيهما فجاهِدْ . وفي رواية أخرى : أتى رجل فقال : يا رسول الله ، إني جئت أريد الجهادَ معك ، ولقد أتيت وإن والديَّ يبكيان ؛ قال : فارجع إليهما فأضحكهما كما أبكيتَهما .

وعن أبي سعيد أن رجلا هاجر إلى النبي صلى الله عليه وسلم من اليمن ، فقال النبي : هل لك أحد باليمن . فقال : أبواي . فقال : أَذِنَا لك ؟ فقال : لا . قال : ارجع إليهما فاستأذنهما ، فإن أذِنَا لك فجاهدْ ، وإلا فبرَّهما .

وعن معاوية بن جاهمة السلمي أن جاهمة أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، أردتُ الغزو ، وجئتك أستشيرك . فقال : هل لك من أم ؟ قال : نعم . قال : فالزمها فإن الجنة عند رجليها .

وقد فهم جمهور العلماء من هذه النصوص الكريمة أنه يجب استئذان الولد من أبويه ، قبل خروجه إلى الجهاد ، لأن بر الوالدين فرضُ عين ، والجهاد فرض كفاية غالبا ، وصرحوا بأنه يحرم عليه الجهاد إذا منعه أبواه ذلك ؛ وهذا الحكم بطبيعة الحال مقصور على الجهاد الكفائي ، وأما إذا تعين الجهاد ، وأصبح فرضا عينيا عند حلول الخطر ، أو زحف العدو ، أو عموم المعركة . فلا إذن ، ولا تعليق ، بل يخرج كل قادر إلى الجهاد بلا إبطاء .

* * *

ومن هذا يتبين للسائل الكريم أن ذلك الشاب يجب عليه أولا أن يستأذن والديه ، فإن أذنا فبها ونعمت ، وذلك توفيق الله يؤتيه من يشاء ، وإن رفضا فعليه أن يطيعهما ، وهناك من رجال الأمة وشبابها من سيقوم مقامه ويؤدي واجبه ؛ ولكن إذا تعرضت بلادنا للخطر الداهم ، ودعا الداعي للنفير العام ، والتعبئة الشاملة ، جاز لذلك الشاب ، بل وجب عليه كما يجب على غيره ، أن يخرج إلى الجهاد من أجل الله والوطن بلا استئذان .

والواجب على الآباء أن يتقوا الله في أبنائهم ، وأن ينشئوهم على الشجاعة والإقدام ، ويعودوهم الجهاد والكفاح ، وليتذكروا أن حياة الذلة والهوان أثقل مئات المرات من طعم الشهادة والموت في سبيل الله ، وصدق الحق إذ يقول : « قُلْ إنْ كَانَ آباؤُكُمْ وأبناؤُكُمْ وإخوانُكُمْ وأزواجُكُمْ وعشيرتُكُمْ وأموالٌ اقترفتُمُوها وتجارةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا ومساكنُ تَرْضَوْنَهَا أحبَّ إلَيكُمْ مِنَ اللهِ ورسولِهِ وجهادٍ في سبيلِهِ فتربّصُوا حتّى يأتِيَ اللهُ بِأمرِهِ ، واللهُ لا يَهدِي القومَ الفاسِقِينَ » .

ويوم يتحقق هذا التجاوب الروحي بين الآباء والأبناء ، ويستشعر الفريقان روحَ الجهاد والنضال ، سيتفق الآباء مع الأبناء ، فلا نجد مجالا للخلاف أو الشقاق .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

القائد في المعركة

السؤال : إذا دارت رحى الحرب ، وبدأت معركة الجهاد ، فأين يكون موقف القائد ؟ أيتقدم جنده ، ليبعث فيهم الحماس والإقدام ، أم يتأخر عنهم إلى الصفوف الخلفية ؟

الجواب :

لا يمكن لإنسان أن يحدد لقائد المعركة مكانه في المعركة بصفة دائمة . لأن هذا يخضع للظروف والمناسبات ، فتارة يتعين على القائد أن يسبق جيشه ، وأن يتقدم كتائبه ، ليفتح الطريق ويمهد السبيل ، وليثير الهمم والعزائم ؛ وتارة يكون من الخير أن يقف القائد في المؤخرة ، ليحمي ظهر الجيش ، وليوجه المعركة ، وليُصدر تعليماته وإرشاداته ؛ ولكن المهم في جميع الحالات هو ألا يجبن القائد ، أو يضن بنفسه على الجهاد ، أو يحرص على حياته ، بينما هو يسوق أجنادَه إلى كأس الحمام ، لأن هذا إن وُجد يكون خيانةً كبرى ، لا تبلغها خيانةُ جندي صغير ، فإن العظائم كفؤها العظماء ، وبمقدار منزلة الشخص ، تكون مسؤوليته وتبعته ، وحسنات الأبرار سيئات المقرَّبين ، كما جاء في الأثر الحكيم .

وإنها لخسة نفسٍ ودناءة طبع أن يبلغ المرء مرتبة القائد لغيره ، ثم يرتضي لأجناده خطة يصون نفسه عنها ، أو يدعوهم إلى مسلك فيه من الخطر والعنت ما لا يرضاه لشخصه ، وإنه لجبن واضح فاضح ، يكفي إذا وُجد في متولي القيادة لوسمه بسمة العار والشنار ...

ونحن نراجع سيرة الرسول الأعظم : محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو فخر القواد ، وقدوة الزعماء ، فنجده في غزوة بدر الكبرى قد نزل على رأي أصحابه ، حين بنوا له عريشا في مؤخرة الجيش ، يشرف منه على ساحة المعركة ، ليديرها بوحي الله إليه ، فقبل ذلك في أول الأمر إرضاءً لهم ، ولكننا نراه في الغزوات الأخرى قد تقدم الصفوف ، وشارك في الزحوف ، وظهرت منه الشجاعة التي لا تجاريها شجاعة ، ومرت بالمسلمين أزمات في ساحة القتال والجهاد ، اضطرتهم إلى التقهقر حينا من الوقت ، ولكن الرسول صلوات الله وسلامه عليه — وهو المثل الأعلى في الجرأة والاقدام — لم يُذكر عنه مرة أنه تراجع أو جبن أو تقهقر ، وما عُرف عنه ولو مرة أنه أخر نفسه على غيره ، أو أنه دعا قومه إلى محنة تباعد هو عنها ، بل كان الثابت المقدم دائماً ...

* * *

ولقد سأل رجل البراء بنَ عازب الصحابيَّ المشهور : أفررتم يوم حنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم ، لكن رسول الله لم يفر ، لقد رأيتُه على بغلته ، وأبو سفيان [1] آخذ بلجامها ، والنبي يقول : أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب .

وكان النبي حين فرار الناس عنه ثابتا ، يتلفت يمنةً ويسرة ، ويقول : يا أنصار الله ، ويا أنصار رسول الله ، أنا عبد الله ورسوله ، وقال علي بن أبي طالب : كنا إذا حمي البأس ، واحمرت الحَدَق ، اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه ، ولقد رأيتُني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي ، وهو أقربنا إلى العدو ، وكان من أشد الناس يومئـــذ بأساً » . وقال ابن عمر رضي الله عنهما : « ما رأيت أشجع وأنجد ولا أجود ولا أرضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم » . وقال عمران بن حصين : « ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم كتيبةً إلا كان أول من يضرب »

ولقد أرسل عثمان رضي الله عنه جيشَه لفتح أفريقية ، وجعل عليه عبد الله بن أبي سرح ، وتلاقى الجيش الإسلامي في قلته مع جيش « جرجير » ملك أفريقيا الرومي في كثْرته ، ونزل القائد المسلم والقائد الرومي الى المعركة ، كل منهما في مقدمة جيشه ، وكل منهما يظهر غايةَ شجاعته وإقدامه ، وأراد « جرجير » أن يلهب حماسة جنوده ، فأمر مناديه أن ينادي في وسط الجيش على لسانه قائلا : « من قتل عبد الله بن أبي السرح فله مائة ألف دينار وأزوِّجه ابنتي » . وأشار بعض الجنود المسلمين على ابن أبي السرح بأن يتقهقر إلى مؤخرة الجيش حتى لا يصاب بسوء ، واستمع عبد الله إلى الرأي وتقهقر ، فأثر ذلك في نفوس الجيش ، وأضعف الروح القوية فيهم .

ومرت الأيام دون أن يتلقى عثمان رضي الله عنـــه نبـــأ عن انتصار

---

(١) هو أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وهو ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو أيضا أخو النبي من الرضاعة ، أرضعتهما حليمة ، وكان يشبه النبي ، وكان شاعرا ، وأبلى يوم حنين بلاء حسناً . توفي سنة عشرين .

جيشه ، فبعث إليه بنجدة على رأسها البطل عبد الله بن الزبير ، فلما وصل ابن الزبير إلى الميدان سأل عن قائد الجيش ، فعرف قصته ، فغضب من ذلك غضبا شديدا ، وذهب إليه معنفًا فقال : أمن أجل ما نادى به « جرجير » اللعين يصبح هذا مكانك من صفوف جندك وأنت القائد ؟ فأجاب : هذا ما أشار به مجلس الحرب إبقاء على الروح . فقال ابن الزبير : ليس ذلك بالرأي الصائب في ذلك الموطن ، ولقد علمنا أن استشهاد القواد في ساحة الجهاد لا تزيد جندَ الله إلا شدة في البأس ، واشتياقا إلى الشهادة والجنة ، وإني أرى أن تنادي الليلة بما نادى به « جرجير » فتعلن على ملأ جندك أن من قتل « جرجير » أعطيتَه أنت مائة ألف دينار وزوّجته ابنته ...

ودبت الشجاعة في صدور الجنود ، وتلهبت نيران شوقهم إلى النصر وما هي إلا أيام حتى استطاع عبد الله بن الزبير مع جنود الإسلام أن يشق صفوفَ الأعداء ، وأن يقطع رقبة « جرجير » ، وأن يحملها بطرف سيفه ، فكان هذا بابَ النصر الأكبر ، وفتح الله أفريقية على يد المسلمين .

من هذا نرى أن القائد يجب أن يكون المثل الأعلى لجنوده في الثبات والإقدام ، وأن يتقدم الصفوفَ ليعطي القدوة من نفسه ، وإن كان هذا لا يمنعه من تأخره في الخلف إذا كانت مصلحة الجهاد تقتضي ذلك ، والأساس هو توافر الإخلاص وحب الشهادة .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

متفرقات



بين الذنب والمغفرة

السؤال : ما الذنب الذي لا يغفره الله تعالى ؟ وما هو الأكبر ذنباً من مثل ترك الصلاة ، والسباب الفاحش ، والزنى ؟ ومن الذي يُحرَم من رحمة الله ؟

الجواب :

المفهوم من تعاليم الإسلام أن الله يغفر للتائب المقبول عند ربه كلّ ذنب أتاه من قبل ، وإذا كان الإسلام يقبله الله من الكافر ، فمعنى هذا أن كفره قد زال عنه بالإسلام ، فيكون كفره مغفوراً له بالإسلام ، لأن الإسلام يقطع ما قبله ، كما جاء في الحديث الشريف ، ولأن الله تعالى يقول في سورة الأنفال : « قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إنْ يَنْتَهُوا يغفر لَهُمْ ما قَدْ سَلَفَ ». أي ان ينتهوا عن الكفر ، ويدخلوا في الإسلام صادقين ، يغفر الله لهم ما مضى قبل إسلامهم .

ولكن تبقى بعد ذلك الذنوبُ الكبيرة والصغيرة التي يعملها الإنسان ولا يتوب منها حتى يموت . ولا شك أن رحمة الله تعالى واسعة ، وأن فضله عميم ، وهو يغفر لمن يشاء كلّ ذنب من ذنوبه ، ما عدا الإشراك به ، لأنه يقول عزّ من قائل : « إن الله لا يغفر أن يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » .

وقد روي أن النبي تلا قوله تعالى : « إنّ اللهَ يغفرُ الذُّنُوبَ جَميعاً » . فقال له رجل : « يا رسول الله ، والشرك » ؟ فنزل قوله تعالى : « إنّ اللهَ لا يغفرُ أنْ يُشْرَكَ بِهِ ، وَيَغْفِرُ ما دَوْنَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ » . قال الإمام القرطبي في تفسيره : « هذا من المحكَم المتفق عليه الذي لا اختلاف فيه بين الأمة » .

وقال الإمام القرطبي أيضا عن الآية السابقة : « قد أبانت هذه الآية أن

كل صاحب كبيرة (أي ذنب كبير) في مشيئة الله تعالى : «إن شاء عفا عن ذنبه ، وإن شاء عاقبه عليه ، ما لم تكن كبيرته شِرْكاً بالله تعالى . والله تعالى يغفر الصغائر (أي الذنوب الصغيرة) باجتناب الكبائر ، وإقامة الفرائض ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول في الحديث الصحيح : «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ، ورمضان إلى رمضان ، مكفِّرات ما بينهن إذا اجتنب الكبائر» . وقال بعض العلماء إن الله تعالى قد بين ذلك بقوله : «إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم» . فهو يشاء أن يغفر الصغائر لمن اجتنب الكبائر ، ولا يغفر لمن أتى الكبائر .

وقال العلماء إن الكبائر عند أهل السنة يغفرها الله لمن أقلع عنها ، أي تركها وتاب منها قبل الموت ، وقد يغفرها الله لمن مات عليها من المسلمين ، لأن الله بعد أن ذكر أنه لا يغفر الإشراك به قال : «وَيَغْفِرُ ما دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ» . والمراد بذلك لمن مات على الذنوب ، إذ لو كان المراد لمن تاب قبل الموت لم يكن للتفرقة بين الإشراك وغيره معنى . إذ أن التائب من الإشراك بالله مغفور له بإسلامه وإيمانه .

وذكر المفسرون أنه لا تخليد في النار إلا للكافر ، وأن العاصي من المسلمين إذا مات غير تائب فإن الله تعالى يعذبه في النار حينا ، ثم يخرج منها برحمة الله .

وروى الضحاك أن شيخاً من الأعراب جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، إني شيخ منهمك في الذنوب والخطايا ، إلا أني لم أشرك بالله شيئا منذ عرفتُه وآمنت به ، فما حالي عند الله ؟ فأنزل الله تعالى قوله : «إن الله لا يغفر أن يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء» .

ونلاحظ بعد ذلك أن بعض الكبائر أكبر من بعض ، بالنسبة إلى ما يكثر ضرره ، كما ذكر القرطبي في تفسيره ، فالشرك أكبر ذلك كلِّه ، وهو الذي لا يغفره الله بالنص القرآني الذي يقول الله تعالى فيه : «وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ» . وبعده القنوط : «وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ

إلاّ الضَّالُّونَ » . وبعده الأمن من مكر الله مع الاسترسال في المعاصي : « فلا يأمن مَكْرَ اللهِ إلا القومُ الخَاسِرُونَ » . وبعده القتل ، لأن فيه إذهاب النفوس وإعدام الموجود ، والزنى لأن فيه اختلاط الأنساب ، والخمر لأن فيها ذهاب العقل ، وشهادة الزور ؛ إلى غير ذلك مما هو واضح الضرر ، ومن الكبائر أيضا القمار ، والسرقة ، وسبُّ السلف الصالح ، واليمين الكاذبة والسعي بالفساد في الأرض ، فكل ذنب شدّد الشرع في الوعيد عليه بالعقاب ، أو أظهر بليغَ ضرره ، فهو كبيرة .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الحق يخضع للحق

السؤال : **يقال إن الحق يخضع للحق ، فما معنى ذلك ؟**

الجواب :

« الحق » اسم من أسماء الله تعالى ، كما أن الحق هو الشيء الثابت حقيقةً ، ويستعمل في الصدق والصواب أيضا ، فيقال : هذا كلام حق وصواب ، وكذلك يطلق الحق على الحكم المطابق للواقع ، وقد يكون معنى قولهم : « الحق يسجد للحق » أن كل ما في الكون من حقائق وأشياء ثابتة ، وأمور صادقة ، وأحكام مطابقة للواقع ، يخضع لله عز وجل ، لأنه الحق الأول ، ولأنه الحق الأعلى ، ولأنه سبحانه وتعالى هو الذي يصدر عنه كلُّ حق ، وهو الذي يرتضي الحق ، فكل حق في الحياة خاضع لحكمته وقدرته وسلطانه.

ومما قد يتصل بهذا أن أبا محمد الجريري الصوفي المعروف يقول : « رأيت في النوم كأن قائلا يقول لي : لكل شيء عند الله حق ، وإن أعظم الحقوق عند الله حق الحكمة ، فمن جعل الحكمةَ في غير أهلها طالبه الله بحقها ، ومن طالبه بحقها خَصِمَ » أي كان مغلوبا مقهورا .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

تعدد المذاهب

السؤال : ما المراد بتعدد المذاهب ؟ وما السبب في تعددها ؟ وما حكمة هذا التعدد ؟

الجواب :

المراد بتعدد المذاهب أنه يوجد عندنا أكثر من مذهب فقهي ، والمشهورُ في تاريخ الأمة الإسلامية أربعة مذاهب ، هي مذهب الحنفية ، نسبة إلى الإمام أبي حنيفة النعمان ، ومذهب المالكية نسبة إلى الإمام مالك بن أنس ، ومذهب الشافعية نسبة إلى الإمام الشافعي ، ومذهب الحنابلة نسبة إلى الإمام أحمد بن حنبل .

والسبب في تعدد المذاهب هو أن نصوص القرآن الكريم نصوص كلية عامة ، لم تتعرض للتفاصيل والأجزاء والتطبيق على مختلف الأحوال ، والحكمة في ذلك هي أن يكون الدين صالحاً لكل زمان ومكان . وجاء هؤلاء الأئمة الأعلام ، وكل منهم يعيش في بيئة خاصة وظروف معينة ، فاجتهد كل واحد منهم في البحث واستخلاص الأحكام ، بعد تتبع الأدلة والبراهين . فكان هناك تفاوت بين أقوالهم وآرائهم باختلاف الظروف والمناسبات من جهة ، وبتفاوت طرق الاستدلال والاستنباط من جهة أخرى ، وكلهم من غير شك آخذٌ من القرآن والسنة ، مهتدٍ بهدي الإسلام في رأيه وقوله .

وهذا الاختلاف بين المذاهب رحمة من الله بعباده ، لأن المسلمين يعيشون في بقاع شتى من الأرض ، ويحيون في بيئات متعددة ومختلفة ، فقد يصلح مذهب هذا الإمام لهذه البيئة ، ولكن قول الإمام الحنفي يصلح لبيئة ثانية وهكذا . ومن هنا نفهم أنه ليس من الضروري توحيد هذه المذاهب . وليس من الميسور تحقيق ذلك لو أردناه ، ولكن المهم هو معرفة أسباب التوفيق بين هذه المذاهب ، حتى لا يكون بين أبنائها عداء أو خلاف ، بل يكون هناك تفاهم واتفاق .

والله تبارك وتعالى أعلم .

اختلاف الفقهاء

السؤال : نحن نعتقد أن ما ذهب إليه الأئمة الأربعة في المسائل الشرعية حق ، ولكن كيف نقيم الحجة على من يقول : إن الحقيقة واحدة لا تتعدد ؟ وكيف نرد على من يسأل : لماذا لم يتفق الأئمة على شيء واحد في المسائل الفقهية ؟ وهل هناك كتاب نرجع إليه في ذلك الموضوع ؟

الجواب :

لقد اختلف أئمة الفقه في بعض الأحكام الفقهية الفرعية ، مع اتفاقهم في الأصول والقواعد العامة للشريعة والفقه ؛ وجميع أقوالهم المعتمدة الثابتة داخلة في شعاع نور الشريعة المطهرة . ولعل من دواعي هذا التعدد في الآراء اختلاف الأحوال من ناحية التخفيف والتشديد ، ومن حيث أن بعض الناس يقدرون على أداء ما لا يقدر الآخرون عليه ، فيناسب التشديدُ للأولين الأقوياء ، ويناسب التخفيفُ للآخرين الضعفاء ، وذلك حسب اختلاف الأشخاص والأحوال .

والله تعالى يقول : « فاتَّقُوا اللهَ ما استَطَعْتُمْ » . ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » . ومن ذلك نفهم أن أئمة المسلمين الأعلام يسيرون على هدى من ربهم ، ويستمدون من الكتاب والسنة وهما المصدران الأساسيان للتشريع والفقه . ومن المستحسن في هذا المقام الرجوع إلى كتاب « الميزان » للشيخ عبد الوهاب الشعراني ، لأنه يذكر اختلاف الفقهاء ، ويبين سببه وحكمته ، ويوفق كذلك بين الآراء ، وهناك أيضاً كتاب « رحمة الأمة باختلاف الأئمة » للشيخ محمد بن عبد الرحمن الدمشقي يحسن الرجوع إليه وإلى أمثاله .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

من لم يسمع بالإسلام

السؤال : **ما مصير من لم يعرف عن الإسلام شيئا ؟ أو لم يبلّغه أحد دعوةَ الإسلام ؟**

الجواب :

يقول الله عز وجل : « وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً » . أي أن الله سبحانه وتعالى لا يحاسب الإنسان ولا يعاقبه على التفريط في أوامر الدين إلا إذا أرسل الله الرسولَ الذي يبلغ الإنسان وحيَ الدين وأوامرَه وتعاليمه ، فإذا وُجد شخص لم تبلغه الرسالة ، ولم تصله الدعوة ، فإنه لا يكون مكلفا ، ولهذا يكون ناجيا من التبعة والعقاب .

ولكن الإنسان إذا سمع بالإسلام وجب عليه أن يطلب العلم بذلك الدين ، حتّى يقف على أوامر الله سبحانه وتعالى فيه ، كما يجب على المسؤولين في بلاد المسلمين أن يبلّغوا الدين ما استطاعوا إلى الذين لم يبلغهم الدين .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

دعوات للضيق

السؤال : **أشعر بضيق يؤلمني في بعض الأحيان ، وأشعر بحاجة إلى كلماتِ دعاء أرددها ، حتّى يزول عني الضيق ، فهل لي أن أعرف دعاءً يصلح لمثل هذه الحالة ؟**

الجواب :

روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول عند الكرب : « لا إله إلا الله ، العظيمُ الحليم ، لا إله إلا الله ، رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله ربُّ السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم » .

ورُوي عن النبي أنه قال : « دعوات المكروب : اللهم رحمتَك أرجو ، فلا تكلني إلى نفسي طرفةَ عين ، وأصلح لي شأني كلّه ، لا إله إلا أنت » . ورُوي أن النبي صلوات الله وسلامه عليه كان إذا كَرَبَه أمر قال : « يا حيّ يا قيوم ، برحمتك أستغيث » .

والواقع أن الدعوات كثيرة ، وهي مبثوثة في كتب الحديث والتصوف والأخلاق ، وهناك مؤلفات مستقلة في تفصيل الأدعية ، ومنها كتاب « الأذكار » للامام النووي . وأنا أنصح السائل أن يردد حينَ شعوره بالضيق ذلك الدعاء الذي دعا به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وهو خارج من مكة إلى المدينة مهاجراً ، وقد روى هذا الدعاء أبو نعيم ، وهو : « الحمد لله الذي خلقني ولم أكُ شيئا ، اللهم أعنّي على هول الدنيا ، وبوائق الدهر ، ومصائب الليالي والأيام . اللهم اصحبني في سفري ، واخلُفْني في أهلي ، وبارك لي فيما رزقتني ، ولك فذلِّلْني ، وعلى صالح خَلْقي وخُلقي فقوِّمني ، وإليك ربِّ فحبِّبْني ، وإلى الناس فلا تكلني ، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربي ، أعوذ بوجهك الكريم الذي أشرقت له السمواتُ والأرض ، وكشفتَ به الظلمات ، وصلح عليه أمرُ الأولين والآخرين ، أن تُحِلّ علي غضبَك ، وتُنزل بي سخطك ، وأعوذ بك من زوال نعمتك ، وفجأة نقمتك ، وتحول عافيتك ، وجميع سخطك ، لك العُتْبى عندي خير ما استطعت ، ولا حول ولا قوة إلا بك » .

وهذا الدعاء يُشبه دعاءً نبويا آخر ردّده رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في وقت من أوقات الشدة ، وذلك حينما ذهب إلى الطائف يدعو أهلها إلى الإسلام فأبَوْا ، وأساءوا معاملته ، واعتدوا عليه ، فقال يناجي ربه :

« اللهم إليك أشكو ضعفَ قوتي ، وقلةَ حيلتي ، وهواني على الناس ، يا رب العالمين ، أنت رب المستضعفين ، وأنت أرحم الراحمين ، وأنت ربي ... إلى مَنْ تكلُني ؟ إلى بعيد يتجهمنِي ، أم عدو ملكته أمري ؟ إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي .

غير أن عافيتك هي أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت لـــه الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، أن يحل عليّ غضبُك ، أو أن ينزل بي سخطُك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك » .

فليردد السائل هذه الدعوات ، ففيها اقتداء بالرسول ، والتماس لرحمة الله ، وتذكير بحوله وقوته ، وعونه ورعايته

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

تكفير اليمين

السؤال : إن واحدا حلف ست مرات أنه لا يدخل هذا البيت ، ولكن الضرورة اقتضت أن يدخل هذا البيت الذي حلف عليه ، فماذا ينبغي لهذا الشخص أن يعمل لأجل الحنث الذي وقع فيه ؟ أرجو منكم الإفادة والتوضيح في هذا الشأن ؟

الجواب :

الأصل في اليمين أن الإنسان يحلف لكي يثبت حقاً أو يدفع باطلا ، ولذلك كان من الواجب على المسلم ألا يكثر من الحلف واليمين ، وأن يجعل ذلك مقصورا على موضع الحاجة والضرورة .

وإذا حلف الإنسان على شيء ، ورأى أن غيره يجب أن يفعله ، فعليه أن يحنث ، ويفعل الذي هو خير ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « من حلف على يمين غيرها خيرا منها فليأت الذي هو خير ، وليكفر عن يمينه » .

وقد جاء في التفسير أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قد حلف بالله لا ينفق على أحد أقاربه ، لأنه أساء إليه ، مع أن هذا القريب كان محتاجاً إلى النفقة ، فأنزل الله سبحانه وتعالى آية في سورة النور ينهى فيها عن مثل هذا الامتناع ، ويدعو إلى فعل الخير ، وهي قوله تعالى : « ولا يأتل أولو

الفَضْلِ مِنكُمْ والسَّعَةَ أنْ يؤتُوا أولِي القُربَى والمَساكِينَ والمهاجِرِين فِي سَبِيلِ اللهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ألاَ تُحِبُّونَ أنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غفورٌ رَحِيمٌ » .

وما دام هذا الشخص قد حلف على عدم دخول البيت ، ثم رأى أن دخوله فيه مصلحته ، وأصبح الدخول ضروريا كما جاء في السؤال ، فإن على الشخص أن يحنث في يمينه ، ويدخل البيت ويكفر عن يمينه .

وكفارة اليمين قد جاء ذكرها في سورة المائدة في قوله تعالى . « لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان ، فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم ، أو تحرير رقبة ، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم واحفظوا أيمانكم كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون » .

ومعنى هذا أن كفارة اليمين هي إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم ، والإطعام هو ما يُشبع ، والكسوة هي ما يستر البدن ، والفاصل في ذلك هو العرف ، أو يعتق الحالف رقبة ، فإذا عجز الحالف عن إحداهما صام ثلاثة أيام ، وبذلك يكفِّر عن يمينه .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

سماع أصوات المغنيات

السؤال : ما الحكم في سماع أصوات المغنيات في الراديو ؟

الجواب :

حكم الاستماع لأصوات المغنيات يتوقف على حالة هذه الأصوات ، فإذا كان فيها تكسر وإثارة للشهوة فإنها تحرم ، ويحرم الاستماع إليها ، لما في ذلك من الوقوع في الإثم ، ولما في هذه الأصوات من إثارة الفتنة . وكذلك

إذا كان الغناء يتضمن شيئا منكرا حراما ، فإنه لا يجوز صدوره من قائله ، ولا يجوز الاستماع إليه من غيره ، وأما إذا كان الصوت مستقيما عفيفا غير متكسر ، وغير مثير للفتنة ، وكانت المعاني التي يتضمنها الغناء عفيفةً شريفة ، تبعث الهمة والنخوة ، وفضائل الأخلاق ، فلا يحرم الاستماع إليه .

وقد جاء في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم أنه ذهب لتهنئة إحــدى الصحابيات بعرسها ، واسمها الرُّبيع بنت معوذ ، وهناك سمع فتيات يضربن على الدفوف ، ويرددن الغناء ، ولم ينكر عليهن ذلك ، ولكن حينما قالت إحداهن : « وفينا نبي يعلم ما في غد » قال النبي صلى الله عليه وسلم : « دعي هذا ، وقولي ما كنت تقولين » .

كما أباح الإسلام الغناء والضربَ بالدفوف في إعلان الزواج .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

استماع الموسيقى والغناء

سؤال : هل يحرم الاستماع إلى القطع الموسيقية والغنائية ؟

الجواب :

هذا الموضوع قد اختلف فيه الفقهاء قديما وحديثا ، فمنهم من قال بأن استماع الموسيقى والأغاني حرام ، ومنهم من قال إنه حلال إذا لم يقع معه إثم أو منكر أو فتنة ، وقد يكون من الخير أن أذكر مثلا لقول القائلين بالتحريم ، ومثلا لقول القائلين بالحل ، ثم نتعرف الطريق المعتدل في الأمر .

جاء في كتاب « الاختيار شرح المختار » لابن مودود الحنفي ما نصه : « واستماع الملاهي حرام ، كالضرب بالقضيب والمزمار وغير ذلك » . قال عليه السلام : « استماع صوت الملاهي معصية ، والجلوس عليها فسق ، والتلذذ بها من الكفر » الحديث .

خُرِّج مخرجَ التشديد وتغليظ الذنب ، فإن سمعه بغتةً يكون معذورا ، ويجب أن يجتهد ألا يسمعه ، لما روي أنه عليه السلام أدخل إصبعيه في أذنيه حتى لا يسمع صوت الشبّابة (وهي نوع من المزمار) . وعن الحسن بن زياد : لا بأس بالدف في العرس ليشتهر ويعلَن النكاح . وسئل أبو يوسف : أيكره الدف في غير العرس تضربه المرأة للصبي في غير فسق ؟ قال : لا . فأما الذي يجيء منه الفاحش للغناء فإني أكرهه .

وقال أبو يوسف في دار يُسمع منها صوتُ المزامير والمعازف : « ادخل عليهم بغير إذنهم ، لأن النهي عن المنكر فرض ، ولو لم يجز الدخول بغير إذن لامتنع الناس من إقامة هذا الفرض » اهـ .

وجاء في كتاب « الفتاوي » للشيخ شلتوت الحنفي ما نصه : « الفقهاء اتفقوا على إباحة السماع في إثارة الشوق إلى الحج ، وفي تحريض الغزاة على القتال ، وفي مناسبات السرور المألوفة كالعيد والعرس ، وقدوم الغائب وما إليها .

ورأيناهم فيما وراء ذلك على رأيين : يقرر أحدهما الحرمة ، ويستند إلى أحاديث وآثار . ويقرر الآخر الحل ، ويستند إلى أحاديث وآثار ، وكان من قول القائلين بالحل : « إنه ليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله ولا في معقولهما من القياس والاستدلال ، ما يقتضي تحريم مجرد سماع الأصوات الطيبة الموزونة مع آلة من الآلات » . وقد تعقبوا جميع أدلة القائلين بالحرمة وقالوا : « إنه لم يصح منها شيء ... » اهـ .

وقد قرأت في هذا الموضوع لأحد فقهاء القرن الحادي عشر المعروفين بالورع والتقوى رسالةً عنوانها : « إيضاح الدلالات في سماع الآلات » للشيخ عبد الغني النابلسي الحنفي ، قرر فيها أن الأحاديث التي استدل بها القائلون بالتحريم على فرض صحتها مقيّدة بذكر الملاهي ، وبذكر الخمر والقينات ، والفسوق والفجور ، ولا يكاد حديث يخلو من ذلك ، وعليه كان الحكم عنده في سماع الأصوات والآلات المطربة أنه إذا اقترن بشيء من المحرمات ، أو اتُخذ وسيلة للمحرمات ، أو أوقع في المحرمات كان حراما ، وأنه إذا سلم

من ذلك كان مباحا في حضوره وسماعه وتعلمه وقد نُقل عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم عن كثير من الصحابة والتابعين والأئمة الفقهاء أنهم كانوا يسمعون ويحضرون مجالس السماع البريئة من المجون والمحرم ، وذهب إلى مثل هذا كثير من الفقهاء .

وكان الشيخ حسن العطار شيخ الجامع الأزهر في القرن الثالث عشر الهجري ذا ولع شديد بالسماع ، وعلى معرفة تامة بأصوله ، ومن العبارات التي وردت في بعض كتبه : « من لم يتأثر برقيق الأشعار ، تُتلى بلسان الأوتار ، على شطوط الأنهار ، في ظلال الأشجار ، فذلك جلفُ الطبع حمار » .

وإذن فسماع الآلات ذات النغمات أو الأصوات الجميلة لا يمكن أن يحرم باعتباره صوت آلة ، أو صوت إنسان ، أو صوت حيوان ، وإنما يحرم إذا استُعين به على محرم ، أو اتـُخذ وسيلةً إلى محرم ، أو ألهى عن واجب .

وهكذا ينبغي أن يعلم الناس حكمَ الله في هذه الشؤون . ونرجو بعد ذلك ألا نسمع القول يلقى جزافا في التحليل والتحريم ، فإن تحريم ما لم يحرمه الله ، أو تحليل ما حرمه الله ، كلاهما افتراء وقول على الله بغير علم : « قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير حق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون » .

ومن هذا البيان يمكن أن نفهم القولَ الوسط العادل في هذا الموضوع ، والله الهادي إلى سبيل الرشاد .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

تقوية الايمان

السؤال : ما الطريق إلى تقوية الإيمان في نفس الإنسان ؟

الجواب :

الإيمان عقيدة في نفس الإنسان ، يعبّر عنها بالأعمال الدالة عليها ، الموافقة لمقتضاها ، وكلما استجاب الإنسان للايمان بالأعمال التي يقتضيها ذلك الإيمان كان ذلك أدعى إلى توطيده ، لأن المؤمن الحق هو من اعتقد بالقلب والعقل ، ونطق شهادة الإيمان باللسان ، وصدق هذا الكلام بالعمل وأداء الأركان و الفروض .

كما أن الإنسان يستطيع تقوية إيمانه بمداومة التفكر في ملكوت الله ، والتذكر لسلطانه ، والتدبر لآياته ، والتأمل في كونه ، ليدوم لديه توارد الأدلة والشواهد على وحدانيته وربوبيته وفضله فيزداد إيمانا .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

معنى الفطرة

السؤال : كيف نوفق بين قوله تعالى : « وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالوا بَلَى شَهِدْنَا أن تقولوا يَوْمَ القِيامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ » وبين الحديث الذي يقول : « كل مولود يولد على الفطرة » .؟

الجواب :

إن معنى الآية المذكورة هو أن الله تعالى أخرج من ظهور بني آدم بعضهم من بعض ، ودلهم بخلقه لهم على توحيده وربوبيته . لأن كل عاقل يعلم بالضرورة أن له ربا واحداً ، فقام ذلك مقام الإشهاد عليهم والإقرار منهم.

وروي في بعض الروايات أن الله تعالى سأل الذرية فعلا ، فأقرت بربوبيته، وشهدت بذلك ، وقال بعض الفقهاء : « إن ذلك العهد يلزم البشر ، وإن كانوا لا يذكرونه في هذه الحياة » .

وأما التوفيق بين الآية والحديث القائل : « كل مولود يولد على الفطرة » فسهل واضح ، لأن الفطرة هنا هي فطرة الإيمان بالخالق : « فطرة الله التي فطر الناس عليها » ، وهي التي أقرت بها الذرية حقيقةً أو مجازا ، ثم سولت النفس الأمارة بالسوء بعد ذلك لبعض البشر ، فانحرفوا عن الطريق ، وجعلوا أبناءهم ينحرفون معهم .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

التدبير والتقدير

السؤال : هل يمنع التدبيرُ التقديرَ ؟

الجواب :

لا يحسن بالمسلم أن يشغل نفسه بالبحث في هذه الأمور الجدلية ، التي لا يسعها نطاقُ فهمه ، والتي لا يطالبه الله سبحانه وتعالى بكثرة الخوض فيها ، فالله سبحانه وتعالى هو المدبِّر القاضي لكل الأمور ، والإنسان بعض خلق الله ولا يستطيع المخلوق العاجز أن يقف في وجه الخالق القادر ، ولذلك يقول الإمام علي بن أبي طالب : « قد تذل الأمور للمقادير ، حتى يكون الحتف في التدبير » .

ولكن الله سبحانه وتعالى أعطى الإنسان عقلا وقدرة على العمل ، فمن اهتدى فلنفسه ، ومن ضل فعليها : « فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ » . وآيات الدعوة إلى العمل والحث عليه كثيرة منثورة في القرآن الكريم .

وعن علي بن أبي طالب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طَرَقَه وفاطمةَ ليلا ، فقال : ألا تصليان ؟ فقلت : يا رسول الله : أنفسنا بيد الله ، فإذا شاء

أن يبعثنا بعثنا ، فانصرف رسول الله حين قلت ذلك ، ولم يرجع إليّ شيئا ، ثم سمعتُه يقول وهو مولٍّ يضرب فخذه بيده : « وكان الإنسان أكثر شيء جدلا » .

فلننصرف إلى العمل الطيب الصالح والله يهدي العاملين ...

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الإنسان مسؤول عن عمله

السؤال : إذا قتل رجل شخصا ، فهل كان هذا مكتوبا عليه في علم الأزل ، أو هو السبب في قتله فقط ؟

الجواب :

الله سبحانه وتعالى هو الذي أبدع السموات والأرض ، وخلق أنواع الخَلْق والكائنات ، وهو تبارك وتعالى العليم بما كان وبما سيكون ؛ وكلُّ ما حدث أو يحدث أو سيحدث في العالم ؛ فالله عليم به محيط بأمره ، ولكننا لا نستطيع الإطلاع على علم الله سبحانه وتعالى ، حتّى نحكم على ما فيه ، لأن الغيب أمر استأثر الله بعالمه : « وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو » . وقد وهبنا الله سبحانه وتعالى عقلا وتمييزا وقدرة شخصية لها نطاقها ، ولها استطاعتها للخير أو الشر : « وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ » ، « وَهَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إمَّا شَاكِراً وإمَّا كَفُوراً » .

وعلى مبلغ هذه القدرة يحاسبنا الله جل شأنه ، فإذا أقدم شخص على قتل شخص مثلا ، لم يجز له أن يحتج بأن ذلك مكتوب عليه في علم الأزل ، لأن الله سيحاسبه على ما أتاه من ذنب وهو عاقل مختار مميِّز بين الخير والشر .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

القضاء والقدر

السؤال : تشغلني دائما مشكلة القضاء والقدر ، وتسائلني نفسي باستمرار : هل الإنسان في الحياة مخيّر أو مسير ؟ وإذا كان مخيّراً فأين سلطان الله عليه ؟ وإذا كان مسيرا فلماذا يعاقَب على ما تفعله يداه ؟نرجو كشف الغمة ببيان ذلك ؟

الجواب :

طال حديثُ الناس في موضوع القضاء والقدر ، والقليل منهم مصيب محق والكثير مخطىء ضال ، وعلى الرغم من أن الخير في أن نطرح البحثَ في تلك الأمور جانبا ، حتّى لا تشغلنا عن واجباتنا ، ولا تستحوذ على أوقاتنا ، ولا تُخمد جذوةَ العزيمة فينا ، وهناك آثار كريمة تدعو إلى ترك الحديث في القضاء والقدر ؛ على الرغم من هذا فسأعرض للموضوع بكلمة وجيزة لتكون جوابا لمثل ذلك السائل الحائر ، ممن تهيم بهم عقولهـم بعيدا في مشكلة القضاء والقدر دون بلوغ ما يراد .

الذي أفهمه في هذا الموضوع كشعاع يقرّبه من العقول ويُدنيه إلى الأفهام، أن الله تعالت كلمته وجلت حكمته ، قد وهب الإنسان من لدنه قدرة محدودة ، فاضت من قدرة الخالق العظيم سبحانه ، وهي قدرة لا تحد ، ثم حثه على الجهاد والعمل والكسب والاكتساب ، وحرضه على استعمال هذه القدرة المحدودة في أوسع نطاقها وفي مدى طاقتها ، لكي يصل عن طريقها إلى ما يريد ، فإن وُفق فيما حاول فبها ونعمت ، وإن لم يقدر بعد استعمال كل الوسائل واستنفاد سائر الجهود ، علم الإنسان أن القدرة العليا التي لا تحد قد تصرفت تصرفَها ، وغلبت القدرةَ المحدودة على أمرها ، إما لأن صاحب هذه القدرة العليا يرى في صد هذه القدرة المحدودة عن غايتها صلاحاً لها : عاجلا أم آجلا ، وإما لإيثار مصلحة عامة نضحي في سبيلها بالمصلحة الفردية ، وهذا شيء لا نتبين وجهَ الصواب فيه عند النظر المحدود ، وقد لا يعقله الإنسان الضعيف الحول والقوة والإدراك .

* * *

والله لا يريد من الإنسان أن يعطل هذه القدرة التي وهبها له ، بل يأمره بأن يعمل ويعمل ، مستخدما لها ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، فنسمعه مثلا يقول : « وأن ليس للانسان إلا ما سعى » ويقول : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » .

وإقبال الإنسان على العمل يجدد همتَه ، ويوسع حيلته ، ويوقد عزيمته ، ويكسبه التجربةَ والحكمة ، فيزداد على الأيام حنكة ومعرفة ، ويزداد إيمانه بالقدرة العليا التي تسيطر على قدرته المحدودة ، والتي تعينها إذا أرادت ، وتمنعها من الغرور أو محاولة ما لا يستطاع ، وتوحي إليها بأن التقاعس والتواكل يستوجبان العجزَ والضلال ، وأن الإقدام والمحاولة تؤديان إلى الإنتاج المثمر ، وقد أشار إلى ذلك أديب كبير حينما قص عن أبيه القصة التالية :

« علمني أبي ، وكان عطوفا مدبرا ، أن ألهو بأشياء بسيطة ، وكان مما أهواه في طفولتي أن أجمع شرانق الفراش ، وأن أراقب في الربيع خروج الفراش منها كأنها أزهار ، وكان جهادها في التخلص من سجنها يثير عطفي دائماً ، وأتى والدي يوما بمقص وأعمله في غلاف الحرير المقفل على الفراشة ، وساعدها على الخلاص ، ولكن لم تلبث الفراشة أن ماتت ...

قال لي أبي : « إن الجهد الذي تبذله الفراشة يا بُني لتخرج من الشرنقة يُخرج السمِ من جسمها ، وإذا لم يخرج هذا السم ماتت الفراشة ، وكذلك الناس إذا جهدوا في سبيل ما يريدون ازدادوا قوة وعزما ، ولكن إذا واتاهم ما يريدون سهلا طيّعا غلب عليهم الضعف ، وفات منهم شيء جليل الخطر » .

وأراني اليوم أقدر على احتمال أرزاء الحياة لأن أبي علمني منذ الصغر تلك الحقيقة البالغة » .

* * *

إن الله صاحب القدرة الكبرى قد وهبك أيها الإنسان قدرة صغرى تابعة لها مستمدة منها راجعة إليها ، ولكن قدرتك المحدودة لها حركتها وطاقتها

وتصرفاتها ، أو قل إن هناك دائرة القدر الكلية ، وبداخلها وتحت لوائها دوائر أخرى صغيرة ، تتحرك داخلها فتبدو وهي متغيرة ، وفي الوقت نفسه هي تابعة للدائرة الكبرى ، لأنها بداخلها وجزء منها تابع لها .

وإن شئت أن تعتبر في هذا الشأن ، فاعتبر أمر السيد مع عبده يفوض إليه القيام بعمل من الأعمال تحت إشرافه ، فإن احسن العبد في تصرفه استحق ثوابَ سيده ، وإن أساء استحق عقابه ، وسيده يقدر أن يسلبه سلطته ، لأن السيد هو معطيها ، ومع ذلك فللعبد أثناء وكالته قدرة واختيار وتصرف ، وإن نسبنا جميع أعماله على وجه التبعية إلى سيده . وهذا المثل للتقريب فحسب ولله المثل الأعلى .

ومن عبث الرأي وضلال الفكر أن يميل ضعيف إلى الكسل أو المعصية قائلا : إن علم الله قد سبق بذلك ، ومَن الذي أنبأه بعلم الله ، ومن الذي أطلعه على حقيقة ما يعلمه سبحانه ؟ ولماذا لا ينهض هذا الخاطىء إلى ميدان العمل والفضيلة ويقول إن علم الله قد سبق بذلك ؟ ألا إنها أحابيل الشيطان يمدها للضعفاء حتى يفسد عليهم أمرهم ويضلهم ضلالا بعيدا ... وما أجمل الإشارة إلى مثل هذا في قوله عز من قائل : « وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ »وقوله : « إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً » وقوله : « قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا » .

ألا إن الإنسان مخيّر بحكم ما أودعه الله فيه من قوة محسوسة واختيار ظاهر مستطاع في مألوف الحياة ، وهو في الوقت نفسه مسيّر بمعنى أنه عبد مملوك لله ، منه مبدؤه وإليه منتهاه ، والله بعد ذلك وقبل ذلك عليم حكيم .

يا أيها الخالون من أشغال الحياة ، يا أيها المائلون إلى الأحاديث الطويلة الفارغة تلوكونها لتملأوا بها دنياكم الفارغة ، من الجدل في القضاء والقدر ، فتلك مزلة أفهام ومزلقة أقدام ، وكم في الكون من أمور اختص بحقيقة أمرها وكنه علمها اللطيفُ الخبير .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

هل يتغير الأجل

السؤال : يقال إن عمر الإنسان يطول إذا عمل بعض الأعمال الخيرية ، فكيف يتفق هذا مع قوله تعالى : « فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ » ؟

الجواب :

يقول الله تعالى في سورة الأعراف : « وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ، فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ » . ويقول في سورة يونس : « إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ » ويقول في سورة النحل : « فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ » .

ولا شك أن لكل فرد أجلا – أي عمرا – في علم الله وفي تقديره ، والذي في علم الله سبحانه لا يتغير ؛ ولا يقتضي هذا نفيَ الأسباب والمسببات ، ومن قُتل أو غرق مثلا قبل انتهاء العمر المقدر له يقال إنه مات قبل انتهاء عمره الطبيعي أو التقديري ، ولكنه مات بأجله الحقيقي عند الله .

وكل ما ورد في إطالة العمر بسبب بعض الأعمال : كصدقة الفطر ، وصلة الرحم ، والدعاء ، فإنما هو بالنسبة إلى الأجل التقديري أو الطبيعي ، الذي هو عبارة عن مظهر سنة الله في الأسباب والمسببات ، فإن صلة الرحم مثلا من أهم أسباب هناء المعيشة ، وهناء المعيشة من أهم أسباب طول العمر ، وكذلك الدعاء الذي منشؤه قوة الإيمان ، والرجاء في معونته ، وتوفيقه للمؤمن فيما يضعف عنه أو يعجز عن أسبابه . وأما علم الله بالأعمار فإنه لا يختلف ولا يتغير .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

علامات القيامة

السؤال : **ما هي العلامات التي ورد أنها تدل على قرب قيام الساعة ، وهي القيامة ؟**

الجواب :

علامات الساعة كثيرة، وقد أُلفت فيها كتب مختلفة،منها المختصر،ومنها المطول ، وتنقسم هذه العلامات إلى قسمين : القسم الأول علامات لا تبقى الدنيا بعد وقوعها إلا زمنا يسيرا قليلا ، مثل خروج المسيح الدجّال ، ونزول عيسى عليه السلام ، وخروج للدابة التي تكلّم الناس ، وطلوع الشمس من مغربها وغير ذلك . القسم الثاني : مثل انتشار الرذائل ، كأكل الربا ، وشرب الخمر ، وقلة الكرام ، وكثرة اللئام ، وتباهي الناس في المساجد ، واتخاذ المساجد طرقا ، وقطيعة الأرحام ، وسوء الجوار ، وقلة العلم ، وانتشار الجهل ، وأن يُسند الأمرُ إلى غير أهله ، وأن يكون أسعد الناس بالدنيا لكع ابن لكع ، أي الأحمق اللئيم القذر .

وفي الحديث أن جبريل عليه السلام جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم في صورة رجل وسأله أسئلة أجابه النبي عليها ، ومن بين هذه الأسئلة أن جبريل سأل النبيَّ قائلا : فأخبرني عن الساعة . قال : ما المسؤول عنها بأعلم من السائل . قال : فأخبرني عن أماراتها . أي علاماتها . فقال : أن تلد الأمةَ ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة (أي الفقراء) رعاة الشاء يتطاولون في البنيان » .

والمراد بربة الأمة هنا سيدتها وملكتها ، قالوا : وهذه إشارة إلى فتح البلاد وكثرة جلب الرقيق ، حتى تكثر السراري ، ويكثر أولادهن ، ثم يعتق بعضُ الأولاد ، وتشتري الفتاةُ المعتقة أمّها الرقيقة التي لم تعتق ، وتستخدمها وهي لا تدري أنها أمها .

والمراد بالعلامة الثانية المذكورة سابقا في الحديث أن أسافل الناس يصيرون

رؤساء ، وتكثر أموالهم حتّى يتباهوا بطول البنيان وزخرفته . وفي حديث آخر : « لا تقوم الساعة حتّى يسود كلَّ قبيلة منافقوها » . كما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« إن من أشراط الساعة أن يُرفع العلم ، ويظهر الجهل » .

وقال الشعبي : « لا تقوم الساعة حتّى يصير العلم جهلا ، والجهل علما » . وهذا كله من انقلاب الحقائق وانعكاس الأمور في آخر الزمان .

وعن ابن عمر مرفوعا : « إن من أشراط الساعة (أي علاماتها) أن يوضع الأخيار ، وتُرفع الأشرار » .

ولقد سئل النبي عن الساعة فقال للسائل : « إذ وُسِّد الأمر إلى غير أهله فانتظروا الساعة » .

ويقول الإمام الآلوسي : « ومن وقف على الكتب المؤلفة في هذا الشأن ، واطلع على أحوال الزمان ، رأى أن أكثر هذه العلامات قد برزت للعيان ، وامتلأت منها البلدان ، ومع هذا كله أمرُ الساعة مجهول ، ورداء الخفاء عليها مسدول .

وقصارى ما ينبغي أن يقال : « إن ما بقي من عمر الدنيا أقل بالنسبة إلى ما مضى » .

ويقول أيضاً : « الحق أنه لا يعلم ما بقي من مدة الدنيا إلا الله عز وجل ، وأنه — وإن طال — قصير ، وما متاع الحياة الدنيا إلا قليل » .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

حول الجنة والنار

السؤال : قرأت في حادثة الإسراء والمعراج أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى أهل الجنة في الجنة ، وأهلَ النار في النار ، فهل معنى هذا أن الجنة والنار موجودتان الآن ؟ وأين مكانهما إذن ؟

الجواب :

دار خلاف طويل بين وجود الجنة والنار ، وحول مكان وجودهما ، فمن قائل أنهما موجودتان الآن ، ومن قائل إن الله سيوجدهما بعد هذه الحياة الدنيا . وقد وردت أقوال أخرى في تحديد أماكن لهما على القول بأنهما موجودتان الآن .

والذي لا بد من الايمان به هو أن يؤمن المسلم بأن هناك جنة للثواب ، وناراً للعذاب ، سواء أكانتا موجودتين الآن بالفعل ، أم سيوجدهما الله فيما بعد . وعن ابن عباس قال : « الجنة في السماء السابعة ، ويجعلها الله حيث يشاء يوم القيامة ، وجهنم في الأرض السابعة » . وعن مجاهد قال : « قلت لابن عباس : أين الجنة ؟ قال : فوق سبع سموات . قلت : فأين النار ؟ قال : تحت سبعة أبحر مطبقة » . وعن ابن مسعود قال : « الجنة في السماء السابعة العليا ، والنار في الأرض السابعة السفلى » . واستشهد على ذلك ببعض آيات القرآن ، ثم قال : « فاذا كان يوم القيامة جعلها الله حيث شاء » .

* * *

وقد استدل بعضهم على وجود النار الآن بأن الله تعالى أخبرنا في القرآن الكريم بأن الكفار يعرضون على النار في الصباح والمساء ، وذلك في أثناء فترة البرزخ ، أي فترة البقاء في القبر ، قال الله تعالى في شأن أهل فرعون : « النار يعرضونَ عَلَيها غُدُوّاً وَعَشِيّاً ، وَيَومَ تَقُومُ الساعَةُ أدخِلُوا آل فِرعَوْنَ أشَدَّ العَذَابِ » .

وهناك بعض آخر يقول إن الجنة والنار ستكونان فيما بعد ، وقد رُوي عن كعب في قول الله تعالى : « يَوْمَ تُبَدَّلُ الأرضُ غَيْرَ الأرضِ وَالسَّمَوات» قال : « تبدل السموات فتصير جِنَاناً ، وتبدل الأرض فيصير مكان البحر نــارا » .

وقد جاء في حديث الإسراء والمعراج عن حذيفة رضي الله عنه قال . قال النبيُّ : « رأيت ليلة أسري بي الجنةَ والنار في السماء ، فقرأت هذه الآية :

« وفي السماء رزقكم وما توعدون » فكأني لم أقرأها إلا اليوم » .

فإذا أخذنا بالرأي الذي يقول إن الجنة والنار موجودتان ، فإن رؤية النبي لهما تكون حقيقةً واقعة ، وإذا أخذنا بالرأي الثاني ، فإن المراد أن الله سبحانه وتعالى قد جلا لرسوله صلى الله عليه وسلم وكشف لبصيرته مشهدَ الجنة ومشهدَ النار كما ستكونان ، فرآهما النبي ببصيرته كما سيكون عليه أمرُهما حينما توجدان .

وقد علق الإمام ابن رجب الحنبلي على عبارة الحديث السابق التي جاء فيها أن النبي رأى الجنة والنار في السماء ، بقوله :

« وهذا كله ليس بصريح في أنه رأى النار في السماء كما لا يخفى ، وأيضا فعلى تقدير صحة ذلك ، اللفظ لا يدل على أن النار في السماء ، وإنما يدل على أنه رآها في السماء ، والميت يرى في قبره الجنةَ والنار ، وليست الجنة في الأرض ، وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة الكسوف الجنةَ والنار وهو في الأرض ، وكذلك في بعض طرق حديث الإسراء حديث أبي هريرة ، أنه مر على أرض الجنة والنار في مسيره إلى بيت المقدس ، ولم يدل شيء من ذلك على أن الجنة في الأرض ، فحديث حذيفة إن ثبت أنه رأى الجنة والنار في السماء ، فالسماء ظرف للرؤية لا للمرئي والله أعلم . »

والذي تميل إليه النفس أن الله سبحانه وتعالى كشف عن بصيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء والمعراج ، فرأى من آيات الله ومشاهد كونه ، ومن أحوال الثواب والعقاب ، ما جعله يعرف الكثير من أحوال هذه المشاهد ليعظ بها قومه : « إنَّ في ذلكَ لذكرى لمنْ كانَ لهُ قلبٌ أو ألقى السمعَ وهو شهيد » .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الجنة والنار

السؤال : آمنا بوجود الجنة والنار ، فهل هما موجودتان الآن ، ويدخل فيهما أهلهما بعد موتهم ؟ وإذا كانتا غير موجودتين الآن فأين تسكن أرواح المؤمنين والكافرين ؟

الجواب :

جاء في حديث صحيح رواه الترمذي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لما خلق الله الجنةَ والنار أرسل جبريل إلى الجنة ، فقال : انظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها . وفي هذا الحديث أن الله قال لجبريل أيضا : اذهب إلى النار فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها . ففعل جبريل عليه السلام ؛ وظاهر هذا الحديث أن الجنة والنار قد خلقتا من قبل .

وجاء في كتاب « الجامع لاحكام القرآن » للامام القرطبي ما يفيد أن أهل التأويل أجمعوا على أن الجنة موجودة ، وأنها هي التي كان فيها آدم عليه السلام ، وأن مفاتيحها كانت بيد إبليس ، ثم انتُزعت منه بعد معصيته ، وقد دخلها النبي صلى الله عليه وسلم ليلةَ الإسراء والمعراج ، ثم خرج منها ، وأخبر بما فيها ، وأنها جنة الخلد . وروى القرطبي عن أبي الحسن بن بطال قوله : « وقد حكى المشايخ أن أهل السنة مجمعون على أن جنة الخلد هي التي هبط منها آدم عليه السلام ، فلا معنى لقول من خالفهم » .

ولكن قد وردت أقوال أخرى كثيرة في تحديد الجنة ، وتحديد مكانها ، والمراد بوجودها ، ولذلك استحسن الإمام الرازي التوقفَ في هذا الموضوع ، وتفويض العلم إلى الله تبارك وتعالى ، والمقطوع به أن المؤمنين الصالحين سيكونون في الجنة ، وأن الكافرين المفسدين سيكونون في النار .

وأما أرواح المؤمنين والكافرين فإنها تكون في أماكن مختلفة ، وتشعر هذه الأرواح بالنعيم إذا كان أصحابها من أهل الاستقامة ، وتشعر بالعذاب إذا كان أصحابها من أهل الفساد .

والله تبارك وتعالى أعلم .

الافتراء على الكرام

السؤال : حسدني قوم أحسنت إليهم كثيرا ، فكفروا النعمة ، وأظهروا الحقد ، وأخذوا يقرضون لحمي ، ويختلقون المفتريات ضدي ، وقد ضقت بهم ، فماذا أصنع ؟

الجواب :

هذه سنة الحياة ، وتلك طبيعة الأحياء ، واللؤم من شيم النفوس ، وإن واجبك هو ألا تقيم ميزاناً لما يفتريه أولئك السفهاء اللئام ، وأن تنصرف إلى عملك بجهد واجتهاد ، وإنَّ لك عزاءً في كل كريم حسده الناس ، وفي كل أصيل بغوا عليه ، والتاريخ سلسلة طويلة من حقد الوضعاء .

* * *

هؤلاء هم الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم ، وهم أمثلة الإنسانية العليا ، قوبلوا بكل افتراء ، ووصمهم المجرمون بكل نقيصة .. هذا نوح عليه السلام يدعو قومه إلى الهدى ، فيفترون عليه الكذب بقولهم له : « ما نَرَاكَ إلاّ بَشَراً مثلنا ، وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إلاّ الذينَ هُمْ أراذلُنا باديَ الرأي ، وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كاذِبِينَ» وقولهم : « إنّا لنَرَاكَ فِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ » .

وهذا هود عليه السلام يأتي بشرعة العبادة والمغفرة والبركة ، فيكون جواب قومه : « إنْ نَقُولُ إلاّ اعترَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ » . ويكون: « إنّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإنّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الكاذِبِينَ » .

وهذا شعيب عليه السلام يكون جزاؤه حين يأتي قومَه بشرعة المعدلة والاستقامة هذا الجزاء : « وَقَالَ المَلأُ الّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنْ اتبَعْتُم شُعَيْباً إنكُمْ إذاً لَخَاسِرُونَ » .

وهذا موسى كليم الله عليه السلام يكون جزاؤه أن يوصَفَ من قومه بأنه

ساحر مجنون ، ويرمونه بافتراء قذر هو أنه أتى امرأةً بغياً ، ويحتالون عليها لتأتي فتوافقهم على افترائهم ، ولكن الله فضح كيدهم وأخزاهم .

وهذا يوسف الصديق عليه السلام يوصف بأنه هاتك أعراض وخائن حرمات حين هامت به امرأة العزيز وغلّقت الأبوابَ وقالت : هيت لك . فأبى واستعصم ، وقال : معاذ الله . لأنه رأى نورَ ربه ، فافترت عليه وقالت لزوجها : « ما جزَاءُ مَنْ أرادَ بأهْلِكَ سُوءًا إلاَّ أنْ يسجنَ أو عذابٍ أليم » . ثم يوصف يوسف من إخوته – إي والله من إخوته – بأنه لص : « قَالُوا إنْ يسرقْ فَقَدْ سَرَقَ أخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسَرَّها يوسفُ في نَفْسِهِ ولَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ وَقَالَ : أنْتُمْ شَرٌّ مكاناً واللهُ أعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ »

وهذه مريم البتول الطهور العذراء سيدة العالمين ، التي تقبلها ربها بقبول حسن ، وأنبتها نباتا حسنا ، والتي نادتها الملائكة : « يا مَرْيَمُ إنَّ اللهَ اصطفاكِ وطهّرَكِ واصطفاكِ على نساء العالَمِينَ ، يا مريمُ اقنتِي لِربِّكِ واسجُدِي واركعِي مَعَ الرَّاكِعِين » : مريم هذه يصفها اليهود بأفحش رذيلة وهي الزنَى : « فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَها تَحْمِلُهُ قالوا يا مريمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِياً ، يا أختَ هارونَ ما كانَ أبوكِ امرأ سوءٍ وما كانَتْ أمُّكِ بَغِياً » . وهذا هو القرآن يحدثنا بأنه أهلكَ هؤلاء بنقضهم الميثاق وقتلهم الأنبياء : « وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيماً » .

وهذا عيسى عليه السلام ، روح الله وكلمته التي ألقاها إلى مريم يصفونه بأنه ابن زنى ، وأن يوسف النجار زنا بوالدته فولدته ، وهو الذي قال في حقه القرآن : « قَالَ إنِّي عَبْدُ اللهِ آتاني الكتابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً ، وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أيْنَمَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ والزَّكَاةِ ما دُمتُ حَيّاً ، وبَرّاً بِوالِدَتِي ولَمْ يَجْعَلْنِي جبّاراً شَقِياً ، والسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً ، ذَلِكَ عِيسى بن مَرْيَمَ قول الحَقِّ الذي فِيه يَمْتَرُونَ » .

وهذا محمد سيد الأولين والآخرين ، وإمام النبيين وخاتم المرسلين ، وعلم المتقين ، وقائد الغر المحجلين يوم الدين ... افترى عليه قومه فقالوا عنه إنه كاذب وساحر ومجنون ومفتر وكاهن ، وافتروا عليه وجاءوا بالإفك وهم عصبة في زوجته الصديقة بنت الصديق المبرأة من فوق سبع سموات ، وافتروا عليه في زينب بنت جحش رضوان الله عليها وفي أسامة بن زيد ، وافتروا عليه في تعدد نسائه ، وافتروا عليه في شريعته ، وهو هو الذي يقول عنه ربه : « لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ » .

* * *

ومن هذه الأمثلة الواضحة البينة التي تتعلق بأكرم الناس وأطهر البرايا وهم الأنبياء ، ترى أن الافتراء دائما يصطنعه السفهاء ويلصقونه بالنبلاء ، وما من رجل ظهر وعلا إلا وكان له حساد وحاقدون :

إن العرانين تلقاها محسدة ... ولا ترى للئام الناس حسادا

ولكن المهم هو أن يصبر المرء على الافتراء مع حسن التأني لدفعه ، ومع احتساب ثوابه عند الله ومع عدم اسورة من أجله ، والا ضاعفه أهلوه ، إذا وجدوا في المفترى عليه ثغرةً يصلون عن طريقها إليه ، ومع حسن الإعراض عن مجاراة المفتري ليحترق غيظا وكمدا .

ياصاحبي صبراً . فكلُّ صاحبِ نعمة محسود ، وكل صاحبِ فضلٍ محقود عليه . وكل سامٍ يحاول اللئام وضعه ، والله يرى ويشهد ، وما الله بغافل عما يصنعون .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الفتنة

السؤال : ما هي الفتنة التي هي أكبر من القتل ؟ وهل للفتنة معانٍ أخرى ؟ وهل هناك رابط يربط بين تلك المعاني ؟

الجواب :

الفتنة تطلق على عدة معان : منها الامتحان ، والاختبار ، والابتلاء ، والإضلال ، والكفر ؛ وهي في الأصل مأخوذة من قولهم : فتنت الذهبَ في النار ، إذا اختبرته فيها لتعلم أخالصٌ هو أم مخلوط بسواه ، ومن كلامهم : فتنت الخبز في النار ، أي أنضجته ، ومنه قوله تعالى : « يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ » أي يشوون .

وقد وردت كلمة « الفتنة » في مواضع كثيرة من القرآن الكريم ، لمعان كثيرة ؛ فاستعملت الفتنة بمعنى الابتلاء في قوله تعالى : « وَفَتَنَّاكَ فُتُوناً » أي ابتليناك ابتلاء على إثر ابتلاء ؛ واستعملت الفتنة بمعنى العذاب ، في قوله تعالى : « جعل فتنة الناس كعذاب الله » . وجاءت بمعنى الصد عن سبيل الله كما في الآية : « وَاحذرْهُمْ أَنْ يَفْتنوكَ عَنْ بَعْضِ ما أنزلَ الله إلَيْكَ » . واستعملت بمعنى الضلال وإفساد الدين في قوله : « فأما الذينَ في قلوبِهِمْ زَيْغٌ فيتبعونَ ما تَشَابَهَ مِنْهُ ابتغاءَ الفتنةِ وابتغاءَ تأويلِهِ » .

وأما الفتنة التي هي أكبر من القتل والواردة في قوله تعالى : « والفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ القَتْلِ » ، وقوله : « والفتنةُ أشدُّ مِنَ القَتْلِ » فالمراد بها الكفر أو إرغام الناس على ترك الدين . وسبب نزول الآية يوضح هذا المعنى ، فقد روي أن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه بعث سرية من المسلمين وجعل أميرها عبد الله بن جحش الأسدي [1] وهو ابن عمة الرسول ، وكان ذلك قبل غزوة بدر بشهرين ، فانطلقت السرية حتى أتوا وادي نخلة ، فوجدوا بها عدوا لهم مشركا ، هو عمرو بن الحضرمي ، ومعه تجارة لقريش ، وكانوا

---

(١) انظر تفاصيل قصته في كتابي « الفداء في الإسلام » ، الطبعة الثانية ، ص ٨٤ — ٩٠.

في آخر يوم من جمادى الآخرة ، وكانوا يرون أن هذا اليوم من جمادى ، وهو من رجب ، وأرادوا أن يهجموا على عمرو ، فقال بعضهم : لا نعلم هذا اليوم إلا من الشهر الحرام ، ولا نرى أن تستحلوا لطمعٍ أشفيتم عليه ، وقال بعضهم : هذه غِرة من عدو ، وغُنْم رُزقتموه ، ولا ندري أمن الشهر الحرام هذا اليوم أم لا .

وغلب الرأي الأخير ، فشدوا على ابن الحضرمي ، فقتلوه فغنموا ما معه ، فبلغ ذلك كفار قريش ، وكان ابن الحضرمي أولَ قتيل قتل بين المشركين والمسلمين ، فركب وفدُ كفار قريش حتى قدموا على النبي ، فقالوا : أيحل القتال في الشهر الحرام ؟ فنزل قوله تعالى : « يسألونَكَ عَنِ الشّهرِ الحرامِ قتالٍ فيهِ ، قُلْ قِتالٌ فيهِ كبير وصدٌ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وكفرٌ به والمسجدِ الحرامِ وإخراجُ أهلهِ منهُ أكبرُ عِندَ اللهِ ، والفتنةُ أكبرُ مِنَ القتلِ ... » الخ .

وفي الحديث : « المسلم أخو المسلم يتعاونان على الفتّان » . والفتان هو الشيطان لأنه يفتن الناس عن الدين ، وفيه أيضاً : « أفتّان أنت يا معاذ » ؟ وفي حديث الكسوف : « وإنكم تُفْتَنون في القبور » يريد سؤال منكر ونكير ، وقد كثرت استعاذة الرسول صلوات الله وسلامه عليه من فتنة القبر ، وفتنة الدجال ، وفتنة المحيا والممات ، وغير ذلك ، وفي الحديث : « المؤمن خُلق مُفَتّناً » بضمم ففتح فتشديد التاء مع فتحها ، أي ممتحنا يمتحنه الله بالذنب ثم يتوب ، ثم يعود ثم يتوب .

وفي حديث عمر أنه سمع رجلا يتعوذ من الفتن فقال له : أتسأل ربك ألا يرزقك أهلا ولا مالا ؟ تأول في ذلك قوله تعالى : « إنّما أموالُكُم وأولادُكُمْ فِتْنَةٌ واللهُ عِندَهُ أجرٌ عَظِيمٌ » . ولم يرد فتن القتال والاختلاف » .

ولعل هذا القدر كافٍ في إيضاح ما يراد من معاني الفتنة المشهورة ، وهناك معان أخرى مجازية ، لم نَرَ داعياً إلى التطويل بذكرها ؛ اللهم إنا نسألك حفظا

من الفتنة ، ودواماً للمنة ، وعملا يؤدي إلى الجنة ، إنك بنا رؤوف رحيم .
والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

معنى الحكومة الدينية

السؤال : **يحمل بعض الناس في الداخل والخارج حملات شديدة على « الحكومة الدينية » . ويصفونها بأنها حكومة استبداد وغموض ، فما مبلغ ذلك من الصحة ؟ وهل هناك فرق بين هذه « الحكومة الدينية » وبين الحكومة في الإسلام ؟**

الجواب :

« الحكومة الدينية » بمعناها الشائع عند محاربيها تعبير تاريخي سياسي مخيف ، يذكرنا بسلطان « القيصر » المطلق المتحكم باسم الدين في شؤون الدنيا بلا عدالة أو تبصر أو مراجعة ، ويذكّرنا بما كان من أمر الحكومات التي سمت نفسها « دينية » في غموض وإبهام ، ثم استغلت سلطة الكنيسة في تسخير العباد لأهواء الحاكمين دون معارضة ، وكلما هم مظلوم أو مهضوم أن يطالب بحقه أو يخالف الحاكم في رأيه سقاه الحاكم من العذاب ألوانا ، لأن الدين في زعم الحاكم يريد هذا ، والحاكم وحده هنا هو الذي يملك الدين ، وهو الذي يفسر الدين ، وهو يطبق أوامر الدين بتفويض ادعى أنه تلقاه وحده من صاحب الدين وموحيه ، ويذكّرنا بما كان من أمر أولئك الذين ادعوا أن لهم « سلطة مقدسة » تأتيهم من السماء ، فلا حوار ولا جدال ولا حساب ، وكيف وهم يحكمون باسم الله ، والله لا يراجعه في حكمه أو كلمه مراجع ، ويذكّرنا ببعض الذين ادعوا أثناء حكمهم في عصور الظلمات وفترات التبديل وخاطىء لتأويل ، أنهم يحكمون بالقرآن ، ثم ساقوا الأمة أمامهم سَوْقَ العبيد، وكلما رتفع صوتُ ناصح أو مذكر قال هؤلاء بألسنتهم وبأيديهم وبسيوفهم : لا جدال ، فإننا نحكم باسم الدين ، وما نفعله هو الدين وهو دفاع عن الدين ،

وهو حفظ للملة ، ونحن ظل الله في الأرض . ويذكّرنا أيضا بالذين يظنون أن « الحكومة الدينية » بجميع أشكالها وصورها حكومة غامضة مبهمة ، تتسم بسمة الاستبداد المطلق ، وسوء الاستغلال للدين في شؤون الحكم .

* * *

ولا جدال عند النظر الدقيق والبحث العميق أن الإسلام الصريح الحنيف الواضح لا يقر هذه « الحكومة الدينية » المزعومة ، ولا يريدها ولا يرضى عنها ، وما جاء ليقيمها ، وإن كان بعض الطغاة في بعض العصور قد استغل اسمه زورا وبهتانا في محاولة إقامتها .

الإسلام الحنيف الصريح لا يقر أبدا أن يُقبل علينا من يقول : إنني سأحكمكم بالقرآن والسنة ... ثم يظل على ترديده لهذه الكلمات وحدها في حكمه ، دون أن تتوافر فيه شروط الراعي النزيه الحكيم ، ودون أن يكون له قانون مفصل مستمد من القرآن والسنة ، ودون أن يكون معه أهل المشورة والحل والعقد والرأي ؛ ودون أن يتقيّد بقيود تفرضها مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة ومصلحة الدعوة نفسها ، ودون أن يقدّم حسابا عما فعل ويفعل ، مطابقاً في روحه وخطواته للقرآن والسنة ، لأن تعبير « الحكم بالقرآن والسنة » تعبير عام يحتاج إلى تفصيل .

والمغرضون الذين يتربصون بالإسلام الدوائر حينما يسمعونه يتذكرون الأخطاء التاريخية الخطيرة التي ارتكبها أصحابها باسم الدين وباسم الحكومة الدينية المطلقة السلطان ، والقرآن حكم إلهي عام محكم ، نزل من لدن الحق ليكون خالدا باقيا ، وليكون صالحا لكل زمان ومكان ، وما دام هذا شأنه فلا مناص من اقتصار القرآن في حديثه على الأصول والأهداف العامة والكليات الشاملة ، دون انشغال بالتبويب والتفصيل ووضع المواد الجزئية ، لأن هذا هو واجب الأمة المسلمة ممثلة في رعاتها ورعاياها ، ولا يمكن لراعٍ أن يضع القرآن في يد ، والسيفَ في اليد الأخرى ، ثم يحمل الناس على هذا القرآن بفهمه هو أو رغبته هو ، فمن أطاع فقد نجا ، ومن عصاه حكّم في رقبته السيف .

إن هذا لا يرتضيه الإسلام ، ولو ارتضاه الإسلام لما أمكن تنفيذه فإن الآراء والأهواء والرغبات تختلف ، وقد تتناقض فيؤدي هذا إلى الشقاق والتمزق ، والقرآن قد جاء ليحقق بين الناس التآلف والاتحاد ، وهو لا يسوق الناس تحت حكمه عُمْياً وصما وبكما ، بل يسوسهم بشريعة محددة مفصلة أوضح من ضوء النهار .

الإسلام دين ودولة ، ذلك أمر مسلّم ، لا يخالفه إلا جهول أو عدو للاسلام والمسلمين ، ولكن ما هي تلك الدولة الإسلامية ؟ هي الدولة القائمة في ظل حكومة رشيدة واضحة عادلة ، تتحقق وتنهض من اجتماع أهل الحل والعقد والرأي والمشورة والفقه في الأمة الإسلامية ليتخلصوا من القرآن الكريم وصحيح السنة النبوية المطهرة أحكاما وقوانين ، ومواد محددة بينة ظاهرة ، يتكون منها دستور الأمة المسلمة المفصَّل ، وتتوافر فيها ضمانات العدالة والمساواة والحرية والأخوة والملاءمة بين شؤون الدين والدنيا ، وبين العبادة والقيادة ، وبين المادة والروح ، ثم يصبح هذا الدستور القرآني النبوي الإسلامي المحدد المفصل المستمد من صميم حكومة الإسلام ، وقيداً واضحَ المعالم والأطراف والحدود ، يتقيد به الحاكم قبل المحكوم ، فلا غموض هناك في حكومة الإسلام ولا إبهام ولا استبداد ، بل الأمر كما قال الرسول : « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، وكل ما خالف العدالةَ والمساواة والحرية والأخوة والتقوى فهو من معصية الخالق » .

وإذن فحكومة الإسلام لا تدع الحبلَ للراعي على غاربه ، ولا تدعه فريسة للضلال في أودية التأويل ، ولا تفرده بالتصرف المطلق تحت عنوان ديني عام لا تفصيل فيه ، ولا يجوز لنا أبدا أن نشبه الحكومة الإسلامية التي نتمناها لكل قطر إسلامي « بالحكومة الدينية » ذات المعنى التاريخي البغيض الشائع ، ويجب أن نفهم أن ذلك الغبار الظنين الذي يثار حول الحكم الإسلامي في بعض البيئات المريبة إنما هو أثر من آثار استبداد المحتلين ومكائدهم ، لأن الاستعمار

يحاول دائماً أن يصور الإسلام بصورة العقيدة الطائفية المتعصبة الجامدة المستبدة، التي إن قامت فستحكِّم سيفَها في رقاب المخالفين لها ، حتّى تقضي عليهم جميعاً ، فلا يبقى على وجه الأرض إلا مسلم .

ما هذا بإسلام أيها المحرفون ، وإن الاسلام ــ وحق خالقكم ــ أعدل لكم وأرحم بكم وأحنى عليكم من كل هذه النظم التي تتعثر بكم في كل حين ، وما قال ذو عقل إن الإسلام يقر استبدادا أو عدواناً أو تعصبا أو هضما لحقوق المخالفين ، أو إهمالا لواجبات الطوائف الأخرى ، وما قال قائل من أهل الرأي في الإسلام إن الحكومة الإسلامية تقتصر في تطبيقها ــ وتصرفاتها على كلمة : « الحكم بالقرآن » ، لأن القرآن كما ذكرنا كتاب موجز محكم ، لم يتعرض للتفاصيل وتحليل المواد ، بل ذكر الأصول والأهداف وأمة القرآن بعد هذا هي التي تنهض بوضع نظمها البينة العادلة ، المناسبة للزمان والمكان ، في نطاق هذه الاصول ، وحول هذه الأهداف ، لتؤسس دولة المساواة والعدالة والسماحة في الأرض ، فأين الغموض أو أين الاستبداد؟ وأين ما تتصورونه في معنى « الحكومة الدينية» الغامض الرهيب ، من حكومة الإسلام الواضحة السافرة ...

هذه صيحة حق يوجبها الإسلام ، حتّى نزيل عنه الشبهات التي تعلق بأذهان الجاهلين ، وحتّى ندحض ترهات المغرضين ، وكم أتمنى أن يردد هذه الصيحة مع تفصيلها وتوضيحها دعاةُ الفكرة الإسلامية في كل مكان ، وكم أتمنى أن يعكفوا جادين مسرعين على استخلاص المواد والقوانين والتفاصيل الذي يوحي بها القرآن والسنة الصحيحة ، لتكوين الدستور الكافي للحكومة الإسلامية ، حتّى يفحموا كل مغرض بوضوح هذا الدستور ، وحتّى يقطعوا دابر الفتنة التي تشوه فكرة « الحكومة الإسلامية العادلة » . واعتقادي أن هذا هو أهم واجب يتحتّم على دعاة الفكرة الإسلامية النهوض به الآن ، فإن بحث الإسلام بحثا قانونيا مفصلا ، واستخلاص المواد الصالحة لسياسة الأمة منه ، في حكمة وتبصر وتفصيل ، خير ألفَ مرة من الخطب

الرنانة ، والمحاضرات العامة ، والنداءات المبهمة ، والله الهادي إلى سواء السبيل .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

بين العلماءِ والأُمراءِ

السؤال : **لقد كثر العلماء في بلاد الإسلام ، وانتشر العلم ، وازدادت الخطب والعظات ازدياداً هائلا ، ومع ذلك فالشر مستطير ، والخير نادر ، والعلماء لا يقام لكلامهم ميزان ، ولا يُقبل منهم عند الكبراء قول ، فما سبب ذلك ؟ على من تقع المسؤولية ؟ وما هي أحسن الوسائل لإصلاح الحال ؟**

الجواب :

كان الداعية بالأمس رجلا يتخفف من أثقال دنياه ، ويُعرض عن مباهج حياته ، فهو لا يحرص عليها ولا يهتم بها ، ولا يستطيع إنسان أن يغريه أو يخدعه عن طريقه ، ولذلك كان إذا تكلم بدا صريحا جريئا ، لا يهاب أحدا ، ولا يرقب إلا الله والملة . وكان الداعية ينشأ نشأةً سليمة قويمة ، لا عوج فيها ولا فساد ، ولا تتجاذبها عوامل الفتنة والاضطراب ، فهو يألف الصلاح والتقوى والإخلاص منذ البداية ، ولا يزال محتفظا بتقاه وهُداه حتى النهاية ، وكان هذا السمو ييسر أمامه كثيراً من الصعاب ، ويهديه في أموره إلى طريق الصواب .

ومن جهة أخرى كان للرأي العام الإسلامي سلطانه وإيمانه ، يغضب للداعية إذا أهين ، ويثور للعالِم إذا ضيم ، ويعصف بالباطل إذا تبدى أو تحدى ، ومن هنا كان هذا الرأي الإسلامي القوي عوناً للناصح أو الواعظ إذا دعا أو هدى .

وكذلك كان في العظماء والولاة بقية من دين وفضلة من خشية ، وأثارة من فطنة . كانوا يتلقون ما يساق إليهم من الزهاد والوعاظ والعلماء ، فإما

أن يعملوا بمقتضاه ما استطاعوا . وإما أن يُحسنوا لقاء المصارح بالنصيحة ، ثم يتعللوا بمختلف المعاذير الظاهرة أو الخفية ، حينما يخالفون ما سيق إليهم من نصح وإرشاد . وهذا التقبل من الولاة كان يهيء لكثير من الدعاة فُرصاً يأمنون فيها الشر العاجل ، فيُقبلون على أداء واجبهم مطمئنين أو عازمين .

ومن عجب أن هذا الوضع كان موجودا مع شيء من الاختلاف في العصور المظلمة التي نسميها عصورَ ضعف وتفكك ، ولقد قرأت في كتاب « وحي القلم » للرافعي مقالةً عنوانها : « أمراء للبيع » وفيها محاورة بين الشيخ طُوير الليل والإمام ابن دقيق العيد ، وفيها يقول الأول للثاني : « يا سيدي ، أراك تخاطب السلطانَ بخطاب العامة ، فإن علوتَ قلتَ : « يـا إنسان » ، وإن نزلت قلت : « يا إنسان » . أفلا يُسخطه هذا منك ، وقد تذوق حلاوةَ ألفاظ الطاعة والخضوع ، وخصَّه النفاق بكلمات هي ظل الكلمات التي يوصف الله بها ، ثم جعله المُلْكُ إنسانا بذاته في وجود ذاته ، حتى أصبح من غيره كالجبل والحصاة ، يستويان في العنصر ، ويتباينان في القدر ، وأقله مهما قلَّ هو أكثرها مهما عظمت ، ووجوده شيءٌ ووجودها شيء آخر ؟

فتبسم الشيخ وقال : يا ولدي ، إيش هذا ؟ إننا نفوس لا ألفاظ ، والكلمة من قائلها هي بمعناها في نفسه لا بمعناها في نفسها . فما يحسن بحامل الشريعة أن ينطق بكلام يرده الشرع عليه ، ولو نافق الدين لبطل أن يكون دينا ، ولو نافق العالِم الديني لكان كل منافق أشرف منه . فلطخة في الثوب الأبيض ليست كلطخة في الثوب الأسود ، والمنافق رجل مغطّى في حياته ، ولكن عالم الدين رجل مكشوف في حياته لا مغطى ، فهو للهداية لا للتلبيس ، وفيه معاني النور لا معاني الظلمة ، وذاك يتصل بالدين من ناحية العمل، فإذا نافق فقد كذب ، والعالم يتصل بالدين من ناحية العمل وناحية التبيين ، فإذا نافق فقد كذب وغش وخان .

وما معنى العلماء بالشرع إلا أنهم امتداد لعمل النبوة في الناس ، دهرا بعد

دهر ، ينطقون بكلمتها ، ويقومون بحجتها ، ويأخذون من أخلاقها ، كما تأخذ المرآة من النور ، تحويه في نفسها ، وتُلقيه على غيرها ، فهي أداة لاظهاره وإظهار جماله معا [1] .

ويروى أيضا أن العز بن عبد السلام جاء إلى السلطان نجم الدين أيوب في يوم عيد ، ووسط احتفال جامع ، وناداه بأعلى صوته ، ليسمع هذا الملأ العظيم : يا أيوب ... ثم أمره بإبطال منكر رآه ، فسارع أيوب إلى ذلك ، فسئل العز بعد ذلك : ألم تخف السلطان ؟ فقال لسائله : يا بني ، استحضرتُ هيبةَ الله تعالى فكان السلطان أمامي كالقط .

ويقول الرافعي أيضا في موطن آخر : « والبلد الذي ليس فيه شيخ من أهل الدين الصحيح والنفس الكاملة والأخلاق الإلهية ، هو في الجهل كالبلد الذي ليس فيه كتاب من الكتب البتة ، وإن كان كل أهله علماء ، وإن كان في كل محلة منه مدرسة ، وفي كل دار من دوره خزانة كتب ، فلا تُغني هذه الكتب عن الرجال ، فإنما هي صواب أو خطأ ينتهي إلى العقل ، ولكن الرجل الكامل صواب ينتهي إلى الروح ، وهو في تأثيره على الناس أقوى من العلم ، إذ هو تفسير الحقائق في العمل الواقع ، وحياتها عاملة مرئية داعية إلى نفسها » .

* * *

وأنت تتطلع اليوم فتجد أن رجال الدين قد شغلتهم دنياهم ، أو قل إن شئت التخفيف : أرغمتهم أوضاع مجتمعهم على الانغماس في تيارها ، وتجد أن الولاة والعظماء قد ضاقوا صدراً بكل نصيح صريح أو واعظ صادق ، بعد أن غرقوا في لهوهم إلى الأذقان ، وهم بشديد البطش متربصون لكل متجارىء ، وليس هناك رأي عام قوي للأمة تؤيد به الرشيدَ أو تؤدب العنيد، فلم لا يصير الحال إلى ما صار إليه أو أسوأ منه ؟

ويوم ينشأ الدعاة نشأة طاهرة ، ويخلصون لدعوتهم جهودهم ، ويتخلصون

---

(١) انظر وحي القلم ، ج ٣ ص ٥٩ .

من قيود حياتهم ولا يخشون في ربهم لوما أو عنتا ، ويوم تتجدد في نفوس الكبار نزعة الاهتداء والاسترشاد ، ويوم يكون للأمة رأي عام إسلامي ، تستطيع أن تقول : إن الأمة قد وجدت نفسها ، وصانت كيانها .

والله تبارك وتعالى .

* * *

الاسلام والتفرقة اللونية

السؤال : قرأنا كثيرا وسمعنا كثيرا عن الحوادث الأليمة الفظيعة التي تقع في أمريكا وأوروبا بين البيض والسود ، بسبب اختلاف اللون أو العنصر ، فما كلمة الإسلام في ذلك ؟

الجواب :

لقد ضج الناس حقا في الشرق والغرب من هذه الحوادث المؤسفة ، والاعتداءات المتكررة ، التي يقوم بها البيض ضد السود ، لا لعيب في السود ، أو جريمة وقعت منهم ، بل لأن الله تبارك وتعالى لم يخلقهم ببشرة بيضاء ، بل خلقهم ببشرة سوداء .

فالبيض يضطهدون السود ، ويطاردونهم في كل مكان : في الفنادق والمطاعم والسيارات والقطارات ودور اللهو ، وهم يمنعونهم من دخول المدارس التي يكون فيها البيض ، ويمنعونهم من دخول الجامعات وغيرها من معاهد التعليم ، وإذا حدث أن شخصا أسود دخل أحد هذه المعاهد ، فإن البيض يغلظون له المعاملة ، ويسيئون إليه في كل مناسبة، وكلما رأوه قالوا له : اغرب عنا أيها الأسود .

والبيض يضطهدون السود في الأمن العام ، فالأسود لا يطمئن على حياته وسلامته ، لأنهم يعتدون عليه في الطرقات بشتى ألوان الاعتداء ، يركلونه بالأقدام، أو يطعنونه بالمدى والخناجر. والبيض لا يعطون السود حق التساوي في القانون ، فقد حكموا على أسود سرق دولارين بالإعدام ، ولما ضج العالم

بسبب هذا الحكم القاسي خففوه إلى الحكم بالأشغال الشاقة ، مع أن الذي يسرق من البيض يعاقبونه بالغرامة أو الحبس الخفيف ... والبيض يحرمون السودَ من دخول الكنائس التي يتردد عليها البيض ، كأن للبيض ربّاً ، وللسود ربا آخر .

ولقد سكنت عائلة سوداء اللون في قرية يسكنها البيض فما كان من هؤلاء البيض إلا أن أحرقوا مسكن هذه الأسرة ، لأنهم لا يريدون أن يعيش بجوارهم شخص أسود .

ويحدث هذا ممن ؟ إنه يحدث من الذين يزعمون أنهم أهل الحضارة والثقافة والمدنية ، وأنهم يعيشون في القرن العشرين : عصر التقدم والرقي والنور .

* * *

والعجيب أن التفرقة العنصرية واللونية تمثل وقاحة الاعتداء وشناعة التطاول ، ففي أفريقيا نجد أن الرجل الأبيض طارىء ودخيل على الرجل الأسود صاحب القارة ، ومع ذلك يتوقح الرجل الأبيض ، ولا يكتفي بالتطفل والتدخل والاحتلال والامتصاص ، بل يذيق الرجلَ الأسود وبالَ أمره ، ويذله ويهينه ، ويسخره لرغباته وأهوائه ، وينشر في أرضه تجارة الرقيق ، ثم يحرم صاحب الأرض من حقوقه الطبيعية .

وفي أمريكا يأتي الرجل الأبيض طارئا عليها دخيلا فيها ، ولا يكتفي بهذا التطفل ، بل يعامل الملونين من أهل أمريكا الأصليين وأصحابها الشرعيين معاملةَ السيد للعبيد ، ويحرمهم ما يجب أن يتمتعوا به من حقوق .

وفي أوروبا نجد الرجل الأبيض يستقدم إلى بلاده فريقا من الملونين ، يسخرهم في خدمته ، ومع ذلك يسيء معاملتهم ، ويقسو عليهم .

هذه هي المحنة كما تدور قصتها الآن ، فما كلمة الإسلام فيها ؟ إن كلمة الإسلام هنا واضحة وضوح الشمس ، جلية جلاء النهار . إن الإسلام لا يقر أية تفرقة كانت بين الناس بسبب الأجناس أو الألوان أو العناصر أو الأنساب ، وكل تمييز يأتي من هذا الطريق لا يقيم الإسلام له وزنا ، ولا

يعطيه اعتبارا . فالناس في نظر الإسلام من أصل واحد ، وكلهم مدعوون إلى اتباع طريق واحد هو طريق الله ، ولا فضل لأحد على أحد بلون أو عنصر ، بل الفضل للعمل الصالح .

يقرر الإسلام وحدة الأصل حيث يقول القرآن : « يا أَيُّها النّاسُ اتّقُوا رَبّكُمُ الذي خلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ ، وَخلَقَ مِنْها زَوْجَها وَبَثَّ مِنْهُما رِجَالاً كَثِيراً وَنِساءً » . ويقرر الإسلام عمومَ الرسالة النبوية لجميع الناس ، فهم فيها سواء ، فيقول القرآن مخاطبا الرسول : « وَمَا أَرسَلْنَاكَ إلاّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ » . ويقول : « قُلْ يَا أَيُّها النّاسُ إني رَسُولُ اللهِ إليكم جَمِيعاً » . ويبين الإسلام أن العمل وحده هو المقياس للأفراد والجماعات ، فيقول الله تعالى : « وَأَنْ لَيْسَ للإنْسَانِ إلاّ ما سَعَى ، وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يرى » .

كما يذكر الإسلام في وضوح أن التفاضل بين الناس إنما يكون بالتقوى والاستقامة ، فيقول القرآن : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ويقول الحديث : « الناس سواسية لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى » .

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « الناس رجلان : بَرٌّ تقي كريم على الله ، وفاجر شقي هيِّن على الله ، الناس كلهم بنو آدم ، وخلق الله آدم من تراب » . ونرى النبي في حجة الوداع يخطب الناس فيقول : « ألا إن ربكم واحد لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا أسود على أحمر ، ولا أحمر على أسود ، إلا بالتقوى ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، ألاَ هل بلّغت ؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال : فليبلغ الشاهد الغائب » .

* * *

ولقد بعث عمرو بن العاص لمفاوضة المقوقس حين فتح مصر وفداً من الجيش الإسلامي برياسة عبادة بن الصامت ، وكان أسود اللون ، وهو الصحابي الذي شهد المشاهد كلها ، وكان النبي يستعمله على الصدقات ، وهو

أحد خمسة جمعوا القرآن في عصر النبوة ، والذي ولاه عمر الفاروق تعليم أهل حمص ، وكان أول من تولى قضاء فلسطين ، وهو أحد الذين بايعوا النبي على أن لا تأخذهم في الحق لومة لائم .

وذهب الوفد ولاقى المقوقسَ ، وتقدم عبادة ليتكلم ، فقال المقوقس : نَحُّوا عني هذا الأسودَ ، وقدِّموا غيره ليكلمني . فأجابوا : إن هذا أفضلنا رأيا وعلما ، وهو سيدنا وخيرنا والمقدم علينا ، وإنما نرجع جميعا إلى رأيه وقوله . فقال لهم المقوقس : وكيف رضيتم أن يكون هذا الأسود أفضلَكم وإنما ينبغي أن يكون دونكم .

فقالوا : كلا ، إنه وإن كان أسود كما ترى ، فإنه من أفضلنا موضعا ، وأفضلنا سابقة ورأيا وعلما ، وليس يُنكر السواد فينا . فأذعن المقوقس وتفاوض مع عبادة .

ولقد تغاضب أبو ذر الغفاري مع بلال الحبشي ، فقال أبو ذر لبلال : يا ابن السوداء . وبلغ الخبرُ النبي فغضب غضبا شديداً وقال لأبي ذر : « طَفَّ الصاع (أي طفح الكيل) أعيرته بأمه ، إنك امرؤ فيك جاهلية، ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل الا بالتقوى والعمل الصالح » . فندم أبو ذر وتألم ، وتاب واستغفر ، وطلب من بلال أن يطأ بنعله على وجهه .

وهذا عطاء بن أبي رباح . كان سيد التابعين علما وعملا ، وفقيهَ مكة والحرم ، وخليفة ابن عباس في الفتوى ، وكان يقال عنه لاهل مكة : كيف كان عطاء بن أبي رباح فيكم ؟ فيجيبون : كان مثل العافية التي لا يُعرف فضلها إلا حين تُفقد . وكان ولاة الأمور يقولون في موسم الحج : لا يفتي الناسَ إلا عطاء بن أبي رباح .

وعطاء هذا كان أسود ، أعور ، أفطس ، مفلفل الشعر ، وكانت أمه أَمَةً سوداء تُسمَّى « بركة » .

• • •

هذه هي كلمة الإسلام في التفرقة بين الناس بسبب الألوان أو الأجناس ، وهي كلمة تدل على عظمة الإسلام ، وجلال تاريخ المسلمين ، وفيها عظة وبلاغ لقوم يعقلون .

إن الواجب على ولاة الأمور المسلمين في شتى بقاع الأرض أن ينتهزوا فرصة هذه الأحداث الدامية التي تقع بين البيض والسود ، فيبشروا بمبادىء الإسلام الرفيعة التي تدعو إلى العدالة والأخوة والمساواة بين الناس .

إنها فرصة موائمة لنعلن عن سماحة الإسلام العالمية ، ولنبشر بهدي الإسلام الكريم بين المضطهدين للسود ، وبين السود أنفسهم ، وبين المنتسبين إلى الإسلام .

نبشر به بين البيض الذين يضطهدون السود أنفسهم لنريهم مبلغَ كذبهم وخداعهم للناس ، حين يتشدقون بألفاظ الحريـة ، والإخاء ، وحقوق الإنسان ، والدفاع عن الإنسانية ، والعدالة البشرية . ونبشر به بين السود المعذبين في الأرض لنريهم مبلغ ما في الإسلام من سماحة ومؤاخاة وعدالة ، فيجذبهم ذلك إلى رحاب الإسلام وصراطه المستقيم . ونبشر به بين المنتسبين إلى الإسلام ، فهناك كثير يعدون من أبناء الإسلام ، ومع ذلك يجهلون الكثير من مبادئه وتعاليمه : « صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عابِدُونَ » .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

بين العقل والعلم

السؤال : **هل العقل أفضل أو العلم ؟ وما معناهما ؟**

الجواب :

أستحسن أولا ألا يشغل الإنسان نفسه كثيرا بمثل هذه المقارنات التي لا تثمر كبير فائدة ولا جليل ثمرة ، لأن كلاً من العقل والعلم له مكانته العظيمة

وفائدته الجليلة ، ونحن مطالبون بأن نكون عقلاء ، وأن نكون علماء ، ولو قيل لعاقل أو عالم : أيهما تفضل أو تختار : العقل أم العلم ؟ لأجاب في عزم وتصميم : إني لا أترك واحداً منهما ، لأنهما لازمان لي متلازمان أيضا ، وأنا أصر على أن أكون من أهل العقل وأهل العلم معا . ولا يمكن لإنسان أن يستوعب العلم من غير عقل .

* * *

وبعد هذا نستعرض معنى العقل ومعنى العلم ، فقد قيل إن العقل غريزة يمكن بها إدراك العلوم ، فهو كالنور يقذف في القلب ، فيدرك الإنسان به الأشياء ، ولقد ذكر الإمام الجرجاني في كتابه « التعريفات » أن العقل نور في القلب يعرف الحق والباطل ، أو هو ما يعقل به الإنسان حقائقَ الأشياء ، ومحله الرأس أو القلب ، وهو يدرك الأشياء الغائبة أو المعنوية بالوسائط ، ويدرك الأشياء المحسوسةَ بالمشاهدة .

كما عرَّف الجرجاني العلم بأنه صفة راسخة يدرك بها الإنسان الكليات والجزئيات ، وقيل إن العلم هو وصول النفس إلى معاني الأشياء .

ومن هذا يبدو أن العقل والعلم يتقاربان ، بل يكادان يلتقيان ، ولكن الأقرب إلى القبول هو أن العقل قوة في الإنسان يدرك بها العلم . فيكون العقل وسيلة ، والعلم غاية يصل إليها الإنسان ، ثم يعمل بمقتضاها ، ولذلك يقول الإمام أبو حامد الغزالي في كتابه « إحياء علوم الدين » هذه العبارة : « وليس يخفى أن العلوم الدينية ، وهي طريق الآخرة ، إنما تدرك بكمال العقل وصفاء الذكاء ، والعقل أشرف صفات الإنسان ، إذ به تقبل أمانة الله (يعني الدين) ، وبه يتوصل إلى جوار الله سبحانه ، وأما عموم النفع فلا يستراب فيه ، فإن نفعه وثمرته سعادة الآخرة » .

ويقول أيضا بعد ذلك : « ظهر شرف العلم من قِبَلِ العقل (أي من جهته وطريقه) ، والعقل منبع العلم ومطلعه وأساسه ، والعلم يجري منه مجرى الثمرة من الشجرة ، والنور من الشمس ، والرؤية من العين ، فكيف لا يشرف ما هو وسيلة السعادة في الدنيا والآخرة » .

ويقول الإمام ابن الجوزي في كتابه « صيد الخاطر » هذه العبارة : « لا خصيصة (أي لا فضيلة) أشرف من العلم ، وبزيادته صار آدم مسجوداً له ، وبنقصانه صارت الملائكة ساجدةً ، فأقرب الخَلْق من الله العلماء ، وليس العلم بمجرد صورته هو النافع ، بل معناه ، وإنما ينال معناه مَنْ تعلمه للعمل به ، فكلما دلّه على فضل اجتهد في نيله ، وكلما نهاه عن نقص بالغ في تجنبه » .

ويقول أيضا في موضع آخر من هذا الكتاب : « مدار الأمر كله على العقل ، فإنه إذا تم العقل لم يعمل صاحبُه إلا على أقوى دليل ، وثمرة العقل فهم الخطاب ، وتلمح المقصود من الأمر ، ومن فهم المقصود ، وعمل على الدليل ، كان كالباني على أساس وثيق » .

والخلاصة أن العقل عظيم الشأن ، وأن العلم عظيم الشأن كذلك ، وأن العقل مفتاح العلم ، وأن العلم ثمرة العقل ، ولا يمكن الاستغناء عن واحد منها ، ولذلك لا يحسن التفضيل بينهما .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

ممن تكون النصيحة

السؤال : **كنا في مجلس ، وجرى نقاش حول الذين ينصحون الناس ، وقال بعض الجالسين: إنه لايجوز بحال من الأحوال أن ينصح الإنسان غيرَه بشيء ما لم يكن هو متمسكا به ، فما رأيكم في هذا ؟**

الجواب :

لا شك أن القدوة الصالحة تؤثر أكثر من الكلام العاري عن التطبيق والعمل، والله تبارك وتعالى يهدد الذين يقولون كلاما ، ولا يعملون بمقتضاه ، ففي القرآن الكريم : « يا أيُّها الذينَ آمنوا لِمَ تقولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ ؟ كَبُرَ مَقْتَاً عِنْدَ اللهِ أنْ تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ » . والشاعر العربي

يعرض بالرجل الذي ينصح ولا يعمل بنصيحته ، فيقول :

يا أيها الرجل المعلم غيره ... هلاّ لنفسك كان ذا التعليمُ ؟
تصف الدواء لذي السقام ،وذي الضنى ... كيما يصح به وأنت سقيم
ونراك تُصلح بالرشاد عقولَنا ... أبدا ، وأنت من الرشاد عديم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيِّها ... فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
لا تنه عن خُلُق وتأتي مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم

ولكن : هل معنى هذا أن يمتنع الناصحُ ما دام غيرَ مطبِّق لما ينصح به ؟ الجواب : لا ، فهناك حالات يكون الإنسان فيها غير قادر على العمل ، ولكنه يجيد النصحَ والإرشاد ، فيجب عليه ألا يترك هذا القليلَ الباقي عنده ، ما دام قد عجز عن العمل .

ويجب على السامع أن يأخذ بالنصيحة ما دام قد استبان صوابها ، دون أن يعلّق ذلك على تنفيذ الناصح لها أولا ، وإلا تعطلت جهاتٌ كثيرة من الخير ، بسبب تعلل الناس بأن الموجهين أو الناصحين لا يعملون بما ينصحون به ، وهذا هو خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز يقول لأحد ولاته في نصيحة له : « فإني أعظك بهذا ، وإني لكثير الإسراف على نفسي ، غير مُحكِم لكثير من أمري ، ولو أن المرء لا يعظ أخاه حتى يُحكم نفسه ، ويعمل في الذي خُلق له من عبادة ربه عز وجل ، لتواكَلَ الناسُ الخيرَ ، وإذن لرُفع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإذن لاستُحِلّتْ المحارم ، وقَلَّ الواعظون والساعون لله عز وجل بالنصيحة في الأرض » .

وكان معاوية يقول للناس : « أيها الناس ، لا يمنعنكم سوء ما تعملون لنا ، أن تعملوا بأحسن ما تسمعون منا » . والشاعر يصوّر هذا المعنى أيضا ، فيقول :

اعمل بقولي وإن قصرتُ في عملي ... ينفعك قولي،ولا يضرُرك تقصيرى

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

نقش صور الأحياء على الثياب

السؤال : **هناك مصانع للملابس ترسم فوق الثياب التي تصنعها صوراً لطيور أو حيوانات أو أناس ، وهناك من يقول بتحريم ذلك تحريما باتا قاطعا ، فما رأي الدين الإسلامي في ذلك ؟**

الجواب :

من المسلّم به أن الخالق المبدع هو الله جل جلاله ، فهو بديع السموات والأرض ، وهو خالق كل شيء ، وهو بارىء كلّ نسمة ، ولا يستطيع غيره أن يخلق شيئا أو يوجده ، والقرآن الكريم يقول : « يا أَيُّها النّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فاستَمِعُوا لَهُ ، إنَّ الّذِينَ تدعونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذباباً وَلَو اجتَمَعُوا لَهُ ، وَإنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبابُ شَيْئاً لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ، ضَعُفَ الطّالِبُ وَالمَطْلُوبُ ، مَا قَدَرُوا اللهَ حَقّ قَدْرِهِ ، إنَّ اللهَ لقَوِيٌّ عَزِيزٌ » .

ولكننا نجد في الأحاديث النبوية والكتب الدينية نصوصا كثيرة تحرم صنع الصور المجسمة واتخاذها ، والسبب في ذلك هو القضاء على الشرك والوثنية التي كانت موجودة هنا وهناك ، فقد اتخذ الجهلة تماثيلَ لرجالٍ صالحين وعبدوها قائلين : « ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى » .

وقد اختلف العلماء قديما وحديثا في أمر التصوير من الناحية الدينية ، وهم يكادون يُجمعون على حرمة التماثيل ، ولكنهم استثنوا لُعبَ الأطفال ، كالعرائس وتماثيل الحلوى وما أشبهها كما استثنوا تجسيم ما ليس له روح كالنبات والجماد ، واستثنوا أيضا الصور الرقمية ، وهي التي لا ظل لها ، لما جاء في الحديث : « إلاّ رقماً في ثوب » .

والصور الرقمية في الثياب ونحوها لم تكن يوما من الأيام من معبودات الناس ، فلا خشية أن تكون مَدْرجةً إلى تعظيمها وتوقيرها ، ولذلك لا نرى بأسا في صنع الصور المسؤول عنها ، ما دامت لا تسبب ضرراً ولا فتنة ،

وهناك من يقول إن الناس قد بعدوا بُعْداً واسعا عن الوثنية وعبادة الأصنام ، فلا خوف هناك ولا خشية إذا ما اتخذوا هذه الصور ، أو صنعوا تلك المجسمات التي لا تكون في موضع التعظيم أو الإجلال ، حتى لا يكون تعظيمها مفتاحاً للعودة إلى عبادتها [1] .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

إنشاء الأزهر الشريف

السؤال : أريد أن أعرف كيف أنشيء الأزهر ومن أنشأه ؟ وما مهمته الأساسية ؟ وماذا يراد من تطويره ؟ وما دوره القومي والإسلامي ؟

الجواب :

لما فتح الفاطميون مصر في وسط القرن الرابع الهجري ، واتخذوا القاهرة عاصمة لهم ، بدأ جوهر الصقلي ، وهو قائد جيش المعز لدين الله الفاطمي في بناء الجامع الأزهر الشريف ، وكان البدء في بنائه يوم السبت ٦ جمادى الأولى سنة ٣٥٩ هـ. وظل البناء نحو سنة ونصف سنة ، وتم تشييد الأزهر في ٧ رمضان سنة ٣٦١هـ.

وكان الغرض الأول من إنشاء الجامع الأزهر الشريف أن يكون مظهرا دينيا للفاطميين ، وأن يكون مقرا لنشر الدعوة الشيعية ، فبدأوا فيه بدراسة الفقه الفاطمي على مذهب الشيعة . وظل الشأن كذلك خلال حكم الفاطميين لمصر . ويحسن أن نتذكر هنا أن هذا المذهب الشيعي كان يحكم به في دور الحكم إلى أن انقرضت الدولة الفاطمية ، وبعد ذلك تحول الأزهر إلى جامعة إسلامية عربية عامة .

والسبب في تحول الأزهر من مدرسة شيعية إلى جامعة إسلامية وعربية ،

---

(١) انظر أيضا المجلد الأول من كتابي هذا : « يسألونك في الدين والحياة » صفحة ٦٢٠ .

هو أنه لما انتهى حكم الفاطميين ، وانتقلت مصر إلى حكم الأيوبيين سنة ٥٦٧ هـ ، وتمكن من قيادتها وحكمها البطل الكبير صلاح الدين الأيوبي ، ردَّ على مصر كرامتها وعزتها ، وأحلها مكانتها اللائقة بها ، وهي أن تكون مصدرَ إشعاع وتوجيه لبلاد العروبة والإسلام ، ولم تقتصر دراسةُ الفقه في الأزهر على المذهب الشيعي ، بل انتقل الأمر إلى دراسة المذاهب الفقهية الأربعة المشهورة عند المسلمين . وكان علماء الأزهر الشريف في ذلك الوقت يتخرجون فيه إلى المدارس التي كانت في الدولة ، ليدرِّسوا علومَ الدين وعلوم اللغة معا .

ثم جاء الظاهر بيبرس البندقداري سنة ٦٥٨ هـ ، فجدد شبابَ الأزهر ، وبعث فيه القوةَ والحيوية والازدهار ، ولما ضاعت الخلافة من بغداد ، وأبعدت بغداد عن مكانتها التي كانت لها ، بعد سقوطها وإتلاف الكتب والذخائر العلمية فيها ، تسلمت القاهرة ــ بلد الأزهر ــ لواءَ الزعامة الدينية والعلمية في مجال التدريس والتوجيه ، وأصبحت مصر المثابةَ التي يتجه إليها العلماء والطلاب من شتى أقطار الأرض ، لينهلوا من منابع العلوم الدينية واللغوية في الأزهر الشريف .

ولا توجد في الدنيا جامعة يرحل إليها الناس من شتى أقطـار الأرض بالصورة التي نجدها في الأزهر ، والتي استمرت طوال تاريخه الجليل الذي يزيد على ألف عام . ففي خلال هذه القرون رأينا العرب والمسلمين يتخذون من الأزهر جامعة ، يرحلون إليها متفقهين في الشريعة والعقيدة ، لينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم ، وإذا كانوا يرحلون إلى الكعبة في مكة حاجِّين متعبدين ، فإنهم يرحلون إلى الأزهر يستمدون منه العلم والدين .

* * *

ومهمة الأزهر الأساسية هي دراسة العلوم الإسلامية والعلوم العربية ، وتخريج الدعاة الهداة الذين يعملون في الميادين الإسلامية والعربية ، ولا شك أن هناك فترات مرت على الأزهر كان فيها مقطوع الصلة بالحياة الاجتماعية .

لأسباب كثيرة لا نستطيع التعرض لتفصيلها الآن ، ولقد بذل المصلحون محاولات متعددة لوصل التعليم الأزهري بالحياة المدنية والاجتماعية ، فدخلت في الأزهر علوم كثيرة من العلوم التي نسميها « العلوم الحديثة » ، كالحساب والهندسة والرسم واللغات وعلوم الاجتماع والطبيعة والكيمياء .

وحينما رأت الدولة أخيرا أن تنشىء في الأزهر كليات حديثة كالمعاملات والطب والهندسة كان هذا الموضوع مثار نقاش طويل ، ومهما يكن الرأي أو الاختلاف في وجهات النظر حول هذا الموضوع ، فنحن من غير شك متفقون على أن الطالب الأزهري يجب أن يكون موصولَ الأسباب بالحياة ، وثيق الصلة بمجتمعه الذي يعيش فيه ، وهذا لا يتيسر له إلا إذا أخذ حظاً من الثقافة العامة والعلوم الحديثة .

والمهم في نظرنا هو أن يظل الأزهر حافظاً لطابعه التاريخي الجليل ، وهو أن يكون حصنا للعلوم الدينية والعربية ، وأرجو ألا ينسى المسؤولون أعطاء هذه الناحية كلَّ ما تستحق من عناية واهتمام .

وأعتقد أن للأزهر دورا كبيراً في التوجيه القومي ، والمشاركة في حركات النضال من أجل الشعور العربي والإسلامي ، لأنني أومن بأن رجل العقيدة والإيمان له تأثير كبير في الجماهير ، وكلمته مسموعة بينهم ، بحكم ما لدى الأمة من اعتزاز بعقيدتها وإيمانها ، و« شوقي » يقول للازهريين :

هزوا القُرى من كهفها لرقيمها   أنتم لعمر الله أعصاب القُرى

والأزهر يجب عليه أن يعمل من أجل الإسلام والعروبة معا ، وأنا أؤمن بأن العروبة وعاء الإسلام ، وأن الإسلام روح العروبة ، وأنه إذا عزَّ العرب عزَّ الاسلام ، وإذا انتصر العرب انتصر المسلمون ، والرسول يقول : « إذا ذلَّ العرب ذلَّ الإسلام » .

ولذلك يجب على الأزهري أن يسهم بنصيب في التوجيه القومي ، وأن يشارك في حفز الهمم والعزائم إلى ما فيه عزة العرب وعزة المسلمين ، متذكرا

أن حب الوطن من الايمان وأن الوحدة العربية الصادقة هي القاعدة الحصينة التي يمكن لملايين المسلمين أن يجدوا فيها ما يثبت دعائم الحرية والعزة والكرامة في العالمين العربي والإسلامي .

والله تبارك وتعالى أعلم .

• • •

الإسلام في غانا

السؤال : أريد أن أعرف شيئا موجزاً عن الإسلام في « غانا » ؟ وعن حالتها الحاضرة فإن معلوماتي عن هذا البلد ضئيلة .

الجواب :

« غانا » دولة افريقية تحررت حديثاً بعد طول عهد الاحتلال الأوروبي فيها ، وقد انتزعت وثيقة الاستقلال يوم ٦ مارس سنة ١٩٥٧ ، وهي التي كانت تعرف إلى عهد قريب باسم « ساحل الذهب » . وهي تقع في وسط أفريقيا من جهة شاطئها الغربي ، عند انحنائة عنقود العنب الذي يمثل قارة أفريقيا على الخريطة .

وأفريقية هي القارة العذراء التي ظلت قروناً طويلة بسلائقها الموروثة وخصالها المأثورة ، وإذا كان الإسلام قد انبعث من آسيا حيث أول بيت وضع للناس في مكة ، فإن أفريقيا كانت القارة السبّاقة إلى الاستجابة لهتاف الإسلام ، ولذلك عرف المسلمون « غانا » منذ القرن الأول الهجري ، عقب فتحهم شمال أفريقيا باسم الله واسم دينه ، فقد وفدت طوائف من الفاتحين المسلمين ومن الأفريقيين الذين دخلوا الإسلام . انساح هؤلاء في جوف القارة العذراء ، ووصلوا غانا وعرّفوا أهلها بالاسلام ، ومنذ القرن التاسع الميلادي والمسلمون والعرب لهم كيانهم وشخصيتهم في « غانا » ، ولم يعرف الأوروبيون غانا إلا في القرن الخامس عشر الميلادي .

ولكن شتان بين معرفة ومعرفة ، وبين صلة وصلة ، وبين دخول ودخول.

لقد دخل المسلمون «غانا» حاملين معهم إلى أبنائها هدى الإسلام ونور القرآن وضوء السماء ودين الله الذي يقول فيه التنزيل المجيد: «قَدْ جَاءَكُم مِنَ اللهِ نُورٌ وكتابٌ مُبِينٌ، يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إلى النورِ بإذْنِهِ، وَيَهْدِيهِمْ إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ».

فلم يدخل المسلمون غانا للسلب أو للنهب، ولا للسيطرة أو الاعتداء أو امتصاص الدماء أو استغلال الأبرياء، بينما دخل الاحتلال الأوروبي غانا وغيرها من المستعمرات، ليتخذ منها بقرة حلوباً تدر الخير عليه وتبقى البقرة بعد ذلك جائعة هزيلة، وليذيق أهلها الخسفَ والذل والهوان. وهذا هو الفرق بين دخول المسلمين غانا ودخول الأوروبيين فيها.

وغانا فيها من السكان قرابة خمسة ملايين من الأنفس، منهم نحو مليون من المسلمين، فتكون نسبة المسلمين إلى السكان عامة هي نسبة ٢٠ بالمئة، ولكن أصحاب الأغراض السيئة من الكاتبين والمؤرخين يذكرون أن نسبة المسلمين هناك هي ٤ بالمئة.

والعقيدة الدينية في غانا مقسمة إلى ثلاثة أقسام، فهناك المسيحية التي يدين بها كثير من السكان، وهناك الإسلام الذي يدين به نحو خمس السكان، وهناك عبادة الطبيعة التي يقوم بها عدد قليل من السكان.

ومن الواضح أن المسلمين في غانا يحتاجون إلى من يفقههم في دينهم ويثقفهم ثقافة إسلامية.

والله تبارك وتعالى أعلم.

* * *

التوقيعات

السؤال: ما هي التوقيعات؟ وهل يمكن أن تذكر لنا أمثلة منها؟

الجواب :

التوقيعات هي الكلمات الوجيزة البليغة التي يضعها الخليفة أو الوالي ، فوق الشكوى أو الطلب المقدم إليه من مظلوم أو مستنصر أو محتاج أو مستأذن أو غير ذلك ؛ وكان أصحاب هذه التوقيعات يحاولون في أغلب الأحيان أن يُظهروا براعتَهم وروعتهم في صياغة هذه التوقيعات ، حتى تكون أدلَّ على المراد ، وأوفى بالغرض ، وكثيرا ما كانت تحمل طابعَ التحذير الواضح والإنذار الصريح ، ويراد بذلك أن تؤثر تأثيرَها المطلوبَ في نفوس الموجهة إليهم .

ولقد احتلت التوقيعات في تاريخ الأدب العربي مكاناً ملحوظاً ، وكثير من الناس كانوا ولا يزالون في بعض الأحيان يتشبهون بأصحاب التوقيعات ، فيأخذون عنهم توقيعاتهم ، أو يقلدونهم فيها ، وهذه التوقيعات المأثورة تجدها مبثوثة في كتب الأدب والتاريخ من أمثال « العقد الفريد » و« زهر الآداب » وغيرهما ، ولو أن متفرغاً وجّه همته إلى جمع هذه التوقيعات ودراستها ، واستنباط قواعدَ ودلالات لها لتكون من مجهوده عملٌ أدبي جليل ؛ يسد فراغاً كبيرا في المكتبة العربية .

* * *

وهذه طائفة من التو قيعات اخترناها من خلال العصور المتتابعة ، لتكون نموذجا على الباقي :

وقّع الخليفة العادل عمر بن الخطاب في كتاب لعمرو بن العاص فقال له : « كن لرعيتك كما تحب أن يكون لك أميرك » .

وتقدم رجل الى عثمان بن عفان بشكاة يذكر فيها حاجتَه إلى المعاونة ، فوقع عليها عثمان بقوله : « قد أمرنا لك بما يُقيمك ، وليس في مال الله فضل للمسرف » . ووقع علي بن أبي طالب في كتاب جاءه من سلمان الفارسي يسأله فيه : كيف يحاسب الناس يوم القيامة ؟ فقال : « يحاسبهم كما يرزقهم » وكتب ربيعة بن عسل اليربوعي إلى معاوية ، يرجوه أن يعينه في بناء داره في

البصرة باثني عشر ألف جذع ، فوقع له معاوية : « أَدَارُكَ في البصرة ، أم البصرة في دارك » ؟ وكتب الحجاج إلى الوليد بن عبد الملك ينكر عليه إسرافَه فوقّع الوليد له : « لأجمعن المال جمعَ مَنْ يعيش أبدا ، ولأفرقنه تفريقَ من يموت غداً » . وأرسل قتيبة بن مسلم إلى سليمان بن عبد الملك يهدده بالخلع ، فوقع سليمان :

« زعم الفرزدق أن سيقتل مِرْبعـاً   أبشرْ بطول سلامةٍ يا مربعُ »

وكتب أحدُ عمال عمر بن عبد العزيز إليه يستأذنه في ترميم مدينته ، فكتب عمر : « ابْنِـها بالعدل ، ونقٍّ طرقها من الظلم » . وتظلّم رجل إلى هشام ابن عبد الملك فكتب له : « أتاك الغوثُ إن كنتَ صادقا ، وحلَّ بك النكالُ إن كنتَ كاذبا ، فتقدمْ أو تأخر » . وكتب إليه والي « المدينة » يشكو له أبناء الأنصار ، فوقع له : « احفظ فيهم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، وهَبْهم له » .

وكتب إلى السفاح جماعةٌ من أهل الأنبار ، يذكرون أن منازلهم أُخذت منهم ، وأُدخلت في البناء الذي أمر به ، ولم يأخذوا أثمانَها ، فأمر بدفع الأثمان إليهم ، ووقّع : « هذا بناءٌ أسس على غير تقوى » . وكتب والي مصر إلى أبي جعفر المنصور يذكر له نقصانَ النيل ، فوقّع له : « طهِّرْ عسكرَك من الفساد ، يعطِكَ النيلُ القياد » .

* * *

وكتب ملك الروم إلى هارون الرشيد يقول له : إني متوجه بكل صليب في مملكتي ، وكُلٍّ بطل في جُندي » ، فكتب هارون فقال : « وسيعلم الكفار لمن عُقْبى الدار » . ووقع ابن هشام إلى المأمون شكوى يتظلم فيها ، فكتب عليها المأمون : « من علامة الشريف أن يظلم مَنْ فوقه ، ويَظْلمه مَن دونه ، فأيُّ الرجلين أنت » .

وشكا رجل إلى زياد عقوقَ ابنه فوقّع له : « ربما كان عقوق الولد من سوء تأديب الوالد » . وكتب قتيبة بن مسلم إلى الحجاج بن يوسف يشكو

كثرةَ الجراد ، وذهابَ الغلال ، وما حلَّ بالناس من قحط ، فكتب له الحجاج : « إذا أزف خراجُك فانظر لرعيتك في مصالحها ، فبيتُ المال أشد اطلاعا لذلك من الأرملة واليتيم وذي العَيْلة » . واشتكى فريق من الناس إلى أبي مسلم الخراساني من أحد الولاة ، فكتب إليه : « قد كثر شاكُوك ، وقلَّ شاكروك ، فإما عدلتَ ، وإما اعتدلت » .

وكتب رجل إلى جعفر بن يحيى يطلب عطاءً فأعطاه ، وكرر ذلك فوقع له جعفر : « دع الضرعَ يَدِرُّ لغيرك كما درَّ لك » .

وأرسل شاعر إلى الحسن بن سهل ذي الرياستين هذه الأبيات :

رأيتُ في النوم أني راكبٌ فرساً ولي وَصِيفٌ وفي كفِّي دنانيرُ

فقال قوم لهم فَهْم ومعرفة : رأيتَ خيراً ، وللأحلام تعبير

رؤياك فسِّرْ غدا عند الأمير تجد في الحكم درا وفي النوم التباشير

فوقع الحسن في أسفل الأبيات : « أضغاث أحلامٍ ، وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين » . ثم تلطف فأعطاه ما التمسه .

وكتب أبو جعفر المنصور إلى أبي عثمان عمرو بن عبيد يقول له : « أعنِّي بأصحابك ، فإنهم أهل العدل ، وأصحاب الصدق ، والمؤثرون له » فوقع عمرو يقول : « ارفع عَلَمَ الحق يتبعك أهلُه » .

هذه طائفة من التوقيعات ، اخترناها من مختلف العصور ، وهي كما ترى تمتاز بالإيجاز والبلاغة ودقة التعبير ، ولعل فيها شفاء لحاجة السائل الكريم .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الفرج بعد الشدة

السؤال : **أريد أن أعرف شيئا عن كتاب سمعت عنه يسمّى « الفرج بعد الشدة » . وهل هو موجود ؟**

الجواب :

هناك أكثر من كتاب يسمى باسم « الفرج بعد الشدة » ، فأبو الحسن علي ابن محمد المدايني له كتاب صغير يسمى « الفرج بعد الشدة » ، وأبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا له كتاب اسمه « الفرج بعد الشدة » أيضا ، وذكر فيه جملةً أحاديث للنبي صلوات الله وسلامه عليه ، واخباراً عن الصحابة والتابعين ونُبذاً من الأشعار ؛ والقاضي أبو الحسين عمر بن القاضي أبي عمرو محمد بن يوسف القاضي ، له كتاب اسمه أيضا « الفرج بعد الشدة » جمع فيه أخباراً كثيرة .

وهناك كتاب رابع عنوانه أيضا « الفرج بعد الشدة » ومؤلفه هو : أبو علي الحسن بن أبي القاسم علي بن محمد بن أبي الفهم داود بن إبراهيم بن تميم التنوخي ، المولود بالبصرة ، سنة سبع وعشرين وثلاثمائة ، وكان من العلماء الحفاظ ، والشعراء المجيدين ، وتولى القضاء كما تولى أعمالا كثيرة في أماكن مختلفة ، ومن مؤلفاته كتاب « نشوان المحاضرة » وكتاب « المستجاد من فعلات الأجواد » . وتُوفي في بغداد سنة أربع وثمانين وثلاثمائة .

وكتابه « الفرج بعد الشدة » ، مطبوع عدة طبعات في جزأين تبلغ صفحاتهما نحو أربعمائة صفحة ، وقد قرأت الكتاب في طبعة مطبعة الهلال سنة ١٩٠٣م. وقد أشار التنوخي في كتابه إلى الكتب الأخرى المسماة باسم « الفرج بعد الشدة » وذكر أنه انتفع بها ، ونقل عنها ، وأن كتابه أوسع منها وأجمع ؛ والمطالعةُ في هذا الكتاب سلوى لمَنْ يتعرضون لشدائد الحياة ، لأن موضوعات الكتاب وقصصه المتوالية تعرض أمامه مواقفَ كثيرة لأناس جاءهم الفرج بعد الشدة والنكبة ، وقد ذكر فيه مؤلفه كثيراً من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأخبار والآثار والقصص .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

اللغة الفصحى

السؤال : **لعلك قرأت ما كتبه أحد الصحفيين اللامعين في إحدى الصحف اليومية المشهورة ، يتندر على أحد الأدباء ، لأنه يذكر في حديثه كلاما فصيحا وقد سخر منه لأنه قال لأحد الأطباء : « وفي غضون هذه المدة » . ولم يفهمها الطبيب ، وقال لطبيب آخر : « حينما أتثاءب أشعر » ولم يفهم الطبيب أيضا . وقد دعا الصحفيُّ ذلك الأديبَ إلى عدم التشدد في اللغة ، فما رأيكم ؟**

الجواب :

نعم قرأت ، وأسفت لما قرأت ... أسفتُ لأن هؤلاء المثقفين الذين يحملون شهادات الجامعة ، لم يعرفوا معنى جُمَل عربية غير عويصة ، والرجل المثقف ثقافة عربية متوسطة لا يصعب عليه أن يفهم معانيَ هذه الجُمَل .

والواقع المؤلم أن أنصار اللغة العربية الفصحى قد قلّوا ، وهناك مَنْ يدعو إلى العامية بشكل يثير الشكّ والريبة ، مع أن علماء القومية يقررون أن اللغة هي العامل الأول في تكوين عناصر القومية ، ولا يمكن للقومية العربية أن تعز وتعلو ، دون الاعتزاز باللغة العربية الفصحى ، لأنها لغة القرآن ، ولغة العرب ولغة الأدب ، ولغة هذا التراث العربي الضخم الذي نستمد منه الحوافز والدوافع التي تدفعنا إلى المجد .

والواقع المؤلم أيضا أن شبابنا المثقفين قد صاروا ضعافاً في اللغة العربية ، فلا يضبطون كتابتهم ولا خطابتَهم ولا مطالعتَهم ، ومن الواجب أن تتضاعف العناية باللغة العربية الفصحى في ساحة الدرس ، وفي ساحة الصحافة ، وفي ساحة الإذاعة .

وليس معنى هذا أن يتنطح المتحدث فيتكلم باللغة الفصحى مع مَنْ لا يفهمونها ، بل المقصود أن تعز لغة العرب ، لا أن تضيع بينهم بهذه الصورة المبكية ، وما عزَّ قوم دون إعزازهم للغتهم .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

من أمثلة العرب

السؤال : أريد أن أعرف أصلَ هذين المَثَلين : « عِلْمان خير من علم » . و« الغَمَرات ثم ينجلينا » وما معناهما ؟ وفيمَ يُضربان ؟

الجواب :

أما المثل الأول وهو « علمان خير من علم» فقد ذكر الميداني في «معجم الأمثال » أن أصله أن رجلا وابنه سَلَكا طريقا ، فقال الرجل: يا بُنَيَّ ، استبحثْ لنا عن الطريق ، فقال : إني عالم . فقال : يا بني ، عِلْمان خير من علم . ويضرب هذا المثل في مدح المشاورة والبحث ، فالولد هنا قد أخبر أباه بأنه يعرف طريقه ، ولكن الوالد أراد منه أن يتأكد ، حتى يكون على يقين من أمر الطريق ، ولا ضرر في هذا التأكد .

وأما المثل الثاني فقد ذكر أبو علي التنوخي في كتابه « الفرج بعد الشدة » أن الأغلب العجلي — وهو من شعراء العربية — قد قال : « الغمرات ثم ينجلينا ، ثم يذهبن فلا يجينا » . ويروى أن أسلافنا العرب كانوا إذا عرضت لهم شدة أو أصابهم بأس هتفوا في صدق وإيمان قائلين : « الغمرات ثم ينجلينا » أي تُقبل الشدائد والأزمات على الرجال ، فيعالجونها ، ويصبرون عليها ، حتى تزول وترحل ، ويبقى الرجال كما هم في صبرهم ويقينهم .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

لمن هذا البيت

السؤال : أريد أن أعرف الشاعرَ الذي قال هذا البيت :

إذا لم تكن حـافظا واعيـــا   فجمعُك للكُتْب لا ينفـع

وهل مع هذا البيت أبيات أخرى ؟

الجواب :

قائل هذا البيت هو محمد بن يسير الرياشي ، يقال إنه مولى لبني رياش الذين منهم العباس بن الفرج الرياشي الإخباري الأديب ، وكان شاعراً ظريفا من الشعراء المحدثين ، لم يفارق البصرة ، ولا وفد إلى خليفة طالباً العطاء ، ولا تجاوز بلادَه ، وقد تحدث الأصفهاني في كتاب « الأغاني » والجاحظ في « الحيوان » و« المحاسن » ، ومع البيت أبيات هي :

أمَا لو أعِي كلَّ ما أسمــع	وأحفظ من ذاك مــا أجمــعُ
ولم أستفد غيرَ ما قد جمعتُ	لقِيلَ : هو العالم المصقــع
ولكن نفسي إلى كـــل نوع	من العلــم تسمعــه تنــزِعُ
فلا أنا أحفظ مــا قد جمعتُ	ولا أنــا من جمعه أشبــــع
وأُحصر بالعِيِّ في مجلــسي	وعلميَ في الكتب مستودَع
فمن يك في علمه هكــذا	يكنْ دهرَه القهقرى يرجع
إذا لم تكن حافظاً واعيــا	فجمعُك للكتبْ لا ينفــع

وهذا تحريض من الشاعر على ألا يكتفي الإنسانُ بشراء الكتب ، بل الواجب عليه أن يعرف ما فيها .

* * *

متى يحسن اللّحْن

السؤال : كنا في مجلس فأخطأ بعضنا في عبارته ، فلامه آخر ، فأجابه المخطىء بقوله : « وخير الكلام ما كان لحنا » وادّعى أن هذا قول شاعر عربي قديم ، فما حقيقة لك ؟

الجواب :

يجب أولا أن نعرف معنى اللحن في كتب اللغة ، يقال لحن في كلامه ، إذا مال به عن الإعراب إلى الخطأ ، أو صرّفه عن موضوعه إلى الإلغاز ؛ ولحنتُ

له لحنا : قلت له ما يفهمه عني ويخفَى على غيره ، وألحنه القولَ أفهمه إياه ، فلحِنَه كسمعه ، أي فهمه وفطن لحجته وانتبه ؛ وعرفتُ ذلك في لحن كلامه ، أي في فحواه وفيما صرفه إليه من غير إفصاح ، ومنه قول القرآن : وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ في لَحْنِ القَوْلِ »أي فحواه ومعناه ورموزه ، ومنه قول الطرماح : « تُلاحِنُ أو ترنو لقول الملاحن » أي تكالم بما يخفى على الناس ؛ وفلان ألحنُ بحجته من صاحبه أي أقدر عليها منه ، ولَحّنَ في قراءته تلحينا طرّب فيها ، واللحن : الصوت من الأصوات المصوغة الموضوعة ، وجمعه ألحان .

وبعد هذا القول : إن اللحن قسمان ، خطأ في الكلام ، وهو معيب في الحديث المعتاد ، وحرام في النص الديني ؛ ورمز في الكلام وهو جائز عند وجود داعيه ، وقد يحسن في بعض المواطن ، روى الرواة أن النبي صلوات الله وسلامه عليه أرسل بعضَ صحابته ليكتشفوا خيانةَ بني قريظة ونقضها لعهد الرسول ، وقال لهم : « انطلقوا حتّى تنظروا أحق ما بلغنا من هؤلاء القوم أم لا ، فإن كان حقّاً فالحنوا لي لحنا أعرفه ، ولا تفتّوا في أعضاد الناس ، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس » .

فاللحْن « بسكون الحاء » هنا هو العدول بالكلام عن الوجه المعروف عند الناس إلى وجه لا يعرفه إلا صاحبه ومخاطبه ، كما أن اللحن الذي هو الخطأ عدولٌ عن الصواب المعروف ، ولهذا قال السيرافي النحوي : « ما عرفت حقيقةَ معنى النحو إلا من معنى اللحن الذي هو ضده ، فإن اللحن عدول عن طريق الصواب ، والنحو قصدٌ إلى الصواب » .

واللحَن « بفتح الحاء » قريب من هذا ، إلا أن اللاحن إذا لحن لتفهم عنه ففهمت عنه سُمّيَ ذلك الفهم لَحَناً « بفتح الحاء » . ثم يقال لكل من فهم قد لحِنَ « بكسر الحاء » ، وأصله من الفهم عن اللاحن ، والجملة المذكورة في السؤال منسوبة إلى مالك بن أسماء في قوله :

منطق صائبٌ ، وتلحن أحيـــــانا ، وخيرُ الكلام ما كان لحنا

قال الجاحظ في تفسير البيت : إن الشاعر أراد أن اللحن هو الخطأ قد يستملح ويستطاب من الجارية الحديثة السن ، وقد خطّأه بعضُهم في هذا ،

وذكر له أن امرأة الحجاج ، وهي هند بنت أسماء بن خارجة ، لحنت في حديثها مع زوجها يوما فأنكر عليها اللحن وعابها به ، فاحتجت بقول أخيها مالك بن أسماء : « وخير الكلام ما كان لحنا » فأجابها الحجاج : لم يُرِدْ أخوك هذا ، إنما أراد اللحن الذي هو التورية والإلغاز ، فسكتت . فلما سمع الجاحظ هذا قال : لو كان بلغني هذا قبل أن أؤلف كتاب « البيان والتبيين » ما قلت في ذلك ما قلت . فقيل له : أفلا تغيِّره ؟ فقال : وكيف وقد سارت به البغال الشُّهْب وأنجَدَ في البلاد وغار ؟

وأخيراً هذا أحد الزاهدين يقول : أعْرَبْنَا في كلامنا فما نلحن ، ولَحَنَّا في أعمالنا فما نُعْرِب :

لم نؤتَ من جهلٍ ، ولكننا نستّر وجهَ العلم بالجهل
نكرهُ أن نلحنَ في أقوالنا وما نبالي اللحنَ بالفعل

أما بعد ، فلعلك عرفت أن اللحن بمعنى الرمز في الكلام بينك وبين خاصتك مما لا يعاب إذا لم يسبب إساءةً لأحد ، وأن اللحن في الكلام عيبٌ يُذمٌّ به الرجل ، ولذلك قال عبد الملك بن مروان : « شيَّبَني ارتقاءُ المنابر وتوقعُ اللحن » . وأما اللحن في الأعمال فذلك عيب أفحش وأشد ، دونه كلٌّ لحن في حَديث أو كلام ، عصم الله من اللحن أقوالَنَا وأعمالنا ، إنه ولي الإنابة والتوفيق .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * * *

من نصائح العلماء

السؤال : مَنْ قائل هذا البيت ، وما مغزاه :

ولو أن أهلَ العلم صانوه صانهم ولو عظّموه في النفوس لعُظِّمَا

الجواب :

قائل هذا البيت هو القاضي الجليل ، والعالم النبيل ، والعامل المؤمن ، أبو

الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني ، المتوفّى سنة ست وستين وثلاثمائة للهجرة ، وُلد في مدينة جرجان ، وتلقّى العلم على الشيوخ في نيسابور ، وأكثرَ من الرحلة في طلب العلم ، فزار الشام والعراق وكان شافعيَّ المذهب ، معتزليَّ الرأي كصاحبه الصاحب بن عُباد الوزير الأديب الذي صاحبه الجرجاني فأقام معه ورحل معه ، وبرع الجرجاني في علوم وآداب كثيرة ، وتولى وظيفة القضاء ، وتنقل فيها حتى صار قاضيَ القضاة في « الري » .

وكان مُجيدا للشعر والنثر ، لا تكاد تفرق بين شعره ونثره ، فوق إمامته في الفقه ، وحجته في التاريخ ، وصدقه في اليقين ، وقَرْنه العلم بالعمل ، ومع ذلك كان يُكثر من شعر النسيب والغزل ، وكذلك أكثرَ من صوغ الحِكَم والأمثال.وقد كتب في التحليل الأدبي والنقد الشعري المستوفي لشروطه وأدواته ، وله في ذلك كتابه « الوساطة بين المتنبي وخصومه » وهو من أحسن كتب التحليل والنقد في تاريخ الأدب العربي ، وكذلك له كتاب في التاريخ ، اختصر به تاريخَ الطبري المبسوط .

والبيت المسؤول عنه هنا معناه : ان احترام العلم راجع إلى احترام العلماء له ، فلو أن العلماء حفظوا للعلم هيبتَه لحَفِظَ عليهم هيبتَهم ، ولو صانوا مكانته ورتبته لصان عليهم مكانتهم وحرمتهم . وهذا البيت من قصيدة جميلة نوردها فيما يلي [1] . قال :

يقولون لي فيك انقباض ، وإنما	رأوا رجلاً عن موقف الذل أحجما
أرى الناسَ من داناهُم هانَ عندهم	ومن أكرمته عزةُ النفس أكرما
ولم أقضِ حقَّ العلم إن كان كلما	بدا طمع صيّرتُه لي سُلّمـا
وما زلتُ منحازاً بِعِرْضِيَ جانباً	من الذل ، أعتد الصيانةَ مغنما
إذا قيل:هذا منهلٌ قلت:قد أرى	ولكن نفسَ الحر تحتمل الظّما
أنزّهها عن بعض ما لا يشينهـا	مخافةَ أقوال العدا : فيم أو لِمَا ؟

(١) انظر تفصيل الحديث عن الجرجاني وقصيدته وما يشبهها في كتابي « بطولات إسلامية وعربية » المجموعة الثانية ، صفحة ١٥ — ١٨ .

فأصبح عن عيب اللئيم مسلّمـا وقد رحتُ في نفس الكريم معظّما
وإني إذا ما فاتني الأمر لم أبِتْ أقلّب فكري إثرَه متندمـا
ولكنه إن جـاء عفواً قبلتُـه وإن مال لم أتبعه هَلاّ وليتما
وأقبض خَطْوِيْ عن حظوظٍ كثيرة إذا لم أنلها وافرَ العِرْضِ مُكْرَما
وأكرم نفسي أن أضاحك عابساً وأن أتلقى بالمديـح مُذَمّمـا
وكم طالبٍ رِقِّيْ بنُعماه لم يصـل إليه ، وإن كان الرئيسَ المعظما
وكم نعمة كانت على الحرِّ نقمةً وكم مغنم يعتده الحرُّ مَغْرَمـا
ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي لأخدم من لاقيتُ ، لكن لأُخْدَما
أأشقى به غَرْساً ، وأجنيه ذلةً إذن فاتِّباعُ الجهل قد كان أحزما
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ولو عظّموه في النفوس لعُظِّما
ولكن أهانوه فهان ، ودنّسـوا مُحيّاه بالأطماع ، حتى تجهمـا
وما كلُّ برقٍ لاحَ لي يستفزني ولا كلُّ من في الأرض أرضاه منعما
ولكن إذا ما اضطرني الضرُّ لم أبِتْ أقلّب فكري مُنْجِدا ثم متهما
إلى أن أرى ما لا أغصُّ بذكره إذا قلت قد أسدى إليَّ وأنعمـا

ألا ليت كلَّ عالم من العلماء يضع هذه القصيدة الرائعة الموجهة أمام بصره على الدوام ، ويطيل فيها التفكيرَ ببصيرته في كل آن ، حتى تحفظه من الخَنَا ، وتصونَه من الهوان ، وتعلمه كيف يحفظ كرامته، ويصون مروءتَه، وحينئذ يكون مثلا عاليا للناس في العلم والأخلاق .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

كلب معروض للبيع

السؤال : قرأت في إحدى الصحف إعلانا عن كلب يعرضه صاحبُه للبيع ، فما هي الحكمة في ذلك ؟

الجواب :

لم نر في هذا الكون عجباً كالإنسان ، إنه يستجيب لنداء الحق ، ويهتدي بنور الخير ، فيصبح ربانيا، ويغدو كأنه مَلَك من الملائكة يمشي مطمئناً بين الناس ؛ وإنه ليتمرد ويتسفل حتى يصير شيطاناً من الشياطين ، وصدّق القرآن المجيد : «فَمَنْ أَسْلَمَ فَأولَئِكَ تَحَرَّوا رَشَداً ، وأما القاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً» . «لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ، ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سافِلِينَ» ، «قُتِلَ الإنسانُ ما أَكْفَرَهُ» ، «إن الإنسانَ لظلومٌ كفّارٌ» .

وهذا الرجل الذي نشر عن كلبه إعلانا في صحيفة ، وتكلف منه هذا الإعلانُ ثمناً ملحوظاً ، رجل من المترفين ، وكلبُه كذلك من المترفين ، وليس من السهل تحديد المراد له من هذا العمل أيكون الرجل المترف قد أفاق من من غشيته وفهم أن دنيا الكلاب في زوال ، وأن دنيا الإنسان الفاضل مؤذنةٌ بإقبال ؟ فأراد أن يتخلص من هذا الكلب قبل أن يأتي مَنْ يحاسبه على اقتنائه للاسراف في تدليله وتكريمه .. أم أن الأمر على النقيض من ذلك كله ، فالرجل يدرك أن قيمة الكلاب لها سوق رائجة ، فهم لا يلتقطون من الشوارع التقاطا ، ولا يُستوهبون من الجيران بدون أثمان ، ولا يسامون الخسفَ والهوان كبقية المستذل من الحيوان ، بل الكلاب اليوم يُكْرَمون ويُحترمون، فهم يركبون السيارات ، وينامون على السُّرر ، ويطعمون أشهى اللحوم ، ويلبسون الدمقس والحرير ، ويتمتعون بالأطواق الذهبية أو الفضية في رقابهم ،بينما الملايين من أبناء آدم في مختلف بقاع الأرض يفترشون الغبراء ، ويلتحفون السماء ، ولا يجدون قُوتَهم إلا بشق النفس وهوان الوجه ؟

أم يكون الرجل المترف على ما به قد أراد أن يُشعر الناسَ أن الكلب . وهو الحيوان الأعجم الذي لا ينطق أخفُ ظلا وأكثر خيرا من بعض الناس . الذين تضج من فضائحهم ومآثمهم أرجاءُ الأرض وأرجاءُ السماء.. وكأنه أراد

أن يُشير إلى ما نُسب لابن عباس رضي الله عنه ، حيث قال : « كلب أمين خير من إنسان خؤون» . وإلى أن الكلب من طبيعته الوفاءُ بينما انتشرت الخيانةُ رالغدر بين كثير من الناس ، حتى ألف بعضُ الأئمة السابقين ، كالإمام السيوطي وابن المرزبان كُتُباً في تفضيل الكلاب على بعض الناس ، وسموها : « فضل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب » . وكأنه قد حق لهم أن يفعلوا ذلك ، فقد أراد أبو ذر الغفاري رضي الله عنه أن يصف أهل زمانه فقال : « كان الناس ورقا بلا شوك فأصبحوا شوكاً بلا ورق » ، فكيف لو أدرك أبو ذر زماننَا هذا ؟ ماذا كان يقول عليه الرضوان ؟ لعله كان يقول كما قال مَنْ جاء بعده :

أنت في معشر إذا غبتَ عنهم بدّلوا كلَّ ما يزينك شَيْنَا
فإذا ما رأوك قالوا جميعا : أنت من أكرم البرايا علينـــا
لا أرى للأنام ودا صحيحاً عـــاد كلُّ الوداد زُوراً ومَيْنا

وأين الأخلاق الدون في سَفَلَة البشر من طبيعة الكلب الوفي الذي يُطْرَدُ من بيت صاحبه ثم يعود إليه ، ويُضرب ثم ينسى إساءةَ مَن ضربه ، ويموت صاحبُه فيصوم عن الأكل هَمّاً وحزنا ، وقد يظل على قبره حتى يدركه الموتُ وهو على ذلك . صدق ابن عباس : « كلب أمين خير من إنسان خؤون » .

أليس عاراً من صميم العار أن تنحط أخلاقُ البشرية في عهد الفوضى والهمجية ، حتى يقال إن الكلب الوفي خير من الإنسان الوضيع ؟ وأليس عاراً من صميم العار أن تكون للكلاب حرمة ومكانة أكثر مما للانسان من حق ومنزلة ؟ ألاّ دون ذلك وتنقطع رقابُ الأحرار .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

كيف ينهض المسلمون

السؤال : **طال الحديث وتعدد وتكرر عن عيوب المسلمين ، وعن الطرق المؤدية إلى إصلاحها ، ونحب أن نقرأ في ذلك كلمةً شافية فاصلة فما هي ؟**

الجواب :

في موقف مشهود حاولتُ أن ألخِّص عيوبَ المسلمين في أمور رئيسية تجمع النقائصَ التي أصيبوا بها ، وهي أنهم لا يفقهون دينَهم على وجهه الصحيح ، وأنهم كثيراً ما يسخِّرون نصوصَ هذا الدين لكسبٍ رخيص من متاع الدنيا الحرام ، ثم يُعرضون عن الاستجابة له إذا دعاهم إلى المكرمات ، وأن العصبيات المذهبية الطائفية تستبد بهم أحيانا كثيرة ، فتصرفهم عما خُلقوا له من جهاد وامجاد ، وان كثيراً من الزعامات والقيادات في أقطارهم تشغل الشعوب عن الاهداف العامة والمطامح المشروعة ، وتصرف الامم إلى الاهتمام بالذوات والاشخاص ، وان الحزبية المقيتة التي لا تقوم على مناهج ومبادىء ، تجعل بعضهم لبعض عدواً ، وان نظراتهم إلى الموضوعات أو المشكلات نظراتٌ سطحية ضيِّقة النطاق ، لا تشمل ولا تتعمق ، ولا تحصي ولا تستقصي ، وأنهم لا يعرفون أنفسَهم ، ولا يدرون مدى قدرتهم ، ولا يُحسون بما في أيديهم من طاقات وخيرات ، وأن بعضهم يفهم الحضارةَ على أنها أموال وقصور وسيارات وشهوات ومتاع فحسب ، وأنهم يقلِّدون أحيانا في توافه الأمور ، ولا يعبون عبا من منابع العلم الصحيح ، ومناهل الحضارة المستقيمة .

ولإنهاض المسلمين وجعْلهم أمة واحدة كما قال القرآن يجب تنفيذ ما يلي :

١ ـ يجب اتخاذ الخطوات العملية الواسعة المنظَّمة من الشعوب الإسلامية لنشر اللغة العربية بينها ، لأنها لغة القرآن والإسلام ، ولأن اختلاف اللغات بين المسلمين لا يتم معه التآلف والتفاهم .

١ – على كل منظمة إسلامية ، شعبية كانت أم رسمية أن تجعل في مقدمة أهدافها العمل على إيجاد روح الجماعة ، والفتوة ، والتدين الصحيح ، في نفوس أفرادها ، وبخاصة الناشئة منهم .

١ – الدين للحياة ، بمعنى أنه قائدها وهاديها ، فيجب أن توضع الدراسات الإسلامية المفصلة المرتبة الكاملة لتوضيح مناهج الدين في النهوض بهـذه الحياة ، لنطبق تلك المناهج أفراداً وشعوبا وحكومات .

٤ – الحرص على إشاعة معاني القوة في كل ناحية من نواحي المجتمع الإسلامي : في التربية البدنية ، وفي الثقافة العقلية ، وفي الأخلاق الشخصية والعامة ، وفي الحياة المادية والعمرانية ، بحيث تكون هذه القوة مناعةً وعُدة ، دون أن تجمح لتكون عُدوانا أو بغيا .

٥ – على الناحية الاقتصادية يتوقف علاج كثير من المشكلات والأزمات ، وللاقتصاد دخل كبير في الخُلُق والأمن والصلات ، فيجب أن توجه عناية الشعوب الإسلامية إلى الاهتمام بالناحية الاقتصادية اهتماما فعالا مجديا .

٦ – في الأقطار الإسلامية كنوز كثيرة وخيرات وفيرة ، وفي باطن الأرض وفي جوف الربوات والجبال ، وفي مياه الأمطار ، وفي قوة الأنهار والبحار ، فعلى المسلمين أن يحسنوا كشفَ هذه الكنوز ، ويجيدوا استغلالها والانتفاع بها ، واستثمارها في داخل البلاد ، ويصدروا الفائض منها إلى محتاجيه ، بحيث لا يستورد قطر إسلامي شيئا من الخارج يحتاج إليه إلا إذا انعدم ذلك الشيء بتاتا داخل البلاد الإسلامية .

٧ – استغلال الكتاب والمجلة والصحيفة والمذياع والمسرح والسينما وسائر طرق النشر والتأثير في الدعوة إلى الله ، وفي تكوين الرأي الإسلامي العام ، بعد صبغ هذه الأشياء بالصبغة الإسلامية الفاضلة .

٨ – توثيق العلاقات بين علماء الشعوب الإسلامية ورجال الدعوة الدينية فيها ، بالمراسلات والرحلات والمؤتمرات ، وتبادل الكتب والنشرات ، والتشاور فيما يهم المسلمين من أمور .

٩ ـ الإسلام دين عالمي ، وقد نزل القرآن الكريم ليكون رحمة للعالمين ، فمن واجب المسلمين الإسراع بوضع معان واضحة مضبوطة للقرآن الكريم ، وترجمة هذه المعاني إلى اللغات الحية ، حتى يصل هدى الله إلى سائر الشعوب الإسلامية وغيرها باللغات التي يفهمونها .

١٠ ـ إصدار حولية تسمى « حولية العالم الإسلامي » تبسط فيها قضايا الشعوب الإسلامية وآلامها وآمالها ، وحاضر أمرها ومرتقب غدها ، والمعلومات التي يجب أن يعرفها كل مسلم عن وطنه الأكبر ، فيزداد إيمانا له وإكبارا .

١١ ـ تأليف لجان قوية من مختلف المذاهب الإسلامية ، لبحث الأمور الخلافية ، وردها إلى نطاقها المحدود وأصولها المشروعة ، لأن حدة الخلاف بين هذه المذاهب تؤدي إلى فتن كثيرة ، وضياع مجهودات عظيمة ، وتورث الأحقاد والضغائن ، من غير أن تترتب عليها ثمرة لأصحابها أو لسواهم . ويجب الاتفاق على الأسس العامة التي تظلل المسلمين جميعا بلواء المحبة والأخوة .

١١ ـ صبغ التعليم في مراحله المختلفة بالصبغة الإسلامية ، حتى ينشأ النشء الإسلامي مؤمنا بربه ، عارفا لدينه ، دارسا لتاريخه ، واثقا ببلاده ، مطبوعا على الجهاد من أجل مبادئه وأفكاره .

هذه هي جملة الوسائل التي نؤمن بأنها الطريق إلى عزة الإسلام ونهضة المسلمين [1] .

والله تبارك وتعالى أعلم .

• • •

(١) تراجع التفاصيل واسعة في كتابي « وسائل تقدم المسلمين » . طبع مطبعة العالم العربي بالقاهرة ، سنة ١٩٥٩ .

احتمال المصيبة

السؤال : لي صديق نزلت به نكبة فأفزعته ، وأقلقت جانبه ، فهو لا يهدأ ولا يستقر ، وأخذ يردد ألفاظاً فيها شذوذ وتمرد ، فكيف السبيل إلى نصحه وهدايته ؟

الجواب :

إن هذا الإنسان كثير النسيان ، يسوق إليه ربه النعمَ تباعا ، فيلحظ بعضَها وينسى أكثرها ، وقد يشكر القليل ويكفر الكثير ، وكلما فسح الله له في الرزق والمتعة فرط وأهمل وضيّع ، فإذا سعت إليه الأقدار يوما باختبار أو ابتلاء لتمحيص أو تطهير ، أو إعداد لمكانة سامية في الدنيا أو الآخرة ، ثار ومار ، وهاج وماج ، وقلب دنياه رأسا على عقب ، ونسي كلّ ما سيق إليه من نعيم وتكريم ، ولم يذكر إلا ما أصابه في هذه الساعة كأنه يريد أن تكون الحياة « روضة أطفال » ، أو ناديا من نوادي اللهو واللعب ، والحياة الحقة جهاد وكفاح ، وتعب معه راحة ، وسعي بعده إسعاد .

وقد صور القرآن الكريم هذه العادةَ السيئة في الإنسان فقال : « إنَّ الإنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً ، إذا مَسَّهُ الشَّرُ جَزُوعاً ، وَإذَا مَسَّهُ الخَيْرُ مَنُوعاً » ، ثم استثنى القرآن من هؤلاء الجزعين عبادَه الصادقين ، فقال عقب ذلك : « إلاَّ المُصَلِّينَ ، الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ دَائِمُونَ ، وَالَّذِينَ فِي أمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ، وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ، وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ إنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأمُونٍ ... » . إلى آخر ما قال سبحانه في سورة المعارج .

ولو أن صاحبك هذا — يا أخي — ذكر نعم الله التي لا تحصى ، والتفت إلى فضل خالقه عليه في خَلْقه وعقله ، وجسمه وصحته وغير ذلك من شؤون الخير والبر في حياته ، لعرف أن الله صاحب الفضل العظيم ، وأن له الحمد

والمنة في حالتي اليسر والعسر ، فيسره إكرام وعسره تقويم ، والنكبة دائما سحابة إلى انقطاع ، والليل يعقبه النهار ، والضراء تتلوها السراء ، والحق يقول : « إن مع العسر يسراً ، إن مع العسر يسراً » . والرسول يقول : « لن يغلب العسر يسرين » ...

رحم الله ذلك المؤمنَ الموقن الذي قال : « لو علم الناس ما ينطوي في البلاء من نعم الله لتمنوا أن تكون حياتهم كلها سلسلة من البلاء ». ورحم الله الآخر الذي قال : « إني لأفرح بالابتلاء أكثر من فرحتي بالنعم والرخاء ، لأني مع النعمة غاد على اغترار لا أدري نهايتَه ، وأنا مع الابتلاء واقف موقفَ الرجاء عند من لا يخيب سائله » .

ثم أين الصبر الخليق بالرجال ؟ وأين الاحتمال الجدير بهمم الأبطال ؟ وما قيمة المرء في الحياة إذا كان يعيش بروح الأطفال ، يصرخون من أقل ألم ، ويبكون لأقل حرمان ؟

إن للصبر في القرآن الكريم حديثاً عاطراً مستفيضاً، يتعلم المسلم منه كيف يكون كالجبال في الثبات والاحتمال . فقد ذكر الله سبحانه مادةَ « الصبر » في أكثر من تسعين موضعا ، والقرآن المجيد لا يعنى إلا بتكرار الخطير من الأمور ، وهو في حديثه عن الصبر بجعله صفةَ الصالحين الصادقين ، ولا نستطيع أن نذكر كل الآيات التي وردت في القرآن عن الصبر ، ولذلك نكتفي بذكر بعضها ، وفيها غناء ، وفيها شفاء .

يقول الله تعالى : «وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» . ويقول : « أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَاماً» . ويقول : « إِنِّي جَزَيْتُهُمُ اليَوْمَ بِما صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الفائِزُونَ». ويقول : « وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ » . ويقول : «وَجَزاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً » . ويقول : « وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ المُحْسِنِينَ » .

ويقول : «واصبرْ عَلَى ما أصَابَكَ إنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأمورِ» .
ويقول : «إنَّما يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أجْرَهُمْ بِغَيْرِ حساب» إلى آخر الآيات .

يا صاحبي ، ليست الرجولة في الشكوى والأنين ، ولكنها في الاحتمال واليقين ، لطف الله بك ، وألهمك جميل الصبر والرضوان .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الناس والمناصب

السؤال : نرى الكثير من الناس إذا تولوا منصبا كبيرا ، بعد أن كانوا في رتبة أصغر ، تغيرت أخلاقهم ، وتبدلت طباعهم ، وتكبروا على مَنْ عرفوهم وألفوهم من قبل ، فما سبب ذلك ؟

الجواب :

السبب في ذلك هو صِغَر النفوس وحقارة الطباع ؛ والمقياس الصحيح في ذلك أن من تغيرت أخلاقُه بعد ذلك المنصب فقد أفهم مَنْ حوله أن المنصب أكبر منه ، ولذلك أثر فيه وسيطر عليه ، وجعله عبدا له ، وأن من بقيت طباعه على سلامتها وأصالتها ولم تتغير ، فقد أقام الدليل على أنه أكبر من المنصب ، وأعز من أن يخضع له . وقديماً كان أسلافنا رضوان الله عليهم يلُون ما يلون من الوظائف والأعمال والولايات ، فلا يغير ذلك من فضائلهم قليلاً أو كثيرا ، وكانوا إذا رأوا شخصاً غيّره منصب أو ولاية ، نبذوه نبذ النواة ، وسخروا منه في كل مناسبة .

وكلما كانت همة المرء ضيقةً تافهة ازداد فرحه بالمنصب وعجبُه به ، وأما إذا كان كبيرَ القلب والعزم ، فإنه يطمح في المجد فعلا ، ولكن إذا جاءه لم يقنع به ، بل تطلعت عيناه إلى أمله فاتسع وانفسح ، مع الاحتفاظ الدائم

بالفضائل ومكارم الأخلاق ، وممن يعدون قدوة في هذا الباب عمر بن عبد العزيز الخليفة الخامس ، والإمام العادل رضي الله عنه ، فقد كان يعد الحرير ملبسا خشنا قبل الخلافة ، ولكنه بعد أن صار خليفةً كان يعد الصوفَ الخشن لينا ، ويطلب ما هو أخشن منه في اللباس ، وقد ترجم عمر عن هذه الروح فقال : « كانت لي نفس تواقة ، فكنت لا أنال شيئا إلا تاقت لما هو أعظم منه ، فلما بلغت نفسي الغايةَ تاقت إلى الآخرة » .

ولقد دخل عليه أبو حازم سلمة بن دينار الخناصري ، ، فعرفه عمر ولم يعرفه أبو حازم ، ثم قال له عمر : ادن مني . فدنا منه أبو حازم ، وقال : أنت أمير المؤمنين ؟ قال : نعم . قال : ألم تكن عندنا بالمدينة أميراً على المسلمين ، فكان مركبك وثوبك تقيا ، ووجهك بهيا ، وطعامك شهيا ، وقصرك مشيدا ، وخدمك كثيرا ، فما الذي غيّرك وأنت أمير المؤمنين ؟

فبكى عمر وقال : يا أبا حازم ، كيف لو رأيتني بعد ثلاث في قبري ، وقد سالت حدقتاي على وجنتيَّ ، ثم جفَّ لساني ، وانشق بطني ، وجرت الديدان في بدني ، لكنتَ أشدَّ إنكارا منك يومَك هذا ، أعد عليَّ الحديثَ الذي حدثتني به بالمدينة .

فقال أبو حازم : يا أمير المؤمنين ، سمعت أبا هريرة يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن بين أيديكم عقبة كَؤُوداً مضرسة ، لا يجوزها إلا كل ضامر مهزول » . فبكى عمر طويلا ، ثم قال : يا أبا حازم ، ألا ينبغي لي أن أضمِّر نفسي لتلك العقبة ، فعسى أن أنجو منها يومئذ ، وما أظن أني مع هذا البلاء الذي ابتليت به من أمور الناس بناج ؟

ولقد سمع عمر أبا سلام الحبشي يقول : قال النبي : « إن حوضي ما بين عدن إلى عمان البلقاء ، ماؤه أشد بياضا من اللبن ، وأحلى من العسل ، وأكوابه عدد النجوم ، مَنْ شرب منه شربةً لم يظمأ بعدها أبدا . أول الناس ورودا عليه فقراء المهاجرين » . فقال عمر بن الخطاب : مَنْ هم يا رسول الله ؟ قال : « هم الشُّعْث رؤوسا ، الدّنس ثيابا ، الذين لا ينكحون المتنعمات ،

ولا تُفتح لهم أبواب السُدد» فلما سمع عمر بن عبد العزيز قال : لقد نكحت المتنعمات ، وفتحت لي أبواب السدد ، إلا أن يرحمني الله ، لا جرم لا أدهن رأسي حتى يشعث ، ولا أغسل ثوبي الذي يلي جسدي حتى يتّسخ .

هكذا تفعل النفوس الكبيرة ، لا تزداد مع الرفعة إلا تواضعا ، وأما النفوس الصغيرة فيزدهيها الفوز الحقير ، فكيف بالكبير ؟ أصلح الله نفوسنا ، وهدانا سواء السبيل .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

المسؤولية الشخصية

السؤال : اعتدى شخص على فرد من أفراد أسرة غنية قوية في الريف ، ثم هرب المعتدي ، فاعتدت الأسرة اعتداء شنيعا على أخ لذلك المعتدي الهارب ، فهل يجوز هذا في الإسلام ؟

الجواب :

كان العرب قبل الإسلام قوما يدينون بشرعية الجاهلية الحمقاء ، التي لا تعرف عَدْلاً ولا قسطاسا ، وكانوا يسرفون في الأخذ بالثأر ، فإذا قُتل لأحدهم قتيل قَتَل في مقابله جملةَ أشخاص ، واعتدى على آخرين ، وربما قتل شخصاً آخر غيرَ القاتل ، وهذا كله سفه وضلال ، فلما أشرق الإسلام بنوره الوضاء ، حرم هذا العدوان وأقام شريعة القصاص التي تؤدب وتهذب ، وفي الوقت نفسه لا تظلم ولا تجور .

فجاء القرآن الكريم يقول : « يا أيُّها الّذِينَ آمنوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِصاصُ فِي القَتْلَى الحُرُّ بالحُرِّ ، والعَبْدُ بالعَبْدِ ، والأنثى بالأنثى ، فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أخيهِ شيءٌ فاتباعٌ بالمَعْرُوفِ وأداءٌ اليهِ بإحسانٍ ،

ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ، فَمَنِ اعتدى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ، وَلَكُمْ فِي القصاصِ حياةٌ يا أولي الألبابِ لَعَلَّكُم تَتَّقُونَ » . وجاء يقول : «وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فيها أَنَّ النَّفْسَ بالنَّفْسِ والعَيْنَ بالعَيْنِ ، والأنفَ بالأنفِ ، والأذنَ بالأذنِ ، والسِّنَّ بالسِّنِّ ، والجروحَ قصاص ، فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كفارةٌ لَهُ ، وَمَنْ لم يَحْكُمْ بما أَنْزَلَ اللهُ فأولئكَ هُمُ الظَّالِمُونَ » .

وأوجب الإسلام أن نؤاخذ بالجريمة مرتكبَها دون سواه ، لأن الحق تبارك وتعالى يقول : « وَأَنْ لَيْسَ للإنسانِ إلاَّ ما سَعَى » . ويقول : « كُل نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ رَهِينَةٌ » . والله سبحانه وتعالى وهو أقوى من كل قوي ، وأعلى من كل علي ، لو جاءه شخص بجرائم كالجبال وفظائع كالبحار لما سأل الله عنها سواه ، ولا عذَّب معه بسببها من أهله أحدا أو ذوي قرباه ، وهذه عدالة يقتضيها العقل والإصلاح ، ولا يخرج عليها إلا طاغية أو جهول .

هرب أحد المعتقلين من قبضة زياد الطاغية في العهد الأموي ، فأخذ زياد شقيقَ ذلك الهارب فسجنه ، وقال له : لن أطلق سراحَك حتى يأتيني أخوك . فقال له الرجل : لو جئتُك بكتاب من أمير المؤمنين يأمرك فيه بإطلاق سراحي ، أكنت تَطلق سراحي ؟ قال زياد : نعم فإني عبد أمير المؤمنين وخادمه . فقال الرجل : فأنا آتيك بكتاب من العزيز المجيد ، وهو أكرم مني ومنك ومن أمير المؤمنين ، وأقيم لك عليه شاهدين ، هما موسى وإبراهيم عليهما السلام ، يقول الله تعالى : « أمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِما فِي صُحُفِ موسى ، وإبراهيمَ الَّذِي وَفَّى ، ألاَّ تزرُ وازرةٌ وزرَ أخرى ، وَأَنْ لَيْسَ للإنسان إلاَّ ما سَعَى ، وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يرى ، ثم يجزاهُ الجزاءَ الأوفى » ، فارتدع زياد طاغيةُ زمانه وقال : أطلقوا سراحَه ، فإن هذا الرجل قد لقّنه اللهُ حجته .

والقرآن الكريم يقص علينا أيضا ما كان من أمر « العزيز » في مصر ،

فيحدثنا أنه لما جاء إخوة يوسف إلى « العزيز » راجين أن يطلق سراحَ أخيهم المتهم بالسرقة ، وأن يأخذ أحدَهم مكانه، أبى ورفض لأن هذا ظلم وطغيان : « قالوا يا أيُها العزيزُ إنّ لَهُ أباً شيخاً كبيراً ، فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إنّا نَرَاكَ مِنَ المُحْسِنِينَ . قَالَ مَعَاذَ اللهِ أَنْ نَأْخُذَ إلاّ مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إنّا إذاً لَظَالِمُون » .

وهذا سيد البشرية محمد صلوات الله وسلامه عليه غضب يوم صرع المشركون المجرمون عمّه العزيز الغالي حمزة سيد الشهداء فقال : « لئن ظفرت بهم لأمثلن بسبعين منهم مكانه » . فجاءه تأديب الإله وتهذيبه يقول : « وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ،ولَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ » .

وكذلك يعلمنا القرآن أن نقتصر في القصاص على المجرم فيقول : « وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنا لِوَلِيِّهِ سُلْطاناً فَلاَ يُسْرِفْ فِي القَتْلِ إنّهُ كَانَ مَنْصُوراً » . من هذا كله نفهم أن الاعتداء على غير المجرم حرام في الإسلام ، مهما كان ذلك الغير قريباً أو حبيبا لذلك المجرم ، فالمرء لا يتحمل إلا تبعة ما تجنيه يداه .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الدخول في الاسلام

السؤال : نرى كثيرين يدخلون الإسلام دون دراسة له ، ويندفعون إلى ذلك بمؤثرات مختلفة بعيدة عن الإيمان الصحيح بالإسلام ، فما حكم الله في هذه الحالة ؟

الجواب :

لا يختلف اثنان يدرسان الإسلام بنزاهة وإنصاف في أنه دين رب السماء ،

أنزله إلى عباده ، ليخرجهم من ظلمات الحيرة والشقاء ، إلى أنوار الهداية والهناء ، ولعل أقرب الشواهد على ذلك أن كل من اهتدى إلى صراط الإسلام تمسك به وحرص عليه ، ولم يرجع عنه ، حتى ولو فرط في بعض واجباته وتعاليمه ، وإنك لترى الرجلَ المسلم يفرط ما يفرط ، ويلهو ما يلهو ، فإذا مُسّتْ عقيدتُه الإسلامية بسوء غضب وثار ، وهاج وماج ، لأن قواعد العقيدة راسخة في أعماق فؤاده ، وإن يكن قد علاها الصدأ بالتفريط والإهمال .

وقد كثر عدد المسلمين في الأرض ، حتى صاروا يعدون بمئات الملايين ، ولا يفيدهم أن يزيدوا مليونا آخر ، ولا يُضعفهم أن ينقصوا مليونا من ملايينهم ولكن الأهم من ذلك كله هو أن يطبّقوا تعاليم دينهم ، وأن يتمسكوا بمبادىء ملتهم ، وأن يترجموا عن أقوالهم بأعمالهم، وقد لفت القرآن المجيدُ أبصار رجاله إلى تلك الحقيقة حين هتف: «يا أيها الذينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ ، كَبُرَ مقتاً عِنْدَ الله أنْ تقولوا ما لا تَفْعَلُون» .

وقد شاعت في الأيام الأخيرة ظاهرة تثير الاهتمام ، هي أن كثيرا من غير المسلمين يظهرون رغبتَهم في اعتناق الإسلام ، ويشهرون ذلك بلسانهم ، وبإشهاد شرعي خاص بهم ، والعامة من المسلمين يُظهرون الفرحَ كلما سمعوا بشيء من ذلك ، مع أن كثيرا من الذين يعلنون إسلامهم عن هذا الطريق المعروف يفعلون ذلك خاضعين لمؤثرات خارجة عن دراسة الملة المحمدية ، والاقتناع بها بحق وصدق ، فهذا أعلن إسلامه لأنه يريد فراقَ زوجته ، وهذا أعلنه لأنه هامَ بحب فتاة مسلمة ، وذلك أعلنه للخروج من مشكلة ميراث أو عقار ، وهكذا ، وكثيرا ما يرتد هؤلاء عما أعلنوه وأشهروه ، إذا زالت الدواعي والأسباب :

إن ملة محمد صلى الله عليه وسلم لا تعتز كثيرا بأمثال هؤلاء ، فهي لا تريد ولا تقبل أبدا أن تكون قنطرة أو معبرا عليه يعبر ذوو الأغراض والأهواء إلى شهواتهم ومآربهم ، والله سبحانه لا يريد من عبده أن يدخل دينَه إلا عن

بينة وبصيرة ، يدرس ويبحث ، فتلوح له الشواهد والبراهين ، فتسطع أنوار الإيمان في صدره ، فيقبل على ربه إقبالَ العازم الواثق المؤمن ، لا تأخذه في الله لومةُ لائم ، ولا يخشى في دينه المتاعبَ أو المغارم : « مِنَ المُؤمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيهِ ، فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ ، وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً » .

ومن واجب المسلمين ألايطيلوا فرحَهم إذا سمعوا بمثل هذا الاحتيال ، ومن واجبهم ألا يجعلوا دينهم تُكأة يستند عليها المبطل والمغرض، بل عليهم أن يشرحوا فضائلَه ما استطاعوا ، ويدعوا إليه بالحكمة والموعظة الحَسنة ، ويراجعوا مَنْ يريد الدخولَ فيه ، ليتبينوا أنه صادق النية طاهر المقصد ، وأنه قد درس أصول الإسلام ومبادئه ما يكفي لإقناعه بأنه دين الحق وملة الصدق ، ويومئذ نؤمن بأن الذين يقبلون علينا ويدخلون فينا ، سيكونون قوة لنا وإخوة معنا .

وفي هذا التحقيق ، وذلك التدقيق إجلال لحرمة الإسلام ، وتأمين لجماعة المسلمين ، وسد للطريق على المفسدين المستغلين، الذين يتخذون الإسلام ستارا يسعَوْن من خلفه إلى ما يشاؤون من خبيث الأغراض ودنيء المقاصد . ولنتذكر في هذا المقام أن أناسا في سالف التاريخ الإسلامي دخلوا الإسلام كذبا وزورا، ثم دسوا للمسلمين الدسائس ، وكادوا للاسلام المكائد ، وكانوا مع الأسف سوساً نخر في هيكل الأمة الإسلامية ، فصبوا عليها البلايا والنكبات .

إن المسلمين في العالم اليوم اربعمائة مليون [1] ، ولو كان هذا العدد الهائل نحلا يثبت وجوده بطنينه ، لأصموا أسماعَ أعدائهم ، وأثخنوهم بالجراح ، ولكنْ تطاولَ عليهم الزمن ، فقست قلوبهم، وتبلدت عزائمهم ، واليوم يتأذن رب السموات والأرض ، ورحمن الدنيا والآخرة ، ببشائر نصر ، وطلائع خير ، فليتبصر المسلمون مواقفهم ، وليسووا صفوفهم ، وليطهروا

---

(١) نشرت هذه الفتوى سنة ١٩٥٢ . والمسلمون الآن سبعمائة مليون .

كتائبهم ، فإنهم ليسوا بحاجة إلى الكثرة ، فما أكثرهم، ولكنهم بحاجة إلى الإخلاص والقوة ، «ولَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ، إنَّ اللهَ لَقَوِي عَزِيزٌ» .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

نجوى شهيد

السؤال : **مَنْ قائل هذا البيت :**

ولست أبالي حين أقتل مسلما — على أي جنب كان في الله مصرعي

وما هي المناسبة التي قيل فيها ؟ وهل معه أبيات أخرى ؟

الجواب :

من القصة التالية تستطيع أن تعرف الجواب بسهولة :

كان خُبيب بن عدي من المسلمين المستضعفين في الأرض المعذَّبين في دينهم ، وقد وقع في قبضة الفَجَرة من المشركين ، فغدروا به وأجمعوا على صلبه ، فقال لهم : دعوني حتى أركع ركعتين لربي ؛ فتركوه ، فصلاهما خفيفتين ، وقال : والله لولا أن تظنوا بي الخوفَ والجزعَ من الموت لأطلتهما ولزدت ، ثم قال : اللهم أحصِهم عددا ، واقتلهم بَدَدا ، ولا تُبقِ منهم أحدا ، ثم قال :

لقد أجمع الأحزابُ حولي وألّبوا — قبائلَهم ، واستجمعوا كلَّ مجمعِ
وقد قرَّبوا أبناءهم ونساءهم — وقُربتُ من جذع طويل ممنّعَ
إلى الله أشكو غربتي بعد كربتي — وما جمّع الأحزابُ لي عند مضجعي
فذا العرش صبّرني على ما يراد بي — لقد بَضَعُوا لحمي ،وقد حان مطمعي
وقد خيّروني الكفرَ والموت دونه — فقد ذرفت عيناي من غير مدمع
وما بي حذارُ الموت ، إني لميت — وإن إلى ربى إيابي ومرجعي

ولستُ أبالي حين أُقتل مسلماً على أي جنب كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أشلاء جسم ممزّع

فقال له أبو سفيان : أيسُرُّك أن محمداً عندنا تُضرب عنقُه ، وأنك في أهلك سالم ؟ فقال في لهجة المؤمن الواثق : لا والله ما يسرني أني في أهلي وأن محمدا في مكانه الذي هو فيه شوكةٌ تؤذيه .

* * *

خداع الحياة

السؤال : أراني مقبلا على الدنيا بكليتي ، أجمعُ ولا أنتفع ، وأكسب ولا أنفق ، وأطيل الأمل بلا عمل أو إحسان ، بل إهمال وعصيان ، وما تمر بخاطري خاطرة عن تذكر أو اعتبار ، فكيف أحيي قلبي الميت ، وأهذب نفسي الهائمة بأعراض الدنيا ؟

الجواب :

حسبك أن تطالع في تأنٍّ وتدبر ما يلي :

قال أبو الحسن الأبهري : أرسلني بهاء الدولة إلى القادر بالله ، فسمعته ينشد :

سبق القضاء بكل ما هو كائن والله يا هذا لرزقك ضامنُ
تُعْنَى بما تَفْنَى ،وتترك ما به تغنى ، كأنك للحوادث آمنُ
أو ما ترى الدنيا ومصرعَ أهلها فاعمل ليوم فراقِها يا خائن
واعلم بأنك – لا أبَا لك – في الذي أصبحتَ تجمعه لغيرك خازن
يا عامرَ الدنيا ، أتعمر منزلا لم يبق فيه مع المنية ساكن ؟
الموت شيء أنت تعلم أنه حق ، وأنت بذكره متهاون
إن المنية لا تؤامر مَنْ أتت في نفسه يوما ولا تستأذن

فقلت : الحمد لله الذي وفق أميرَ المؤمنين لإنشاد مثل هذه الأبيات . فقال : بل لله المنة إذ ألهمنا لذكره ، ووفقنا لشكره ، ألم تسمع قول الحسن البصري في أهل المعاصي : « هانوا عليه فعصوه ، ولو عزوا عليه لعصمهم» .

اللهم لا تحرمنا فضل هدايتك ، وعزَّ رعايتك ، يا أكرم الأكرمين !

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الطرق الصوفية

السؤال : ما هي الطرق الصوفية ؟ وما وجه صلتها بالشرع ؟

الجواب :

الطرق الصوفية منظمات دينية شعبية ، يتكون كل منها من شيخ وطائفة من المريدين أو الأتباع ، وكل شيخ يحاول قدرَ طاقته وتوفيقه ، وعلى مبلغ إيمانه وإخلاصه ، أن يوجه مريديه واتباعه إلى الطريق المستقيم وإلى عبادة الله سبحانه وتعالى ، وإلى التحلي بالأخلاق الفاضلة ، عن طريق المراقبة لله ، والخوف منه ، في الانفراد والاجتماع .

وهذه الطريق كلها مستحدثة بعد عهد النبي صلى الله عليه وسلم بمـــدة كبيرة ، ولم تكن معروفة بأوضاعها ولا بأشكالها ولا بنظمها في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام .

أما عن صلة التصوف بالإسلام فبعض الباحثين يقولون ان التصوف إذا استقام أمره ، ولم يستغله أهله للاكتساب والمخادعة ، وحققوا معناه كان سعيا إلى تحقيق مرتبة « الإحسان » عند المسلم ، ومرتبة الإحسان هذه هي التي يشير إليها النبي صلى الله عليه وسلم في حديثه الصحيح : « الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » .

وذلك لأن الإنسان إذا عبد ربه ، وهو منصف في عبادته بالمراقبة الحقيقية

التي تجعله موقنا بأن الله مطلع عليه في كل صغيرة وكبيرة ، وفي جميع حركاته وسكناته ، وارتقى في درجات العبادة ، وكان من المحسنين المخلصين .

فليس من الإسلام ما يردده بعض المنتسبين إلى التصوف من أن هناك خلافا أو تناقضا بين ما يسمونه « الحقيقة » و« الشريعة » ، فإن خير الناس في الإسلام من استجاب لله ، وتقيد بشريعته ، والتزم أحكامه ، وهذا التطبيق الصادق المخلص للشريعة الإلهية هو الذي يسمو بالإنسان في حسه ونفسه ، وفي روحه وأخلاقه ، إلى أعلى الدرجات .

ومما يدل على أن التصوف الصحيح الصادق الحقيقي هو المتقيد بالشريعة ان الامام القشيري يقول في رسالته التي وضعها في علم التصوف : « وبناء هذا الأمر وملاكه على حفظ آداب الشريعة ، وصون اليد عن المد إلى الحرام والشبهة ، وحفظ الحواس عن المحظورات ، وعدّ الأنفاس مع الله تعالى عن الغفلات ، وألا يستحل مثلا سمسمة فيها شبهة في أوان الضرورات ؛ فكيف عند الاختيار ووقت الراحات ، ومن شأن المريد دوام المجاهدة في ترك الشهوات فإن من وافق شهوته عَدِمَ صفوتَه ، وأقبح الخصال[1] بالمريد رجوعه إلى شهوة تركها لله تعالى» .ويقول أيضا : « ومن شأن المريد حفظ عهوده مع الله تعالى» والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

دعوات

السؤال : **تنتابني كثيرا لحظاتُ ضيق نفسيّ ، فإذا ابتهلت إلى الله ببعض الدعوات خفّ ما عندي ، ورجع إلي هدوئي ، فأرجو أن تذكر لي طائفةً من الدعوات أرددها في مثل تلك اللحظات .**

الجواب :

نعم إن للمناجاة مع مقلب القلوب ، وعلام الغيوب ، وكشّاف الخطوب ،

---

(١) انظر تفصيل الحديث عن الصوفية في كتابي « في رحاب الصوفية » طبع مطبعة دار التأليف بالقاهرة ، سنة ١٩٥٠م .

وغفار الذنوب ، لذة يدركها العارفون ، ويتذوقها على وجهها الواصلون ، وكم من نفثات في دعوات فرجت هَمّاً ، وأزالت غما ، وطمأنت نفسا ، وثبّتت يقينا ، ومن هنا قال الحق تبارك وتعالى : « وإذا سَأَلَكَ عِبادِي عَنّي فَإنّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدّاعِي إذَا دَعَانِي فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلّهُمْ يرشدُونَ » .

وروي عن الرسول صلوات الله وسلامه عليه قوله : « الدعاء مع العبادة » وخير الدعاء ما كان بالمأثور الوارد عن الصادق المصدوق ، أو عن الصفوة من أصحابه ؛ وهذه دعوات أغلبها مأثور ، أرجو أن يكون فيها مقنع وكفاية ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم :

سبحان من تعطف بالعز وقام به ، سبحان من لبس المجدَ وتكرم به ، سبحان الذي لا ينبغي التسبيح الا له ، سبحان ذي الفضل والنعم ، سحان ذي المجد والكرم ، سبحان ذي الجلال والإكرام .

اللهم إني أعوذ بك من علم لاينفع ، وعمل لا يُرفع ، ودعاء لا يسمع ، ونفس لا تشبع ، وقلب لا يخشع ، وعين لا تدمع . اللهم إني أسألك من الخير كله ، ما علمتُ منه وما لم أعلم ، وأعوذ بك من الشر كله ما علمت وما لم أعلم ، وأسألك أن تحسن عاقبتَنا في الأمور كلها ، وأن تجيرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة . اللهم اجعلني من الذين إذا أحسنوا استبشروا ، واذا أساؤوا استغفروا، واذا أعطيتَهم شكروا ، وإذا منعتهم صبروا، وإذا استنفرتهم نَفَروا ، وإذا جاهلوا فيك انتصروا .

اللهم زدنا ولا تنقصنا ، وأكرمنا ولا تهنا ، وأعطنا ولا تحرمنا ، وآثرنا ولا تؤثر علينا ، وأرْضِنا وارض عنا ، فإنا نعوذ بك من زوال نعمتك ، وتحول عافيتك ، وفجاءة نقمتك ، وجميع سخطك ؛ اللهم رضني بقضائك ، وصبرني على بلائك ، وأوزعني شكر نعمائك ، وثبتني باليقين في سرائك وضرائك ، فإني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء والآراء، رب متعني بسمعي وبصري ، واجعلهما الوارثَ مني ، وانصرني على من ظلمني ، وخذ منه بثأري .

اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي ، وتجمع بها أمري ، وتلم بها شعثي ، وتُصلح بها غائبي ، وترفع بها شاهدي ، وتزكي بها عملي ، وتلهمني بها رشدي ، وترد بها الغيَّ عني ، وتعصمني بها من كل سوء . يا خالقي ، أسألك الفوزَ في القضاء ، وعيشَ السعداء ، والنصر على الاعداء ومنازل الشهداء ، يا ذا الحبل الشديد والأمر الرشيد . أسألك الأمنَ يوم الوعيد ، والجنةَ يوم الخلود مع المقربين الشهود الركّع السجود ، الموفين بالعهود ، إنك أنت الرحيم الودود ، وأنت الفعال لما تريد .

رب ، إنك تسمع كلامي وترى مكاني ، وتعلم سري وعلانيتي ، لا يخفى عليك شيء من أمري ، وأنا البائس الفقير ، المستغيث المستجير ، المعترف بذنبه ، أسألك مسألةَ المسكين ، وأبتهل إليك ابتهال المذنب الذليل، وأدعوك دعاءَ الخائف الضرير ، أنا مَنْ خضعت لك رقبته ، وفاضت لك عَبْرته ، وذلَّ لك جسمه ، ورغم لك أنفه ، فلا تجعلني بدعائك ربِّ شقيا، وكن بي رؤوفا رحيما ، يا خير المسؤولين وأكرم الواهبين .

اللهم أشكو إليك ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين ، وانت ربي ، إلى من تكلني ؟ إلى عدو يتجهمني ، أم إلى قريب ملكته أمري ؟ إن لم تكن ساخطا عليَّ فلا أبالي . غير أن عافيتك أوسع لي . أعوذ بنور وجهك الكريم الذي أضاءت له السموات والأرض ، وأشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، أن يحلَّ عليَّ غضبك ، أو ينزل عليَّ سخطك ، لك العُتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك . إني أسألك من كل خير خزائنه بيدك ، وأعوذ بك من كل شر خزائنه بيدك ، وأسألك موجبات رحمتك ، وعزائمَ مغفرتك والسلامَة من كل إثم ، والغنيمة من كل بر ، والعفة والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي .

اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك ، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتَك ، ومن اليقين ما يهون علينا مصائب الدنيا ، واجعل ثأرنا على

من ظلمنا ، وانصرنا على من عادانا ، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغَ علمنا ، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا ، اللهم اجعلني أخشاك حتى كأنني أراك ، وأسْعِدْني بتقواك ، ولا تُشْقني بمعصيتك ، واختَرْ لي في قضائك ، وبارك لي في قَدرك ، حتى لا أحب تعجيل ما أخرت ، ولا تأخير ما عجلت ، اللهم طهر قلبي من النفاق، وعملي من الرياء، ولساني من الكذب ، وعيني من الخيانة ، فإنك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور . اللهم آت نفسي تقواها ، وزكِّها فأنت خير من زكاها وأنت وليها ومولاها ، وأنت على كل شيء قدير .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

بين الأصل والعمل

السؤال : ما معنى قول الشاعر :

فما ينفع الأصلُ من هاشم ... إذا كانت النفس من باهلة

الجواب :

هاشم بطن من بطون قبيلة قريش ، وهي معروفة بالفضل والحسب ورفعة النسب ، ولقد ذكر الكلبي أن من انتهى إليه الشرف من قريش في الجاهلية فوصله في الإسلام عشرة رهط من عشرة أبطن ، وذكر في أول العشرة اسم هاشم ، وكان من هاشم العباس بن عبد المطلب، يسقي الحجيج في الجاهلية، وبقي له ذلك في الإسلام .

وكانت سقاية الحجيج ، وعمارة المسجد الحرام ، وحُلْوان النفْر في بني هاشم ، والسقاية هي سقي الماء للحجيج، والعمارة هي منع الناس عن التكلم بهُجْر أو رفث أو صياح في المسجد الحرام ، وأما حُلْوان النفر فالمقصود به تنصيب الرئيس بطريق القرعة ، وقد خرج السهم في ذلك للعباس

ولقد سأل رجل الشعبي عن بني هاشم وبني أمية فقال : إن شئت أخبرتك بما قال علي بن أبي طالب فيهم . قال : أخبرني . قال : أما بنو هاشم فأطْعمُها

للطعام ، وأضربها للهام ، وأما بنو أمية فأشدها حلما ، وأطلبها للأمر الذي لا يُنال فينالونه .

وقيل لمعاوية : أخبرنا عنكم وعن بني هاشم : قال : بنو هاشم أشرف واحدا ، ونحن أشرف عددا ، فما كان إلا كَلا ولا حتّى جاؤوا بواحدة بذّت الأولين والآخرين (يريد النبي صلى الله عليه وسلم) ويريد بقوله : أشرف واحدا ، عبد المطلب بن هاشم .

وأما باهلة فقبيلة صغيرة ضئيلة قليلة المفاخر بالنسبة لبني هاشم ، وقوم باهلة هم بنو مالك بن أعصر نُسبوا إلى أمهم باهلة، وهم معن وحارثة وسعد مناة ، أمهم باهلة ، وبها يعرفون ، وبعض الشعراء يضرب باهلةَ مثلاً لضعف القبيلة وتواضع النسب .

والمراد « بالأصل » في بيت الشاعر هو نسب الآباء والأجداد ، والمراد « بالنفس » في البيت هو العمل ، ويريد الشاعر أن يقول : إن المرء لا ينفعه نسبُه مهما كان رفيعا كريما ، إذا لم يكن مع هذا النسب عملٌ شريف يزكّيه ويعليه ، ورب شريف ينتسب إلى خير الآباء وأكرم الجدود ، ومع ذلك لا يصون هذا النسب ، ولا يعمل عملَ الأماجد ، فلا يفيده نسبه شيئاً . ورُبَّ رجل متواضع في نسبه وأصله ، ولكنه جعل نفسه في الحياة عصاميا ، فبنى مجده بيده ، وكون عظمته بجهاده ، فعلا نجمه وسطع ، وكان أفضلَ بكثير من صاحب النسب الرفيع الذي لم يجدَّ ولم يعمل .

وهذا هو هدى الإسلام الحنيف ، فالقرآن الكريم يقول : « يا أيُّها النّاسُ إنّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ، وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ، إنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ، إنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ » . ويقول « وَأَنْ لَيْسَ لِلإنسانِ إلاّ ما سَعَى ، وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ، ثُمَّ يُجْزَاهُ الجَزَاءَ الأوفى » .

والرسول صلوات الله وسلامه عليه يقول :

« كلكم لآدم . وآدم من تراب ، الناس سواسية ، لا فضل لعربي على عجمي ، إلا بالتقوى » . ويقول لابنته : « يا فاطمة بنت محمد ، اعملي فإني لا أغني عنك من الله شيئاً » .

ولله درُّ الذي قال :

لسنا وإن أحسابنا كرمت يوما على الآباء نتكل
نبني كما كانت أوائلنا تبني ، ونفعل مثلما فعلوا

والله تبارك وتعالى أعلم .

• • •

الانسان والنخلة

السؤال : **قرأت في بعض الصحائف هذين البيتين :**

واصبر إذا ما ضقت ذَرعا ، والزمان سطا
لا يحصل اليسر إلا بعد إعسار

كن كالنخيل عن الأحقاد مرتفعا
يُجزَى برجمٍ فيعطي خيرَ إثمار

فمن قائلهما ؟ وما معناهما ؟

الجواب :

لاأعرف قائلَ هذين البيتين ، وهما من أشعار النصائح والحكَم ، والشاعر يدعو الإنسان فيهما إلى حسن الاحتمال وجميل الصبر ونبيل الإيثار ، ويحرضه على أن يفعل الخيرَ بلا انتظار لجزاء أو ثواب ، وأن يقدم الإحسانَ ولو قوبل من الكافرين له بالإساءة والنكران ، ويقول له في البيت الأول : يجب عليك أن تصبر إذا أعيتك الحيلة ، وضاقت في وجهك الدنيا ، واعتدى عليك الزمان وسطا ببلائه وابتلائه ، فإن اليسر والفرج من بعد الشدة والضيق، والله يقول : « يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ اليُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ العُسْرَ » . ويقول :

« سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً » ، ويقول : « إنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْراً » . ولن يغلب العسرُ يسرين ، كما جاء في الحديث .

وفي البيت الثاني يضرب الشاعر للانسان مثلاً يحتذيه ، وقد كان الشاعر بارعا في هذا المثل وفي تصويره ، فهو يقول للانسان : كن كالنخلة العالية الباسقة ، وترفعْ مثلها عن الحسد والحقد ، وعن الضغائن والحزازات ، وعن العداوات الرخيصة والمكايدات الوضيعة ، وانظر إلى النخل بعين الاعتبار والتدبر ، تجده لك مثلا في هذا الباب ، إن الناس يقذفونه بالحصى والحجارة ، فلا يغضب ولا يثور ، بل يرد عليهم نكرانَهم بإحسان ، ويقابل عدوانَهم بمعروف ، فيلقي عليهم عقبَ قذفهم له ثمراً شهيا وفاكهة طيبة هي فاكهة البلح والرطب .

ويخيل اليَّ أن هذا الشاعر قد استمد معى البيتين من حديث نبوي شريف ، أشار إلى هذا الخُلُق النبيل إشارةً موجزة ولكنها بليغة ، ففي صحيحي البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقُها ، وهي مثل المسلم ، حدِّثوني ما هي » ؟ فوقع الناس في شجرة البادية ، ووقع في نفسي — أي نفس ابن عمر — أنها النخلة ، قال عبد الله : فاستحييت ، فقالوا : يا رسول الله أخْبِرنا بها . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هي النخلة . قال عبد الله : فحدثت أبي بما وقع في نفسي فقال : لأن تكون قلتَها أحب إليَّ من أن يكون لي كذا وكذا .

ووجوه الشبه بين المسلم الصحيح وبين النخلة كثيرة ، فالنخلة قليلة الكلفة والغذاء ، لا تكلف صاحبَها حرثا ولا سقيا ، وكذلك المسلم ظهره خفيف وحمله خفيف ، يكفيه أقل الزاد ، ويحميه هيِّن العتاد ، ولا يسرف أو يبذر ، لأن المبذرين إخوان الشياطين ، ولا يأكل حتى يجوع ، وإذا أكل لا يشبع ، وحسبه لقيمات يقمن صلبه ، وهو يحرص في أمر بطنه أن يكون الثُّلث للغذاء ، والثلث للماء ، والثلث للهواء ، ويؤمن بأن طعام الاثنين كاف

الثلاثة وطعام الثلاثة كافٍ الأربعة كما علّمه رسوله عليه الصلاة والسلام .

والنخلة عالية سامية ، وكذلك المسلم ، أصله ثابت وفرعه في السماء ، يشمخ بأنفه عن الدنيات ، ويتعالى بهمته عن الخسيسات ، وإذا سيم خطةَ خسف قال : (لا) بملء فيه . ويضحي بنفسه في سبيل عزته لأنها ميراثُه من ربه: « وَلِلهِ العِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ » . والنخلة لا يسقط ورقها كما يقول الحديث ، بل يظل ثابتا منتظما ، وكذلك المسلم يحتفظ بنظامه وترتيبه ، لا يختل أمره ولا ينحرف منهاجه ، ولا تنخفض هامته إلا لخالقه الذي برأه ، ويظل رأسُه مرفوعا ، كما يظل ورق النخلة شامخا في العلاء .

والنخلة مستقيمة صُلْبة ، وكذلك المسلم صريح قويم ، لا يعرف الغموض أو الالتواء ، بل يسير على بصيرة من ربه ، وهدى من خالقه ، وما حاجته إلى الغموض أو الالتواء ، والحلالُ أمامه بيِّن والحرام بين ، وهو يحرص ما استطاع على تجنب الشبهات حتى لا يكون كالراعي الذي يرعى حول الحِمَى يوشك أن يقع فيه .

والنخلة دائمة الخضرة في أوراقها صيفا وشتاء ، وكذلك المسلم تظل في قلبه خضرة الأمل لا تذبل ولا تنطفىء ، وهو دائما في بشره واستبشاره ، وإقباله على الحياة ، وأخذه منها ، وإعطائه لها يمثل جانبَ الأمل البسام الذي يعبّر عنه عادة باللون الأخضر .

والنخلة قلبها أبيض ، وهو المسمى بالجمار ، ويضرب به المثل في صفاء البياض ، وكذلك قلب المسلم نقي طهور ، ليس فيه غل ولا حقد ، بل هو كالمرآة الصافية الخالصة ، وكلما بعد الإنسان عن الصراط بزلة أو هفوة وقعت نكتة سوداء على صفحة هذه المرآة ، فأصابت جانبا منها بالسواد ، وبمقدار ما يكون في المرآة من هذه النكت يكون ابتعاد المسلم عن الدين .

والنخلة لها ثمر حلو شهي ، فيه غذاء ودواء ، وكذلك المسلم يجب أن يكون مثمرا في حياته ، فتكون كلمته مثمرة ، وخطوته مثمرة ، وجميع حركاته في حياته مثمرة ، ويجب أن يُفيض على غيره من ثمراته ، لأن الحكمة

تقول : «ما استحق الحياة من عاش لنفسه فقط» ، ويقول الحديث الشريف : «الله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه» .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الغدر بين الناس

السؤال : ضقتُ ذرعا بغدر الناس ، وآلمني أن يكون الغادرون أصدقاء كنت أثق فيهم ، وأنخدع بظاهرهم ، فهل هناك وسيلة للخلاص من الغدر بين الناس ؟

الجواب :

طلبتَ محالا ، فهذه طبيعة في البشر منذ القدم ، وما بالذات لا يتخلف ، وما في الطبع لا يتبدل إلا من رحم ربك ، وقليل ما هم ، إنك تشكو داء قد استوطن في الإنسان وتمكن ، وليست الشكوى منه جديدةً أو بنت اليوم ، ولكنها قديمة قدَم الإنسان نفسه ، إنها قديمة منذ عاش ابنا آدم لصلبه ، وهما هابيل وقابيل ، وبدأ بينهما أول فصل من فصول الغدر حينما تنازع الأخوان على زوجةٍ ، فكلٌ منهما يريدها لنفسه ، فتخلص أبوهما آدم من المأزق بأن قال لهما : «فليقرِّب كل منكما إلى ربه قُرْبانا ، فمن قبل اللهُ منه قربانَه تزوجها» . وكان الحكم عادلا ، وقدم قابيل ما قدم فلم يُقبل منه ، وقدم هابيل قربانَه فنزلت نارٌ من السماء – كما تقول الرواية – فأكلته ، فكان ذلك دليلا على قبوله .

ولكن كيف يقبل قابيل ذلك الوضع ؟ وبدأ الفصل الأول من رواية الغدر التي لا تزال – وستظل تمثّل على وجه الأرض – فقتل قابيل أخاه ، وقص القرآن الكريم القصةَ بأوجز أسلوب وأعجزه وأبلغه فقال : «وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بالحَقِّ إذْ قرَّبا قرباناً فتقبلَ مِنْ أحَدِهِما ولم يتقبلْ مِنَ الآخَرِ ، قالَ لأقتلَنَّكَ ، قَالَ إنّما يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ المتّقِينَ ، لَئِنْ

بَسَطْتَ إليَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي ما أنا بباسط يديَ إليكَ لأقتلَكَ إنِّي أخافُ اللهَ ربَّ العالمينَ ، إنِّي أريدُ أن تبوءَ بإثمي وإثمكَ فتَكُونَ مِنْ أصحابِ النّارِ وذلكَ جزَاءُ الظّالِمينَ ، فَطَوَّعَتْ لَهُ نفسُهُ قَتْلَ أخيهِ ، فَقَتَلَهُ ، فأصبحَ مِنَ الخاسِرين » .

وأنت إذا قرأتَ وجدتَ الأدباء العرب والكتاب في القديم والحديث يُبْدئون في ذلك الأمر ويعيدون ، منهم المفصح المصرح ، ومنهم الرامز الملمِّح ، ومنهم المعلل الشارح ، ومنهم الآسف النائح ؛ وتتكرر فصول المأساة ، ويتكرر العويل والبكاء ، ولا ختام للمسآة ولا انتهاء .

حتى الذين نهيم بحبهم ، ونحرص على ودهم ، ونغفر لهم زلاتهم ، ويخطئون فنعتذر عنهم ، يغدرون وينقضون ، يقول ابن زيدون :

خنتَ عهدي ولم أخن	بعتَ ودي بلا ثمنْ
قائلا : هل مزايد	رابحاً ثمَّ مَنْ يزن ؟
أرخص البيع كيف شئت	وذرني ، لتندمن
سوف تُبلى بغيرنا	جرِّب الناس وامتحن

ويعود الشاعر في موطن التفجع على الغادر المحبوب .. يعود إلى ترديد الأسف المُمض ، رجاء العودة إلى ما كان ، ولو بتقديم النفس فداءً لذلك الغادر الذي باع مودة الشاعر بيعَ السماح والبخس ، فيقول مرة أخرى :

أيوحشني الزمانُ وأنت أنسي	ويُظلم لي النهارُ وأنت شمسي؟
وأغرس في محبتك الأماني	فأجني الموتَ من ثمرات غرسي
لقد جازيتَ غَدْراً عن وفائي	وبعتَ مودتي ظلما ببخس
ولو أن الزمان أطاع حكمي	فديتك من مكارهه بنفسي

ليس يا صاحبي من حيلة أو وسيلة في هذا المجال إلا الاحتراس في الحب والبغض . لا تسرف في بعض من تكرهه اليوم ، فربما جرت المقادير بما ليس في الحسبان ، فأصبح لك صديقا في الغد ، ولا تسرف في الحب ، فأنت لا

تأمن القلوب المتقلبة ، وقد تسرف اليوم في حب من أحببت ، وتعامله كأنه أنت ، فإذا جفوة وفراق وغدر ، وإذا أنت كالنهْب المقسَّم بين يديه .

ثم هناك الاصطبار لعجلة الأقدار ... إنها العجلة العجيبة التي لا نلحظ من دورانها وجولاتها إلا أقل القليل .. إن دارت هذه العجلة عليك فأصابتك اليوم ببلية غادرة، فكن على ثقة بأنها ستدور على الغادر بعد حين لتجعله حصاداً مغدورا به . وما رأى الحكماء أمراً كانتقام الأقدار ، إنه لا يتخلف وان اختلف ، وإنه لا يضيع وإن تأخر .

* * *

بين اللئيم والنبيل

السؤال : **نرجو التفضل بشرح الأبيات التالية :**

ووغد إن أردتُ لـه عقابـا عفا عن ذنبه حَسَبي وديني
يؤنبـني بغيبـة مستـطيـل ويلقاني بصفحـةِ مستكينِ
ولولا الحلـم ، أنَّ له لجاماً لداس الفحلُ بطنَ ابنِ اللبون
وقالوا : قد هجاكَ . فقلت : كلب عوَى جهلا إلى ليثِ العرين

الجواب :

إن لؤم الطبع خسيسة من خسائس كثير من النفوس البشرية ، وإن تلوُّن الوجه رذيلة من رذائل الأشخاص الذين نبتوا في مراتع الذلة والضّعة ، ولا يزال كرام الناس في كل جيل ومكان يلقون من اللئام الأخساء تطاولاً وتفاحشا ، والكرام لا يحسنون الفحش ، ولا يعرفون البـذاء ، ولذلك يُعرضون الإعراض الجميل، ويعتبرون ذلك التطاول عليهم دليلا على كرم نفوسهم ولؤم سواهم ، فإن الحسد موكّل بالرفيع يحاول أن يضعه،وهيهات، والحقد مولع بتحطيم المشيّد ، وقد عز عليه وفات .

وكلما زاد اللئيم في سفاهته ، وزاد الكريم في إعراضه ورزانته ، تضاعفت

خسةُ السفيه وعلت منزلةُ الكريم ، وكان ذلك بابا مفتوحا إلى إحراق السفيه بنار غيظه الدفين ، وكيده الرخيص ، وصدق القائل :

إذا نطقَ السفيهُ فلا تجبه فخيرٌ من إجابته السكوتُ
إذا جاوبتَه فرجت عنه وإن أهملته كمداً يموت

ورضي الله عن الحسين ، لقد كان يسير في موكبه سفيهٌ ، فسئل عنه فقال : إن تطاولَ علينا متطاولٌ أجابه عنا ، فوالله إنا لا ندري كيف نجاوب السفهاء .

والأبيات المسؤول عنها هي لشاعر أندلسي ، وهو يصوِّر فيها حالَة وغد يكفر النعمة ، ويخيس بالعهد ، ويعيش بوجهين ، ويتسلح بالنفاق والمخادعة ، فيقول :

ووغد إن أردتُ له عقابا عفا عن ذنبه حَسَبي وديني

أي إن هذا اللئيم قد ارتكب ما يستحق عليه الحسابَ والعقاب والمؤاخذة ، لكنني كلما أردت أن أؤدي إليه هذا الحساب ، وأن أُوقع عليه ذلك العقاب — وأنا عليه قادر له مستطيع — تذكرتُ الفارق الواسع بيني وبينه ، وأن دناءة طبعه تنزل به إلى الحضيض، وكرم منبتي يعلو بي إلى السها ،فلا أقدم على عقابه ، بل أعفو عنه ، وأصفح عن ذنبه ، لأن حسبي وشرفي وأخلاقي لا تسمح لي بالنزول إلى هذا الحضيض ، ولأن ديني يصدني عن ذلك العقاب ، فالقرآن يقول : « والَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ » . ويقول: « وإذا مَرُّوا باللَّغْوِ مَرُّوا كِراماً » . ويقول : « فاعفُ عَنْهُمْ واصفَحْ » . ويقول : « وَإِنْ تَعْفُوا أقربُ للتَّقْوَى » .

يؤنبني بغيبة مستطيل ويلقاني بصفحة مستكين

يا للخسة تتجسم في إنسان ، فلو كان هذا المخلوق صريحا في هجومه وعداوته لقلّت البلوى في أخلاقه ، ولكنه بلغ من اللؤم منتهاه ، وأخذ من الجبن أقصاه ، إنه إذا انفرد بالميدان وكنت غائبا ، انتقدني وتطاول علي وأنّبني ، مستطيلا في ذلك مبالغا فيه ، منتهزا فرصة الغيبة لشفاء ما في نفسه

الحقيرة ، ولكنني إذا لقيتُه رأيتُ شيئاً آخر ، إنه ينسى الغيبة والتطاول ، ويقابلني بوجه ذليل ومظهر مستكين ، فهو يخضع لي ويمتدحني وقد كان من قبل ، أثناء غيبتي ، يقرض عرضي بمقاريض سفاهته ولؤمه :

لولا صبري عليه ، وحلمي على سفاهته ، ورغبتي في أن أكون كريماً لأجريَ على سنن آبائي وهدي ديني ، ولولا أن للحلم لجاماً يصد الإنسان عن الخنا ، ويمنعه من السوء ، ويحول بينه وبين الشر ، لولا هذا لعرف ذلك اللئيم كيف يكون التأديب ، ولمشى الفحل القوي الشديد بقدميه الكبيرتين الثقليتين فوق بطن ذلك التافه الحقير ، الذي لا يخرج عن كونه قعوداً صغيراً لايزال يألف أمّه الناقة ذات اللبن ، وكأنه يريد أن يقول بما يقرب من قول العامة : لولا صبري عليه لداس قدم الرجل القوي على بطن ذلك الصغير ابن المرأة ... وفي ذلك من شيْن التصوير ما فيه :

وقالوا : قد هجاك ، فقلت : كلب   عوى جهلاً إلى ليث العرين

إن الناس قد تطوعوا فنقلوا إليَّ بعضَ ما قاله ذلك اللئيم الوضيع ، وذكروا لي ما هجاني به كذبا وبهتانا ، وتزيدا واختراعا ، فما أثارني ذلك ولا أقلقني ، ولا حرك مني ساكنا ، ولا هممت بأن أجاوبه وإلا أرحتُه ، ولا نعقت كما نعق ، وجعلت عرضه طعامي كما جعل ، فإن عرضه أقل وأضأل وأخس من أن يشغل مثلي ، وورائي أعمال وأثقال ؛ فأجبتهم : دعوكم منه ، فهو لا يخرج عن كونه كلبا عقوراً ، يحاول بطيشه وجهله وحماقته ، وخُبث طويته ، أن يجاري ليثَ العرينْ وأسدَ الغابة ، فهو يعوي إليه ، ظنا منه أن الأسد الغضنفر سيجاريه ويرد عليه بالمثل ، فيكسب الكلب من ذلك شرفا وانتسابا إلى مقام الأسود ، ولكن هيهات ... إنه لن ينال ما يتمنى ، بل دعه يعوي ويعوي حتى تتقطع أمعاؤه وعروقه من العواء ، فذلك أفضل دواء لأمثال هؤلاء السفهاء ، ورحم الله الأول إذ يقول :

أَوَكلما طنَّ الذبابُ طردتُــــه ؟   إن الذباب إذن عــليَّ كريم

والذي يقول :

ولو أن كل كلب عوى ألقمتُه حجرا   لأصبح الصخر مثقــالا بدينار

والذي يقول :

وما ألان قناتي غمزُ حـادثة ولا استخف بحلمي قطُّ إنسانُ
أمضي على الهول قِدْماً لا ينهنهني وأنثني لسفيهي وهو حَرْدان
ولا أقارض جُهّالا بجهلهم والأمر امريَ ، والأيام أعوان
أهيب بالصبر والشحناءُ ثائرة وأكظم الغيظَ والأحقـادُ نيران

والذي يقول :

وكلمةِ حـاسدٍ في غير جُرْم سمعتُ فقلت مُرِّي فانفذيني
فعابوها عليَّ ولم تسؤني ولم يعرق لها يوما جبيني
وذو اللونين يلقاني طليقا وليس اذا تغيّب يـأتليني
سمعتُ بعيبه فصفحت عنه محافظة على حسبي وديني

ألا إن شقاء الإنسانية الرفيعة بأمثال هؤلاء الأخساء لثقيل طويل ، ولكن العلاج هو أن نترك الأفعى تتلظى وتجتر سمها ، فسيقضي سمها عليها يوما من الأيام ، والعاقبة بعدها للكرام .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الرق في التاريخ

السؤال : **قرأتك في إحدى المجلات مقالا عن « الإسلام وتحرير العبيد »[1]. ذكرت فيه أن الرق كان قبل الإسلام وبعده ، معروفا في مختلف الأمم والبلاد ، ولكنك لم تذكر أمثلة لذلك فنرجو الإيضاح .**

الجواب :

كان الاسترقاق ذائعاً منتشرا في أنحاء اليونان ، ولم ينكر أحد من فلاسفتهم

---

(١) انظر هذا المقال في كتابي « الدين للحياة » ص ١١٥ – ١٢٢ . نشر دار الكاتب العربي بالقاهرة سنة ١٩٦٨م .

قيامه ، وأفلاطون كان يرى أن الرق من أسس « جمهوريته الفاضلة» وليس للرقيق أن يتمتعوا فيها بحقوق المواطن ، وأرسطو ناصَرَ الرق وأيده ، وقسم الناس إلى قسمين : « أحرار بالطبع » و« أرقاء بالطبع » . وعرَّف الشخص الرقيق بأنه «آلة ذات روح أو متاع تقوم به الحياة » .

وكان أهل اليونان القدماء يسترقون الناسَ بالخطف واللصوصية ، وكانتَ الحكومة تسترق عدداً من الناس ، وكان العبد إذا تحرر لا يكسب الحقوقَ العامّة التي يتمتع بها الأفراد ، بل يظل كالغريب ، ويكلَّف ببعض الأعمال الشاقة أو المهينة .

وعند الرومان كان أمر الرق أشدَّ منه عند اليونان ، وكان الرجل المدين إذا لم يستطع وفاء دَيْنه يصبح عبداً لصاحب الدين ، وكان الرومان يسرقون الأطفال ويبيعونهم ، ويسرقون النساء لاتخاذهن وسيلةً لقضاء الفاحشة ، وكانت تجارة النخاسة رابحة جدا بينهم وواسعة ، وكانوا يسرقون النساء ليصبحن بغايا ،ويجمعون المال عن طريق استغلالهن في هذا العمل الدنيء.

وعند الفرس قديما شاعت كلُّ أنواع الاسترقاق : فرقيق للرعي ، ورقيق للزينة ، ورقيق لعمل الخبائث والقبائح ، ورقيق للقيام بالأعمال العنيفة المرهقة .

وقد هال الكثيرين هذا الاسرافُ في ألوان الاسترقاق ، وأخذ بعض العقلاء يحذرون الفرس منه حتى خفت حدته نوعا ما . وقال هيرودوت المؤرخ اليوناني الذي يلقبونه « أبو التاريخ » : « لا يجوز لأي فارس أن يعاقب عبده على ذنب واحد اقترفه بعقاب بالغ في الشدة والصرامة ولكن إذا عاد العبد لارتكاب هذا الذنب بعد ما أصابه من العقاب فلمولاه حينئذ أن يعدمه الحياة ، أو أن يعاقبه بجميع ما يتصور من أنواع العذاب » .

وفي الهند نرى « مانو » المشرع الهندي الذي وضع مجموعةَ شرائع مانو في التشريع والأخلاق ، يجعل الرجال درجات من بينها درجة « السودرا » وهو الرجل الذي يكون من الطبقة المنحطة التي يستخدمها « البرهمي » وغيره من

الناس . ويقول مانو في تشريعاته : « إنه إذا اشترى البرهمي رجلا (سودرا) – بل إذا لم يشتره – فإنه يجوز له أن يجبره على خدمته بصفة كونه رقيقا (دارا) ، لأن مثل هذا الإنسان ما خلقه واجبُ الوجود إلا ليخدم البراهمة »

وفي هذه الشريعة جاءت عقوبات بالغةُ القسوة والشذوذ للرقيق على ذنوب لا يعاقَب عليها غيرهم إلا بأخف العقاب .

وإذا سرق البرهمي من السودرا (الرقيق) عوقب بالغرامة ، أما إذا سرق السودرا من البرهمي فجزاؤه الإحراق ، وإذا تجاسر السودرا على ضرب أحد القضاة يعلّق بسفود – بسيخ – وهو الحديدة التي يُشْوَى عليها اللحم ويشوى حيا ، وإذا ارتكب البرهمي مثلَ هذه الجريمة فعقابه هو الغرامة .

ومن المؤسف أن فرنسا أصدرت قانونا أسود في مارس سنة ١٦٨٥ خاصا بالرقيق في مستعمراتها ، وفيه أن العبد إذا اعتدى على سيدة أو سرق كان جزاؤه القتل ، والأمور تذكّر بأشباهها .

وفي الصين كان الاسترقاق موجودا ، وكانوا يأتون بالرقيق من الخارج ومن داخل البلاد ، والدولة نفسها كانت تتاجر في الرقيق ، وكان كثير من الفقراء يبيعون أنفسهم أو أولادهم اضطراراً بسبب الفقر والجوع ، ومن الإنصاف أن نقول إن الاسترقاق في الصين كان خفيف الوطأة ، وإن كان استرقاقا على كل حال ، وقاتَلَ الله القيدَ كلّه ، وفي عهد الامبراطور « كوانجون » صدرت منه أوامر باحترام حياة الرقيق واعتبار إنسانيته ، وحذّر من الاعتداء على الرقيق .

وعند قدماء المصريين كان العبد لا يخرج عن كونه آلة للعمل ، وكانوا يتخذون العبيد للزينة وإظهار الأبهة ، وكان لمالك العبد مطلق الحق في إزهاق روح عبده أو الإبقاء عليه .

وكان الرقيق عند بني اسرائيل معتبرا من أصول الثروة ، وكان شبيهاً بالماشية وان كان أنبياء بني اسرائيل قد حرضوا الناس بطرق مختلفة على حسن المعاملة للرقيق .

وعلى الرغم من دعوة المحبة والأخوة والسلام التي تدعو بها المسيحية لم يوجد فيها نص صريح ضد الاسترقاق ، بل إن القديس بولس في رسالته إلى سكان مدينة « أفسيس » يوصي الرقيق بطاعة أوليائهم مع خوف ورعب ، كما يفعلون مع السيد المسيح .

ويقول القديس « توماس » المولود سنة ١٢٢٧ م . « إن الطبيعة خصصت بعض الناس ليكونوا أرقاء » . ويقول القديس « ايزيدوروس » للعبد : « إني أنصحك بالبقاء في الرق ، حتى ولو عرض عليك مولاك تحريرك ، فإنك بذلك تحاسَب حسابا يسيرا ، لأنك تكون خدمت مولاك الذي في السماء ، ومولاك الذي في الأرض » .

والواعظ المسيحي الفرنسي « بوسومي » يرى أن المنتصر في الحرب من حقه أن يقتل خصمه المقهور ، ويكون للمنتصر الفضل لو أنه أبقى على حياة المغلوب وجعله عبدا له .

وليس في النصوص المسيحية ما يدل على مقاومة الاسترقاق ، أو محاولة تحديده ، أو القضاء عليه .

وفي أمريكا كان الرق قاسيا ، فالسيد يتصرف في عبيده كتصرفه في أثاث بيته ، ولم يكنْ للعبد حق في الذهاب أو المجيء ، وإذا اجتمع سبعة من السود في الطريق اعتبروهم مذنبين ، ولأي رجل أبيض يلقاهم أن يجلدهم عشرين جلدة ، وكانوا يقررون أن العبد « شيء لا إنسان » .

وفي العصور الحديثة نجد « القانون الأسود » وهو مجموعة الأحكام والقواعد الموضوعة بشأن الرقيق ، ففرنسا وضعت قانونا أسود للرقيق كما ذكرنا ، وفيه أن العبد إذا هرب المرتين الأولى والثانية عوقب بقطع الآذان ، ومسح السوق [1] ، والكي بالحديد المحمى ، وفي المرة الثالثة يقتل . والقانون الأسود في المستعمرات الإنجليزية كان يقرر أن من هرب واستمر في هربه

(١) قطع السيقان ، وفي القرآن : « فطفق مسحا بالسوق و لأعناق » .

شهرا فجزاؤه الإعدام ، وإذا تزوج أشرفُ الشرفاء عندهم امرأةً سوداء سقطت رتبته ، وما زال القانون الأسود يزداد سوءاً حتى قامت الثورة الفرنسية فنادت بتحريم الرق .

وفي سنة ١٨٥٩ م أصدرت الجمعيات التشريعية في ثلاث ولايات من الولايات الأمريكية وهي « اركانزاس وميسوري ولويزيانا » قانونا يقضي بنفي جميع الملونين من أراضيها ، والذين لم يستطيعوا الفرار بجلودهم حتى أول يناير سنة ١٨٦٠ قبضت عليهم الحكومة ، وباعتهم أرقاء بطريقة المزاد .

وكانت هذه الولايات تقضي بالإعدام على من يفعل أو يقول شيئا يثير به الأرقاء للمطالبة بحقوقهم ، أو الثورة على استعباد أسيادهم .

ومن هذا البيان نرى أن الرق كان منتشرا ذائعا في أرجاء الدنيا قبل الإسلام وبعد الإسلام ، ولما أشرقت أنوار الإسلام ضيّق نطاق الرقيق ، وأبطل الكثير من أنواعه ، وحرض على العتق بأقوى ألوان التحريض ، وفتح الأبواب الواسعة للتمهيد أمام إلغاء الرق في العالم .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

حقوق الصديق

السؤال : لي صديق شربت معه أفاويقَ السعادة في أيام النعيم والرخاء ، ثم جرّ عليه الدهر كلاكلَه ، وأصيب بنكبة طاحنة ، ولو بقيتُ معه على حالتنا الأولى لشملتني النكبة معه ، فأضاعتني وإياه ، وهو يصر على أن أتركه وحده لكيلا يتسع مدى النكبة ، فماذا أفعل ؟

الجواب :

إن موقفك الذي تصوره دقيق ، يختلف الحكم فيه باختلاف ما ينطوي عليه من بواعث ونتائج ، وأنت لن تعدم في نصوص الشريعة ما يجيز لك أن

تطيع صديقك ، وتحصر النكبة في مجالها الضيق ، لأن دفع الضرر مقدم على جلب المنفعة ، ولأن صوت العقل مقدم على صوت العاطفة ، فإذا أيقنتَ برغبة صديقك في الذي يشير به، وانعدمت أمامك الوسائلُ كلها فأطعه ، مع هذا فدعني أضع أمامك الموقف التالي : لما ذهب الناس عن مروان بن محمد ، وأيقن بزوال ملكه ، وغلبه بنو العباس عليه ، قال مروان لكاتبه عبد الحميد بن يحيى : إني قد احتجت أن تكون مع عدوي ، فتُظهر الغدر بي ، فإن إعجابهم بأدبك وحاجتهم إليك تمنعهم منك ، وتدعوهم إلى حسن الظن بك ، فإن استطعتَ أن تنفعني في حياتي ، وإلا فلا تعجز عن حفظ حرمتي بعد وفاتي .

فقال عبد الحميد : إن الذي أمرتني به أنفع الأمرين لك وأضرهما لي ، وما عندي إلا الوفاء ، حتى يفتح الله لك أو أقتل معك ، ثم أنشد :

أسِر وفاءً ثم أظهر غدرةً فمَنْ لي بعذر يشمل الناس ظاهرُه؟

فسكت مروان عنه ساعة من الزمان ، ثم أعاد عليه القول ، فقال عبد الحميد : «والمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إذا عاهَدُوا والصَّابِرِينَ في البأساءِ والضَّرَّاءِ وَحِينَ البَأسِ » ثم ظل معه حتى قُتل مروان .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الاكراه على الكفر

السؤال : نطق شخص بكلمة الكفر مُكْرَهاً ، وهو مؤمن في قلبه ، فهل يكون كافراً ؟ وكيف يتوب من هذا ؟

الجواب :

يقول الله تبارك وتعالى في سورة النحل : «مَنْ كَفَرَ باللهِ مِنْ بَعْدِ إيمَانِهِ ، إلاّ مَنْ أكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌ بالإيمانِ ، وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بالكفرِ صدراً فَعَلَيهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللهِ ولهم عذابٌ عَظِيمٌ » .

وهذه الآية الكريمة تشير إلى أن هناك فرقا بين مَنْ يكفر بلسانه لا بقلبه

ومن يكفر بلسانه وقلبه معا ، والذي يكفر باللسان فقط - أي ينطق بكلمة الكفر دون اعتقادها - يكون مكرها مضطرا ، فلا يدخل تحت حكم الكفر ، ولذلك استثناه القرآن الكريم من بين الذين كفروا بألسنتهم وقلوبهم فقال : « إلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإيمانِ » .

ولقد روت السيرة أن بلال بن أبي رباح صبر على عذاب المشركين له ، ولم ينطق بكلمة الكفر ، وكان كلما عذبوه يردد قوله عن الله تبارك وتعالى « أحد ، أحد ، أحد » . ولكن ليس جميع الناس كبلال في صبره واحتماله ، وكان هناك من المسلمين على عهد النبي صلى الله عليه وسلم مَنْ أكره ، فأجرى كلمة الكفر على لسانه ، مع أنه كان بقلبه مصرا على الإيمان .

ولقد روى الإمام الرازي في تفسيره أن عمار بن ياسر لما عذبه المشركون أعطاهم ماأرادوه بلسانه مكرها ، ثم قيل للنبي صلى الله عليه وسلم : « يا رسول الله ، إن عماراً كفر » . فقال : « كلا ، إن عماراً مُلِئَ إيماناً من فَرْقه (أي رأسه) إلى قدمه ، واختلط الإيمان بلحمه ودمه » . فأتى عمار وهو يبكي إلى النبي ، فجعل الرسول يمسح عينيه ، ويقول له : « ان عادوا فعُدْ لهم بما قلت » . كما ذكر المفسرون أن الإنسان يجوز له التلفظ بكلمة الكفر وقلبُه مؤمن ، إذا كان يعذَّب بعذاب لا طاقة له ، مثل التخويف بالقتل ، أو الضرب الشديد ، والإيلامات القوية .

ويقول القرآن الكريم بعد الآية السابقة : « ثُمَّ إنَّ ربَّكَ للذينَ هاجَرُوا مِنْ بعدِ ما فُتِنُوا ثُمَّ جاهدوا وصَبَرُوا إنَّ ربَّكَ مِنْ بَعْدِها لَغَفُورٌ رَحِيمٌ » .

وهذه الآية تفيد أن من نطق بكلمة الكفر فعليه أن يتوب إلى الله تعالى توبةً صادقة ، وأن يهاجر إلى حمى ربه بالطاعة والعبادة وترك ما نهى الله عنه ، وأن يجاهد في الله قدرَ طاقته ، ويصبر على طاعته غاية وسعه ، وبهذا يغفر الله له ، ويوفقه للخير والله غفور رحيم .

والله تبارك وتعالى أعلم .

• • •

الدعاء ومسح الأوجه

السؤال : نرى بعض الناس عقبَ الدعاء يمسحون وجوهَهم بأيديهم ، والبعض الآخر لا يفعل ذلك ، فما رأيكم ؟

الجواب :

جاء في هامش كتاب « التاج الجامع للأصول » أن آداب الدعاء هي استقبال القبلة ، لأنها أشرف الجهات وجهة للعبادة ، ورفع اليدين ، ومسح للوجه بهما بعد الدعاء ، والبدء بحمد الله تعالى وتسبيحه والثناء عليه ، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في أول الدعاء وآخره ، والعزم في الطلب ، والإلحاح في الدعاء دائما ، والإيقان بالإجابة إذا توافرت شروط الدعاء التي أعظمُها أكل الحلال ، والبعدُ عن المحرمات ، وفعل الواجبات .

وقد ورد في هذا الأمر حديثان ، أولهما عن عمر رضي الله تعالى عنه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رفع يديه في الدعاء لم يردَّهما حتى يمسح بهما وجهه » . أي تبركا بما حل فيهما من رحمة الله تعالى . وقد روى هذا الحديث أبو داود والترمذي .

والحديث الثاني عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « سلوا الله ببطون أكفكم ، ولا تسألوه بظهورها : فإن فرغتم فامسحوا بها وجوهكم » وهذا الحديث رواه أبو داود .

ولعل الذين يمسحون وجوههم بعد الدعاء يستندون إلى هذين الحديثين ، ولكن علماء الحديث قرروا أن هذين الحديثين قد جاءت روايتهما بسند ضعيف ولعل ضعف الحديثين هو السبب في امتناع من يمتنعون عن مسح وجوههم بأيديهم عقب الدعاء . ومهما يكن من أمر فالعبرة هنا بالإخلاص في الدعاء واستيفاء ما له من شروط ، لا بالمظاهر والأشكال وحدها .

والله تبارك وتعالى أعلم .

• • •

الفرق بين الخجل والحياء

السؤال : **نحن نعرف أن الخجل والحياء شيء واحد ، ولكني سمعت شخصا متعمقا يدعي أن بينهما فرقا ، فهل هذا صحيح ؟**

الجواب :

يظهر أن هناك فرقا بين الخجل والحياء ، وإذا كان بعض كتب اللغة قد فسر الحياء بالحشمة ، ثم فسر الخجل بالاستحياء ، فقد ذكر بعضهم أن هذا على سبيل التسامح ، وحددوا الخجل بمعنى أن يلتبس الأمر على الرجل ، فلا يدري كيف يكون المخرج منه ، وبهذا يظهر فرق ما بين الحياء والخجل .

وقد ذكر الإمام الآلوسي في « روح المعاني » عند تفسير قوله تعالى : « إنَّ اللهَ لا يستحيي أنْ يَضْرِبَ مَثَلاً ما بعوضةً فما فَوْقَها » كلاما كثيراً أورد أثناءه حديثا عن الفرق بين الحياء والخجل . قال : « والحياء كما قال الراغب انقباض في النفس عن القبائح ، وهو مركّب من جُبْن وعفة ، وليس هو الخجل ، بل ذاك (أي الخجل) حيرة النفس لفرط الحياء ، فهما متغايران وإن تلازما . وقال بعضهم الخجل لا يكون إلا بعد صدور أمر زائد لا يريده القائم به ، بخلاف الحياء ، فإنه قد يكون مما لم يقع فيُترك لأجله » .

والله تبارك وتعالى أعلم .

• • •

بين الرفيع والدون

السؤال : **لمن هذه الأبيات ؟ وما معناها ؟**

فليعلمنَّ أخو الجهالة قصره عني ، وإن سبقت به القدمان

فلربما رجح الخسيس من الحصى بالدُّر عند تراجح الميزان

شرف خُصصت به ، وأخطأ حاسدي مسعاته ، فتهذّى به وقَلاني

الجواب :

هذه الأبيات للشاعر الفحل ، ربِّ السيف والقلم ، محمود سامي البارودي، وهي صيحة من صيحات العزيز الكريم ، حينما يرى الأذناب والذيول تتعالى تعاليَ الفقاقيع فوق سطح الماء ، على حين يهبط الدر والجوهر إلى القاع ، وكثيرا ما تختل الأوضاع في المجتمع ، وتفسد الأحوال في الأمة ، فيسبق الدونُ ويفوز ، على حين يضيع الرفيع ويهون ، فيكون ذلك مثاراً لزفرات الأحرار وحسرات الكرام ، ولا غرابة فقد قال سيد عبس وهو قيس بن زهير : « أربعة لا يطاقون : عبد مَلَكَ ، ونذل شبع ، وأمَة ورثت ، وقبيحة تزوجت » .

وقيل لأعرابي : من أحقَ الناس بالرحمة ؟ قال : الكريم يسلّط عليه اللئيم ، والعاقل يسلط عليه الجاهل .

يقول البارودي رحمة الله عليه : إن ذاك العي الجاهل ، الفَدْم الأحمق ، الذي صاحبته الجهالة ورافقته كأنه أخوها ، يجب عليه أن يدرك تقاصرَه عن منزلتي ، وتأخره عن رتبتي ، وعجزَه عن إدراكي ، ولو سبقت قدماه سبقا حسيا . فإن هذا السبق الحسي لا يقام له ميزان عند تقدير الرجال ، لأننا نرى الحصى في الميزان والثقل قد يرجح على الدر ، ولن يفيد هذا أبدا تساويَ الحصى بالدر ، وأين الثرى من الثريا ؟ وأين التراب من الذهب الإبريز ؟ وأين يذهب ذلك المجهول ؟ وأنّى له أن ينال ما نلتُ من مجد وشرف خصني الله بهما ووفقني لهما ؟ فليمت الحاسد الحقود كمداً وغيظا ، فإنه يخطىء طريقَ المجد الذي سلكته ، وهو لذلك يهذي ويهرف بما لا يعرف ، شأنَ المخبول أو المحموم ، وهو يبغضني ويقلاني ، لأنه لم يبلغ ما بلغتُ من رفعة وسؤدد .

ويخيل إليَّ أن العقاد قد استطعم مائدةَ البارودي في هذا المعنى حين قال :

إنا نريد إذا ما الظلم حاق بنـــا ... عدلَ الأناسيِّ لا عدلَ الموازينِ
عدلُ الموازين ظلم حين تنصبها ... على المساواة بين الحرِّ والدون
ما فرقت كفة الميزان أو عدلت ... بين الحليِّ وأحجار الطواحين

وما أجمل قول ابن الرومي في مثل هذا المعنى ، مع تلاعب بالصور ، وتفنن في التشبيه والتعليل :

رأيتُ الدهر يرفع كلّ وغد ويخفض كلّ ذي شيم شريفة
كمثل البحر يغرق كلّ حي ولا ينفك يطفو فيه جيفة
أو الميز ان يخفض كلّ وافٍ ويرفع كلّ ذي زنة خفيفة

إيه أيتها الدنيا ، كم فيك من عزيز يُهان ، وكم فيك من وضيع يكال له المديح والثناء .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

كراهية الحياة والأحياء

السؤال : **تضيق الحياة أمامي في كثير من الأحيان ، وأشعر بضيق في صدري ينفرني من الناس كلهم ، وأشعر بكراهية للدنيا وعدم استقرار معها ، حتى إني أفكر أثناء ذلك أفكاراً سوداً لا أستطيع تصويرها ، فما المخلص من ذلك .؟**

الجواب :

رفقا بنفسك أيها الحرج المتضايق ، فالحياة جميلة ، ولا يستر جمالها عنا إلا سوء استعمالنا لها ، أو جهلنا بمواطن الجمال فيها ؛ وضيق الصدر الذي تشعر به حالة تمر بأغلب الناس من حين لحين ، وذلك إبان الخطأ أو الفشل أو رؤية ما لا يطاق ، أو ما شابه ذلك من العوارض والمشاق .

ومن الممكن لك أن تخلص من هذه الحالة ، وأن ينشرح لك صدرك ، بأن تبتعد أولا عن السبب المباشر للضيق ، فتغير مكانك ، وتبتعد عن قرنائك ، وتبدل من أوضاعك ولو قليلا ، حتى تنأى عن بواعث حالتك ، وعليك أن تلجأ إلى صدق إيمانك بالله القوي الأعلى وأن تسأله فيضا من نور اليقين به .

فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « إذا دخل النور القلب انفسح وانشرح ، قالوا : وما علامة ذلك يا رسول الله ؟ قال : الإنابة إلى دار الخلود ، والتجافي عن دار الغرور » . وعليك أن تشغل نفسك بطلب العلم والتزود من المعرفة ، وذلك بالمطالعة والاستماع ، لأن المعرفة توسع الأفق ، وتشغل الفراغ ، وتوجد العجيبَ من لذة الفكر والعقل ، وعليك بالعبادة في اعتدال وتوسط ، لأن العبادة تطهير للظاهر وللباطن ومناجاة فيها فراغ من الهموم وانقطاع عن الشواغل . وعليك بالإحسان إلى الخَلْق ، وصنع الجميل ولو كان قليلا إلى الناس ، لأن صنع الجميل متعة أي متعة . وعليك بتصفية قلبك من الأحقاد والأضغان وسوء الظن بالناس ، ولينطو قلبك على حب الخلق كلهم ، وتمنَّ للمحسنِ منهم ازدياداً في إحسانه ، وللمسيء هداية ورشادا . وعليك بالتجول والتنقل في الأماكن الخلوية متنزها مريضاً ، واجعل لنفسك قسطا معلوما من الرياضة الروحية ، بالذكر والصلاة والدعاء والرجاء والابتهال ، فإن اللجوء إلى باب العليّ الأعلى مفرِّج الكروب مطمْئن القلوب ، وهو السميع المجيب .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الحرية الشخصية

السؤال : هل يجوز في الإسلام أن نحجر على الحرية الشخصية للانسان في بعض الجهات ، أو بعض الأحيان ، دفعا لضرر عام ، أو جلبا لمصلحة المجموع فنحرمه من شيء يتمتع به مثلا ؟

الجواب :

نعم يجوز هـــذا للوالي الشرعي لحدود الله ، بشروط منها : أن يكون ذلك عند الضرورة القصوى ، وأن يقصد بذلك وجه الله تعالى والمصلحة العامة ، وأن نحسن التصرف مع المحجور عليه حين منعه من حقه ، وأن

نعوضه في جانب آخر عما فاته من حقوقه ، وخيرُ شاهد يدلنا على ذلك ما رُوي عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه من أنه كان يعس ذات ليلة في طرقات المدينة إذ سمع امرأة تقول :

هل من سبيــل إلى خمر فاشربها — أم من سبيل إلى نصر بن حجاج

فقال عمر منزعجا : « أما ما عشتُ فلا ، لا أرى معي في المدينة رجلا تهتف به العواتق (الشوابّ من النساء) في خدورهن ، عليّ بنصر بن الحجاج » فلما أصبح أحضروه له ، فإذا نصر من أحسن الناس وجها وعينا وشعرا ، فقال له . فتنتَ نساء المدينة يا ابن حجاج ، والله لا تساكنني ببلدة أنا فيها ، فقال له نصر : يا أمير المؤمنين ما ذنبي ؟ قال : هو ما أقول لك ؛ وسيّره محفوظَ الكرامة والحق إلى البصرة .

وكتب نصر إلى عمر من البصرة كتابا يقول فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله عمر أمير المؤمنين ، من نصر بن الحجاج ، سلام عليك ، أما بعد فيا أمير المؤمنين :

لعمري لئن سيّرتَني أو حرمتني — لَمَا نلتَ من عرضي عليك حرام

أإن غنت الذلفاءُ يوما بمُنيــة — وبعض أماني النساء غــرام

ظننتَ بي الظن الذي ليس بعده — بقاءٌ ، وما لي جُرمة فألام

فأصبحتُ منفيا على غير ريبة — وقد كان لي بالمكتين مقام

سيمنعني ممـــا تظن تكرمي — وآباء صدق سالفون كـــرام

ويمنعها مما تمنت صلاتُهـــا — وحالٌ لها في دينها وصيــام

فهاتان حالانا ، فهل أنت راجعي؟ — فقد جُبَّ مني كاهل وسنــام

ولكن افتتان النساء بنصر كان مشهورا ، وجماله كان مزلزلا ، والأخلاق والحرمات عند عمر هي كل شيء ، فرفض أن يعيده ، ولكنه أراد أن يعوضه عما فقده ، فاعتذر إليه ، ثم أعطاه دارا ، ووهبه أرضا ، وجعله حيث هو .

فأنت ترى أن عمر في سبيل المصلحة العامة ، وحرصاً على أخلاق الأمة وسمعة نسائها ، أخرج « نصر » من المدينة ، ولكنه لم يسىء إليه ، بل اعتذر

إليه وعوضه ، ومن هذا تعلم أن الإسلام يأخذ بمبدأ الفرد للمجموع والمجموع للفرد .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

لعب الأطفال

السؤال : ما رأي فضيلتكم في اللُّعب التي نراها تباع في الموالد والمواسم كالعرائس والأحصنة وغيرها مما يصنع من الحلوى ، أيكون ذلك من التماثيل المنهي عنها أم لا ؟

الجواب :

ليت المسلمين يحرصون على تعرف الجوانب السمحة من دينهم الحنيف ، ليدركوا بسواطع الدلائل أن ربهم يريد بهم اليسر ، ولا يريد بهم العسر ، وأنه لا يكلف نفسا إلا وسعها ، وأن الله لا يحرم على عباده إلا الخبائث ، ليحفظهم من شرورها ، ويصونهم عن سيئاتها ... إن هذه اللعب المسؤول عنها هنا لا يحرمها الإسلام بشكلها المعروف المألوف ، لأن هذا كما ذهب إليه كثير من العلماء خارج عن التماثيل المحرمة التي وجدت فيها علة التحريم .

والدليل على ذلك من سنة الرسول أنه رُوي عن السيدة عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قدم عليها من غزوة تبوك أو خيبر – شكٌ من الراوي – وكان في سهوتها (وهي بيت صغير أشبه بالرف أو الطاق) بنات لعائشة كعرائس اللُّعب ، فهبت الريح فكشفت ما في السهوة ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : ما هذا يا عائشة ؟ فقالت : بناتي ... ورأى النبي بينهن فرسا له جناحان ، فقال : ما هذا الذي أرى وسطهن ؟ قالت : فرس ، قال : وما هذا الذي عليه ؟ قالت : جناحان ، فقال : فرس له جناحان !؟ قالت : أما سمعت أن لسليمان خيلا لها أجنحة ؟ فضحك الرسول من قولها حتى بدت نواجذه .

ففي هـــذا الحديث جواز اتخـــاذ صور والعرائس واللّعب للأطفال والفتيات ، وجواز بيعها وشرائها طبعا ، إذ فيه تسلية وتدريب للفتيات على تربية الأطفال ونحو ذلك .

وقد ذكر القرطبي في تفسيره استثناء أهل العلم للُعب البنات ونحوها مما يحرم تصويره ، فقد قال عند تفسير قوله تعالى : « يَعْمَلُونَ لَهُ ما يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ » . قد استثنى من هذا الباب لعب البنات ، وما يُصنع من الحلوى أو العجين ، ووجه نظر هؤلاء أن صورة ما يعظّم ويُعْبَد من دون الله ليس من شأنها أن تُصنع مما لا يبقى زمنا طويلا .

وكذلك نقل الماوردي في « الأحكام السلطانية » أن أبا سعيد الأصطخري من أصحاب الإمام الشافعي تقلد حسبةَ بغداد في أيام المقتدر ، وأقر سوقَ اللّعب ، ولم يمنع منها ، وقال : قد كانت عائشة رضي الله عنها تلعب بالبنات بمشهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلا ينكره عليها ، وهو يشير بذلك إلى ما ورد في صحيح البخاري عن عائشة ، قالت : كنت ألعب بالبنات عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان لي صواحب يلعبن معي [1] .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

دفع المفتريات على الدين

السؤال : تأتينا من الخارج في بعض الأحيان كتب وقحة ، تطعن في الإسلام ، وتتهجم على المقدسات الدينية ، وأحيانا تظهر في الداخل كتب أو بحوث فيها جراءة على الدين ، فتأمر السلطات بمصادرتها ، فتكثر حولهـــا الظنون والإشاعات ، فما رأي فضيلتكم في هذا الموضوع ؟

---

(١) وانظر أيضا المجلد الأول من كتابي هذا : « يسألونك في الدين والحياة » ص ٦٢٠ وص ٦٣٠

الجواب :

إن استئصال الشر لازم ،وبتّر العضو الفاسد الضار واجب،والقضاء على الفتنة الخبيثة أمر تستلزمه الحكمة والإصلاح .ومع هذا أرى أنمقارعةالحجة بالحجة أولى ، فيجب أن لا نكتفي في مجال المطاعن التي توجّه إلى الإسلام بالكبت والمصادرة ، ودون ايضاح أو تفصيل ، لأن ذلك لا يقطع دابر الفتنة ، ولا يقضي على الباطل تماما . إذ سيظل الباطل منشورا في مجالات أخرى لا تصل أيدينا إليها ، ولا تمتد سيطرتنا عليها .

وكذلك حينما نلجأ إلى أسلوب المصادرة يحرص الناس على طلب الممنوع وقراءة المصادَر ، ولو بطريق معوج أو متعب . فكأننا نلفت الأبصار إلى ما لا يستحق الالتفات ، فيتخذ التافهُ من الباطل مكانةً لم تكن له لو مر بيننا مرورا عاديا ومن خلفه سياط التصحيح وأضواء التقويم .

وكذلك نخشى أن يساء استغلال السلطة في هذا المجال ، إن لم يكن اليومَ فغدا ، فإن المعارضة في الرأي والمخالفة في الفكرة تدعو إلى الشقاق والاعتزاز بالذات ، فيُساء استعمال السلطان ... والتلميح يغني عن التصريح .

ويجب أن نتذكر أن مقارعة الحجة بالحجة تُظهر زيفَ الباطل ، وتبصِّر الناس بما في الخرافات من وجوه التفاهة والسخف ، وهذه المقارعة تلجىء رجلَ الدين الذي نصَّبناه وارثا للرسول ، وحارسا للملة ، ومدافعا عن الشريعة إلى اليقظة والانتباه ، وتتبع الشبهات والأباطيل ، والكرِّ على الطعون الدينية والافتراءات الإلحادية بما يقضي عليها القضاء المبرم ، وهذا يستلزم منه مواصلةَ البحث ، ومدوامة الدرس ، والعكوف على المصادر والمراجع والكتب ، فيتسع أفقه الثقافي ، ويتضاعف محصوله العلمي ، فيكون خيرَ مثال لرجل الدين اليقظ الغيور .

ولا خوف على الإسلام الخالد الثابت من شبهات مهما كثرت ، أو طعون مهما تآزرت ، فالإسلام يقوى بالمحن ، ويعلو على الزمن : « إنّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإنّا لَهُ لَحَافِظُونَ » . وكم من أعداء للاسلام

كادوا له كيدَهم ، ودبروا ضدَّه مؤامراتهم ، ثم جاء الحق فزهق الباطل ، إن الباطل كان زهوقا : « إنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً ، وَأَكِيدُ كَيْداً . فَمَهِّلِ الكافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً » . «يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأفواهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الكافِرُونَ » . « فأمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ، وَأَمَّا ما يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ في الأَرْضِ » .

ولا مانع بعد هذا الإيضاح والدحض للشبهات من القضاء على الباطل ، بعد إقامة الأدلة على بطلانه .

والله تبارك وتعالى أعلم .

• • •

من لم تبلغهم دعوة الاسلام

السؤال : **يوجد رجال لا يعرفون العربية ، ويعيشون في بلاد نائية عن بلاد الإسلام ، ولم يُشرح لهم الدين الإسلامي ، ولم يُعرض عليهم ، فهل يعذَّب هؤلاء يوم القيامة ؟**

الجواب :

يقول الحق تبارك وتعالى : « وما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولا » ومعنى هذا — والله أعلم بمراده — أن الحق تبارك وتعالى ينزه نفسَه عن تعذيب العباد الذين لم تصلهم دعوة ، ولم تبلغهم شريعة ، ولم يقرع أسماعَهم نذير ، لأن المعاقبة على التفريط في تنفيذ أمر لم يعلم به المأمور به ظلمٌ لا يرضاه الرحمن لذاته .

ومن هنا نعلم أنه إذا وُجد شخص في كهف أو شاهق جبل ، أو جزء منعزل من الدنيا ، ولم تصله الدعوة ، ولم يسمع بحديثها ، فإنه يعتبر من أهل الفترة ، أو من الذين لا يؤاخَذون بما احتوته هذه الشريعة من تكاليف ، وأما إذا وصلته عن طريق منذر أو محذر أو مبشر ، كان مسؤولا عن أوامرها

ونواهيها ، وإذا سمع عنها وجب عليه أن يطلبها في مظانها ، وأن يدرسها ليتبين أحقيتها . وإلا كان مسؤولا أيضا لتقصيره وعدم بحثه .

ولكني أظن أن دعوة الإسلام العالمية التي شرّقت وغربت ، وطارت مطار الهواء . وسارت مسير الشمس ، أصبحت من الذيوع والانتشار بحيث لا تجهلها جماعة من الجماعات ، أو لا يسمع عنها شعب من الشعوب .

وقد يكون الإسلام قد نقل إلى بعض الناس مشوّها محرفا ، بفعل المجرمين من أعدائه والحاقدين عليه ، وهنا يظهر واجب رجال الدين الجليل ؛ فهؤلاء الأقطاب يجب عليهم أول ما يجب أن يبذلوا غاية الوسع والمجهود في نشر الإسلام ، وتصحيح الأكاذيب المنشورة عنه ، ودفع الشبه الموجهة إليه هنا وهناك ، وإلا كانوا مقصِّرين في حق الإسلام ، متعرضين للحساب الدقيق على هذا التقصير .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الدعوة بالحسنى

السؤال : لي صديق أعزه وأوثره بالخير ما استطعتُ إلى ذلك سبيلا ، ولكني كلما نصحته أو أرشدته رأيته يضيق بنصحي ، ويعاندني فيخالفني ، ويأتي ما أنهاه عنه ، ويترك ما أحثه عليه ، فهل لذلك من سبب ؟ وما العمل ؟

الجواب :

المؤمن مرآة أخيه ، والنصيحة أغلى ما يوهب ، ولكنها أصعب شيء عند الأداء ، لأن الحق مُر ، وتبيين الخطأ يفضح ، والنفس معاندة ، والإنسان محب لذاته مغتر بشخصه . ويخيّل إليّ أن النصيحة تؤدي إلى عكس ثمرتها إذا لم نحسن تقديمها . ولذلك قال الحق جل جلاله لنبيه : « ادعُ إلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ والمَوعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ »

ومن يدري لعل هذا الصديق نافر لسوء الأسلوب في النصح ، أو عدم

البراعة في الإرشاد ، وكم ينجح الناصحون في الوصول إلى ما يريدون لو تذكروا على الدوام قولَ حاتم الزاهد ، وعملوا به ، يقول : « إن كتمت عيبَ أخيك فقد خُنته ، وإن قلته لغيره فقد اغتبته ، وإن واجهته به فقد بهتّه ، ولكن عرِّض به واجعله من جملة الحديث » .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

المسامحة في التوبة

السؤال : **أنا شاب يعذبني ضميري عذابا أليما ، إن أوقعني الشيطان في جريمة إغراء ، وهأنذا نادم تائب ، ولكنهم يقولون لي : لا بد من المسامحة ، وذلك إن حدث يضاعف الفضيحة ، ويؤدي إلى ما لا تُحمد عقباه ، فما المخرج ؟**

الجواب :

في مثل هذه الحالة الموجودة في هذا السؤال نرى — والله أعلم — أنه ما دامت قد صحت نية السائل النادم المعذَّب الحائر على الإقلاع الصادق عن المعصية ، مع الندم الصحيح على ما فرط منه ، والتوبة الكاملة عنه ، والعزم العازم على عدم الرجوع إليه ، والاستقامة في سبيل الفضيلة والدين ، وما دام يوقن بأن طلب السامحة ممن وقع عليهم السوء سيفضي إلى سوء محقق أو اتساع في الشر ، نرى أن يعاهد اللهَ على دوام الاستقامة ومحاسبة النفس ، وإن استطاع أن يحصل على مسامحة عامة بتعريض لا يمس الموضوع بذاته ، في حكمة وإتقان ، فليفعل ، وعلى كل حال فالدين يسر ، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

أبيات في الرجاء

السؤال : **سمعت شخصا يتمثل بهذا البيت :**

يا من يرى مـا في الضمير ويسمع أنت المعد لـكل ما يتوقـع

فمن قائل هذا البيت ؟ وهل معه أبيات أخرى ؟

الجواب :

قائل هذا البيت هو الإمام الحَبْر أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الخثعمي السهيلي الأندلسي المالقي الحافظ صاحب المؤلفات والمصنفات ، والشاعر البليغ ، الذي كان عالما باللغة والقراءات ، وناظَرَ ابن الطراوة في كتاب سيبويه ، وسمع منه كثيرا من اللغة والأدب ، وكُفَّ بصره وهو في السابعة عشرة من عمره ، وتصدر للاقراء والتدريس والحديث ، وكان بارعا جليلا واسع الصيت ، جمع بين الرواية والدراية ، ومن مؤلفاته كتاب « الروض الأنُف » في شرح السيرة النبوية لابن هشام ، وهو الكتاب العظيم المشهور في بابه ، وكتاب « التعريف والإعلام بما في القرآن من الأسماء والأعلام » .

وأصله من قرية بوادي سهيل من كورة مالقة بالمغرب ، واستُدعي إلى مراكش ، ووليَ القضاء فيها ، وحسنت سيرته بها . وتُوفي سنة إحدى وثمانين وخمسمائة ، وله شعر رقيق منه قوله يرثي بلده وقد خربته الفرنج ، وقتلت رجاله ونساءه ، وكان غائبا عنه :

يا دارُ أين البيضُ والآرام ؟ أم أين جيرانٌ عليَّ كرامُ ؟

دار المحب من المنازل آيـة حيًّا فلم يرجع إليه سـلام

أخَرِسْنَ أم بعد المدى فنسينه أم غالَ من كان المجيبَ حِمام

دمعي شهيدي أنني لم أنسهـم إن السلوَّ على المحب حـرام

طارحت وُرْقَ حمامها مترنما بمقال صبٍّ والدموع سجـام

يا دار ما صنعت بك الأيام ضامتك ، والأيام ليس تُضام

والبيت المسؤول عنه للسهيلي معه من بعده أبيات مشهورة في باب الرجاء والدعاء ، وهي :

يا من يرى ما في الضمير ويسمعُ ... أنت المعَد لكل ما يُتوقــعُ
يا من يرجّى للشدائـــد كلهـــا ... يا من إليه المشتكَى والمفـــزع
يا مَنْ خزائنُ رزقه في قول: كُنْ ... امنن فـــإن الخير عندك أجمـع
ما لي سوى فقري إليك وسيلـة ... فبالافتقار إليـــك ربي أضـرع
ما لي سوى قرعي لبابك حيلـــة ... فإذا رددتَ فأيّ باب أقرع ؟
ومن الذي أدعو وأهتف باسمـــه ... إن كان فضلك عن فقيرك يُمنع ؟
حاشا لمجدك أن يقنِّط عاصيا ... الفضل أجزل ، والمواهب أوسع

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الصبر والشكر

السؤال : **أيهما أفضل : السلامة مع الشكر ، أم المرض مع الصبر ؟**

الجواب :

لعله يكفي في الإجابة عن هذا السؤال ما رُوي عن العلاء بن الشخير رضي الله عنه ، أنه كان يقول : العافية مع الشكر أحبُّ من البلاء مع الصبر . قال سفيان الثوري رضي الله عنه : وذلك لأن الله مدح سليمان مع العافية بقوله : « نعم العبد إنه أواب » . وقال في صفة أيوب مع البلاء الذي كان فيه : « نِعْمَ العَبْدُ إنّهُ أَوّابٌ » . فاستوت الصفتان ، وهذا معافىً وهذا مبتلىً ، فوجدنا الشكر قد قام مقامَ الصبر ، فلما اعتدلا كانت العافية مع الشكر أحبَّ من البلاء مع الصبر .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

كيف ننصح ؟

السؤال : لي صديق أخطأ ونحن جلوس في جماعة ، فنصحته ليعدل عن خطئه فثار وغضب ، وقال لي : كيف تجرح إحساسي أمام هؤلاء ؟ وأنا لم أرد له إلا الخير ، فماذا أفعل ؟

الجواب :

الدين النصيحة ، ولكن النصيحة لها شروط إذا لم تتوافر فيها كانت شرا ، وأدت إلى عكس المطلوب منها ، ومن شروطها : الإخلاص فيها ، ورغبة الخير وحده منها ، وتخير الوقت المناسب لها ، والتباعد عن التظاهر والتعالم فيها ، واجتناب الشدة والقسوة في عبارتها ، وكتمانُها كلما استطاع المرء إلى ذلك سبيلا ، ومن هنا تستطيع أن تعلم أن المرء إذا وعظ صاحبَه على رؤوس الأشهاد ، وعرَّض به في خطأ من الأخطاء ، أدى ذلك إلى العناد والإصرار ، وقد يكون من صميم الخير أن نتذكر على الدوام ونحن ننصح الناس ما قاله حاتم الزاهد : « إن كتمتَ عيب أخيك فقد خُنته ، وإن قلته لغيره فقد اغتبته ، وإن واجهته به فقد بهتّه (أي أخذته بغتة وحيّرته) ولكن عرِّض به واجعله من جملة الحديث » .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الدين وتعلم اللغات الأجنبية

السؤال : سمعت بعض المتشددين يعيبون على الشبان المسلمين تعلمهم للغات الأجنبية ، وبخاصة شبان الأزهر الشريف والمعاهد الدينية ، ويقول المعترضون إن هذا تشبه بالأجانب والكفار وتضييع للغة القرآن ، وخروج على الروح القومية العربية فما حكم الإسلام في هذا الموضوع ؟

الجواب :

إن الإسلام أسمى بكثير وأعلى من هذه النزهات ، وإن أفق الإسلام الإنساني

العالمي الخالد لأفسح وأرحب من هذه النظرة الضيقة ، التي تسيء إلى الإسلام ودعوته العامة أكثرَ مما تحسن إليه ، وتلك غيرة مقلوبة معكوسة ، لو ترفقنا بصاحبها عند توفر النية الحسنة فيه ، لكان من واجبنا أيضا أن نرشده وننصحه حتى يستقيم على الطريق .

لقد كان رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام يخاطب كلَّ قبيلة بلغتها أو لهجتها أو أسلوبها ، ليبلِّغ إليهم ما نزل عليه من ربه ، ولو فرضنا أن جاءه أفواج من الأجانب الذين لا يعرفون إلا لغات غير عربية ، لتلمس الرسول الوسيلةَ لإفهامهم دينَ ربهم ، بالطريقة التي يستطيعونها ؛ بنفسه أو بأحد أصحابه ، فكيف يقال بعد هذا إن تعلم اللغات الأجنبية مما يخالف الإسلام ، أو ينال من دين الإنسان ؟

هذا وإن أجدر الناس بتعلم هذه اللغات هم رجال الدين ودعاة الإسلام وشباب الأزهر ، ليبلغوا الدين إلى الشعوب المختلفة . وليقرأوا الطعون الموجهة إلى الإسلام في اللغات الأخرى ويفندوها ، ولينقلوا إلى العربية من مؤلفات الغرب الروحية ما يستخلصون منه الدلائل على ما يدعون إليه ، وإن كان نور الله في ذاته لا يحتاج عند العقل السليم إلى دليل ، فهو أسطع من النهار وأوضح من الشمس .

نعم يعاب الإسراف من الشاب المسلم في تعلم اللغة الأجنبية ، مع ضعفه في لغته العربية ، كما يعاب التعلق بهذه اللغة في الحديث والكتابة إلى أن تطغى على الروح القومية ، وما من فضيلة إلا وهي وسط بين رذيلتين : الإفراط والتفريط ، وخير الأمور الوسط .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الاعتزاز بالعلم

السؤال : كنت أقرأ مقالة لأحد رجال الدين الإسلامي وفي أولها يقول هذه العبارة : « أنا عالم من علماء الأزهر الشريف ... » . وقد وقع عليها بإمضائه وتحته كلمة « من العلماء » . فقال بعض الحاضرين : إن هذا عيب من الكاتب ، وعدّ ذلك تباهيا كاذبا لا يليق من العالم ، فما رأي فضيلتكم في الموضوع ؟

الجواب :

هذا لون من التشدد والمبالغة في الحكم ، والأخذ بالظن والشبهة ، والظن لا يغني من الحق شيئا ، فلعل هذا العالِم قد ذكر عبارته الأولى وصفته الواقعة تحت إمضائه لداع دعا ، أو لمناسبة عارضة ، وليس من المباهاة ولا الكذب أن يتحدث المرء عن صفة له مهما كانت مثار ثناء ، إلا أن يسرف في الحديث عنها دون سبب ، وفي التنزيل المجيد يقول الحق تبارك وتعالى : « وَلَقَدْ آتَيْنا دَاودَ وسليمانَ علماً وَقَالاَ الحَمْدُ لله الّذي فَضَّلَنَا عَلَى كَثيرٍ مِنْ عِبادِهِ المُؤْمِنِينَ » . فأنت ترى أن الرسولَيْن الكريمين قد افتخرا بنعمة العلم ، وأقرا بها تحدثا بنعمة الله ، وشكرا له عليها ، وقد قال المفسر العظيم الإمام الآلوسي بعد تفسيره لهذه الآية السابقة : « ولعل في الآية إشارة إلى جواز أن يقول العالم : أنا عالم . وقد قال ذلك جملةٌ من الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، منهم أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه ، وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، وما شاع من حديث : (من قال أنا عالم ، فهو جاهل) إنما يُعرف من كلام يحيى بن أبي كثير ، موقوفا عليه ، على ضعفٍ في إسناده . ويحيى هذا من صغار التابعين ، فإنه رأى أنسَ بن مالك وحدَه ، وقد وهم بعض الرواة فرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وتحقيقه في أعذب المناهل للسيوطي » اهـ .

وأقول : ولو صح أن هذا حديث لكان المراد به — والله أعلم — تحذير العالم من الافتخار الكاذب الزائد عن حده بعلمه ، أما الاعتراف بالواقع ،

وذكر الحقيقة عند مناسبتها ، فذلك مما لا بأس به ، ورحم الله أمرأ عرفَ قدرَ نفسه ، وجمّلنا الله بالتواضع وحسن الخلق .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الدين ومشاهدة السينما

السؤال : لم تكتف دور السينما عندنا برواياتها الخليعة وأشرطتها المائعة ، فعمدت بعض الدور السينمائية إلى عرض رقصات حيّة في فترات الاستراحة ، تظهر فيها ــ حقيقةً لا رسما ــ راقصاتٌ عاريات ، يقمن بحركات خليعة شنيعة ، تثير أحط الغرائز في نفوس الرجال والنساء ، فما كلمة الدين في السينما ، وفي هذا العمل الفاضح ؟

الجواب :

ما تمتع الأشرار بشيء إلا تمتع به الأخيار ، وزادوا عليه رضا الله ، وإن الله ليخلق من أسباب الحياة والنعيم كلَّ طيب طاهر ، ولكن سوء الاستعمال وفساد الاستغلال يقلب الطيب خبيثا ، والسينما في أصلها أداة تثقيفية ، يمكن لو أشرفت عليها أيدٍ إسلامية وقلوب مؤمنة أن تكون سبيلا طيبا للتعليم والتقويم ، للتأديب والتهذيب ، ولكن أين ذلك والسينما اليوم قد صارت أفلاما داعرة ومناظر فاجرة وقصصا جنسية ثائرة إلا في القليل النادر ؟ إن السينما بما تحتويه اليوم من فجور ومفاتن لا يقبلها الإسلام ، ولا يرضى عنها المسلمون ، وإن ما يتحدث السائل عنه من ظهور راقصات يرقصن في خلاعة لأشدُّ شناعة وجُرما ، ولقد آن الأوان ليتحرك ولاة الأمر فينا فيقضوا على هذا الوباء الذي يهوي بأخلاق الأمة وأعراضها إلى الحضيض [1] ، والله الموفق .

والله تبارك وتعالى أعلم .

---

(١) وانظر أيضا المجلد الأول من كتابي هذا « يسألونك في الدين والحياة » ، ص ٦٤٤ .

الرخصة في الدين

السؤال : **يبيح الدين بعض الرخص في الصلاة والصوم وغيرها ، فهل يُلزم الفرد باتباع هذه الرخص أو يؤدي الفرائض كاملة إذا كان يستطيع ذلك ؟**

الجواب :

الرخصة هي نوع من التيسير والتسهيل يشرعه الله تبارك وتعالى لعباده ، ويبيح لهم أن يتمتعوا به في الحالات الخاصة التي تُشرع فيها هذه الرخصة ، مثل أن يبيح الدين للمريض أن يفطر حتى يتحقق شفاؤه ، وللمسافر أن يفطر حتى يعود من سفره ويستقر في بلده ، ومثل أن يبيح الإسلام للمسافر أن يقصر الصلاة الرباعية ، فيصليها ركعتين فقط ، أو يجمع بين الصلاتين بالشروط المذكورة في كتب الفقه الإسلامي ، وهكذا .

وقد ورد في السنة : « إن الله تعالى يحب أن تُؤْتَى رخصه كما يحب أن تُؤْتَى عزائمه » والعزائم جمع عزيمة ، والعزيمة هي الأمر الذي يطلب الله تعالى عباده بأدائه . وكذلك روي أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله تعالى يحب أن تُقْبل رخصه كما يحب العبد مغفرة ربه » .

ولهذا قال العلماء إن إتيان الرخص والتمتع بها أفضل من تركها ، حينما تأتي في مناسباتها وأوقاتها ، لأن الرخصة أشبه بهدية يهديها الله تعالى إلى عبده ، فلا يليق بالعبد أن يرد هذه الهدية على مهديها وهو الله جل جلاله .

وهناك من يقول إن أداء الفرائض كاملة أفضل من إتيان الرخص ، ولعل القائل بهذا يريد الحالة التي يكون فيها الإنسان قادرا تمام القدرة على استكمال الفرائض دون تعب أو إرهاق ، ومع هذا ينبغي أن يتذكر قول الله تعالى : « يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ اليُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ العُسْرَ » وقول الرسول عليه الصلاة والسلام : « يسروا ولا تعسروا » .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الاكراه على الذنب

السؤال : يعمل بعض الناس اعمالا مخالفة للدين تحت ضغط أو إكراه ، فهل يعاقبون على ذلك ؟

الجواب :

يقول الله تبارك وتعالى في سورة النحل : « مَنْ كَفَرَ باللهِ مِنْ بَعْدِ إيمانه ، إلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌ بالإيمان ، وَلَكِن مَنْ شَرَحَ بِالكُفْرِ صَدْراً ، فَعَلَيْهِم غَضَبٌ مِنَ اللهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ » . وقد رُوي أن هذه الآية الكريمة نزلت في شأن عمار بن ياسر رضي الله عنه ، حين أخذه المشركون وعذبوه مع طائفة من المسلمين المستضعفين في أول الدعوة ؛ ولما اشتد التعذيب بعمار ، وطلبوا منه أن يقول ما لا يوافق إيمانه ، نطق بما أرادوا ليتخلص من تعذيبهم .

ثم ذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم خائفا ، فقال له النبي : كيف تجد قلبك ؟ فأجابه : مطمئن بالإيمان . فقال له النبي : فإن عادوا فعُدْ .

ومن هنا قال العلماء إنه إذا وقع الإكراه على شخص ليقول أو يعمل ما يخالف الدين ، ولم يطق احتمال هذا الإكراه بحال من الأحوال ، فإن الله لا يؤاخذه على ما يقول أو ما يعمل ، لأن الحديث يقول : « رُفع عن أمّتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » .

وقال الفقهاء إن مَنْ أُكره على الكفر حتى خشي على نفسه القتل ، لا إثم عليه إن كفر بلسانه ، وقلبُه مطمئن بالإيمان ، ولا تطلّق منه زوجته ، ولا يُحكم عليه بحكم الكفر . ورُوي عن الإمام مالك أنه قال : مَنْ أُكره على شرب الخمر أو ترك الصلاة أو الإفطار في رمضان فإنه لا إثم عليه ، وإنما الإثم على من أكرهه وأرغمه .

ولكن العلماء أجمعوا على أن مَنْ أكره على قتل غيره لا يجوز له الإقدام على قتله ، لأنه لا يحل له أن يفدي نفسه بغيره ، وكذلك لا يقع طلاق المكره ،

لأنه لم ينوه ولم يقصده ، وإنما أرغم عليه .

ومع هذا قالوا إن من أكره على الكفر فأبى واختار القتل يكون أعظم أجرا عند الله ممن أخذ بالرخصة . ولقد قال خباب بن الأرت رضي الله عنه : شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو متوسد بردةً له في ظل الكعبة ، فقلت : ألا تستنصر لنا ؟ ألا تدعو لنا ؟ فقال : « قد كان مَنْ قبلكم يؤخذ الرجل فيُحفر له في الأرض ، فيُجعل فيها ، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ، ويُمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ، فما يصده ذلك عن دينه ، والله ليتمن هذا الأمر (يعني الإسلام) حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ، لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون » . وقد ذكر النبي هذا عن السابقين من المؤمنين الصابرين على سبيل التنويه والتقدير .

ويروى أيضا أن مسيلمة الكذاب قبض على اثنين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم . وقال لأحدهما : أتشهد أن محمداً رسول الله؟ قال : نعم . قال : أتشهد أني رسول الله ؟ قال : نعم . فخلى سبيله . وقال للآخر : أتشهد أن محمدا رسول الله قال : نعم . فقال : وتشهد أني رسول الله ؟ »قال: أنا أصم لا أسمع . فقتله . فجاء الأول إلى النبي يقول له : هلكتُ . فقال النبي : وما أهلكك ؟ فذكر له ما حدث ، فقال النبي : أما صاحبك فقد مضى على إيمانه ، وأما أنت فأخذت بالرخصة . ثم سأله النبي : علامَ أنت عليه الساعة ؟ فأجاب : أشهد أنك رسول الله . فقال النبي : أنت على ما أنت عليه .

وخلاصة القول أن من يتعرض لإكراه أو إرغام لا يطيقه ولا يستطيع احتماله ، وارتكب بسبب ذلك عملا غير مشروع ، فإنه لا يؤاخذ به ولا يحاسب عليه ، والذنب يكون على من أكرهه أو أرغمه .

والله تبارك وتعالي أعلم .

• • •

الإسلام يحارب الخرافات

السؤال : **هل من الدين أن الصبي إذا انخلعت له سن من أسنانه أن يرميها في وجه الشمس عند الصباح ، ويطلب منها أن تعطيه بدلها سنا أحسن منها ؟**

الجواب :

جاء الإسلام الحنيف ليحارب الخرافات والأباطيل والأوهام ، وليحرك عقل الإنسان إلى النظر والتأمل والبحث . ولذلك كثرت الآيات القرآنية الحاثة على التدبر والتعقل ، وعلى البحث فيما حول الإنسان من آيات . ومن أمثلة ذلك قول الله تبارك وتعالى في سورة عبس : « فَلْيَنْظُرِ الإنسانُ إلى طعامه ، أنّا صَبَبْنا الماءَصَبّاً،ثُمَّ شَقَقْنا الأرضَ شقاً،فأنبتنا فيها حبّاً، وعِنَباً وَقَضْبا ، وزيتوناً ونخلاً ، وحدائقَ غُلباً ، وفاكهةً وأبّاً ، متاعاً لَكُمْ ولأنعامِكُمْ » . وقال جل جلاله في سورة الغاشية : « أفلا ينظرو نَ إلى الإبلِ كيفَ خُلِقَتْ ، وإلى السماء كيفَ رُفِعَتْ ، وإلى الجبالَ كيفَ نُصِبَتْ ، وإلى الأرضِ كيفَ سُطِحَتْ » .

وكذلك أرشدنا القرآن الكريم إلى أن الله عز شأنه هو المتصرف الوحيد في كونه ، وهو الخالق الرازق الفعال لما يشاء ، فقال في سورة آل عمران : « قُلِ اللّهُمَّ مالكَ الملك تُؤتِي الملكَ من تشاءُ ، وتنزعُ الملكَ مِمنَّ تشاءُ ، وتعزُّ مَنْ تشاءُ ، وتُذِلُّ مَنْ تشاءُ ، بيدكَ الخيرُ إنّكَ عَلَى كلِّ شيءٍ قديرٌ ، تُولِجُ اللّيل في النهارِ ، وتولجُ النّهارَ في اللّيلِ ، وتخرج الحيَّ مِن الميّتِ . وتخرج الميّتَ مِنَ الحيِّ ، وترزقُ مَنْ تشاءُ بغيرِ حساب » . ويقول في سورة الملك : « تباركَ الذي بيدهِ الملكُ وَهُوَ عَلَى كلِّ شيءٍ قديرٌ ، الذي خَلَقَ الموتَ والحياةَ لِيَبْلُوَكُمْ أيُّكُمْ أحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَالعزيز الغفورُ » .

ومن هذا نفهم أن الذي ينشىء الخلق هو الله تعالى ، وهو الذي يهب ما يشاء لمن يشاء ، وهو الذي بيده ملكوت كل شيء ، فما دخل الشمس بعد هذا في أمر السن المخلوعة ؟ وما دخلها في الإتيان بغيرها : أحسن منها أو

أقل ؟ ان هذا العمل المسؤول عنه لا يليق بعاقل أن يفعله ، ولا يجوز لمسلم أن يأتيه ، وإذا اعتقد الإنسان أن الشمس هي التي ستخلق السن الجديدة كان هذا كفراً وضلالا .

ولقد جاء في كتاب « شرح نهج البلاغة » قوله : من تخيلات القدماء وخرافاتهم أن الغلام منهم إذا سقطت له سن أخذها بين إصبعيه السبابة والإبهام ، واستقبل بها الشمس إذا طلعت ، وقذف بها قائلا : يا شمس ، أبدليني سنا أحسن منها . وجاء في كتاب « الإبداع في مضار الإبتداع » قوله : من الخرافات أن الغلام يرمي بضرسه أو سنه في وجه الشمس ، قائلا للشمس : (خذي سن الحمار ، وهاتي سن العروسة) وهذا عمل صبياني لا قيمة له .

وعلى هذا لا يليق بالمسلم أن يعمل هذا أو يعتقد فيه ، بل يسلم أمره لله رب العالمين .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الإسلام دين عالمي

السؤال : **هل جاء الإسلام من أجل هداية العرب وحدهم ؟ وهل يمكن أن نقول إن الإسلام قد جاء لقوم دون قوم ؟**

الجواب :

الإسلام دين عالمي ، لم ينزله الله سبحانه لقوم دون قوم ، ولا لجنس دون جنس ، بل أنزله صالحاً لكل زمان ومكان وإنسان ، ولقد تكررت كلمة « العالمين » في القرآن الكريم أكثر من سبعين مرة ، وقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : « وَمَا أرسلناكَ إلاّ رَحْمَةً للعَالَمينَ » ، وقال أيضاً : قُلْ يا أيُّها النّاسُ إنّي رسولُ اللهِ إليكم جميعاً » .

وحين ننظر إلى الجماعة الإسلامية الأولى على عهد الرسول نجدها قد ضمت إلى جانب العرب أفراداً من أجناس مختلفة ، فكان هناك سلمان الفارسي ، الذي كان مستشاراً للنبي في غزوة الخندق . وفيه يقول الرسول : « سلمان منا أهل البيت » . وكان هناك بلال الحبشي ، الذي كان المؤذن الأول في الإسلام ، وكان خازنا لبيت المال ، وفيه جاء الحديث النبوي : « بلال أول ثمار الحبشة » ، وكان هناك صهيب الرومي ، الذي جاء فيه الحديث النبوي : « صهيب أول ثمار الروم » ... الخ .

ولعل مما يشير إلى الروح العالمية في الإسلام ما ذكره القرآن الكريم من وحدة الأصل الإنساني بقوله: «ياأيها النَّاسُ اتقوا ربكمُ الذي خَلقكمْ مِن نفسٍ واحدةٍ وخلقَ منها زوجَهَا ،وبثَّ منهما رجالاً كثيراً ونساء،واتّقوا الله الّذي تساءَلونَ بِهِ والأرحامَ إنَّ اللهَ كانَ عليكم رقيباً » .

ومما يتصل بهذا الاتجاه العالمي أن الإسلام أمر أتباعه أن يؤمنوا بكل الأديان السماوية الإلهية السابقة كما جاءت من عند الله تعالى . وأن يؤمنوا بجميع الأنبياء والرسل المبعوثين من عند الله تعالى ، وأكد القرآن الكريم هذا المعنى في أكثر من موضع ، فقال في سورة البقرة : «آمَنَ الرَّسُولُ بما أُنزلَ إليهِ مِنْ رَبِّهِ والمؤمنونَ ، كلٌّ آمَنَ باللهِ وملائكتِهِ وكُتُبِه ورسلِهِ ، لا نُفرِّق بَيْنَ أحدٍ من رسلهِ ، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانَكَ رَبّنا وإليكَ المصير » . وقال في سورة آل عمران : « قُلْ آمنّا باللهِ وما أنزِلَ عَلَيْنا وما أُنزِلَ على إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ والأسباطِ وما أوتِيَ موسى وعيسى والنبيُّونُ من ربِّهم لانفرّقُ بين أحدٍ منهُمْ ونحنُ لَهُ مُسْلِمُون »

ولم يمنع الإسلام أن يعيش في مجتمعه من يدين بغير الإسلام من أهل الأديان الأخرى ، وسماهم « أهل الكتاب » نسبة إلى الكتاب الإلهي الذي جاءهم من عند الله قبل الإسلام ، كما سماهم « أهل الذمة » ، أي الذين لهم ذمة الله وذمة رسوله ، أي لهم عهد وأمان عند المسلمين .

وهكذا نجد أن الإسلام دعوة إلهية عالمية ، لا تقتصر على قوم دون قوم .

والله تبارك وتعالى أعلم .

من مباديء الإسلام الأساسية

السؤال : **لكل دعوة من الدعوات العامة جملة من المبادىء والتعاليم تدعو إليها وتطالب بها ، فما هي التعاليم الأساسية التي جاءت بها الدعوة الإسلامية ؟**

الجواب :

إن الإسلام دين أراد به الله جل جلاله أن يوضح لعباده طريق السعادة في الدنيا ، والنعيم الأبدي في الآخرة ، وإذا كان لهذا الدين قواعد ، هي شهادة التوحيد ، وإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا ، وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في ذلك : « بُني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت من استطاع إليه سبيلا » ، فإن الإسلام إلى جوار هذا قد تضمن طائفة من المبادىء والتعاليم ، منها ما يلي :

أولا : وضوح العقيدة ، وقيامها على الإقناع والاقتناع ، وضمان الحرية الشخصية في البحث والنظر والاعتقاد ، ولذلك يقول القرآن الكريم في سورة البقرة : « لا إكراهَ في الدِّينِ قَدْ تبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغيِّ » .

ثانيا : فتح الطريق بين الإنسان وربه ، دون وساطة من أحد ، فكل مسلم يستطيع أن يسأل ربه التوفيق وأن يدعوه بما يرجوه ، وأن يعبده دون وساطة ، والقرآن الكريم يقول في سورة البقرة : « وَإذَا سألَكَ عبادي عَنّي فانّي قَرِيبٌ أجِيبُ دَعْوةَ الداعِي إذا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لي وَلْيؤْمِنُوا بي لَعَلَّهُمْ يرشدون » .

ثالثا : المساواة العامة بين الناس ، دون نظر إلى جنس أو لون أو نسب أو مال ، وإذا كان هناك من يزن قيمة الإنسان بماله أو جاهه أو لونه . فإن الإسلام لا يقيم إلا ميزانا واحداً هو ميزان التقوى والعمل الصالح ، ولذلك يقول القرآن الكريم في سورة الحجرات : « يا أيُّها النَّاسُ إنّا خلقناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأنْثى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وقبائلَ لتعارَفُوا إنَّ أكرَمَكُمْ

عندَ اللهِ أتقاكُمْ إنَّ اللهَ عليمٌ خبيرٌ » . ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام : « ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل إلا بالتقوى والعمل الصالح » .

رابعا : الأخذ بمبدأ الشورى في المجتمع ، لأن القرآن الكريم يقول : « وَأمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ » ويقول للنبي صلى الله عليه وسلم : « وَشَاوِرْهُمْ في الأمْرِ » مع مطالبة المحكوم بأن يطيع الحاكم في غير المعصية ، لأن الرسول صلوات الله عليه وسلامه يقول : « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » .

خامسا : الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، مع الدعوة إلى الخير ، وتبادل التضحية ، لأن القرآن الكريم يقول : « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » . ويقول : « والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » .

هذه بعض المبادىء والتعاليم التي جاء بها دين الله الإسلام .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* *

النهي عن المنكر

السؤال : ما حكم الذي يشاهد الجريمة ولا يستطيع النهي عنها ، مع أنه قيل من لم ينه عن المنكر فهو فاعله ؟

الجواب :

يقول الله تبارك وتعالى في سورة آل عمران عن المؤمنين : « يؤمنون باللهِ واليوم الآخرِ ويأمرونَ بالمعروفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ في الخيراتِ وأولَئِكَ مِنَ الصَّالحينَ » . ويقول أيضا : « وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أمَةٌ يدعونَ إلى الخيرِ ويأمرونَ بالمعروفِ وينهَوْنَ عَنِ المنكرِ وأولَئِكَ هُمُ

المفلحونَ » . ويقول في سورة التوبة : « والمؤمنونَ والمؤمناتُ بَعْضُهُمْ أولياءُ بعضٍ يأمرونَ بالمعروفِ وينهونَ عن المنكرِ ويقيمونَ الصَّلاةَ ويؤتونَ الزكاةُ ويطيعونَ اللهَ ورسولَهُ أولئكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إنَّ الله عزيزٌ حكيمٌ » . ويصور القرآن الأمة المؤمنة الفاضلة بقوله في سورة آل عمران : « كنتم خيرَ أمّةٍ أُخْرِجَتْ للنّاسِ تأمرونَ بالمعروفِ وتنهونَ عنِ المنكرِ وتؤمنون باللهِ » . إلى غير ذلك من الآيات التي نفهم منها أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من واجبات المسلمين ومن ملامح المجتمع الإسلامي ، وأن ترك ذلك يستدعي اللعنة من الله جل جلاله ، لأنه يقول في سورة المائدة :

« لُعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون » .

ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام ـ « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان » . وفي إحدى الروايات : « وليس وراء ذلك حبة خردل من إيمان » .

ونحن نلاحظ أن هذا الحديث قد ذكر الاستطاعة ، ونفهم من هذا أن المسلم يكون مطالباً بإنكار المنكر ما دام مستطيعا ذلك الإنكار ، فإن كان عاجزاً ولم يستطع أن يقوم بهذا الإنكار لا يكون شريكا للمذنب في ذنبه ، لأن الله تعالى يقول : « لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إلاَّ وُسْعَها » .

وقد شرط العلماء شروطا لإنكار المنكر ، منها أن يكون الإنسان عالماً أن هذا منكر ، وأن يبدأ بالتضحية ، ثم يسلك الطريق القويم في الإنكار ، وأن لا يترتب على إنكاره إفساد أكبر من المنكر ، وأن يكون صالحا للإنكار قادراً عليه ، ولذلك قال بعض العلماء إن إنكار المنكر باليد من واجب ولاة الأمر القادرين على التغيير ، وإن إنكار المنكر باللسان من واجب الدعاة المرشدين الموجهين ، وإن الإنكار بالقلب من واجب الذي لا يملك قدرة ولا

يستطيع بياناً ، لأن أقل درجات الإنكار للإثم أن يستشعر المسلم روح الكراهية للإثم ، وأن يبتعد عنه وعن فاعله ، وأن يتعلق قلبه بالطاعة والدعاء إلى الله بالإصلاح .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

حقوق الصداقة

السؤال : **إذا كان للإنسان صديق حميم ، ثم دب بينهما الخصام ، وشاء القدر أن يموت الشخص المخاصم ، وذهب الآخر فشيع جنازته ، وحضر دفنه ، وقدم العزاء إلى أهله وساعدهم ، فهل يعد هذا صلحا بين الصديق الباقي والصديق الفقيد ؟ وما رأي الدين في ذلك ؟**

الجواب :

يقول الله تبارك وتعالى : « إنما المؤمنونَ إخْوَةٌ » ، ويقول جل شأنه : « وَإنَّ هَـٰذِهِ أمتُكُمْ أمةٌ واحدةٌ وأنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ » . فبين المؤمن والمؤمن أخوة في الله وفي الإيمان وفي الوطن ، فالواجب على الإنسان أن يرعى حقوق هذه الأخوة بالمحبة والمودة والصفاء ، وهذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم يصور لنا قوة الرابطة التي ينبغي أن تنشأ بين المؤمن والمؤمن ، فيقول : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » .

ومن الواجب على الصديق أن يتحمل من صديقه بعض الهفوات ، فالكمال لله وحده ، والحكمة تقول : « كفى المرء نبلاً ان تعد معايبه » والقرآن المجيد يعلمنا هذا الاحتمال حتى من غير الاصدقاء أو الأولياء ، فيرشدنا إلى دفع السيئة بالحسنة ، فيقول : « ولا تستوي الحسنةُ ولا السيِّئَةُ ادفَعْ بالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فإذا الذي بينك وبينَهُ عداوةٌ كأنَّهُ ولِيٌّ حَمِيمٌ ، وما يلقَّاها إلا الذينَ صَبَروا وما يلقَّاها إلا ذو حظٍّ عظيمٍ » .

وقد جاء ضمن الوصايا التي ذكرت بعض آثار السنة أن الله تعالى أوصى

بها نبيه صلى الله عليه وسلم قوله : « وأن أعفو عمن ظلمني ، وأن أعطي من حرمني ، وأن أصل من قطعني » .

ولذلك كان ينبغي على هذين الصديقين المسؤول عنهما أن يعمرا حياتهما بتبادل المحبة والمودة والاحتمال ، وإذا نزغ الشيطان بينهما بسوء كان عليهما أن يزيلا آثار هذا بسرعة وفي أقرب الاوقات، ويكون خيرهما وأفضلهما من يبادر إلى ذلك قبل صاحبه ، ولذلك يقول رسول الله عليه الصلاة والسلام : « لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه المسلم فوق ثلاث يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام » .

ولكن ما شاءه القدر كان ، فوقع الخصام بين هذين الصديقين ، وشاء القدر أن يموت أحدهما ، والظاهر من السؤال أن الصديق الآخر قد ندم على ما عرض بينهما من خصام ، بدليل أنه قد ذهب فشارك بقلبه وحسه في تجهيز صديقه وتشييعه ودفنه والتعزية فيه ، ولا شك أن الله تبارك وتعالى يعامل هذا الصديق الحي بقدر ما تنطوي عليه جوانحه من نية وعاطفة نحو صديقه الراحل، لأن الرسول صلوات الله وسلامه عليه يقول : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى » ، ويقول أيضا : « إن الله تعالى ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم ، ولا ينظر إلى صوركم وأقوالكم » .

ومن الخير للصديق الباقي أن يخلص الدعاء لصديقه الراحل ، وأن يترحم عليه ، وأن يود من كان يوده ، وأن يتوب إلى الله ويستغفر إن كان قد بدرت منه إساءة إلى أخيه ، والله تعالى غفور رحيم .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الخصام بين الأصدقاء

السؤال : **ما حكم الخصام بين الأصدقاء في الإسلام ؟**

الجواب:

إن الإسلام يقرر أن المسلم أخ للمسلم ، حيث تجمعهما عقيدة واحدة ، هي عقيدة التوحيد ، وحيث استظلا بظل دين واحد ، هو دين الإسلام ، ولذلك يقول القرآن الكريم في سورة آل عمران : « واعتصمُوا بِحَبْلِ الله جميعاً ولا تَفَرَّقُوا ، واذكروا نِعمةَ الله عليكم إذْ كُنْتُم أعداءً فألَّفَ بَيْنَ قلوبِكُمْ فأصْبَحْتُمْ بنعْمَتِه إخواناً » . ويقول في سورة الحجرات : « إنَّما المؤمنونَ إخوةٌ فأصلِحُوا بَيْنَ أخَوَيْكُمْ ، واتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ » . ويقول في سورة المؤمنون : « وَإنَّ هَذِهِ أمَّتُكُمْ امةٌ واحدةٌ ، وأنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ » .

فإذا انتقلنا من القرآن الكريم إلى الحديث النبوي الشريف وجدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤكد هذه الأخوة بين المسلم والمسلم ، فيقول : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » . ويقول : « مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر » . ويقول أيضا : « وكونوا عباد الله إخوانا » .

ونفهم من هذه النصوص كلها أن المسلم يجب عليه أن يكون في حالة صفاء وإخاء مع إخوته في الله والإسلام ، ويحرم عليه أن يخاصمهم أو يقاطعهم ما داموا مهتدين بهدي الدين عاملين بما أمر الله تعالى به ، ولا يحل للمسلم أن يقطع علاقته الأخوية بأخيه في الإسلام ، لأن الرسول عليه الصلاة والسلام يقول : لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه المسلم فوق ثلاث ليال ، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام » .

نعم يجوز في الإسلام أن يهجر المسلم الإنسان الفاسق المجاهر بالمعصية ، حتى يقلع عن فسقه وفجوره ، ولكن ينبغي أن يكون هذا بعد نصحه وإرشاده حتى لا يكون له عذر ، ولأن الله تبارك وتعالى يقول في سورة المائدة : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله

في آخر يوم من جمادى الآخرة ، وكانوا يرون أن هذا اليوم من جمادى ، وهو من رجب ، وأرادوا أن يهجموا على عمرو ، فقال بعضهم : لا نعلم هذا اليوم إلا من الشهر الحرام ، ولا نرى أن تستحلوا لطمع أشفيتم عليه ، وقال بعضهم : هذه غِرة من عدو ، وغُنم رُزقتموه ، ولا ندري أمن الشهر الحرام هذا اليوم أم لا .

وغلب الرأي الأخير ، فشدوا على ابن الحضرمي ، فقتلوه فغنموا ما معه ، فبلغ ذلك كفار قريش ، وكان ابن الحضرمي أولَ قتيل قتل بين المشركين والمسلمين ، فركب وفدُ كفار قريش حتى قدموا على النبي ، فقالوا : أيحل القتال في الشهر الحرام ؟ فنزل قوله تعالى : « يسألونَكَ عَنِ الشّهرِ الحرامِ قتالٍ فيهِ ، قُلْ قِتالٌ فيهِ كبير وصدٌ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وكفرٌ به والمسجدِ الحرامِ وإخراجُ أهلهِ منهُ أكبرُ عِندَ اللهِ ، والفتنةُ أكبرُ مِنَ القتلِ ... » الخ .

وفي الحديث : « المسلم أخو المسلم يتعاونان على الفتّان » . والفتان هو الشيطان لأنه يفتن الناس عن الدين ، وفيه أيضاً : « أفتّان أنت يا معاذ » ؟ وفي حديث الكسوف : « وإنكم تُفْتَنون في القبور » يريد سؤال منكر ونكير ، وقد كثرت استعاذة الرسول صلوات الله وسلامه عليه من فتنة القبر ، وفتنة الدجال ، وفتنة المحيا والممات ، وغير ذلك ، وفي الحديث : « المؤمن خُلق مُفَتّناً » بضمم ففتح فتشديد التاء مع فتحها ، أي ممتحنا يمتحنه الله بالذنب ثم يتوب ، ثم يعود ثم يتوب .

وفي حديث عمر أنه سمع رجلا يتعوذ من الفتن فقال له : أتسأل ربك ألا يرزقك أهلا ولا مالا ؟ تأول في ذلك قوله تعالى : « إنّما أموالُكُم وأولادُكُمْ فِتْنَةٌ واللهُ عِندَهُ أجرٌ عَظِيمٌ » . ولم يرد فتن القتال والاختلاف » .

ولعل هذا القدر كافٍ في إيضاح ما يراد من معاني الفتنة المشهورة ، وهناك معان أخرى مجازية ، لم نَرَ داعياً إلى التطويل بذكرها ؛ اللهم إنا نسألك حفظا

من الفتنة ، ودواماً للمنة ، وعملا يؤدي إلى الجنة ، إنك بنا رؤوف رحيم .
والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

معنى الحكومة الدينية

السؤال : **يحمل بعض الناس في الداخل والخارج حملات شديدة على « الحكومة الدينية » . ويصفونها بأنها حكومة استبداد وغموض ، فما مبلغ ذلك من الصحة ؟ وهل هناك فرق بين هذه « الحكومة الدينية » وبين الحكومة في الإسلام ؟**

الجواب :

« الحكومة الدينية » بمعناها الشائع عند محاربيها تعبير تاريخي سياسي مخيف ، يذكرنا بسلطان « القيصر » المطلق المتحكم باسم الدين في شؤون الدنيا بلا عدالة أو تبصر أو مراجعة ، ويذكّرنا بما كان من أمر الحكومات التي سمت نفسها « دينية » في غموض وإبهام ، ثم استغلت سلطة الكنيسة في تسخير العباد لأهواء الحاكمين دون معارضة ، وكلما هم مظلوم أو مهضوم أن يطالب بحقه أو يخالف الحاكم في رأيه سقاه الحاكم من العذاب ألوانا ، لأن الدين في زعم الحاكم يريد هذا ، والحاكم وحده هنا هو الذي يملك الدين ، وهو الذي يفسر الدين ، وهو يطبق أوامر الدين بتفويض ادعى أنه تلقاه وحده من صاحب الدين وموحيه ، ويذكّرنا بما كان من أمر أولئك الذين ادعوا أن لهم « سلطة مقدسة » تأتيهم من السماء ، فلا حوار ولا جدال ولا حساب ، وكيف وهم يحكمون باسم الله ، والله لا يراجعه في حكمه أو كلمه مراجع ، ويذكّرنا ببعض الذين ادعوا أثناء حكمهم في عصور الظلمات وفترات التبديل وخاطىء لتأويل ، أنهم يحكمون بالقرآن ، ثم ساقوا الأمة أمامهم سَوْقَ العبيد، وكلما رتفع صوتُ ناصح أو مذكر قال هؤلاء بألسنتهم وبأيديهم وبسيوفهم : لا جدال ، فإننا نحكم باسم الدين ، وما نفعله هو الدين وهو دفاع عن الدين ،

وهو حفظ للملة ، ونحن ظل الله في الأرض . ويذكّرنا أيضا بالذين يظنون أن « الحكومة الدينية » بجميع أشكالها وصورها حكومة غامضة مبهمة ، تتسم بسمة الاستبداد المطلق ، وسوء الاستغلال للدين في شؤون الحكم .

* * *

ولا جدال عند النظر الدقيق والبحث العميق أن الإسلام الصريح الحنيف الواضح لا يقر هذه « الحكومة الدينية » المزعومة ، ولا يريدها ولا يرضى عنها ، وما جاء ليقيمها ، وإن كان بعض الطغاة في بعض العصور قد استغل اسمه زورا وبهتانا في محاولة إقامتها .

الإسلام الحنيف الصريح لا يقر أبدا أن يُقبل علينا من يقول : إنني سأحكمكم بالقرآن والسنة ... ثم يظل على ترديده لهذه الكلمات وحدها في حكمه ، دون أن تتوافر فيه شروط الراعي النزيه الحكيم ، ودون أن يكون له قانون مفصل مستمد من القرآن والسنة ، ودون أن يكون معه أهل المشورة والحل والعقد والرأي ؛ ودون أن يتقيّد بقيود تفرضها مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة ومصلحة الدعوة نفسها ، ودون أن يقدّم حسابا عما فعل ويفعل ، مطابقاً في روحه وخطواته للقرآن والسنة ، لأن تعبير « الحكم بالقرآن والسنة » تعبير عام يحتاج إلى تفصيل .

والمغرضون الذين يتربصون بالإسلام الدوائر حينما يسمعونه يتذكرون الأخطاء التاريخية الخطيرة التي ارتكبها أصحابها باسم الدين وباسم الحكومة الدينية المطلقة السلطان ، والقرآن حكم إلهي عام محكم ، نزل من لدن الحق ليكون خالدا باقيا ، وليكون صالحا لكل زمان ومكان ، وما دام هذا شأنه فلا مناص من اقتصار القرآن في حديثه على الأصول والأهداف العامة والكليات الشاملة ، دون انشغال بالتبويب والتفصيل ووضع المواد الجزئية ، لأن هذا هو واجب الأمة المسلمة ممثلة في رعاتها ورعاياها ، ولا يمكن لراعٍ أن يضع القرآن في يد ، والسيفَ في اليد الأخرى ، ثم يحمل الناس على هذا القرآن بفهمه هو أو رغبته هو ، فمن أطاع فقد نجا ، ومن عصاه حكّم في رقبته السيف .

إنهذا لا يرتضيه الإسلام ، ولو ارتضاه الإسلام لما أمكن تنفيذه فإن الآراء والأهواء والرغبات تختلف ، وقد تتناقض فيؤدي هذا إلى الشقاق والتمزق ، والقرآن قد جاء ليحقق بين الناس التآلف والاتحاد ، وهو لا يسوق الناس تحت حكمه عُمْياً وصما وبكما ، بل يسوسهم بشريعة محددة مفصلة أوضح من ضوء النهار .

الإسلام دين ودولة ، ذلك أمر مسلّم ، لا يخالفه إلاجهول أوعدو للاسلام والمسلمين ، ولكن ما هي تلك الدولة الإسلامية ؟ هي الدولة القائمة في ظل حكومة رشيدة واضحة عادلة ، تتحقق وتنهض من اجتماع أهل الحل والعقد والرأي والمشورة والفقه في الأمة الإسلامية ليتخلصوا من القرآن الكريم وصحيح السنة النبوية المطهرة أحكاما وقوانين ، ومواد محددة بينة ظاهرة ، يتكون منها دستور الأمة المسلمة المفصَّل ، وتتوافر فيها ضمانات العدالة والمساواة والحرية والأخوة والملاءمة بين شؤون الدين والدنيا ، وبين العبادة والقيادة ، وبين المادة والروح ، ثم يصبح هذا الدستور القرآني النبوي الإسلامي المحدد المفصل المستمد من صميم حكومة الإسلام ، وقيداً واضحَ المعالم والأطراف والحدود ، يتقيد به الحاكم قبل المحكوم ، فلا غموض هناك في حكومة الإسلام ولا إبهام ولا استبداد ، بل الأمر كما قال الرسول : « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، وكل ما خالف العدالةَ والمساواة والحرية والأخوة والتقوى فهو من معصية الخالق » .

وإذن فحكومة الإسلام لا تدع الحبلَ للراعي على غاربه ، ولا تدعه فريسة للضلال في أودية التأويل ، ولا تفرده بالتصرف المطلق تحت عنوان ديني عام لا تفصيل فيه ، ولا يجوز لنا أبدا أن نشبه الحكومة الإسلامية التي نتمناها لكل قطر إسلامي « بالحكومة الدينية » ذات المعنى التاريخي البغيض الشائع ، ويجب أن نفهم أن ذلك الغبار الظنين الذي يثار حول الحكم الإسلامي في بعض البيئات المريبة إنما هو أثر من آثار استبداد المحتلين ومكائدهم ، لأن الاستعمار

رقبة ، فَمَنْ لم يجدْ فصيامُ ثلاثةِ أيامٍ ، وذلك كَفّارةُ أيمانكُمْ إذا حلَفْتُمْ ، واحفَظُوا أيْمانَكُمْ ، كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » .

والملاحظ أن الحلفَ بالله تبارك وتعالى قد ذاع وشاع ، وانتشر بين كثير من المسلمين ، حتى لأتفه الاسباب ، واللائق بالمسلم أن يصون اسم الله جل جلاله عن التلفظ به في معرض الحلف ، دون ضرورة تدعو إلى ذلك ، حتى يكون قد حفظ لاسم الله حرمته وهيبته،وحتى لا يكون مظنة الاستخفاف به عند الناس ، لأن الناس لا يثقون في الشخص الذي يرونه معتادا الحلف بالله جل جلاله .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

بيت إسلامي لشوقي

السؤال : **أرجو أن تتفضلوا ببسط معنى البيت التالي :**

والدين يُسرٌ ، والخلافة بيعـة   والأمر شورى ، والحقوق قضاء

فقد سمعته مرارا ، وأرى أن معناه في حاجة إلي توضيح .

الجواب :

رحم الله أمير الشعراء « أحمد شوقي » ، فإن قصائده الإسلامية لتعد قلادة رائعة تزين جيده ، فتكون عملا صالحا يسعى بين يديه يوم القيامة ، فتزيد من حسناته وتمحو من سيئاته ، وكم لشوقي العظيم من أبيات عامرة سائرة تجمع بين اللفظ المشرق ، والتصوير المعجب ، والنغم المطرب ، والمعنى البديع المغرب . ومن بينها ذلك البيت .

« الدين يسر » : الإسلام شرعة نزلت للسعادة والهناء ، لا للعسف والإشقاء ودين يتمثل فيه اليسر بكل وضوح ، فالله لا يكلف نفسا إلا وسعها ، وهو يريد بعباده اليسر ولا يريد بهم العسر ، وكيف لا وهو رب العباد وخالقهم

صبغةَ الله ومن أحسن من الله صبغة ، وهو الرحمن الرحيم .

« والخلافة بيعة » : خلافة الإسلام ولاية شرعية اختيارية إجماعية ، لا تقوم على التوارث أو الأهواء أو الاستبداد ، بل تقوم على البيعة الحرة الشريفة العفيفة ، التي يراد بها أولا وقبل كل شيء أن يكون الفرد في خدمة المجموع ، وأن تكون الجماعة في خدمة الفرد ، وبذلك تتحقق في الولاية قيادةُ الأمة في طهارة وإخلاص ووفاء إلى ما يسعدها في دينها ودنياها .

« والأمر شورى » : الإسلام يقرر مبدأ الشورى بين المسلمين ، حتى لا يستبد فرد برأي ، ولا ينفرد شخص بحكم ، لأن المسلمين كأسنان المشط استواء ، ولذلك يقول القرآن : « وأَمْرُهُمْ شُورَى بيْنَهُمْ » . ويقول مخاطبا الرسول : « وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ » . وما لم تأخذ الأمة الإسلامية بمبدأ الشورى الصحيح السليم ، فلن يتحقق فيها معنى الإسلام تحققا كاملا .

« والحقوق قضاء » كلُّ فرد في الإسلام مطالَب بأداء واجبه ، جدير بنيل حقه. وحق المسلم يجب أن يكون أمرا مقضيا ، لا يقبل النزاع ولا التسويف أو التعويق ، وليس المسلم مطالَباً بأن يُجهد نفسَه في سبيل الحصول على حقه بل على الراعي للأمة أن يوصله إليه بلا تأخير .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

الأنبياء وجزيرة العرب

السؤال : **ما السبب في مجيء أكثر الأنبياء من جزيرة العرب ؟**

الجواب :

يقول الله تبارك وتعالى : « اللهُ أَعلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ » . أي هو أعلم حيث يضع رسالته ، وهو يعلم مَنْ الذي يصلح لها من عباده ، والرسالة فضل من الله تعالى يختص به من يشاء من خلقه ، لا ينالها أحـــد

باجتهاد ، ولا يصل إليهـا بحسَب أو بنسب ، بل الله يختص بهذه الدرجة الرفيعة والمنزلة العالية مَنْ كان أهلاً لها ، بأن توافرت له سلامة الفطرة ، وعلو الهمة وزكاء النفس ، وطهارة القلب ، وحب الخير والحق ، ورضا الله سبحانه وتعالى .

وقد تكون الحكمة في مجيء أكثر الأنبياء من جزيرة العرب أنها بقعة وَسَط وأنها كمركز الدائرة للعالم ، وأنها صحراوية في كثير من أجزائها ، فقدرة الله تبدو أكثر حين يُخرج منها – وهي جافة قاحلة – من يهدي الناس إلى طريق السعادة والهناء .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

المزاح بالسكين

السؤال : نسمع الناس عندنا في الريف يقولون لمن يمزح مع أخيه بآلة حادة ، كسكين أو خنجر : لا تفعل ، فإن الحديد يطول ؛ فهل لهذا القول نصيب من الحق أو الواقع ؟

الجواب :

إن وجود السلاح في يد الإنسان يغريه باستعماله ، وكثيراً ما يدفعه إلى التطاول به على غيره ، فيصيبه بأذى ، عامدا أو خاطئا ، وهذا معنى قولهم : « الحديد يطول » ... ومن العجيب أن لذلك أصلا في الدين ، فقد روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يشير أحدكم على أخيه بالسلاح ، فإنه لا يدري ، لعل الشيطان ينزع في يده ، فيقع في حفرة من النار » . ومعنى الحديث بإيجاز كما قال الأئمة : هو النهي عن الإشارة بالسلاح ، سواء أكان السلاح سكّينا ، أم سيفا ، أم رمحا ، أم بندقية ، أم غير ذلك من الآلات الحادة التي تُتخذ للقتال أو القطع ، لأن الشيطان قد يحمل المازحَ أو الهازىء أو اللاعب ، على الفساد

والتطاول دون أن يدري . فما يشعر – وهو غارق في حمى مزاحه – إلا وقد أسرف في إشارته حتى تجاوزت حدها . فأصابت أخاه ، وسبق السيف العذل ، أو لعل قوى الشر في نفسه تثور من رقدتها وكمونها ، بفعل الشيطان وكيده ، فيمد يده إلى ما لا يقصده فيكون السوء ؛ وما يفضي إلى المحذور محذور ، ولذلك نهى الفقهاء عن ممثل هذا العمل ، في الجد أو في الهزل ، ومن الواجب على عامة المسلمين أن يتناصحوا في هذا الباب . وأن يتواصوا بالابتعاد عن مثل تلك الأساليب .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

رعاية اليتامى

السؤال : **كنت سائرا في ليلة مظلمة ، فرأيت بجوار كومة من القمامات طفلا صغيرا ، يبحث فيها عن شيء يأكله ، فحزّ في نفسي منظرُ هذا الطفل الشريد البائس ، وعطفت عليه بما قدرت ، ثم سألته عن أهله فإذا هو يتيم لطيم ، لا راعي له ولا منفق عليه ، فكيف يبقى مثل هذا في مجتمع متحضر حديث ؟ وكيف يمكننا عمليا أن نضمن لهذا الغلام حياةً طيبة ؟**

الجواب :

هزتني هذه الصيحة النبيلة من صاحبها الكريم ، فأنا أعرف أن لها شبيهات تتحدث عن آلاف المآسي ، وحقا إنه لعار أي عار أن يبقى مثل هذا البؤس وذلك الشرود ، في أمة إسلامية محمدية يصفها زعيمها الأول بأنها كالجسد الواحد ، وبأنها كالبنيان يشد بعضه بعضا ؟ وحكم الله في هذا الطفل الشريد أن بيت المال الإسلامي مسؤول عن رعايته والإنفاق عليه ، ومن الواجب أن تقوم وزارة المال أو وزارة الشؤون مقامَ بيت المال ، إلى أن يمن الله علينا به إسلاميا خالصا ويعود إلينا من جديد .

وإن السكوت على أمثال هذه المآسي الاجتماعية ، دون تكفير جدي عملي

من ولاة أمورنا في معالجتها وإصلاحها ، يفتح الطريق واسعا للمبادىء الخبيثة ، والاتجاهات الهدامة ، والآراء المتطرفة الخطيرة ، فالحكمة في الوقاية قبل أوان العلاج .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

بيتان لكعب بن زهير

السؤال : مَنْ قائل هذين البيتين ، وما معناهما :

مقالة السوء إلى أهلها أسرعُ من منحدَر سائلِ

ومن دعا الناسَ إلى ذمه ذمُّوه بالحق وبالباطل

الجواب :

قائل هذين البيتين هو كعب بن زهير بن أبي سُلمى ، الشاعر الجاهلي المخضرَم ، الذي أدرك الإسلام ، ومدح الرسول بقصيدته المشهورة التي مطلعها :

« بانت سعاد فقلبي اليوم متبول » .

والمعنى أن أهل السوء لا يخفون على أحد ، ومهما حاولوا كتمانَ جرائمهم فإنهم حتما سينكشفون ، وحينئذ تُسرِع إليهم شهاداتُ الناس الأليمة فيهم ، فيجرحونهم وينتقدونهم ، وتَعَجَّلُ هذه الشهادات الجارحة إلى أهل السوء ، كأنها السيل المنحدر السريع ، فتصمهم بوصمة العار والشنار ، واللوم في ذلك ليس على الناقدين أو الحاملين ، بل اللوم على أهل السوء أنفسهم ؛ لأنهم هم الذين عرضوا أنفسهم لمقالة الناس ، ومن هانت عليه نفسه كانت على الناس أهون ، ومن حرض الناس بسوء سلوكه وقبح عمله على أن يقولوا فيه ما يجرحه ، يشجعهم بذلك على أن يكثروا من القول في ذمه وتشويه سمعته ، تارة بالصدق والواقع ، وتارات بالكذب والافتراء .

والله تبارك وتعالى أعلم .

الأمة بين ماضيها وحاضرها

السؤال : يتطلع المرء اليوم إلى الأمة الإسلامية ، فيراها مقطّعة الأواصر ، موزعة الجهود ، مشتتة الأغراض ، فيعود الإنسان بفكره إلى العهود الأولى ، مستلهما الطريق إلى الإصلاح . فهل لك أن تبين لنا كيف وحّد رسولُ الإسلام عليه الصلاة والسلام أمته الكبرى فبلغت غاية المجد في هذه الحياة ؟

الجواب :

لو شئتُ الجوابَ في جملة واحدة لقلت : إن محمدا قد وحد أمته وجمع كلمتها ، لأنه محمد خاتم النبيين ، وسيد المرسلين ، وإمام المجاهدين ، والمبعوث رحمة للعالمين والمؤيّد بعناية الله القوي المتين .

وإن أردتَ التوضيح قلت لك في إيجاز : إن الرسول الكريم عليه الصلاة والتسليم قد استطاع ذلك الجمع والتوحيد بعدة أسباب ووسائل ، منها قوة شخصيته ، واخلاصه الفذ في رسالته ، ومنها تسفيه المعبودات الباطلة التي كانت قائمة ، وتعمير القلوب بعقيدة أسمى من ترهات الوثنية التافهة ، وإضاءة العقول بنور الإيمان بالخالق الأعظم . الذي له ما في السموات والأرض ، ثم تثبيت هذا الإيمان تثبيتا عمليا دائما ، بما أوحاه إليه ربه من عبادات ، كصلاة وصوم وزكاة وحج وضروب إحسان ، ومنها أنه طهر نفوسَ أمته من أحقادها وأضغانها ، فلا بغي ولا عدوان ، ولا تفاخر أو تنابذ ، بل أخوة ومحبة ومساواة ، لأنهم من أصل واحد ، ولا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى .

ومنها تعليمهم أنهم لا يملكون حَوْلا ولا طَوْلا . وأنهم حين يعتزون بأنفسهم يخسرون ، ولكنهم حينما يعتزون بخالقهم يفلحون ، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين . ولذلك قال القرآن : « وَاعتصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا » . ومنها تهوين قيمة الدنيا في نظرهم ، وما دامت الدنيا قد هانت في نظر المرء فقد ارتفع في إنسانيته ، وأصبح أهلا لأن يضم أبناء جنسه بجناح المحبة والوفاء ، ومنها تطميعهم في جنة رائعة ، وحياة خالدة بعد الحياة

الثمانية ، ولمثل هذا يتنافس المتنافسون ، ويتعاون المختلفون فكيف بالمتقاربين ؟
ومنها أنه صبغ الناحيةَ الوطنية بصبغة دينية ، فجعل حب الوطن من الإيمان ، والدفاعَ عن الحِمَى جزءا من العقيدة ، وتلك رابطة سماوية قوية ، تلف جميع الصفوف برباط الوفاق والاتحاد ، إذ لا يمكنهم أن يسودوا في ديارهم ، ويردوا العدوانَ عن حماهم ، ليُرْضوا بذلكِ ربهم ، إلا إذا كان كل منهم لأخيه عونا وسندا ، والمسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا .

وأخيراً استطاع الرسول أن يوحد صفوف أمته ، لأنه جعلها أمة مؤمنة قانتة ، تعمل لدنياها كأنها تعيش أبدا ، وتعمل لآخرتها كأنها تموت غدا ، ولا يصلح هذا الأمر إلا بما يصلح به أوله ، فإن أراد المتأخرون أن يصلوا فأمامهم الطريق .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

تقبيل اليد

السؤال : سمعتُ الكثيرين يعيبون تقبيل اليد ، ويقولون إنها عادة تدل على الذلة والخنوع ، وترمز إلى الرياء والنفاق ، والمسلم مطالَب بالاعتزاز والترفع ، فما رأيكم في هذا الموضوع ؟

الجواب :

تقبيل اليد من الأعمال التي يرجع الحكم فيها إلى الدافع إليها والمحرض عليها ، فإن كان قصد الإنسان من تقبيل اليد نفاقا أو رياء ، فهي عادة مذمومة ورذيلة قبيحة ، وإن كان المراد هو التوقير والتعظيم ، أو التعبير عن الحب والشكران ، فهي عمل جميل لا بأس به .

ومن هنا تعرف السببَ في اختلاف النصوص الواردة بشأن تقبيل اليد ، فبعضها ينفّر منها ، مثل ما رُوي أن رجلا دخل على هشام بن عبد الملك فقبّل

يده ، فقال هشام : ما قبلت العربُ الأيديَ إلا هُلوعا ، ولا قبلتها العجم إلا خضوعا ، وما روي أيضا أن رجلا استأذن المأمون في تقبيل يده ، فقال : إن القبلة من المؤمن ذلة ، ومن الذميّ خديعة ، ولا حاجة بك أن تذل ، ولا حاجة بنا أن نُخْدَع .

وبعضها يحبب فيها أولا يرى بها بأسا ، فقد رُوي عن عبد الله بن عمر قال : كنا نقبِّل يدَ النبي صلى الله عليه وسلم ، وعن مصعب قال : رأيت رجلا دخل على علي بن الحسين رضي الله عنهما في المسجد ، فقبّل يده ، ووضعها على عينيه ، ولم ينهه ؛ وقد قال الإمام الغزالي ما نصه : « ولا بأس بقبلة يد المعظّم في الدين تبركا به وتوقيرا له ، وروي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قبّلنا يد النبي صلى الله عليه وسلم ، وعن كعب بن مالك قال : لما نزلت توبتي أتيت النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، فقبلت يده ، وروي أن أعرابيا قال : يا رسول الله ، ائذن لي فأقبل رأسك ويدك ، قال : فأذن له ففعل ، ولقي أبو عبيدة عمرَ بن الخطاب رضي الله عنهما ، فصافحه وقبل يده ، وتنحيا يبكيان » .

فأنت ترى من هذا أن تقبيل اليد إذا أُريد به غرض كريم كان كريما ، وهذا هو الأصل فيه ، وإذا أسيء استغلاله صار مرذولا ، شأنَ كل مقبول يساء استعماله . وعلى هذا فما أجمل أن يقبِّل الإنسان يدَ والديه ، أو استاذه ، أو مرشده الروحي ، أو الولي الصالح ، أو الرجل العظيم النافع ، ولست أدري كيف يفتَتن أناس بحضارة الغرب ، التي ترى من الأدب أن يقبِّل الرجل يدَ المرأة ، سواء أكانت حليلة أم خليلة ، ثم نحمل حملة عمياء على على تقبيل اليد بيننا ، دون تفريق بين ما أُريد به الرياء ، وما أريد به الوفاء .

والله تبارك وتعالى أعلم .

* * *

في سبيل النفس

السؤال : قرأت في أحد الكتب هذه القصة : جرى كلبُ صيد وراء غزال ، ففر الغزال أمامه مسرعا ، وفي أثناء الجري ، التفت الغزال إلى الكلب وقال : إنك لن تدركني ، فسأله الكلب متعجبا : ولم ؟ قال : لأنني أجري لنفسي ، وأنت تجري لغيرك ، فما معنى هذه القصة ؟

الجواب :

حب النفس غريزة أصيلة قوية عند الإنسان . والإنسان عندما يحب غيره أو مصلحةَ سواه ، يفعل ذلك بعد أن يحب نفسَه ومصلحتها ، أو لأنه يرى في حب الغير مصلحة لذاته ، أو استجابة لرغباته ، ومن هنا اعتاد المرء الاهتمامَ بشؤون نفسه ، والاجتهـاد في أدائهـا ، والحرص على إتقانها وإيفائها حقها ، فإذا طولب المرء بأداء عمل لسواه ، أداه في كلفة وثقل ، إلا في القليل النادر ، ولذلك قالت الحكمة الأولى : ما حكٌ جلدَك مثل ظفرك فتولٌ أنت جميع أمرك .

وبهذا البيان السريع تستطيع أن تدرك معنى القصة ومغزاها ، فإن الكلب الذي يطارد الغزالَ لا يشتغل لنفسه ، بل هو عبد مسخَر لصاحبه ، فهو إذا صاد الغزالَ لن ينفرد بملكيته أو أكله ، بل سيقدمه غنيمةً باردة لصاحبه ، ولذلك هو يجري بلا إخلاص أو اجتهاد ، لأن ثمرة التعب لسواه .

وأما الغزال فإنه يجري حرصا على حياته ، وفرارا بذاته ، ونجاةً بنفسه من الموت والخطر المحدق ، ولذلك يبذل جهداً لا يتيسر للكلب المسخَّر أن يبذله ، من هنا لن يسهل على الكلب لحاقُه أو بلوغه ، ما دام الوضع كما تقدم .

والإسلام الحكيم لم يغفل أثرَ حب الذات في نفس الإنسان ، فأباح له أن يمتلك ويكتسب ويتمتع ، ويدافع عن نفسه ، ويحرص على حقوقه ، ولكنه بعد هذا طالب المسلمَ بأن يكون اجتماعيا ، وأن لا يطغى حبه لذاته ومنفعته

الشخصية على مصالح الناس ، ولذلك قال الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» . وقال : « والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه » .

والله تبارك وتعالى أعلم .

فهرس